







دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

كتاب الأَخاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

الجزء العاشر

المطبعة

طبعة دار الكتب المصرية

١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

بيان

بحمد الله وحسن توفيقه ، وفي عهد مليكنا المعظم نصير العلم ورافع مناره ، وحامل لواء الأدب وحامى ذماره ، حضرة صاحب الجلالة "فاروق الأول" أدام الله على البلاد ظله ، وأعلى بعنايته العلم وأهله ، تم هذا الجزء بعد مقابلته بأصوله المخطوطة والمطبوعة ، وبعد تصحيح ما وقفنا له ، وضبط ما ينبغى ضبطه من لغة وأسماء ، وتحري وجه الصواب جهد الطاقة فيما وضعناه من شروح وتعليقات .

والأصول التي اعتمدنا عليها في المراجعة هي الأصول التي اعتمدنا عليها في مراجعة الأجزاء السابقة ، وقد تقدم وصف هذه الأصول جميعا في تصدير الجزء الأول . وتقدم في هذا التصدير أن النسخة التي اصطللحنا على أن نرمز لها بحرف « ١ » مكتوبة بخطوط مختلفة .

والمجلد الذي راجعنا عليه في هذا الموضع من هذه النسخة مكتوب بالخط المغربي ، كتبه — كما هو وارد في آخر صفحة منه — بنغر الجزائر محمد بن محمد المدعو السلاوى الحسنى الفاسى المنشأ والدار فى أواخر جمادى الثانية من سنة ست وتسعين ومائة وألف هجرية . وهو أكبر حجما من سائر مجلدات هذه النسخة ؛ إذ يبلغ طول صحفه ٣١ سنتيمترا ، وعرضها ٢٠ وطول ما رسم من الكتابة فى الصحف ٢٢ بعرض ١٣ وفى كل صفحة ٢٩ سطرا . أما سائر الأجزاء فهى دونه فى الحجم وفى عدد السطور . وأول هذا المجلد محلى ومجدول بالذهب ، ويقع فى ٣٠٣ ورقة وباقى الصحف مجدول بالمداد الأحمر .

ويتبدى هذا المجلد بأخبار عنترة بن شداد العبسى التى تقع فى أول صفحة ٢٣٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة ، وينتهى بأخبار أبى زبيد وتقع فى الجزء الثانى عشر من هذه الطبعة .

بيان

وهذا الاختلاف بين هذا المجلد وسائر المجلدات يدل على أنه ليس من أسفار
النسخة التي في دار الكتب المصرية والمرقومة برقم ١٣١٨ أدب، وإنما جمع معها
وسلك في رقعها . وفي آخره ما يدل على ذلك صراحة إذ ورد فيه : « تم السفر
الثالث من كتاب الأغاني ... » وهذا السفر يصل إلى قريب من نصف الكتاب
مع أن هذه النسخة تقع في أربعة عشر مجلدا كما قلنا في وصفها في تصدير الكتاب .
وواضح من هذا أن هذا المجلد لا بد أن يكون جزءا من نسخة أخرى لا تعدو
أسفارها ستة أو سبعة على الأكثر .

وقد اطلع على هذا المجلد كما اطلع على سائر مجلدات هذه النسخة الأستاذ الكبير
شيخ الأزهر الشيخ حسن بن محمد العطار من مجلة العلماء والأدباء في القرن
الثالث عشر الهجري .

وقد وضعت لهذا الجزء فهرس كاملة كالأجزاء السابقة ، غير أنا توسعنا
في فهرس هذا الجزء عند ذكر أسماء رجال السند؛ إذ لم نكتف بذكر رقم أو رقين
لكل رجل بل أثبتنا كل أرقام الراوى إذا اختلف من روى عنهم أو من روى عنه،
ليكون ذلك مرجعا للرجال الذين روى عنهم أبو الفرج أخباره التي ذكرها في كتابه .
وإنا نعتذر إلى القراء من التأخر في صدور الأجزاء؛ فان العمل شاق، والأصول
التي بين أيدينا، على قلتها، كثيرة التحريف، والأمانة ثقيلة .

وفي هذا المقام نرى اعترافا بالجميل وتقديرا لجهود العاملين أن نسدى جميل
الثناء والحمد لحضرة الأستاذ الكبير الدكتور "منصور فهمى بك" المدير العام
لدار الكتب المصرية على ما كان، ولا يزال، يوالينا به من حسن التوجيه والإرشاد .
والله أسأل أن يوفقنا للخير والسداد في القول والعمل ما

أحمد زكى العروى

رئيس القسم الأدبي بدار الكتب المصرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء العاشر من كتاب الأغاني

٢
٩

أخبار دريد بن الصمة ونسبه

هو دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ . وأسم الصَّمَّةُ ، فيما ذكر أبو عمرو ، معاوية الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن علقمة ، وقيل علقمة ، بن خُزاعة بن غَزِيَّةَ بن جُشَمَ بن معاوية بن بكر بن هَوَازِنَ . وأما أبو عبيدة فقال : هو دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ، وأسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن علقمة ولم يذكر معاوية . وقال ابن سَلَامَ : الحارث بن معاوية بن بكر بن علقمة .

ودريد بن الصمة فارس شجاع فحل ، وجعله محمد بن سلام أول شعراء الفُرسان . وقد كان أطول الفُرسان الشعراء غزواً ، وأبعدهم أثراً ، وأكثرهم ظفراً ، وأيمنهم نقيبةً عند العرب ، وأشعرهم دريد بن الصمة .

وقال أبو عبيدة : كان دريد بن الصمة سيِّدَ بني جُشَمَ وفارسهم وقائدهم ، وكان مظفراً ميمون النقيبة ، وغزوا نحو مائة غزاة ما أخفق في واحدة منها ، وأدرك

(١) يلاحظ بأدنى تأمل أن سياق الكلام مستغن عن ذكر هذا الاسم .

الإسلام فلم يُسلم، ونُخرج مع قومه في يوم حنينٍ مُظَاهِرًا للشركين، ولا فضلَ فيه للحرب، وإنما أخرجوه تيمُّنًا به وليقتبسوا من رأيه، فمنعهم مالكُ بن عوفٍ من قتل يوم حنين، وخالفه لئلا يكون له ذِكر، فقتل دُرَيْدٌ يومئذٍ على شركه. وخبره يأتي بعد هذا.

وكان لدريد إخوة وهم عبد الله الذي قتلته غطفان، وعبد يغوث قتلته بنو مرة، وقيس قتلته بنو أبي بكر بن كلاب، وخالد قتلته بنو الحارث بن كعب، أمهم جميعاً ريحانة بنت معد يكرب الزبيدي أخت عمرو بن معد يكرب كان الصمة سبها ثم تزوجها فأولدها بينه. وإياها يعني أخوها عمرو بقوله في شعره:

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعِ * يُوَرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ

إذا لم تستطع شيئاً فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع

٣
٩

وكان لدريد ابن يقال له سلمة، وكان شاعراً وهو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم فأصاب ركبته فقتله وأرتجز فقال:

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ * ابْنُ سَمَادِيرَ لِمَنْ تَوَسَّمَةٌ

* أَضْرِبْ بِالسِّيفِ رِعَوسَ الْمُسَلِّمَةِ *

وكانت لدريد أيضاً بنت يقال لها عمرة^(٤) [وكانت شاعرة، ولها فيه مراثٍ كثيرة].

أخبرني بنجره هاشم بن محمد الخزازي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، وأخبرني بأخبار

شعره في الصبر
على التواضع

(١) في أ، ب، م: «أمرأ». (٢) أبو عامر الأشعري هو ابن عم أبي موسى

الأشعري، وقد كان هذا الحادث يوم حنين. (٣) سمادير اسم أم سلمة امرأة دريد بن الصمة.

(٤) الزيادة عن م.

له مجموعة ومتفرقة جماعة من شيوخنا أذكركم في مواضعهم ، وأخبرني أيضا بخبره محمد بن خلف بن المرزبان عن صالح بن محمد عن أبي عمرو الشيباني وقد بينت رواية كل واحد منهم في موضعها ، قال أبو عبيدة سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة حيث يقول :

تقول ألا تبكي أخاك ! وقد أرى * مكان البكا لكن بينت على الصبر
لمقتل عبد الله والهالك الذي * على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر
وعبد يغوث أو خليلي خالد * وعز مصابا حثو قبر^(١) على قبر
أبي القتل إلا آل صمة إنهم * أبوا غيره والقدر يجري إلى القدر
فأما ترينا ما تزال دماؤنا * لدى وائر يشق بها آخر الدهر
فإننا للحم سيف غير نكير * ونلحمه حيناً وليس بذي نكر
يغار علينا وائر ينفضي * بنا إن أصبنا ، أو نغير على وتر
بذلك قسمنا الدهر شطرين قسمة * فنا ينفضي إلا ونحن على شطر

وأخبرني ابن عمار قال : حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن القاسم الأسدي عن صاعد مولى الكهيت بن زيد يقول : أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة ، وذكر هذه الأبيات .

قال أبو عبيدة : فأما عبد الله بن الصمة فإن السبب في مقتله إنه كان غزى غطفان ومعه بنو جثم وبنو نصير أبناء معاوية فظفر بهم وساق أموالهم في يوم يقال له يوم اللوى ومضى بها . ولما كان منهم غير بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له

يوم اللوى ومقتل
أخيه عبد الله
وما رثاه به من
الشعر

(١) في أ : « حتى قبر » يقال : حثرت عليه التراب أحثوه حثوا وحثيته أحثيه حثيا ، والياء أصل .

(٢) لجه (من باب فتح) : أطعمه اللحم . وفي الصحاح : « ولا تقل أله والأصمعي يقول » .

- أخوه دُرَيْدُ : يا أبا فُرْعَانَ — وكانت لعبد الله ثلاثُ كُنَى : أبو فُرْعَانَ ، وأبو ذُفَّافَةَ ، وأبو طَوْفٍ ، وكلُّها قد ذكرها دُرَيْدُ في شعره — : نَشَدْتُكَ اللهُ أَلَّا تَنْزِلَ فَإِنَّ غَطَفَانَ ليست بغافلةٍ عن أموالها ، فأقسم لا يَرِيْمُ حتى يأخذ مِرْبَاعَهُ وَيَتَّقَعَ قَيْعَهُ ^(١) ، فإيا كلَّ وَيُطْعِمَ وَيَقْسِمَ البَقِيَّةَ بين أصحابه ، فبيناهم في ذلك وقد سَطَعَتِ الدَّوَاحِنُ ، إذا بُعِبَارُ ^(٢) قد أرتفع أشدُّ من دُخَانِهِمْ ، وإذا عَبَسَ وفَزَارَةُ ^(٣) وأشجعُ قد أقبلت فقالوا للرَّيْثِثِهم ^(٤) : انظر ما ذا تَرَى ؟ فقال أرى قوماً جَمَادًا كَأَن سَرَّابِلَهُمْ قد غُمِسَتْ في الجَادِيّ ^(٥) قال : تلك أشجعُ ، ليست بشيء . ثم نظر فقال : أرى قوما كأنهم الصَّبِيَّانِ ، أَسْتَنَّهُمْ عند آذَانِ خَيْلِهِمْ . قال : تلك فَزَارَةُ ^(٦) . ثم نظر فقال : أرى قوما أَدْمَانًا كَأَنَّمَا يَحْمِلُونَ ^(٧) الجبلَ بسوادهم ، يَخْدُونَ الأَرْضَ بأقدامهم خَدًّا ، وَيَحْمِرُونَ رِمَاحَهُمْ جَرًّا ، قال : تلك عَبَسُ والموتُ معهم ! فتلاحقوا بالمنعرجِ من رُمَيْلَةِ اللَّوَى فاقْتَتَلُوا فقتل رجلٌ من بني قَارِبٍ وهم من بني عَبَسَ عبد الله بن الصَّمَّةِ فتنادوا : قُتِلَ أَبُو ذُفَّافَةَ ! فعطف دُرَيْدُ فَنَدَبَ عنه فلم يُغْنِ شيئاً وجرح دُرَيْدُ فسقط فكفوا عنه وهم يرون أنه قُتِلَ ، وأستنقذوا المَالَ ونجا مَنْ هَرَبَ . فمَرَّ الزَّهْدَمَانِ وهما من بني عَبَسَ ، وهما زَهْدَمُ وقَيْسُ أَبْنَا حَزْنِ بن وهب بن رَوَاحَةَ وإِنَّمَا قِيلَ لَهُمُ الزَّهْدَمَانِ تَغْلِيًّا لِأَشْهُرِ الأَسْمِينِ عليهما ، كما قيل العُمَرَانِ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، والقمران للشمس والقمر . قال دُرَيْدُ : فسمعتُ زَهْدَمًا الْعَبْدِيَّ يَقُولُ لَكَرْدَمِ الْفَزَارِيِّ إِنِّي لَأَحْسَبُ دُرَيْدًا حَيًّا

٤
٩

(١) المرباع بكسر أوله : ربع الغنيمة ، وهو حظ الرئيس في الجاهلية .

(٢) تقع الشيء في الماء وغيره ينقع (من باب فتح) فهو قَيْعٌ ، ومثله أقمعه . نبذه : أى اتخذ

منه النبل . (٣) الربيثة : الطليعة . (٤) الجادى : الزعفران .

(٥) الأدمان : جمع آدم على مثال سودان وجحان . والآدم من الناس : الأسمر .

(٦) فى ج ، م : « الأرض » . (٧) يخذون : يشقون .

فَأَنْزَلَ فَأَجْهَزَ عَلَيْهِ ، قَالَ : قَدْ مَاتَ ، قَالَ : أَنْزِلْ فَأَنْظُرْ إِلَى سَبْتِهِ هَلْ تَرْمِزُ؟ قَالَ دُرَيْدٌ :
فَسَدَدْتُ مِنْ حِثَارِهَا أَى مِنْ شَرَجِهَا ، قَالَ فَنَظَرُ فَقَالَ : هِيَاتِ ، أَى قَدْ مَاتَ ، فَوَلَّى
عَنِّي ، قَالَ وَمَالٌ بِالزَّجِّ فِي شَرَجِ دُرَيْدٍ فَطَعَنَهُ فِيهِ فَسَالَ دَمٌ كَانَ قَدْ أَحْتَقَنَ فِي جَوْفِهِ ،
قَالَ دُرَيْدٌ فَعَرَفْتُ الْخَلْفَةَ حِينَئِذٍ فَأَمْهَلْتُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ مَشَيْتُ وَأَنَا ضَعِيفٌ
قَدْ تَزَفَى الدَّمُ حَتَّى مَا أَكَادُ أَبْصُرُ ، فَخِزْتُ بِجَمَاعَةٍ تَسِيرُ فَدَخَلْتُ فِيهِمْ ، فَوَقَعْتُ بَيْنَ
عُرْقُوبَيْنِ بَعِيرٍ طَلْعِينَةٍ ، فَتَفَرَّ الْبَعِيرُ فَنَادَتْ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، فَأَنْتَسَبْتُ لَهَا فَأَعْلَمَتِ
الْحَيَّ بِمَكَانِي ، فُغْسِلَ عَنِّي الدَّمُ وَزُوْدْتُ زَادًا وَسِقَاءً فَتَجَوْتُ ، وَزَعَمَ بَعْضُ
الْغَطَفَانِيِّينَ أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ فَرَازِيَّةً وَأَنَّ الْحَيَّ كَانُوا عَلَيْهِمَا بِمَكَانِهِ فَتَرَكَوهُ فِدَاوَتُهُ الْمَرْأَةَ
حَتَّى بَرَأَ وَلِحِقَ بِقَوْمِهِ ، قَالَ : ثُمَّ حَجَّ كَرْدَمَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي نَقَرٍ مِنْ بَنِي عُبَيْسٍ ، فَلَمَّا
قَارَبُوا دِيَارَ دُرَيْدٍ تَسَكَّرُوا خَوْفًا ، وَمَرَّ بِهِمْ فَأَنْكَرَهُمْ ، فَبَعَلَ يَمْشِي فِيهِمْ وَيَسْأَلُهُمْ
مِنْهُمْ ؟ فَقَالَ لَهُ كَرْدَمٌ : عَمَّنْ تَسْأَلُ ؟ فَدَفَعَهُ دُرَيْدٌ ، وَقَالَ : أَمَا عَنْكَ وَعَمَّنْ مَعَكَ
فَلَا أَسْأَلُ أَبَدًا ، وَعَانَقَهُ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ فَرَسًا وَسِلَاحًا ، وَقَالَ لَهُ : هَذَا بِمَا فَعَلْتَ بِي
يَوْمَ اللَّوَى .

وقال دُرَيْدٌ يَرَى أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ :

أَرَأَيْتَ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ * بَعَاقِبَةٍ وَأَخْلَفْتُ كُلَّ مَوْعِدٍ
وَبَانَتْ وَلَمْ أَحْمَدِ إِلَيْكَ جَوَارَهَا * وَلَمْ تَرْجُ مِنَّا رِدَّةَ الْيَوْمِ أَوْغِدِ

(١) السبة بالضم : الاست . وترمز (بجذف إحدى قائمها) : فضطرب وتفرق .

(٢) الحثار بالكسر : ما أحاط بالشيء كحثار الغراب والمخل .

(٣) يقال : تزف الدم فلانا فهو منزوف وتزيف أى سال منه دم كثير حتى يضمف .

(٤) فى أ م : « قيس » .

(٥) بعاقبة أى بأخرة .

وهى طويلة وفيها يقول :

أعاذلنى كل أمرئ وابن أمه * متاع كراد الراكب المستود
أعاذل ابن الرزة أمثال خالد^(١) * ولا رزة تما أهلك المرء عن يد
نصحت لعارض وأصحاب عارض * ورهط بنى السوداء والقوم شهدى^(٢)
فقلت لهم ظنونا بالنى مدجج * سرائهم فى الفارسى المسرد
أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد إلا صحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى * غوايتهم وأننى غير مهتد^(٣)
وهل أنا إلا من غزيرة^(٤) إن غوت * غويت، وإن ترشد غزيرة أرشد
دعانى أنى والخيلى بينى وبينه * فلما دعانى لم يجذنى بقعد^(٥)
تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً * فقلت أعبد الله ذلكم الردى
فإن يك عبد الله خلى مكانه * فلم يك وقافاً ولا طائش اليد

٥
٩

- (١) ذكر المؤلف فيما مر إخوة دريد وذكر منهم خالد وعبد الله . والنصريح بهذا الاسم فى هذا الشعر الذى قاله دريد فى رثاء أخيه عبد الله خاصة يدل على أن عبد الله وخالدا وعارضاً (المذكور فى البيت التالى) ثلاثة أسماء لشخص واحد وقد صرح بذلك شارح الحماسة ج ٢ ص ١٥٦ حيث قال : « عارض هو أخو دريد وكانت له ثلاثة أسماء عارض وعبد الله وخالدا ، وثلاث كنى كان يكنى أبا أوفى وأبا ذقاة وأبا فرعان أو أبا فرغان » . (٢) رهط بنى السوداء . يعنى بهم أصحاب أخيه عبد الله . والقوم شهدى أى شهودى . (٣) ظنوا أى أيقنوا أو معناه ما ظنكم بالفين من الأعداء واصدين لكم بريقبونكم . والمدجج : التام السلاح ، من الدجة وهى شدة الظلمة لأن الظلمة تستر كل شئ . والمدجج يسترقسه بالسلاح . وسرائهم : أشرافهم وساداتهم . والفارسى المسرد عنى به الدروع المتتابعة الخلق فى نسجها . (٤) كذا فى ح والحماسة . وفى سائر الأصول : « أو » . (٥) غزيرة : قبيلة من هوازك . (٦) القعد كقنفذ : الجبان الذى يمتنع عن المكارم .

ولا يرماً إذا الرياحُ تناوحتُ * برطِبِ العِضَاهِ والمَهِشِ المعْضَدِ
نظرتُ إليه والرماحُ تنوَّشُه ^(٢) * كَوَفَّعَ الصَّيَاحِى فِي النَّسِيجِ المُدَّدِ
فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تبدَّدتُ * وحتى عَلَانِي أَشْقَرُ اللُّونِ مُزِيدُ ^(٣)
فما رِمْتُ حتى خرَّقتني رماحُهم * وغُوِدِرْتُ أَكْبُو فِي القَنَا المتَقَصِّدِ ^(٤)
قَتَلَ آمْرِي وأسَى أخاه بنفسه * وأيقن أن المرءَ غيرُ مُخْلَدٍ
صبور على وقع المصائب حافظ * من اليوم أعقابَ الأحاديث في غَدِ

في بعض هذه الأبيات غناء وهو :

صوت

تمثل على عليه
السلام بشعره

أمرتهمُ أمرى بمنعرجِ اللوى * فلم يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضُحَى الغَدِ
فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى * غَوَايَتَهُم وَأَنْتَى غير مهتَدِ
وهل أنا إِلَّا من غَزِيَّةٍ إن غَوَتْ * غَوَيْتُ وإن تَرُشِدَ غَزِيَّةٌ أَرُشِدَ

١٠

الغناء ليحيى المكيّ ثانياً ثقيلاً بالسبابة في مجرى البنصر من رواية ابنه أحمد، وذكره
إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحمد . وهذه الأبيات تمثل بها أمير المؤمنين
عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عند منصرفه من صفين .

(١) البرم : الضجر . وتناوحت الرياح هبت صبا مرة وشمالا مرة وجنوبا مرة ، وذلك آية
الجدب . والعِضَاهُ : كل شجرة يقطع له شوك . والمَهِشِ : الثبت البابس المتكسر . والمعْضَدُ : المقطع
بالمضد . (٢) تنوَّشُه : تناوله . والصيَاحِى : جمع صبيصة وهي شوكة الحائك التي يسوى بها
السداة والحمة . (٣) هذه رواية الأصول وفيه إقواء . ورواية الحماسة ،
فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست * وحتى علاني حالك اللون أسودى

١٥

قال التبريزي : ويروى أسود على الإقواء . وأسودى يريد أسوديا كما قيل في الأحمر أحمر وفي الدقار
دقار ثم خففت ياء النسب بحذف إحداهما . (٤) المتقصد : المتكسر .

٢٠

حدَّثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجليّ قال حدَّثنا حسين بن نصر بن
مُزَاحِم قال حدَّثنا عمر بن سعيد عن أبي مخنف عن رجاله أن عليّاً عليه السلام لما
اختلفت كلمة أصحابه في أمر الحَكَمين وتفرقت الخوارج وقالوا له أرجع عن أمر
الحَكَمين وتبّ وأعترف بأنك كفرت إذ حكمت ، ولم يقبل ذلك منهم ، وخالفوه
وفارقوه تمثّل بقول دُرَيْد :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الند

الأيّبات :

قال أبو عبيدة : كانت لعبد الله بن الصّمة ثلاثة أسماء وثلاث كُنى : عبد الله
ومعبد وخالد ، ويكنى أبا ذُفافة وأبا فرعان وأبا أوفى . أخوه عبد الله
وأسماءه وكناه

وقال دُرَيْد :

أبا ذُفافة من الخيل إذ طُرِدَتْ * فأضطرّها الطعن في وعث وإيجاف^(١)
يفارس الخيل في الهيجاء إذ شُغِلَتْ * كلتا اليدين درورا غير وقاف

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن
يونس أنه كان يقول : أفضل بيت قالته العرب في الصبر على النوائب قول دُرَيْد
له أفضل بيت
في الصبر على
النوائب

ابن الصّمة :

قليل التشكى للصّيبات حافظ * من اليوم أعقاب الأحاديث في غد

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزبير عن أبي المهاجر ، وذكر مثله أبو عمرو
الشّيباني ، أن أمّ معبد التي ذكرها دُرَيْد في شعره هذا كانت امرأته فطلقها ، لأنها
هاتبه زوجته
أم معبد على بكائه
أخاه فطلقها وقال
شعرا

(١) الوعث هنا : الطريق الخشن الغليظ العسر . والإيجاف : سرقة السر .

رأته شديد الخزع على أخيه، فعاتبته على ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته، فطلقها وقال فيها :

أرث جديد الجبل من أم معبد * بعاقبة وأخلفت كل موعِد
وبانت ولم أحمد اليك جوارها * ولم ترج منا ردة اليوم أو غد

$\frac{6}{9}$

فقال له أم معبد : بئس والله ما أنثيت على يا أبا قرّة ! لقد أطعمتك مأدومي، وبشئت مكثومي، وأنثيتك بأهلاً غير ذات صرار وما استقرمت قبلك إلا من حيض .
وقال أبو عبيدة في خبره : بلغ دريد بن الصمة أن زوجته سبت أخاه فطلقها وألحقها بأهلها وقال في ذلك :

أعبد الله إن سبتك عرسى * تقدّم بعض لحى قبل بعض
إذا عرس امرئ شمت أخاه * فليس فؤاد شائنه بمحض^(٢)
معاذ الله أن يشتمن رهطى * وأن يملكن إبرامى ونقضى

١٠

حارب غطفان يوم
القدير طابا بنار
أخيه وقال شعرا

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال :
أغار دريد بن الصمة بعد مقتل أخيه عبد الله على غطفان يطالبهم بدمه، فاستقراهم^(٤)
حيّاً حياً، وقتل من بنى عيسى ساعدة بن مرّة، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب،
أسره مرة بن عوف الجشمي . فقالت بنو جشم : لو فاديناها ! فأبى ذلك دريد عليهم،
وقتله بأخيه عبد الله، وقتل من بنى فزارة رجلاً يقال له حرام وإخوة له، وأصاب

١٥

(١) الباهل في الأصل : الناقة لاصرار عليها، تريد أنها أباحت نفسها . (٢) كذا في ح،
واستقرمت المرأة : تضيقت بالفرم (فتح أوله واسكان ثانيه) أى عابلت ذلك الموضع منها ليضيق
ويستحصف، وربما تتعالم بحب الزبيب ونحوه تضيق به متاعها . (٣) فؤاد حمض : فاسد
متغير . (٤) استقراهم : تنبهم . (٥) فاداه : أطلقه وقبل فديته . وفي القرآن الكريم
(ولم يأتوكم أسارى فنادوهم وهو محرم عليكم إنراجهم) .

٢٠

جماعة من بني مرة ومن بني ثعلبة بن سعد ومن أحياء غطفان ، وذلك في يوم
الغدِير . وفي هذا اليوم وفي من قُتِل فيه منهم يقول :

تأبَّد من أهله معشر * بجو سويقة فالأصفر^(١)
فجزع الحليف إلى واسط * فذلك مبدى وذا محضر^(٢)
فأبلغ سليمي وألفافها^(٣) * وقد يعطف النسب الأكبر
بأنى تأرت بإخوانكم * وكنت كأني بهم مخفّر^(٤)
صبحنا فزارة شمر القنا * فمهلًا فزارة لا تضجروا
وأبلغ لديك بني مازن * فكيف الوعيد ولم تقرروا
فإن تقتلوا فتية أفردوا * أصابهم الحين أو تظفروا
فإن حرامًا لدى معري * وإخوته حولهم أفسر
ويوم يزيد بني ناشب * وقبل يزيدكم الأكبر
أثرنا صريح بني ناشب * ورهط لقيط فلا تفخروا
تحت الضاع^(٥) بأوصالهم * وبلقحن منهم ولم يقبروا

(١) تأبَّد : أفر . ومعشرو وجو سويقة والأصفر أسماء مواضع .

(٢) الجزع : منعطف الوادي . والحليف وواسط : موضعان .

(٣) ألفافها : قومها المجتمعون حولها ، مفردة لف بالكسر .

(٤) أخفّره : نقض عهده وهدره . والمهزة فيه للإزالة أي أزال خطارته كاشكاه إذا أزال شكواه .

(٥) يشير إلى ما هو معروف عن الضبع من أنها إذا لقيت قتيلا بالمرء وورم وانتفخ غر موله فأتية
فتركه وتقضى حاجتها منه ثم تأكله (راجع نهاية الأرب ج ٩ ص ٢٧٤ طبع دار الكتب المصرية
والحيوان لمحاظ طبع مصر ج ٥ ص ٤٠) .

ويقول في ذلك أيضا دريد بن الصمة في قصيدة له أخرى :

جَزِينَا بَنِي عَيْسٍ جَزَاءً مَوْفَرًا * بِمَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ الذَّنَائِبِ ^(١)
ولولا سوادُ الليلِ أدركَ رَكُضُنَا * بِذِي الرِّمِّ وَالْأَرَطِيِّ عِيَاضَ بَنِ نَاشِبِ ^(٢)
قَتَلْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ دِيَاتِهِ * ذُوَابَ بَنِ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ

٥ قال أبو عبيدة : أنشد عبد الملك بن مروان شعر دريد بن الصمة هذا فقال : كاد

دريد أن ينسب ذؤاب بن أسماء إلى آدم . فلما بلغ المنشد قوله :

ولولا سوادُ الليلِ أدركَ رَكُضُنَا * بِذِي الرِّمِّ وَالْأَرَطِيِّ عِيَاضَ بَنِ نَاشِبِ

قال عبد الملك : ليت الشمس كانت بقيت له قليلا حتى يدركه .

$\frac{7}{9}$

قال أبو عبيدة وقال دريد أيضا في هذه الواقعة :

قَتَلْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ * وَخَيْرَ شَبَابِ النَّاسِ لَوْضَمَ أَجْمَعَا ^(٣)
ذُوَابَ بَنِ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ * مَنِيَّتُهُ أَجْرَى إِلَيْهَا وَأَوْضَعَا
قَتَّى مِثْلَ مَتْنِ السِّيفِ يَهْتَرُ لِلْنَدَى * كَعَالِيَةِ الرَّيْحِ الرُّدْنِيِّ أَرْوَمَا

١٠

وقال ابن الكلبي : قالت ريمحانة بنت معد يكرب لدريد بن الصمة بعد حوله من

مَقْتَلِ أَخِيهِ : يَا بَنِيَّ إِنْ كُنْتَ عَجَزْتَ عَنْ طَلْبِ الثَّارِ بِأَخِيكَ فَاسْتَعِنْ بِجَالِكَ وَعَشِيرَتِهِ

١٥ من زُبَيْدٍ ، فَإِنْ مِنْ ذَلِكَ وَحَلَفَ لَا يَكْتَحِلُ وَلَا يَدَّهْنُ وَلَا يَمْسُ طَبِيًّا وَلَا يَأْكُلُ

لَحْمًا وَلَا يَشْرَبُ نَحْرًا حَتَّى يُدْرِكَ ثَارَهُ ، فَغَزَا هَذِهِ الْغَزَاةَ وَجَاءَهَا بِذُوَابَ بْنِ أَسْمَاءَ فَقَتَلَهُ

بِفَنَائِهَا ، وَقَالَ : هَلْ بَلَغْتُ مَا فِي نَفْسِكَ ؟ ! قَالَتْ : نَعَمْ مُتَّعْتُ بِكَ ! وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ

الْكَلْبِيِّ لَرِيحَانَةَ فِي هَذَا الْمَعْنَى آيَاتٌ لَمْ تَحْضُرْ وَقَدْ كَتَبْتُ خَبَرَهَا .

أغسرت أمه بالاستعانة بأخواله في ثار أخيه فأبى وقتل ذؤاب بن أسماء

(١) الذنائب يوم من أيام العرب المشهورة (راجع الأغاني ج ٥ ص ٣٥ — ٦٣ طبع دار الكتب

المصرية) . (٢) ذو الرمث : موضع . والرمث والأرطى نباتان . (٣) أجرى إليها : قصد إليها .

أخوه قيس بن
الصمة ومقتله

- وأما قتيل أبي بكر الذي ذكره دُرَيْد فإنه أخوه قَيْسُ بن الصَّمَّة، قتله بنو أبي بكر
أَبْنِ كِلَاب . وكان السَّبَبُ في ذلك، فيما أخبرني به هاشم بن محمد عن دَمَاز عن
أبي عُبَيْدَةَ، أنه غزا في قومه بنِي خُرَاعَةَ من بنِي جُشَم، فأغاروا على إِبِلِ لَبْنِي كَعْب
ابن أبي بكر بن كِلَاب، فأنطلقوا بها . وخرج بنو أبي بكر بن كِلَاب في طلبها حتى
إذا دنوا منهم قال عمرو بن سُفْيَان الكِلَابِي، وكان حازماً عاقلاً، امكثوا، ومضى .
هو متكرراً حتى لقي رجلاً من بنِي خُرَاعَةَ فسلم عليه وأستسقاء فسقاء وأنسب له هِلالياً،
فسأله عن قومه وأين مرَّعى إبلهم، وأعلمه أنه جاء رائداً لقومه يريد مجاورتهم،
فخبره الرجل بكل ما أراد، فرجع إلى قومه وقد عرف بُغْيَتَهُ، فصَبَحَ القَوْمَ فظفرت بهم
بنو كِلَاب وقتلوا قَيْسَ بن الصَّمَّة، وذهبوا بإبل بنِي خُرَاعَةَ وأرتجعوا لإبلهم . وكان^(١)
يقال لعمرو بن سُفْيَان ذو السيفين، لأنه كان يَلْقَى الحربَ ومعه سيفان خوفاً من
أن يخونه أحدهما . وإياه عَنَى دُرَيْدُ بن الصَّمَّة بقوله :

- إِنَّ أَمْرًا بَاتَ عَمْرُو بَيْنَ صِرْمَتَيْهِ * عَمْرُو بن سُفْيَانُ ذو السَّيْفَيْنِ مَغْرُورُ^(٢)
يَا آلَ سُفْيَانَ مَا بَالِي وَبِالْكُو * هَلْ تَتَّهِنُونَ وَبَاقِي الْقَوْلِ مَأْثُورُ؟
يَا آلَ سُفْيَانَ مَا بَالِي وَبِالْكُو * أَتَمَّ كَبِيرٌ فِي الْأَحْلَامِ عُصْفُورُ
هَلَّا نَهَيْتُمْ أَحَاكِمَ عَنْ سَفَاهَتِهِ * إِذْ تَتَّهِنُونَ وَغَاوَى الْخَمْرُ مَدْحُورُ؟
لَا أَعْرِفَنَّ لِمَّةً سَوْدَاءَ دَاجِيَةٍ * تَدْعُو كِلَابًا وَفِيهَا الرَّجْحُ مَكْسُورُ^(٣)
لَنْ تَسْبِقُونِي وَلَوْ أَمَهَلْتُمْ شَرْفًا * عُقْبِي إِذَا أَبْطَلَ الْفُجْحُ الْخَصِيرَ^(٤)

(١) في ب، س، ح : «زائرا» وهو تحريف . (٢) في ب، س : «أموالم» .

(٣) الصرمة بكسر الصاد : القطيع من الأبل والغنم اختلف في عدده .

(٤) في ب، س : «أهملكم» . (٥) الفجج بضم الفاء وسكون الحاء : جمع ألجج أو لخباء،

وصف من الفجج بفتح الفاء والحاء وهو يتاعد ما بين أوساط الساقين من الرجل والذئبة .

(٦) الخاصير : جمع مخصور وهو الذي يشتكي خصره .

خبر الحرب بين
بنى عامر وبنى
جشم وبين أسد
وغطفان

وأخبرنا بنجر ابتداء هذه الحروب محمد بن العباس اليزيدي قال قرأت على
أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال :

أغار بنو عامر بن صمصمة وبنو جشم بن معاوية على أسد وغطفان ، وكان
دريد بن الصمة وعمرو بن سفيان بن ذى الحجة متساندين ^(١) ، فدريد على بنى جشم
ابن معاوية ، وعمرو بن سفيان على بنى عامر . فقال عبد الله بن الصمة لأخيه :

إني غير مُعْطِيكَ الرِّياسَةَ ، ولكن لي في هذا اليوم شأن . ثم اشترك عبد الله وشرحيل
ابن سفيان ، فلما أغار القوم أخذ عبد الله من نعم بنى أسد ستين وأصاب القوم
ما شاءوا . وأدرك رجل من بنى جزيمة عبد الله بن الصمة فقال له عبد الله بن
الصمة : أرجع فإني كنتُ شاركتُ شرحيل بن سفيان ، فإن استطاع دريد

فليأته وليأخذ مالى منه . وأقام دريد في أواخر الحى فقال له عمرو : أرتجى بالناس
قبل أن يأتيك الصراخ ^(٢) ، فقال : إني أنتظر أنخى عبد الله . حتى إذا أطل عليه قال
له : إن أخاك قد أدرك فوارس من الحليفيين يسوقون بطعنهم فقتلوه . فأنطلقوا
حتى إذا كانوا بحيث يفترقون قال دريد لشرحيل ^(٣) : إن عبد الله أنبأني ولم يكذبني
قط أن له شركة مع شرحيل فادوا إلينا شركته . فقالوا له : ما شركاه قط .

فقال دريد : ما أنا ببارككم حتى استحلفكم عند ذى الخليفة (وثن من أوثانهم) .
فأجابوه إلى ذلك وحلفوا ، ثم جاء عبد الله بغنيمة عظيمة فجاءوه ينشدونه الشكر .
فقال لهم دريد : ألم أحلفكم حين ظننتم أن عبد الله قد قُتل . فقالوا : ما حلفنا
وجعلوا ينشدون عبد الله أن يعطيهم ، فقال : لا ، حتى يرضى دريد ، فأبى
أن يرضى فتوعدوه أن يَسْرِقُوا إبله . فقال دريد في ذلك :

(١) التساند : التعاضد . (٢) الصراخ : صوت الاستغاثة .

(٣) بالتأمل في سياق هذه القصة يلاحظ أن هذه الكلمة زائدة .

هل مثلُ قلبك في الأهواء معذورٌ * والحبُّ بعد مَشِيْبِ المرءِ مغرورٌ

وذكَر الأبيات التي تقدّمت في الخبر قبل هذا وزاد فيها :

إذا غلبتم صديقًا تَبْطِشون به * كما تهْدَم في الماء الجَماهير^(١)
وأنتم معشَرٌ في عِرْقِكُم شَنِجٌ^(٢) * بُزْخُ الظهورِ وفي الاستِئْثاءِ تأخيرٌ
قد علم القومُ أنّي من سرّاتهم * إذا تَقَبَّض في البطن المَدَاكِرُ^(٣)
وقد أروغُ سَوَامِ القوم ضاحيةً^(٤) * بالجُرْدِ يَرْكُضُها الشُعْتُ المَخَاوِرُ^(٥)
يَحْمِلُن كُلَّ هِجَانٍ صَارِمٍ ذَكَرٍ * وتحتهم شُرْبُ قُبِّ مَضَامِيرٍ^(٦)
أوعدتمو إيلي كَلًّا سَمِينُهَا * بنو غَزِيَّةٍ لا مِيلَ ولا صُورُ^(٧)

وأما عبدُ يَفُوثَ بن الصَّمَّةِ وخبرُ مقتله فإنه كان ينزل بين أظهرِ بني الصَّادِرِ

أخوه عبد يَفُوثَ
ومقتله وما رثاه
به

فقتلوه . قال أبو عُبَيْدَةَ في خبره : قتله مُجَمِّعُ بن مُزَارِمٍ أخو شُجْعَنَةَ بن مُزَارِمٍ وهو
من بني يَرْبُوعَ بن غَيْظَ بن مُرَّة . فقال دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ :

أُبْلِغْ نَعِيًّا وَأَوْقِ إِن لَقِيْتَهُمَا * إن لم يكن كان في تَمَعُّيْهِمَا صَمٌّ
فأ أنحى بأنحى سَوِيءٍ فَيَنْقُصُهُ * إذا تَقَارَبَ بَابُن الصَّادِرِ الْقِسَمِ

(١) الجماهير : الرمال الكثيرة المتراكمة .

- (٢) العرق : الأصل . والشنج : التقبض والتقلص ، والبزخ : تقاعس الظهر عن البطن ، وقيل
هو خروج الصدر ودخول الظهر يريد أنهم مشوهوا الأجسام غير أهل للرياسة . (٣) الجرد : جمع
أجرد وهو الفرس القصير الشعر . والشعْبُ جمع أشعث وهو المنفر الرأس المتليد الشعر . والمخاوير جمع مغوار
وهو المقاتل الكثير الغارات . (٤) الهجان : الكريم . (٥) كذا في ح . وفي سائر
الأصول : « كرم » . (٦) الشرب : جمع شازب ، وهو الضامر اليابس ، والقب : جمع أقب
وهو من الخليل الدقيق الخبهر الضامر البطن . (٧) الصور : جمع أصور وهو المائل .
وفي ح ، أ ، م « ولا عور »

ولن يزال شهياً يُستضاء به * يَهْدِي الْمَقَانِبَ ^(١) مالم تهلك الصمم ^(٢)
عاري الأشاجع ^(٣) معصوب بلمته * أمر الزعامة ، في عرينه شمم

قال أبو عبيدة : أما قوله " أو نديمي خالد " ، فإنه يعني خالد بن الصمة ؛ فإن
بنى الحارث بن كعب غزت بنى جشم بن معاوية ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلت
بنو الحارث خالد بن الصمة ، وإياه عني . وقال غير أبي عبيدة : خالد بن الحارث الذي ^(٤)
عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث أخو الصمة بن الحارث قتله أحمر (بطن من
شعوة) ، وكان دريد بن الصمة أثار عليهم في قومه فظفر بهم وأستاق إبلهم وأموالهم
وسبي نساءهم وملا يديه وأيدي أصحابه ، ولم يصب أحد ممن كان معه إلا خالد بن

الحارث عمه ، رماه رجل منهم بسهم فقتله ؛ فقال دريد بن الصمة يرثيه :

يا خالدًا خالد الأيسار والنادي * وخالد الرّيح إذ هبت بصراد ^(٥)

وخالد القول والفعل المعيش به * وخالد الحرب إذ عصت بأزراد ^(٦)

وخالد الركب إذ جدّ السفار بهم * وخالد الحى لما ضنّ بالزاد

(١) المقانب : جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

(٢) الصمم : جمع صمة وهو الشجاع . ولعله عني قومه .

(٣) الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، وقيل هي عروق ظاهر الكف
واحدًا أجمع . والمرنين : الأنف .

(٤) كذا في الأصول . ولعله : « خالد الذي عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث ... الخ » .

(٥) الصراد : الغيم الرقيق لا ماء فيه .

(٦) كذا في ١ ، م . والأزاد : جمع زرد وهي الدرع المزرودة ؛ مميت بذلك لبنيها وتداخل
بعضها في بعض . وفي سائر الأصول : « غصت بأوراد » . والأوراد : جمع ورد . والورد من معانيه
القطع من الطير والجيش على التشبيه به .

هل مثلُ قلبك في الأهواء معذورٌ * والحبُّ بعد مَشِيْبِ المرءِ مغرورٌ
وذكر الأبيات التي تقدّمت في الخبر قبل هذا وزاد فيها :

إذا غلبتم صديقًا تَبْطِشون به * كما تهْدَم في الماء الجَـهـاير^(١)
وأنتُم مَعشَرٌ في عِرْقِكُم شَنِجٌ^(٢) * بُزْخُ الظهورِ وفي الأَمْتاهِ تأخيرٌ
قد علم القومُ أنّي من سرّاتهم * إذا تَقَبَّض في البطن المَدّاكِرُ^(٣)
وقد أروغُ سَوَامِ القومِ ضاحيةً * بالجرْدِ يَرْكُضُها الشُعْتُ المَغاوِرُ^(٤)
يَجْلِن كلَّ هِجَانٍ صَارِمٍ ذَكَرٍ * وتحتهم شُرْبُ قُبِّ مَضَامِيرٍ^(٥)
أَوْعَدُمُوا لِي كُلًّا سَمِينُهَا * بنو غَزِيَّةَ لَا مِيلَ وَلَا صُورُ^(٦)

وأما عبد يغوث بن الصّمة وخبر مقتلَه فإنه كان ينزل بين أظهر بني الصّادر
فقتلوه . قال أبو عبيدة في خبره : قتله جُمع بن مُزاحم أخو شُجْعة بن مُزاحم وهو
من بني يربوع بن غيث بن مُرة . فقال دُرَيْد بن الصّمة :
أخوه عبد يغوث ومقتله وما رثاه به

أُبْلِغُ نَعِيًّا وَأَوْفَى إِن لَقِيْتَهُمَا * إِن لم يكن كان في مَمَعِيْهُمَا صَمٌّ
فأ أنى بأنى سَوِيءٍ فَيَنْقُصُهُ * إذا تَقَارَبَ بَابِن الصّادِرِ الْقِسَمِ

(١) الجماهير : الرمال الكثيرة المتراكمة .

- (٢) العرق : الأصل . والشنج : التقبض والتقلص ، والبزخ : تقاعس الظهر عن البطن ، وقيل
هو خروج الصدر ودخول الظهر يريد أنهم مشوهو الأجسام غير أهل للرياسة . (٣) الجرْد : جمع
أجرد وهو القرس القصير الشعر . والشعث جمع أشعث وهو المغبر الرأس المتلبّد الشعر . والمغاوير جمع مفوار
وهو المقاتل الكثير الفارات . (٤) الهجان : الكريم . (٥) كذا في هـ . وفي سائر
الأصول : « كرم » . (٦) الشرب : جمع شازب ، وهو الضامر اليابس ، والقب : جمع أقب
وهو من الخيل الدقيق النجصر الضامر البطن . (٧) الصور : جمع أمور وهو المائل .
خوف هـ ، أ ، م « ولا عور » .

ولن يزال شهياً يُستضاء به * يَهْدِي المَقَانِبَ مالم تَهْلِكِ الصَّمَمُ^(٢)
عاري الأشاجع معصوبٌ بِلَبَّتِهِ * أمرُ الزَّعَامَةِ ، في عِرْنَيْنِهِ شَمَمُ^(٣)

قال أبو عبيدة : أما قوله " أو نديمي خالد " ، فإنه يعني خالد بن الصمة ؛ فإن
بنى الحارث بن كعب غَزَتْ بنى جُشَمَ بن معاوية ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلت
بنو الحارث خالد بن الصمة ، وإياه عَنَى . وقال غير أبي عبيدة : خالد بن الحارث الذي^(٤)
عناه دُرَيْدٌ هو عمه خالد بن الحارث أخو الصمة بن الحارث قتلته أحمس (بطن من
شُئُوَّة) ، وكان دُرَيْدُ بن الصمة أغار عليهم في قومه فظفر بهم وأستاق إبلهم وأموالهم
وسبي نساءهم وملأ يديه وأيدي أصحابه ، ولم يصب أحدٌ ممن كان معه إلا خالد بن

الحارث عمه ، رماه رجل منهم بسهم فقتله ؛ فقال دُرَيْدُ بن الصمة يرثيه :

يا خالدًا خالدَ الأيسارِ والنَّادِي * وخالدَ الرِّيحِ إذ هَبَّتْ بُصْرَادُ^(٥)
وخالدَ القَوْلِ والفعل المَعِيشِ به * وخالدَ الحربِ إذ عَصَّتْ بِأَزْرَادُ^(٦)
وخالدَ الرُّكْبِ إذ جَدَّ السَّفَارُ بِهِمْ * وخالدَ الحَيِّ لَمَّا ضَنَّ بِالزَّادِ

(١) المقانب : جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

(٢) الصمم : جمع صمة وهو الشجاع . ولعله عن قومه .

(٣) الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، وقيل هي عروق ظاهر الكف
واحدًا أشجع . والعرين : الأنف .

(٤) كذا في الأصول . ولعله : « خالد الذي عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث ... الخ » .

(٥) الصراد : الغيم الرقيق لا ماء فيه .

(٦) كذا في ١ ، م . والأزرد : جمع زرد وهي الدرع المزودة ؛ سميت بذلك لأنها وتداخل
بعضها في بعض . وفي سائر الأصول : « غصت بأوراد » . والأوراد : جمع ورد . والورد من معانيه
القطيع من الطير والجيش على التشبيه به .

وقال أبو عبيدة : قال دُرَيْدٌ يَرِنِي أَخَاهُ خَالِدًا :

- أُمِّمَ أَجْدَى عَافِي الرُّزْءِ وَأَجْشَمِي * وَشُدِّي عَلَى رُزْءِ ضُلُوعِكَ وَأَبَاسِي
حَرَامٌ عَلَيْهَا أَنْ تَرَى فِي حَيَاتِهَا * كَمَثَلِ أَبِي جَعْدٍ فَعُودِي أَوْ أَجْلِسِي
أَعْفٌ وَأَجْدَى نَائِلًا لِعَشِيرَةٍ * وَأَكْرَمَ مَخْلُودٍ لَدَى كُلِّ مَجْلِسِ^(١)
وَأَلَيْنَ مِنْهُ صَفْحَةً لِعَشِيرَةٍ * وَخَيْرًا أَبَا ضَيْفٍ وَخَيْرًا لِمَجْلِسِ
تَقُولُ هَلَالٌ خَارِجٌ مِنْ عَمَامَةٍ * إِذَا جَاءَ يَجْرِي فِي شَلِيلٍ وَقَوْنَسِ^(٢)
يَسُدُّ مَتَوْنِ الْأَقْرَبِينَ بِهَاوِهِ * وَيُخَيِّثُ نَفْسَ الشَّائِنِ الْمُتَعَسِّ
وَلَيْسَ بِمَكْجَابٍ إِذَا اللَّيْلُ جَنَّهُ * نَوْرِيمُ إِذَا مَا أَدْبَلُوا فِي الْمُرْسِ^(٣)
وَلَكِنَّهُ مَدْلَاجٌ لَيْلٍ إِذَا سَرَى * يُنْشِدُ^(٤) سُرَاهُ كُلَّ هَادٍ مُمْلَسِ^(٥)
هذه رواية أبي عبيدة .

١٠

يوم ثيل

- وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ عن عمِّه عن العباس بن هشام عن أبيه أن
خالد بن الصِّمَّةَ قُتِلَ فِي غَارَةٍ أَغَارَتْهَا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ عَلَى بَنِي نَصْرٍ بِنِ مَعَاوِيَةَ
فِي يَوْمٍ يُقَالُ لَهُ يَوْمُ ثَيْلٍ ، فَأَصَابُوا نَاسًا مِنْ بَنِي نَصْرٍ . وَبَلَغَ الْخَبْرُ بَنِي جُثَمَ فَلِحَقْوِهِمْ ،
وَرَأَيْسُ بَنِي جُثَمَ يَوْمَئِذٍ مَالِكُ بْنُ حَزْنٍ ، فَاسْتَنْقَذُوا مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ غَنَائِمِ بَنِي
نَصْرٍ ، فَأَصَابُوا ذَا الْقُرْنِ الْحَارِثِيَّ أَسِيرًا وَفَقُّوا عَيْنَ شَهَابِ بْنِ أَبَانَ الْحَارِثِيَّ بِسَهْمٍ ،

١٥

(١) كذا في الأصول . (٢) الشليل : الفلانة تلبس تحت الدرع . والقونس
أعلى بيضة الحديد ، وقيل مقدم البيضة . (٣) المكجاب : الكثير النظر إلى الأرض .
(٤) ينشد : يشرد وينفر . (٥) كذا في الأصول . والظاهر أنها محرفة عن « عملس » وهو
القوى الشديد على السفر أو القوى على السير السريع ، ومثله « العرمس » .
(٦) لم نجد يوما بهذا الاسم فيما راجعنا من مصادر . وفي ياقوت : « ثيل بالفتح ثم السكون ماء .
قرب النجاج كانت به وقعة مشهورة » .

٢٠

وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ خَالِدُ بْنُ الصَّمَّةِ وَكَانَ مَعَ مَالِكِ بْنِ حَزْنٍ، وَأَصَابَتْ بَنُو جُثَمَ مِنْهُمْ نَاسًا، وَكَانَ رَيْسُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ يَوْمَئِذٍ شَهَابُ بْنُ أَبَانَ، وَلَمْ يَشْهَدْ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمَ؛ فَلَمَّا رَجَعُوا قَتَلُوا ذَا الْقَرْنِ بِخَالِدِ بْنِ الصَّمَّةِ، وَلَمَّا قُدِّمَ لِنُضْرَبَ عُنُقُهُ، صَاحَ بِأَوْسِ بْنِ الصَّمَّةِ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا، وَلَمْ يَكُنْ أَوْسُ حَاضِرًا، فَلَمْ يَنْفَعِهِ ذَلِكَ وَقُتِلَ. فَلَمَّا قَدِمَ أَوْسُ غَضِبَ وَقَالَ: أَقْتَلْتُمْ رَجُلًا أَسْتَجَارَ بِاسْمِي! فَقَالَ عَوْفُ بْنُ مَعَاوِيَةَ فِي ذَلِكَ:

نُبِّئْتُ أَوْسًا بَكَى ذَا الْقَرْنِ إِذْ شَرِبَا * عَلَى عُكَاظٍ بِكَاءَ غَالٍ مَجْهُودِي^(١)
إِنِّي حَلَفْتُ بِمَا جُمِعْتُ مِنْ نَسَبٍ * وَمَا ذُبِحْتُ عَلَى أَنْصَابِكَ السُّودِ
لَتَبْكِينَ قَتِيلًا مِنْكَ مُقْتَرِبًا * إِنِّي رَأَيْتُكَ تَبْكِي لِلْأَبَاعِيدِ

١٠ أخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة، قصة زواجه
وأخبرني عبد الله بن مالك النحوي الضرير قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن
الأعرابي قال :
بامرأة وجدها
ثيبا

تَزَوَّجَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ أَمْرَأَةً فَوَجَدَهَا ثَيْبًا، وَكَانُوا قَالُوا لَهُ إِنَّهَا بَكْرٌ، فَقَامَ عَنْهَا
قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا، وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَأَقْبَلَ بِهِ إِلَيْهَا لِيُضْرِبَهَا، فَتَلَقَّتهُ أُمُّهَا لَتُدْفَعَهُ عَنْهَا،
فَوَقَفَ يَدَيَّهَا (أَيَ حَزَّهَا وَلَمْ يَقْطَعْهُمَا)، فَنَظَرَ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَهِيَ مَعْصُوبَةٌ فَقَالَ: ١٥

أَقْرَّ الْعَيْنَ أَنْ عَصَبَتْ يَدَيَّهَا * وَمَا إِنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ
فَأَبْقَاهُنَّ أَنْ لَهْنٍ جَدًّا * وَوَاقِيَةٌ كَوَاقِيَةُ الْكَلَابِ
قَالُوا: يَرِيدُ أَنْ الْكَلْبُ يُصِيبُهُ الْجُرْحُ فَيَلْحَسَ نَفْسَهُ فَيَبْرَأَ.

(١) في ج: « مجلودي » .

ما جرى بينه وبين
عياض النعلبي

قال أبو عبيدة وأبن الأعرابي جميعا في هذه الرواية : أسردريد بن الصمة
عيلضا النعلبي أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فأنعم عليه . ثم إن دريدا أتاه بعد
ذلك يستثنيه . فقال له : إيت رحلك حتى أبعث اليك بثوابك ؛ فأنصرف دريد .
فبعث اليه بوطين نصفه لبن ونصفه بول . فغضب دريد ولم يلبث إلا قليلا حتى
أغار على بني ثعلبة ، وأستاق إبل عياض ، وأفلت عياض منه جريحا ؛ فقال دريد
في ذلك من قصيدة :

فإن تنج يدى عارضك فإتنا * تركنا بنيك للضباع وللرخم^(١)
جزيت عياضا كفره وعقوقه * وأخرجته من المدفأة^(٢) الدهم^(٣)
الآهل أتاه ماركبنا مراتهم * وما قد عقرنا من صفي ومن قرم^(٤)

أخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال :
هجا دريد بن الصمة عبد الله بن جندعان التيمي تيم قريش فقال :
هل بالحوادث والأيام من تنجب * أم بآبن جندعان عبد الله من كلب^(٥)
است حيت وهي في عكم ربته * في يوم حر شديد الشر والمهرب^(٦)
إذا لقيت بني حرب وإخوتهم * لا يأكلون عطين الجلد والأهبط^(٧)
لا ينكحون ولا تشوى رماحهم^(٨) * من الكجاة ذوى الأبدان والجلب^(٩)

هجا عبد الله بن
جندعان ثم مدحه .

- (١) أنعم عليه : أطلقه . (٢) الوطب : سقاء اللبن يتخذ من جلد . (٣) الرخم :
(بضم الراء وسكون الخاء) : جمع رجمة (يفتح الراء والخاء) . وهي طائر أيقع على شكل النسر خلقة إلا أنه
مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق . (٤) المدفأة : الإبل الكثيرة الأوبار والشحوم .
(٥) الصنى : الناقة الغزيرة اللبن . والقرم : الفحل . (٦) الحيت : الحين . والعكم (بكسر
المين وسكون الكاف) : المدل يجعل فيه المتاع ويشد عليه بالكام أى الحبل . ويلاحظ أن هذا الشطر
شعر واضح . (٧) العطين : الجلد المدبوغ . (٨) تشوى : تصيب الشوى ولا تقتل . والشوى :
الأطراف . (٩) الأبدان : جمع بدن وهو هنا الدرع القصيرة . والجلب : جمع جبة وهي هنا الدرع أيضا .

فَأَقْعُدْ بَطِينًا مَعَ الْأَقْوَامِ مَا قَعَدُوا * وَإِنْ غَزَوْتَ فَلَا تُبْعِدْ مِنَ النَّصَبِ
فَلَوْ تَقَفْتُكَ وَسَطَ الْقَوْمِ تَرَصَّدُنِي * إِذَا تَلَبَّسَ مِنْكَ الْعِرْضُ بِالْحَقَبِ
وَمَا سَمِعْتُ بِصَقْرِ ظَلَّ يَرُصُّدُهُ * مِنْ قَبْلِ هَذَا يَجْنِبُ الْمَرْجَ مِنْ خَرَبِ

قال : فلقبه عبد الله بن جُدعان بُعَكاظ فُخَيَّاه وقال له : هل تعرفني يا دُرَيْد ؟ قال
لا . قال : فلم هجوتني ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن جُدعان . قال : هجوتك
لأنك كنتَ امرأً كريماً ، فأحببتُ أن أضع شعري موضعه . فقال له عبد الله : لئن
كنتَ هجوتَ لقد مدحتَ ؛ وكساه وحمله على ناقة برجلها . فقال دُرَيْد يمدحه :

إِلَيْكَ ابْنَ جُدْعَانَ أَعْمَلْتَهَا * مَخْفَفَةً لِلْسَرَى وَالنَّصَبِ
فَلَا خَفَضَ حَتَّى تُلَاقِيَ أَمْرًا * جَوَادَ الرِّضَا وَحَلِيمَ الْغَضَبِ
وَجَلَدًا إِذَا الْحَرْبُ مَرَّتْ بِهِ * يُعِينُ عَلَيْهَا بِجَزَلِ الْحَطَبِ
رَحَلْتُ الْبِلَادَ فَمَا إِنْ أَرَى * شَيْبَةَ ابْنِ جُدْعَانَ وَسَطَ الْعَرَبِ
سَوَى مَلِكٍ شَاخٍ مَلَكُهُ * لَهُ الْبَحْرُ يُجِيرِي وَعَيْنُ الذَّهَبِ

أخبرنا أبو خَلِيفَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ لَمْ يَتَجَاوِزْهُ إِلَى غَيْرِهِ ،
وَحَدَّثَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرٍ الْمُهَلَّبِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ
شَبَّةَ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ وَأَبِي عُبَيْدَةَ ، وَأَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا
أَبُو غَسَّانَ دِمَازَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَأَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ
بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ بْنُ الْمَرْزُبَانِ

تنزل في الخنساء
ونخطها فأمتمت
وتهاجيا

(١) ثقفه : صادفه . (٢) العرض هنا : الجلوس ، والحقب شيء تنفذه المرأة تعلق به

معالق الحلئ تشده على وسطها . يريد إذا صادفك وسط القوم لبست لبسة النساء واستخفيت .

(٣) بكذا في الأصول . ولعله «المرخ» وهو شجر سريع الوري يقتلح به . (٤) الحرب : ذكر
الحباري ، وقيل الحباري كلها .

١١
٩

١٥

٢٠

قال حدثني أبو بكر العامري قال حدثني ابن نوبة^(١) عن أبي عمرو الشيباني، وأخبرني
عني قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي^(٢)، وقد جمعت أخبارهم على اختلاف ألفاظهم
في هذا الموضع، أن دريد بن الصمة مر بالحنشاء بليت عمرو بن الشريد، وهي
تهدأ بعيداً لها وقد تبدلت حتى فرغت منه، ثم نضت عنها ثيابها فأغتسلت ودريد بن
الصمة يراها وهي لا تشعر به فأعجبته؛ فأنصرف إلى رحله وأنشأ يقول:

حيوا مَاضِرَ وَارِعُوا صَحْبِي * وَفِقُوا فَإِنْ وَقَفَكُمْ حَسْبِي

أَخْنَأْسُ قَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِكُمْ * وَأَصَابَهُ تَبَلُّلٌ مِنَ الْحُبِّ

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ به * كالْيَوْمِ طَالِي أَيْتُني جُرْبُ

مَتَبَدَّلًا تَبَدُّو محاسنُه * يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ^(٣)

مَتَحَسِّرًا نَضَحَ الْهِنَاءُ بِهِ * نَضَحَ الْعَيْرِ بِرِيطَةِ الْعَصَبِ^(٤)

فَسَلِّمْ عَنِّي خُنَأْسُ إِذَا * عَضَّ الْجَمِيعَ الْخَطْبُ مَا خَطْبِي

— قالوا: وَمَاضِرُ اسْمُهَا. وَالْحَنْشَاءُ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهَا — فلما أصبح غدا على أبيها فخطبها^(٥)

إليه. فقال له أبوها: مرحباً بك أبا قرّة! إنك للكريم لا يطعن في حسبه، والسيد لا يرد

عن حاجته، والفحل لا يقرع أنفه. — وقال أبو عبيدة خاتمة مكان "لا يطعن في حسبه"

"لا يطعن في عيبه"^(٦) — ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها، وأنا ذا كرك لها

(١) الذي في ج ٤، أ: «... وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو نوبة... الخ».

(٢) في أ، م هنا زيادة، هي: «وأخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي».

(٣) الهناء: القطران. والنقب (بضم النون وتسكين القاف أو فتحها): القطع المتفرقة من الجرب.

والواحدة نقبة، وقيل هي أول ما يبدو من الجرب. (٤) في ب، س: «العطب». والعطب (بالضم

وبضمين): القطن. (٥) في الأمازيج ٢ ص ١٦١ طبع دار الكتب المصرية أنه خطها إلى

أخيها معاوية. (٦) كذا في الأصول. ولعلها: «في غيبه» بالعين المعجمة.

وهي فاعلة . ثم دخل اليها وقال لها : يا خنساء ، أذاك فارس هوازن وسيد بني جشم
 دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين ، ودريد يسمع قولها . فقالت : يا أبت ،
 أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناحكة شيخ بني جشم هامة اليوم أو غدا .
 فخرج اليه أبوها فقال : يا أبا قرّة قد امتنعت ، ولعلها أن تجيب فيما بعد . فقال :
 قد سمعت قولكما ، وأنصرف . هذه رواية من ذكرت . وقال ابن الكلبي : قالت
 لأبيها : أنظرنني حتى أشاور نفسي ، ثم بعثت خلف دريد وليدة فقالت لها :
 انظري دريدا إذا بال ، فإن وجدت بوله قد حرق الأرض ففيه بقية ، وإن وجدته
 قد ساح على وجهها فلا فضل فيه . فأتبعته وليدتها ثم عادت اليها فقالت : وجدت
 بوله قد ساح على وجه الأرض ، فأمسكت . وعاود دريد أباه فعاودها فقالت له
 هذه المقالة المذكورة ، ثم أنشأت تقول :

أخطبني ، هبّلت ، على دريد * وقد أطردت سيد آل بدر^(٢)
 معاذ الله ينكحني حبركي * يقال أبوه من جشم بن بكر^(٣)
 ولو أمسيت في جشم هديا * لقد أمسيت في دنس وفقر^(٤)

فغضب دريد من قولها وقال يهجوها :

وقاك الله يا بنة آل عمرو * من الفتيان أمثالي ونفسي
 فلا تلدي ولا ينكحك مثلي * اذا ما ليل طرقت بنحس

(١) يقال : فلان هامة اليوم أو غدا إذا شاخ وأشرف على الموت .

(٢) أطردت : أمرت بطرده . (٣) الحبركي : الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين ،

والأنثى منه حبركة . وقد ورد هذا البيت في اللسان هكذا :

ولست بمرضع ثديي حبركي * قصير الشبر من جشم بن بكر

(٤) الهدى : العروس .

لقد علم المراضعُ في جُمادى * إذا استعجَلَنَ عن حَرْبِ نَهَسِ^(١)
 بَأْنِي لَا أَيْتُ بغيرِ حِم * وَأَبْدَأُ بِالْأَرَامِلِ حِينَ أُمْسِي
 وَأَنْتِي لَا يَنْأَلُ الْحَيُّ ضَيْفِي^(٢) * وَلَا جَارِي يَبِيتُ خَبِيثَ نَفْسِ
 إِذَا عَقَبَ الْقُدُورِ تَكُنَّ مَالًا^(٣) * تَحْتَ حَلَالِ الْأَبْرَامِ عِرْسِي
 وَأَصْفَرَّ مِنْ قِدَاحِ النَّبْعِ صُلْبِي * خَفِيَ الْوَسْمُ فِي ضَرْسِ وَلَمْسِ^(٤)
 دَفَعْتُ إِلَى الْمُفِيزِ إِذَا اسْتَقْلُوا^(٥) * عَلَى الرُّجَاكِ مَطْلَعُ كُلِّ شَمْسِ^(٦)
 فَإِنْ أَكْدَى فَتَامِكَةً تُؤْدَى^(٧) * وَإِنْ أَرَبِي فَإِنِّي غَيْرُ نَكْسِ^(٨)
 وَتَزْعَمُ أَنَّ شَيْخُ كَبِيرٍ * وَهَلْ خَبَرْتُهَا أَنِي أَبْنُ أُمْسِ

(١) الحز: القطع. والنهس: تعرق ما على العظم وانقزاعه بمقدم الأسنان. (٢) رواية الأماي:

١٠ * وَأَنْتِي لَا يَهْرِ الضَّيْفُ كَلْبِي *

أى لا يفتح في وجهه لأنه به. (٣) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «تكن ملاي»
 وهو تحريف. ورواية هذا الشطر في الأماي واللسان (في مادة برم): «إذا عقب القدور عددن مالا».
 وعقبة القدر: ما التزق بأسفلها من تابل وغيره. وتحت: تعجل، يقال حته دراهمه إذا عجل له النقد.
 وقد وردت هذه الكلمة في الأصول «تحب» والتصويب عن اللسان. يريد أنه إذا اشتد القحط وعذت
 عقب القدور مالا عجلت زوجته العطاء لزوجات الأبرام. والأبرام: التام، الواحد: برم، وهو
 في الأصل الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. (٤) ضرس السهم: عجمه. (٥) المفيض:
 الضارب بالقداح. (٦) في الأصول: «الركبان» والتصويب عن الأماي؛ ويرى فيه:

دفعت إلى النجى وقد تهاونا * على الركيات مطلع كل شمس

قال أبو علي قال لنا أبو بكر قال أبو حاتم عن الأصمعي: هذا غلط؛ إنما هو مغرب كل شمس،

٢٠ لأن الأيسار إنما يتياسرون بالعشيات. (٧) أكدى: أخفق ولم يصب.

(٨) كذلك في الأصول. ويلاحظ أنه لم يرد في كتب اللغة إلا التامك بدون هاء التأنيث.

والتامك: الناقة العظيمة السنام أو السنام نفسه. والنكس: الرجل الضعيف لا خير فيه.

تريد شربث القدمين شئنا * يُيادر بالجدائر كل كرس
وما قصرت يدي عن عظيم أمر * أُمُّ به ولا سَهْمِي بِنَكْس
وما أنا بالمزجي حين يسمو * عظيم في الأمور ولا بوهس
قال : فليل للنساء : ألا تُجيبينه؟ فقالت : لا أجمع عليه أن أردّه وأهجوّه .

٥ أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَمَاز عن أبي عبيدة قال : لما أَسَنَّ دُرَيْدٌ
جعل له قومه بيتاً مفرداً عن البيوت ، ووكّلوا به أمةً تخدمه ، فكانت إذا أرادت أن
تُبَعِدَ في حاجة قِيدَتْه بقيد الفرس . فدخل إليه رجل من قومه فقال له : كيف أنت
يادريد ؟ فأنشأ يقول :

أصبحت أقذف أهداف المنون كما * يرمى الدريشة أدنى فوقة الوتر^(٥)
في منتصف من مدى تسعين من مائة * كرمية الكاعب العذراء بالجر^(٦)
في مترل نازح م الحى متبذ * كمربط العير لا أدعى الى خبر

(١) الشربث : الغليظ . والشئن : الغليظ أيضا . والكرس : ما تكرس أى صار بعضه فوق بعض .
والجدائر : جمع جديرة وهى الخظيرة . وقدرواه أبوعل في الأمانى :
تريد أفصح الرجلين شئنا * يقطع بالجديرة كل كرس

١٥ وقال : ويروى :

تريد شربث الكفين شئنا * يقطع بالجدائر كل كرس
(٢) المزجي من القوم : المزج وهو الملتصق بالقوم وليس منهم ، والرجل الناقص المروءة ، والدون من
كل شيء ، والبخيل . والوهس : الذليل الموطوء . (٣) فى ا ، م : « السنين » . وفى هـ :
« المين » . (٤) الدريشة : حلقة يتعلم عليها الرمي ؛ قال عمرو بن معد يكرب :

ظلت كأتى للرماح دريشة * أقاتل عن أبناء جرم وفزت
(٥) فى اللسان : « الفوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . وحرفاه : زمتاه . وهذيل تسبي
الزمتين الفوقين . (٦) منتصف الشيء : وسطه

آخر أيامه وشعره
بمد أن أسن
وضعف جسمه

(١) كَأَنِّي نَحْرَبُ قُصَّتْ قَوَادِمُهُ * أَوْجُنَّةٌ مِنْ بُغَاثٍ فِي يَدَيَّ خَصِرِ
يُمَضُّونَ أَمْرَهُمْ دُونِي وَمَا فَقَدُوا * مِنِّي عَزِيمَةً أَمِيرٍ مَا خَلَا كِبَرِي
وَنَوْمَةً لَسْتُ أَقْضِيهَا وَإِنْ مَتَّعْتُ * وَمَا مَضَى قَبْلُ مِنْ شَأْوَى وَمِنْ عُمْرِي
وَأَنِّي رَأَيْتُ قَيْدُ حُسْبَتُ بِهِ * وَقَدْ أَكُونُ وَمَا يُمَشِّي عَلَى أَثَرِي
إِنْ السَّيِّئِ إِذَا قَرَّبَنَ مِنْ مَائَةٍ * لَوْ يَنْ مَرَّةً ^(٢) أَحْوَالٍ عَلَى مَرِيرِ

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَمَازْدُ عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ قَالَ : قَالَتْ امْرَأَةٌ
دَرِيدٌ لَهُ : قَدْ أَسْنَنْتَ وَضَعُفَ جِسْمَكَ وَقُتِلَ أَهْلُكَ وَفُتِيَ شَبَابُكَ ، وَلَا مَالُ لَكَ
وَلَا عُذَّةٌ ، فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَعُولُ إِنْ طَالَ بِكَ الْعُمْرُ أَوْ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُخَلَّفُ أَهْلُكَ إِنْ
قُتِلَتْ ؟ فَقَالَ دَرِيدٌ :

صوت

١٠

أَعَاذَلُ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي * رَكُوبِي فِي الصَّرِيخِ إِلَى الْمُنَادِي
مَعَ الْفَتَيَانِ حَتَّى كُلِّ جَسْمِي * وَأَقْرَحَ طَائِقِي حَمْلُ النَّجَادِ
أَعَاذَلُ إِنَّهُ مَالٌ طَرِيفٌ * أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَالِ تِلَادِ
أَعَاذَلُ عُدَّتِي بِدَنِي ^(٥) وَرَغْمِي * وَكُلُّ مَقْلَصٍ شَكْسِ الْقِيَادِ
وَيَقَى بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حَالِي * وَيَقَى قَبْلَ زَادِ الْقَوْمِ زَادِي

١٥

هَذَا الشَّعْرُ رَوَاهُ أَبُو عُيَيْدَةَ لِدَرِيدٍ ، وَغَيْرُهُ يَرْوِيهِ لِعَمْرُو بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ ، وَقَوْلُ
أَبِي عُيَيْدَةَ أَصَحُّ . لَا بِنَ مَحْرُزٍ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْخِنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ ^(٦)

(١) الخرب : ذكر الجباري . (٢) كذا في الأصول . ولعلها « هصر » . ويقال ليث هصور
وهصر (ككفف) وهصر (كصرد) . (٣) متعت : طابت . (٤) المرة : طاقة الحبل .
(٥) البدن هنا : الدرع . وفرس مقلص (بكسر اللام) : طويل القوائم منضم البطن .
(٦) في الأصول هنا . « ولا بن محرز... الخ » .

٢٠

عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانه أن لابن سُرَيْج فيها ثانی ثقیل بالبنصر . وخط
المغنون بهذا الشعر قول عمرو بن معديكرب في هذين اللحين :

أريد حياته ^(١) ويريد قلى * عذرك من خليلك من مراد
ولو لا قيتي ومعى سلاحى * تكشف تخم قلبك عن سواد

وقال أبو عبيدة فيما رويناه عن دماذ عنه : قتل بنو ربوع الصمة أبا دريد
فقدرا ، وأسروا ابن عم له ؛ فغزاهم دريد بنى نصر فأوقع بنى ربوع وبني سعد جميعا ،
فقتل فيهم . وكان فيمن قتل عمار بن كعب ؛ وقال فيهم :

دعوت الحى نصرا فاستهلوا * بشبان ذوى كرم وشيب
على جرد كأمثال السعالى * ^(٢) ورجل مثل أهمية الكتيب
فما جبنوا ولكنا نصبنا * ^(٣) صدور الشريعة للقلوب
فكم فاذرن من كاپ صريع * ^(٤) يمجج نجيع جائفة ذئوب
وتلكم عادة لبني رباب * إذا ما كان موت من قريب
فأجلوا والسوأم لنا مباح * وكل كريمة خو عروب
وقد ترك ابن كعب في مكر * حيسا بين ضبعان وذيب

قال أبو عبيدة : وكان الصمة أبو دريد شاعرا ، وهو الذى يقول في حرب الفجار كان أبوه شاعرا
التي كانت بينهم وبين قريش :

(١) في ب ، م : « جاءه » . (٢) كذا في أكثر الأصول . وفي م ، ن : « أهمية »
ولا معنى لها . فلعن الصواب « أهيلة » جمع هيال وهو ما انهار من الرمال .
(٣) الشريعة : الطويلة ، يريد الرماح . (٤) الجائفة : الطعنة التي تنفذ الى الجوف .
وذئوب : طويلة الشر والأذى ؛ ومثله قولهم : يوم ذئوب إذا كان طويل الشر لا يتقضي .

لَا قَتَ فُرَيْشُ غَدَاةَ الْعَقِيدِ * بَقِيَ أَمْرًا لَهَا وَجَدَتْهُ وَيَلَا
 وَجِئْنَا إِلَيْهِمْ كَهَوَجِ الْأَقْبِ^(١) * يَبْلُغُونَ النَّجَادَ وَيَمْلَأُ الْمَسِيلَا
 وَأَعَدَدْتُ لِلْحَرْبِ خَيْفَانَهُ * وَرَمَحَا طَوِيلَا وَسَيْفَا صَقِيلَا
 وَمُحْكَمَةً مِنْ دُرُوعِ الْقُبُورِ * نَ تَسْمَعُ لِلسَّيْفِ فِيهَا صَلِيلَا

٥ قال : وكان أخوه مالك بن الصِّمَّةَ شاعرا ، وهو القائل يَرْتِي أَخَاهُ خَالِدَا :
 وكان أخوه مالك شاعرا

أَبْنِي غَزِيَّةَ لِمَنْ شِلُوا مَا جَدَّا * وَسَطَ الْبُيُوتِ السُّودِ مَدْفَعُ كَرْكُرِ^(٢)
 لَا تَسْقِنِي بِيَدَيْكَ إِنْ لَمْ أَلْتَمِسْ * بَانَخِيلٍ بَيْنَ هَبُولَةٍ فَالْقَرْقَرِ^(٣)

١٤ أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غَسَّانَ دَمَازَ عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ قَالَ :
 ٩ تحالف دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ وَمَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ وَتَوَاتَفَا إِنْ هَلَكَ أَحَدُهُمَا أَنْ
 يُرْتِيَهُ الْبَاقِي بَعْدَهُ ، وَإِنْ قُتِلَ أَنْ يُطْلَبَ بِثَأْرِهِ . فَقُتِلَ مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ ،
 قَتَلَهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ بْنِ الْأَشْعَرِ الْمُرِّيِّ . فَرَنَاهُ دُرَيْدُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

أَلَا هَبَّتْ تَلُومٌ بَغِيرَ قَدِيرٍ * وَقَدْ أَحْفَظْتَنِي وَدَخَلْتَ سِتْرِي
 وَإِلَّا تَتْرُكِي لَوْحِي سَفَاهَا * تَلْمُكَ عَلَيْهِ نَفْسُكَ غَيْرَ عَصْرِ

وفيها يقول :

١٥ فَإِنَّ الرُّزَاةَ يَوْمَ وَقَفْتُ أَدْعُو * فَلَمْ أَسْمَعْ مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرِو
 وَلَوْ أَسْمَعْتَهُ لَأَتَاكَ يَسْعَى * حَتَّى يَتَّخِذَ السَّعْيُ أَوَّلَ تَاكَ يَجْعَى
 بِشِكَّةٍ حَازِمٍ لَا غَمَزَ فِيهِ * إِذَا لَيْسَ الْكِبَاةُ جُلُودَ نَمْرٍ^(٤)

(١) الأتي : السيل لا يدرى من أين أتى . (٢) الخيفانه : القوس .

(٣) التلوز : بالكسر هتا : الجسد . (٤) كركر : طم على طدة مواضع .

٢٠ (٥) هبولة والقرقر : موضعان . (٦) الشكة : السلاح . (٧) يقال : لبس فلان

فلان فلان جلد النمر إذا تنكر له . وكانت ملوك العرب إذا جليبت لقتل إنسان لبست جلود النمر ثم أمرت
 بقتل من تريد قتله .

عرفت مكانه فعطفت زورا^(١) * وأين مكان زور يابن بكر
على إرم وأحجار يقال^(٢) * وأغصان من السمات سمر
وبنيان القبور أتى عليها * طوال الدهر شهرا بعد شهر

أخبرني عبدالله بن مالك الحوي قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي^(٣) قال :
حدثني عارض الجشمي^(٤) عن دريد وقد خرف وهو عريان وهو يكوم كوم بطحاء
بين رجله يلعب بذلك ، فجعل عارض يتعجب مما صار إليه دريد ، فرفع رأسه
دريد إليه وقال :

كأنتي رأس حصن^(٥) * في يوم غيم ودجن^(٦)
يا ليتني عهد زمن^(٧) * أنقض رأبي وذقن^(٨)
كأنتي قل حصن^(٩) * أرسل في جبل عنن^(١٠)
أرسل كالظبي الأرنب^(١١) * ألصق أذنا بأذن

قال : ثم سقط به فقال له عارض : انفض دريد ! فقال :
لا نهض في مثل زمان الأول^(١٢) * منحب الساق شديد الأعصل^(١٣)
ضخم الكراديس^(١٤) نخيص الأشكل^(١٥) * ذى حنجر رحب وصلب أعدل

(١) الزور في اللغة : الجمل القوي ، ولعله هنا اسم جملة . (٢) الإرم : حجارة تنصب عليها في المفازة .
(٣) البطحاء هنا : الحصى الصغار . (٤) حصن : اسم جبل . (٥) الدجن : جمع دجنة وهي الظللة .
(٦) الأرنب : النشيط . (٧) التحبيب : احديداب في وظيفي يدي الفرس ، وهو مما يوصف صاحبه .
بالشدّة . والأعصل : المعوج الصلب من كل شيء ، ومنه ناب أعصل أي معوج شديد ؛ قال أوس بن حجر :
* رأيت لها نابا من الشر أعصلا * وفي الأصول : « أعصل » بالضاد وهو تصحيف .
(٨) الكراديس : جمع كردوس وهو كل غنم تام ضخمة . (٩) ليس في كتب اللغة إلا الشاةكة
بمعنى الخاصرة وهي المرادة في هذا الشعر . (١٠) كذا في جميع الأصول والمراد به ليس وأصحها .

حديث عارض
الجشمي عنه وقد
خرف

١٠

١٥

٢٠

خرج في حرب
حنين وهو شيخ
ونصح مالك بن
عوف نخالته

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حنيد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله قال :

لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أقام بها خمس عشرة ليلة يقصر^(١)، وكان فتحها في عشر ليالٍ بقين من شهر رمضان . قال ابن إسحاق : وحدثني

عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لما سمعت به هوازن^٥ جمعها مالك بن عوف النضري ، فاجتمعت إليه ثقيف مع هوازن ، ولم يجتمع إليه من قيس إلا هوازن وناس قليل من بني هلال ، وغابت عنها كعب وكلاب ، فجمعت نصر وجشم وسعد وبنو بكر وثقيف واحتشدت ، وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير فان ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخا مجربا ، وفي ثقيف في الأحلاف

قارب بن الأسود بن مسعود ، وفي بني مالك ذو الحمار سبيع بن الحارث ، وجماع أمر

١٥
٩

الناس إلى مالك بن عوف . فلما أجمع مالك المسير حط مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم . فلما نزلوا بأوطاس^(٢) اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة في شجاره^(٣)

يقاد به . فقال لهم دريد : بأي واد أتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعم مجال الخيل ،

ليس بالحزن الضرس ولا السهل الدهس^(٤) . مالي أسمع رغاء الإبل ونهيق الحمير وبكاء

الصغير ونغاء الشاء ؟ ! قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم .

فقال : أين مالك ؟ فدعى له به . فقال له : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ،

وإن هذا اليوم كائن له ما بعده من الأيام ! . مالي أسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وبكاء

الصبيان ونغاء الشاء ؟ ! قال : سقت مع الناس نساءهم وأبناءهم وأموالهم . قال :

(١) قصر الصلاة : أن يترك من ذوات الأربع ركعتين ويصلي ركعتين .

(٢) أوطاس : واد بدار هوازن . (٣) الشجار : مركب أصغر من المودج .

(٤) الضرس : الصعب . (٥) الدهس : اللين السهل .

ولم ؟ قال : أردت أن أجعل مع كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم . قال : فانقض به ووبخه ولامه ، ثم قال : راعى ضاين والله (أى أحق) ! وهل يد المنهزم شيء ! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قال : لم يشهدا أحداً منهم . قال : غاب الحد والحد ! لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ! ولوددت أنكم فعلتم مثل ما فعلوا . فمن شهدا منهم ؟ قالوا : بنو عمرو ابن عامر وبنو عوف بن عامر . قال : ذاك الحدان من عامر لا ينفعان ولا يضران . ثم قال : يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحر الخيل شيئاً . أرفعهم إلى أعلى بلادهم وعليا قومهم ثم ألق القوم بالرجال على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك ولم تفضح في حريمك . قال : لا والله ما أفعل ذلك أبداً ! إنك قد خرفت وخرف رأيك وعلمك . والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا اله ف حتى يخرج من وراء ظهري — فنفس على دريد أن يكون له في ذلك اليوم ذكر ورأى — فقالوا له : أطعناك وخالفنا دريداً . فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه . ثم قال :

يَالْتَنِي فِيهَا جَدْعٌ * أَحْبُّ فِيهَا وَأَضْعُ
أَقُودَ وَطَفَاءِ الزَّمْعِ * كَأَنَّا شَاءَ صَدْعُ

قال : فلما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهزم المشركون فأتوا الطائف ومعهما مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة^(٤) ، وتبع خيل

٢٠ (١) الجدع : الشاب الحدث . (٢) بيضة القوم : أصلهم ومجتمعهم . (٣) في السيرة : « متبع بلادهم » . (٤) نخلة : المراد هنا نخلة اليمانية ، وهي واد يصب فيه يدان (اسم واد) وبه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه عسكرت هوازن يوم حنين (معجم البلدان لياقوت) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك نخلة، فادرك ربيعة بن ربيع السلمي أحد بني ربوع بن سمال بن عوف دريد بن الصمة فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه كان في شجار له، فأناخ به فإذا هو برجل شيخ كبير ولم يعرفه الغلام. فقال له دريد : ماذا تريد ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة ابن ربيع السلمي . فأنشأ دريد يقول :

ويح ابن الكمة^(٣) ماذا يريد * من الموعش الذاهب الأدرد
فأقسم لو أنت بي قوة * لولت فرائضه رعد
ويألف نفسي ألا تكون * معي قوة الشارخ^(٤) الأمد

ثم ضربه السلمي بسيفه فلم يغن شيئا . فقال له : بئس ما سلحتك أمك ! خذ سيفي

١٦
٩

- هذا من مؤثر رحلي في القرباء فأضرب به وأرفع عن العظام وأخفص عن الدماغ ،
فإني كذلك كنت أفعل بالرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد
ابن الصمة ، فرب يوم قد منعت فيه نساءك ! . فزعمت بنو سليم أن ربيعة قال :
لما ضربته بالسيف سقط فأنكشف ، فاذا عجائه و بطن يخذه مثل القراطيس^(٥)
من ركوب الخيل أغراء^(٦) . فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت له :
لقد أعتق قبلك ثلاثا من أمهاتك . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار
من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ابن عم أبي موسى الأشعري ، فهزمهم

(١) في الأصول : « سمالك » والتصويب من السيرة لابن هشام والقاموس . (٢) كذا في السيرة . وفي الأصول : « أنها » . (٣) كذا في الأصول . وفي مختصر الأغاني : « تكمة » . وقد جاء في سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٨٥٢) أن ربيعة بن ربيع هذا يقال له ابن الدغنة وهي أمه فغلبت على اسمه ، ويقال : ابن لدغة . (٤) كذا في مختصر الأغاني . وفي سائر الأصول : « الشاخ » والشارخ : الشاب . (٥) العجان : الدبر ، وقيل هو ما بين الدبر والقبل . (٦) فرس عري : غير مسرج ، وصف بالمصدر ، ثم جعل اسما لجمع قليل خيل أغراء . ولا يقال فرس عريان كما لا يقال رجل عري .

الله جل وعز وفتح عليه . فيزعمون أن سلمة بن دريد بن الصمة رماه بسهم فأصاب ركبته فقتله (يعني أبا عامر) .

فقال عُمرة بنتُ دريد ترثيه :

جَزَى عَنَّا الْإِلَهُ بَنَى سُلَيْمٍ * وَأَعْقَبَهُمْ بِمَا فَعَلُوا عَقَاقٍ^(١)
وَأَسْقَانَا إِذَا سَرْنَا إِلَيْهِمْ * دِمَاءَ خِيَارِهِمْ يَوْمَ التَّلَاقِ
فَرُبُّ مَنْوِيٍّ بِكَ مِنْ سُلَيْمٍ * أُجِيبَ وَقَدْ دَعَاكَ بِلَا رِمَاقٍ^(٢)
وَرُبَّ كَرِيمَةٍ أَعْتَقَتْ مِنْهُمْ * وَأُخْرَى قَدْ فَكَّكَتَ مِنَ الْوَنَاقِ

وقالت عُمرة ترثيه أيضا :

قَالُوا قَتَلْنَا دُرَيْدًا قُلْتُ قَدْ صَدَقُوا * وَظَلَّ دَمْعِي عَلَى الْخُدَيْنِ يَتَسَدَّرُ^(٣)
لَوْلَا الَّذِي قَهَرَ الْأَقْوَامَ كُلَّهُمْ * رَأَتْ سُلَيْمٌ وَكَعَبُ كَيْفَ تَأْتَمُرُ
إِذَا لَصَبَّحَهُمْ غَيْبًا وَظَاهِرَةً * حَيْثُ أَسْتَقْزِرُ نَوَاهِمُ بَحْفَلٍ ذِفَرُ^(٤)

١٠

ونسخت من كتاب مترجم بأنه نسخ من نسخة عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثره عن أبيه قال قال محمد بن السائب الكلبي :

استنسخه قومه على
الأخذ بنار أخيه
خالد بن
الحارث فقال شعرا
وأجابه عبد الله
ابن عبد المدان

كان دريد بن الصمة يوما يشرب مع نفر من قومه ، فقالوا له : يا أبا ذؤافة —
وكان يكنى بأبي ذؤافة وبأبي قرة — أينجو بنو الحارث بن كعب منك وقد قتلوا

١٥

(١) في لسان العرب والسيرة لابن هشام : «وعقبتهم» بدل «وأعقبهم» . وعقاق (بالبناء على الكسر) :
المقوق . (٢) الرماق من العيش : البلغة والقليل يمسك الرمي . (٣) في ١ ، م : «ينحدر» .
وفي سيرة ابن هشام : «فظل دمعى على المر بال ينحدر» . (٤) كذا في السيرة لابن هشام . وقد جاء
في لسان العرب (في مادة «غيب») : «ومن كلامهم لأضربنك غب الحمار وظاهرة القرس ؛ فغب الحمار
أن يرعى يوما ويشرب يوما ، وظاهرة القرس أن يشرب كل يوم نصف النهار» . وفي الأصول :
«عناو ظاهرهم» وهو تحريف . (٥) كذا في السيرة . والذفر : المتغير الزائحة ؛ يقال : كتيبة
ذفراء أى إنها سهكة من الحديد وصدته . وفي الأصول : «زفر» بالزاي وهو تحريف .

٢٠

أخاك خالداً ؟ فقال لهم : إن القوم بجمرة مذبح^(١) ، وهم أكفاء جشم^(٢) ، ولا يجمل بي هجاؤهم . فأحفظوه بكثرة القول وأغضبوه ، فقال :

يا بني الحارث أتم معشر^(٣) * زئدكم واري وفي الحرب بهم^(٢)
ولكم خيل عليها فتية^(٤) * كأسود الغاب يمين الأجم^(٥)
ليس في الأرض قبيل مثلكم * حين يرفض العدا غير جشم^(٦)
لست للصمة إن لم آتكم * بالحنأ ذيد تباري في اللجم^(٣)
فتقر العين منكم مرة^(٤) * بانبعث الحز نوحا تلتدتم^(٤)
وترى نجران منكم بلقعا * غير شطاء وطفل قد يت^(٥)
فأنظروها كالسعال شربا^(٥) * قبل رأس الحول إن لم أخترم

قال : فنبى قوله الى عبد الله بن عبد الممدان ، فقال ينجيه :

نبئت أن دريدا ظل معترضا^(٦) * يهدي الوعيد الى نجران من حصن^(٦)
كالكلب يعوى الى بيدا مفيرة^(٧) * من ذا يوعدنا بالحرب لم يمين^(٧)
إن تلقى حتى بني الديان تلقهم^(٨) * ثم الأنوف إليهم غرة آلمين^(٨)
ما كان في الناس للديان من شبه^(٩) * إلا رعين^(٩) وإلا آل ذى يز

١٧
٩

- ١٥ (١) يقال : بنو فلان جمرة ، إذا كانوا أهل منعة وشدة . والجمرة : كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحاقون أحدا ولا ينضمون الى أحد ، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لقراع القبائل ، كما صبرت عبس لقبائل قيس . قال أبو عبيدة : جمرات العرب ثلاثة بنو ضبة بن أد ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو نمير بن عامر ، وطفئت منهم جمرتان : طفئت ضبة لأنها حالقت الرباب ، وطفئت بنو الحارث لأنها حالقت مذبح ، وبقيت نمير لم تطفأ لأنها لم تحالف . (٢) بهم : جمع بهمة وهو الشجاع . (٣) الحنأ ذيد : جواد الخيل ، واحداها خنذيد . (٤) تلتدتم : تضرب صدرها في النياحة . (٥) السعال : الغيلان ، واحداها سعلالة . والشرب : جمع شارب وهو الضامر . (٦) حصن : جبل . (٧) لم يمين : لم يهلك . (٨) في الأصول : « غرة » بالراء المهملة وهو تصحيف .

أَغْمَضُ جَفَوْنِكَ عَمَّا لَسْتَ نَائِلَهُ * نحن الذين سبقنا الناس بالدمن
نحن الذين تركنا خالداً عطباً * وَسَطَ الْعَجَاجِ كَأَنَّ الْمَرْءَ لَمْ يَكُنْ
إِنْ تَهْجُنَا تَهْجُ أَنْجَادًا شَرَّاحَةً * ^(٢) بِيضَ الْوُجُوهِ مَرَّافِدًا عَلَى الزَّمَنِ
أَوْرَى زِيَادٌ لَنَا زَنْدًا وَوَالِدُنَا * عَبْدُ الْمَدَّانِ وَأَوْرَى زَنْدَهُ قَطُنٌ ^(٣)

٥ أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي قال :

رده أسماء بن زنباع
عن طعينة زينب
وطعنه فأصاب عينه

أغار دريد بن الصمة في نفر من أصحابه ، فمروا بأسماء بن زنباع الحارثي ومعه
طعينة زينب ، فأحاطوا به ليبتلعوها من يده ، فقاتلهم دونها فقتل منهم وجرح ،
ثم اختلف هو ودريد طعنتين : فطعنه دريد فأخطأه ، وطعنه أسماء فأصاب عينه ،
وأنهزم دريد ولحق بأصحابه ؛ فقال دريد في ذلك :

شلت يميني ولا أشرب معتقة * إذ أخطأ الموت أسماء بن زنباع

قال : وهي قصيدة .

ونسخت من كتاب أبي عمرو الشيباني الذي ذكرته يأثره عن محمد بن السائب
الكوفي قال :

قصته مع أنس بن
مدركة الخثعمي
وزيد بن عبد
المدان وشعره
في ذلك

١٥ جاور رجل من ثمالة عبد الله بن الصمة ، فهلك عبد الله وأقام الرجل
في جوار دريد . وأغار أنس بن مدركة الخثعمي على بني جشم ، فأصاب مال
التمالي وأصاب ناساً من ثمالة كانوا جيئاً لدريد ؛ فكف دريد عن طلب القوم
وشغل بحرب من يليه ، وقال لجاره ذلك : أمهلني عامي هذا . فقال التمالي : قد
أمهلتك عامين . وخرج دريد ليلة لحاجته وقد أبطأ في أمر التمالي ، فسمعه يقول :

(١) كذا في الأصول ، وهو غير واضح . (٢) الشراحة : جمع شرح وهو القوى والطويل .

(٣) في هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي .

كساك دُرَيْدُ الدَّهْرَ ثَوْبَ نَخْرَايَةٍ * وَجَدَمَكَ الْحَامِي حَقِيقَتَهُ أَنَسَ
 دَعِ الْخَلِيلَ وَالسُّمَرَ الطَّوَالَ لَخْتَمِ * فَمَا أَنْتَ وَالرُّمْحُ الطَّوِيلُ وَمَا الْفَرَسُ
 وَمَا أَنْتَ وَالْفَزْوُ الْمُتَابِعَ لِلْعِدَا * وَهَمَّكَ سَوْقُ الْعَوْدِ وَالْدَّلْوُ وَالْمَرْسُ^(١)
 فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ حَيًّا لَرَدَّهَا * وَمَا أَصْبَحْتُ لِإِلَى بَنْجَرَانَ تُحْتَسِسُ
 وَلَا أَصْبَحْتُ صِرَيسِي بِأَشَقِّ مَعِيشَةٍ * وَشَيْخٌ كَبِيرٌ مِنْ ثَمَالَةٍ فِي تَعَسِ
 يُرَاعِي نَجْمَ اللَّيْلِ مِنْ بَعْدِ هَجْمَةٍ * إِلَى الصَّبْحِ مَحْزُونًا يُطَاوِلُهُ النَّفْسُ
 وَكَنْتُ وَعَبْدُ اللَّهِ حَيًّا وَمَا أَرَى * أَبَالِي مِنَ الْأَعْدَاءِ مَنْ قَامَ أَوْ جَلَسَ
 فَاصْبَحْتُ مَهْضُومًا حَزِينًا لِفَقْدِهِ * وَهَلْ مِنْ نَكِيرٍ بَعْدَ حَوْلَيْنِ تَلْتَمِسُ

قال : فضايق دُرَيْدٌ ذَرْعًا بقوله ، وشاور أُولَى الرَّأْيِ مِنْ قَوْمِهِ ؛ فَقَالُوا لَهُ : أَرْحَلْ
 إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ ؛ فَإِنَّ أَنْسًا قَدْ خَلَّفَ الْمَالَ وَالْعِيَالَ بِبَنْجَرَانَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَقَعَتْ
 بَيْنَ خَتَمٍ ، وَإِنْ يَزِيدٌ يَرُدُّهَا عَلَيْكَ . فَقَالَ دُرَيْدٌ : بَلْ أَقْدَمَ إِلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ مِدْحَةً ثُمَّ

أَنْظَرَ مَا مَوْقِعِي مِنَ الرَّجُلِ ، فَقَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى يَزِيدَ :

بَنِي الدِّيَّانِ رُدُّوا مَالَ جَارِي * وَأَسْرَى فِي كُبُورِهِمُ الثَّقَالِ^(٢)
 وَرُدُّوا السَّبْيَ إِنْ شَتَمَ بَمَنْ * وَإِنْ شَتَمَ مُقَادَاةً بِمَالِ
 فَاتَمَّ أَهْلُ عَائِدَةٍ وَفَضِيلِ * وَأَيَّدِ فِي مَوَاهِبِكُمْ طَوَالَ
 مَتَى مَا تَمْنَعُوا شَيْئًا فَلَيْسَتْ * حِبَائِلُ أَخْذِهِ غَيْرَ السَّوَالِ
 وَحَرْبُكُمْ بَنِي الدِّيَّانِ حَرْبٌ * يَغْصُ الْمَرْءُ مِنْهَا بِالزَّلَالِ
 وَجَارَتُكُمْ بَنِي الدِّيَّانِ بَسَلٌ^(٣) * وَجَارِكُمْ يُعَدُّ مَعَ الْعِيَالِ
 حَذًا عَبْدُ الْمَدَّانِ لَكُمْ حِذَاءً * مُحْصَرَّةَ الصَّدُورِ عَلَى مِثَالِ

٢٠ (١) العود : المسنن من الابل . والمرس : الحبل ، والمراد هنا حبل الاستقاء .

(٢) في ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ : « فِي كُبُورِكُمْ » . (٣) البسل : الحرام .

بَنِي الدِّيَّانِ ابْنُ بَنِي زِيَادٍ * هُمْ أَهْلُ التَّكْرُمِ وَالْفَعَالِ
فَأَوْلُونِي بَنِي الدِّيَّانِ خَيْرًا * أَقْرَ لَكُمْ بِهِ أُخْرَى اللَّيَالِي

قال : فلما بلغ يزيد شعره قال : وجب حق الرجل ! فبعث اليه أن يقدم علينا .
فلما قدم عليه أكرمه وأحسن مثواه . فقال له دريد يوماً : يا أبا النضر ، إني رأيت
منكم خصلاً لم أرها من أحد من قومكم : إني رأيت^(١) أبنيتكم منفردة ، ونتاج خيلكم
قليلًا ، وسرحكم يميء معتمًا ، وصبيانكم يتضاغون من غير جوع . قال : أجل ! أما
قلة نتاجنا فتناج هوأزن يكفيننا . وأما تفرق أبنيتنا فللغيرة على النساء . وأما بكاء
صبياننا فإننا نبدأ بالخليل قبل العيال . وأما تمسينا بالنعم فإت فينا الغرائب والأرامل ،
تخرج المرأة الى مالها حيث لا يراها أحد . قال : وأقبلت طلائعهم على يزيد ، فقال
شيخ منهم :

أَنْتَكَ السَّلَامَةُ فَارْعَ النَّعْمَ * وَلَا تَقْلِلِ الدَّهْرَ إِلَّا نَعْمَ
وَسَرَّحْ دُرَيْدًا بِنُعْمَى جُشْمٍ * وَإِنْ سَأَلَكَ الْمَرْءُ أَحَدَى الْقُعْمِ^(٢)

فقال له دريد : من أين جاء هؤلاء ؟ فقال : هذه طلائعنا لا تسرح ولا نصطح
حتى يرجعوا إلينا . فقال له : ما ظلمكم من جعلكم جمرة مذبح ، ورد يزيد عليه الأسارى
من قومه وجيرانه ، ثم قال له : سلني ما شئت ؛ فلم يسأله شيئاً إلا أعطاه إياه . فقال
دريد في ذلك :

مَدَحْتُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَدَّانِ * فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ قَتَى مُتَمَدِّحٍ
إِذَا الْمَدْحُ زَانَ قَتَى مَعْشِيرٍ * فَلَا بَ يَزِيدُ يَزِينُ الْمَدْحَ
حَلَلْتُ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ * فَأَوْرَى زِنَادِي لِمَا قَدَحَ

(١) تضاعى من الطوى : تضوّد من الجوع وصاح . (٢) القم : جمع قمّة وهي الأمر

الشاقي لا يكاد يركبه أحد .

وَرَدَّ النِّسَاءَ بِأَطْهَارِهَا * وَلَوْ كَانَ غَيْرُ يَزِيدٍ فَضَّحَ
 وَفَكَ الرِّجَالَ وَكُلَّ امْرِئٍ * إِذَا أَصْلَحَ اللَّهُ يَوْمًا صَلَحَ
 وَقُلْتُ لَهُ بَعْدَ عِتْقِ النِّسَاءِ * وَفَكَ الرِّجَالَ وَرَدَّ اللَّقْحَ^(١)
 أَحْرَى فَوَارِسَ مِنْ عَامِرٍ * فَأَكْرِمُ بِنَفْحَتِهِ إِذَا نَفَحَ
 وَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ فِي وَجْهِهِ * بِكَرَى السُّؤَالِ ظُهُورَ الْفَرْحِ
 رَأَيْتُ أَبَا النَّضْرِ فِي مَذْجٍ * بِمَنْزِلَةِ الْفَجْرِ حِينَ اتَّضَحَ
 إِذَا قَارَعُوا عَنْهُ لَمْ يُقَرَّعُوا * وَإِنْ قَدَّمُوهُ لَكَشِشَ نَطَحَ
 وَإِنْ حَضَرَ النَّاسَ لَمْ يُخْزِهِمْ * وَإِنْ وَازَنُوهُ بِقُرْبِ رَجَحَ
 فَذَاكَ فَتَاهَا وَذُو فَضْلَهَا * وَإِنْ نَاجَّ بِفَخَارٍ نَبَحَ

$$\frac{19}{9}$$

- ١٠ قال وقال ابن الكلبي : خرج دريد بن الصِّمَّة في فوارس من قومه في غزاة له ،
 فلقبه مُسَهْر بن يزيد الحارثي ، الذي فقأ عين عامر بن الطُّفَيْل ، يقود بأمرأته أسماء
 بنت حَزْن الحارثية . فلما رآه القوم قالوا : الغنيمة ، هذا فارسٌ واحد يقود ظَئِينَةً ،
 وخليق أن يكون الرجل قرشياً . فقال دريد : هل منكم رجل يمضي إليه فيقتله ويأتينا
 به وبالظَّئِينَة ؟ فانتدب إليه رجلٌ من القوم فجعل عليه ، فلقبه مُسَهْر فأختلفا طعنتين
 بينهما ، فقتله مُسَهْر بن الحارث . ثم حمل عليه آخر فكانت سبيله سبيل صاحبه ، حتى
 ١٥ قتل منهم أربعة نفر . وبقي دريد وحده فأقبل إليه ، فلما رآه ألقي الخِطَام من يده
 إلى المرأة وقال : خُذِي خِطَامَكَ ، فقد أقبل إلى فارس ليس كالفُرسَان الذين
 تقدَّموه ، ثم قصد إليه وهو يقول :

قصته مع مسهر
ابن يزيد الحارثي
وشعره

أَمَّا تَرَى الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ * أَرْدَاهُمْ عَامِلٌ رَحِ يَابَسُ

(١) اللقح : جمع لقحة وهي الناقة الحلوب .

فقال له دريد : من أنت لله أبوك ؟ قال : رجل من بني الحارث بن كعب . قال : أنت الحصين ؟ قال لا . قال : فالمجبل هوذة ؟ قال لا . قال : فمن أنت ؟ قال : أنا مسهر بن يزيد . قال : فانصرف دريد وهو يقول :

أمن ذكر سلمى ماء عينيك يهمل * كما أنهل تحرز من شعيب مشل^(١)شل
وماذا ترجى بالسلامة بعد ما * نأت حقب وأبيض منك المرجل^(٢)
وحالت عوادي الحرب بيني وبينها * وحرب تعمل الموت صرفا وتنهل
قراها إذا بات لدى مقاضة * وذو خصل نهذ المراكل هيكل^(٣)
كيش كتي^(٤)س الرمل أخلص منته * ضريب^(٥) الخلايا والنقيع المعجل
عتيد^(٦) لأيام الحروب كأنه * إذا أنجب ريعان العجاجة أجدل^(٧)
يحاب^(٧) جردا كالسراجين^(٨) ضمرا * تروى أبواب البيوت وتصل
على كل حي قد أطلت بفارة * ولا مثل ما لاقى الحاس وزعبل

— الحاس وزعبل : قبيلتان من بني الحارث بن كعب —

غداة رأونا بالغريف كأننا * حي^(٩) أدركته الصبا مهلل^(١٠)
بمشعل^(١١) تدعو هوازن ، فوقها * سيج^(١١) من الماذي لأم مرقل

١٥ (١) شلشل الماء : قطار . (٢) المرجل : الشعر؛ يقال : رجل الشعر إذا مرجه .

(٣) المقاضة هنا : الدرع . وذو خصل : يريد فرسا . والمراكل : جمع مركل وهو حيث نصير رجلك من الدابة ؛ يقال فرس نهذ المراكل أى واسع الجوف . والهيكل : الضخم . (٤) الكيش : السريع . (٥) الضريب : اللبن . والخلايا : جمع خلية وهي الناقة المخلاة للحلب . يريد أن هذا الفرس معنى به . (٦) الأجدل : الصقر . (٧) كذا في ح . وفي سائر الأصول « يحارب » وهو محريف .

٢٠ (٨) السراجين : الذئاب واحدها سرجان . (٩) كذا في الأصول . ولعلها المزيف أو نحو ذلك . (١٠) الحي : السحاب المتراكم . وفي الأصول : « حي » بياض . (١١) الماذي : الدروع البنية السهلة . واللائم : الدروع ، واحدها لأمة . والمرقل : المسبخ .

لدى مَعْرَكٍ فيها تركنا سَرَاتِهِمْ * يُنَادُونَ، منهم مُوثِقٌ وَمُجَدِّلٌ
تَجْدُّ جِهَارًا بالسيفِ رَعْسَهُمْ * وأرماحُنا منهم تَعْلُ وتَنْهَلُ
تَرى كُلَّ مَسودِّ العِذارينَ فارِسٍ * يُطِيفُ به نَسْرٌ وَعَرَفَاءُ جِيَالُ

قال مؤلف هذا الكتاب : هذه الأخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعة
كلُّها، والتوليد بين فيها وفي أشعارها، وما رأيت شيئا منها في ديوان دريد بن الصِّمَّة
على سائر الروايات. وأعجب من ذلك هذا الخبر الأخير؛ فإنه ذكر فيه ما لحق دريدا
من المهجنة والفضيحة في أصحابه وقتل من قُتل معه وأنصرافه منفردا، وشعر دريد
هذا يفخر فيه بأنه ظفر ببنى الحارث وقتل أمثالهم؛ وهذا من أكاذيب ابن الكلبي.
وإنما ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء قد رواه الناس وتداولوه.

٢٠
٩

- ١٠ (١) كذا في ج. والعرفاء : الضيع؛ سميت بذلك لكثرة شعر رقبتهما. وجيال : من أسماء الضيع أيضا،
معركة بغير ألف ولام. وقال كراع : الجيال، فأدخل عليها الألف واللام، وشاهده قول العجاج :
يدعن ذا الثروة كالحجيل * وصاحب الإقصار لم الجيال
وفي سائر الأصول : «غربان جبال» وهو محريف.

أخبار المعتضد في صناعة هذا اللحن وغيره من الاغانى

— دون أخباره في غير ذلك لأنها كثيرة تخرج عن حد الكتاب —
وشئ من أخباره مع المغنين وغيرهم يصلح لما هاهنا

راسل عبيد الله
ابن عبد الله بن
طاهر في أمر النغم
العشر حتى فهمها
وجمعها في صوت

حدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
أن المعتضد بعث إليه — لما صنعت جاريته شاحي اللحن الذي يجمع النغم العشر —
بظبي وحيب جاريته أخيه سليمان بن عبد الله بن طاهر حتى أخذتا اللحن عنه ونقلتا
إليه وألقياه على جواريه . قال : ولم يزل يرأسلني مع عبد الله بن أحمد بن حمدون في أمر
النغم العشر ويسألني عنها وأشرحها له ، حتى فهمها جيذا وجمعها في صوت صنعه
في شعر دريد بن الصمة :

يا ليتني فيها جذع * أخب فيها وأضع

وألقاه عليهما حتى أدتاها إلى مستعابا بذلك هل هو صحيح القسمة والأجزاء أم لا ،
فعرفته صحته ودلته على ذلك حتى تيقنه فسر بذلك ؛ وهو لعمري من جيد الصناعة
ونادرها . وقد صنع المعتضد الحاناً في عدة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء
والمحدثين وعارضهم بصنعتهم فأحسن وشاكل وضاهى ، فلم يعجز ولا قصر ولا أتى
بشيء يعتذر منه . فمن ذلك أنه صنع في :

أما القطاة فإني سوف أنعمها * نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

لحناً من الثقيل الأول بالبصرة في نهاية الجودة ، سمعت إبراهيم بن القاسم بن زُرُور
يغنيها ، فكان من أحسن ما صنع في هذا الصوت على كثرة الصناعة فيه واشتراك

القدماء والمُحدثين في صنعتهم مثل مَعْبَدٍ وَنَشِيطٍ وَمَالِكٍ وَابْنِ مُحَرِّزٍ وَسِنَانٍ وَعُمَرُ الْوَادِي
وَأَبْنِ جَامِعٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَأَبْنَةَ إِسْحَاقَ وَعَلَوِيَّةَ . وَأُظْرَفُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَنَعَ فِي :

تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَحْرَى لَمَّا جَهَدَتْهُ * وَبَيْنَ لَوْ يُسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ

- لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ^(١) بِالْوَسْطَى، وَقَدْ صَنَعَ قَبْلَهُ أَبْنُ سُرَيْجٍ لَحْنًا هُوَ مِنَ الْأَلْحَانِ الثَّلَاثَةِ
الْمُخْتَارَةِ مِنَ الْغِنَاءِ كُلِّهِ، فَمَا قَصَّرَ فِي صِنْعَتِهِ وَلَا تَجَزَّزَ عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ فِيهَا؛ هَذَا بَعْدَ أَنْ
صَنَعَ إِسْحَاقَ فِيهَا لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي عَارِضَ أَبْنِ سُرَيْجٍ بِهِ فِي لَحْنِهِ، فَمَا أَمْتَنَعَ مِنْ
أَنْ يَتَلَوَّ مِثْلَ هَذَيْنِ وَلَا نَظِيرَ لِهَآ فِي الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدَّثِينَ، ثُمَّ جَوَّدَ غَايَةَ التَّجْوِيدِ فِيهَا
أَتَّبَعَهُمَا بِهِ وَعَارِضَهُمَا فِيهِ . هَذَا مَعَ أَصْوَاتٍ لَهُ صَنَعَهَا تُزَاهِي^(٢) الْمِائَةَ صَوْتًا، مَا فِيهَا
سَاقِطٌ وَلَا مَرْدُودٌ، وَسَآذُكَ مِنْهَا مَا يَصْلُحُ ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
وَمِنْ نَادِرِ صِنْعَةِ الْمُعْتَصِدِ :

١٠

صوت

أَنَّا فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقْبٌ بَعْدَهَا * وَعِيدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ

- الشَّعْرَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَالْغِنَاءَ لِلْمُعْتَصِدِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ . هَذَا بَيْتٌ قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ
لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ شَعْرٌ، وَإِنَّمَا كَتَبَ بِهِ فِي رِسَالَةٍ عَنِ الْمُعْتَصِمِ^(٣) إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ
فَقَالَ فِي فَصْلِ مِنْهُ : « وَإِنْ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِكَ أَنَّا، فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقْبٌ
بَعْدَهَا وَعِيدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ » . فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ رَأَى أَنَّهُ شَعْرٌ وَأَنَّهُ بَيْتٌ نَادِرٌ
فَأَخْرَجَهُ فِي شَعْرِهِ .

٢١
٩

(١) فِي أ، م : « الثَّانِي » . (٢) تُزَاهِي : تَضَاهَى . وَزَهَاءُ الشَّيْءِ : قَدْرُهُ .

(٣) فِي ج : « عَنِ الْمُعْتَصِدِ » .

أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه

- إبراهيم بن العباس بن محمد بن صُول، وكان صُول رجلاً من الأتراك، ففتح يزيد
ابن المهلب بلده وأسلم على يديه، فهم موالي يزيد. ولما دعا يزيد إلى نفسه لحق به
صُول لينصره فصادفه قد قُتل. وكان يقاتل كل من بينه وبين يزيد من جيش بني أمية
ويكتب على سهامه: صُول يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه. فبلغ ذلك يزيد بن
عبد الملك، فأغتاظ وجعل يقول: ويلى على ابن الخلفاء! وماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة
نبيه! ولعله لا يفقه صلاته! . وكان ابنه محمد بن صُول من رجال الدولة العباسية
ودعاتها. وقد كان بعض أهلهم آذعوا أنهم عرب وأن العباس بن الأحنف خالهم.
وأما صُول فإن خالد بن خدّاش ذكر عن أهله قالوا: كان صُول وفير وز أخوين
ملكاً على جرجان، وكانا تركيين تمجّسا وتشبها بالفرس. فلما حضر يزيد بن المهلب
جرجان أمتنهما، فأسلم صُول على يديه ولم يزل معه حتى قُتل يوم العقر. وكان محمد
ابن صُول يُكنى أبا عُمارة، أحد الدعاة، وقتله عبد الله بن علي لما خالف مع مقاتل
ابن حَكيم العنكي وعِدّة آخرين. وأما إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فإنهما كانا
من وجوه الكُتّاب، وكان عبد الله أسنهما وأشدّهما تقدماً، وكان إبراهيم أدبهما
وأحسنهما شعراً، وكان يقول الشعر ثم يختاره، ويُسقط رذله، ثم يُسقط الوسط،
ثم يسقط ما يُسبق إليه، فلا يدع من القصيدة إلا اليسير، وربما لم يدع منها إلا بيتاً
أو بيتين؛ فمن ذلك قوله:

كان يقول الشعر
ثم يختاره

- (١) في الأصول «خراش» بالراء. وقد تقدم خالد بن خدّاش غير مرة في الأجزاء السابقة.
(٢) هو عقربا بل وهو موضع عند ذكر بلاء قتل عنده يزيد بن المهلب (أنظر الحاشية رقم ١ ص ٢٢ ج ٩
من الأغاني طبع دار الكتب المصرية). (٣) كذا في الأصول. ولعله: «ويكنى أبا عُمارة الخ».
(٤) هو أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية. (أنظر الكلام عليه في تاريخ الطبري
ق ٢ ص ٢٠١ — ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠١٦ طبعة أودبا).

القدماء والمُحدثين في صنعتهم مثل مَعْبَدٍ وَشَيْطٍ وَمَالِكٍ وَابْنِ مُحَرِّزٍ وَسِنَانٍ وَعُمَرَ الْوَادِي
وَأَبْنِ جَامِعٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَأَبْنَةَ إِسْحَاقَ وَعَلَوِيَّةَ . وَأُظْهِرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَنَعَ فِي :

تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَرِي لَمَّا جَهَدَتْهُ * وَيَبِّ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ

- لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى، وَقَدْ صَنَعَ قَبْلَهُ أَبْنُ سُرَيْجٍ لَحْنًا هُوَ مِنَ الْأَلْحَانِ الثَّلَاثَةِ
الْمُخْتَارَةِ مِنَ الْغَنَاءِ كُلِّهِ، فَمَا قَصَّرَ فِي صِنْعَتِهِ وَلَا تَجَزَّزَ عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ فِيهَا؛ هَذَا بَعْدَ أَنْ
صَنَعَ إِسْحَاقَ فِيهَا لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي عَارِضَ أَبْنِ سُرَيْجَ بِهِ فِي لَحْنِهِ، فَمَا آمَنَعَ مِنْ
أَنْ يَتَلَوَّ مِثْلَ هَذَيْنِ وَلَا نَظِيرَ لِهَذَا فِي الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدَّثِينَ، ثُمَّ جَوَّدَ غَايَةَ التَّجْوِيدِ فِيهَا
أَتَّبَعَهُمَا بِهِ وَعَارِضَهُمَا فِيهِ . هَذَا مَعَ أَصْوَاتٍ لَهُ صَنَعَهَا تَزَاهَى الْمِائَةِ صَوْتٍ، مَا فِيهَا
سَاقِطٌ وَلَا مَرْدُودٌ، وَسَازِدُكُمْ مِنْهَا مَا يَصْلُحُ ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
وَمِنْ نَادِرِ صِنْعَةِ الْمُعْتَضِدِ :

١٠

صوت

أَنَاءَةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا * وَعِيدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ

- الشعر لإبراهيم بن العباس، والغناء للمعتضد ثَقِيلٌ أَوَّلُ . هَذَا بَيْتٌ قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ
لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ شَعْرٌ، وَإِنَّمَا كَتَبَ بِهِ فِي رِسَالَةٍ عَنِ الْمُعْتَصِمِ^(٣) إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ
فَقَالَ فِي فَصْلِ مِنْهُ : « وَإِنْ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِكَ أَنَاءَةٌ، فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ
بَعْدَهَا وَعِيدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ » . فَلَمَّا تَأَمَّلْتَهُ رَأَى أَنَّهُ شَعْرٌ وَأَنَّهُ بَيْتٌ نَادِرٌ
فَأَخْرَجَهُ فِي شَعْرِهِ .

٢١
٩

(١) فِي أ، م : « الثَّانِي » . (٢) تَزَاهَى : تَضَاهَى . وَزَهَاءُ الشَّيْءِ : قَدَرُهُ .

(٣) فِي ج : « عَنِ الْمُعْتَضِدِ » .

أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه

- ٥ إبراهيم بن العباس بن محمد بن صُول، وكان صُولُ رجلاً من الأتراك، ففتح يزيد ابن المهلب بلده وأسلم على يديه، فهم موالى يزيد. ولما دعا يزيد إلى نفسه لحق به صُولُ لينصره فصادفه قد قُتل. وكان يقاتل كلَّ مَنْ بينه وبين يزيد من جيش بني أمية ويكتب على سهامه: صُولُ يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك، فأغتاظ وجعل يقول: وَيْلِي على آبن الغلفاء! وماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه! ولعله لا يفقه صلاته! . وكان أبنة محمد بن صُول من رجال الدولة العباسية ودُعائها. وقد كان بعضُ أهلهم آذعوا أنهم عربٌ وأن العباس بن الأحنف خالهم. وأما صُولُ فإن خالد بن خدّاش ذكر عن أهله قالوا: كان صُولُ وفير ورؤُ أخوين ملكا على جرجان، وكانا تركيين تمجّسا وتشبها بالفرس. فلما حضر يزيد بن المهلب جرجان أمتنهما، فأسلم صُولُ على يديه ولم يزل معه حتى قُتل يومَ النَعْرِ. وكان محمد ابن صُول يُكنى أبا عُمارة، أحد الدعاة، وقتله عبد الله بن عليّ لما خالف مع مقاتل ابن حَكيم العنكي وعِدّة آخرين. وأما إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فإنهما كانا من وجوه الثُغاب، وكان عبدُ الله أسنهما وأشدّهما تقدّما، وكان إبراهيم أدبهما وأحسنهما شعرا، وكان يقول الشعر ثم يختاره، ويُسقط رذله، ثم يُسقط الوسط، ثم يسقط ما يُسبق إليه، فلا يدعُ من القصيدة إلا اليسير، وربما لم يدعُ منها إلا بيتاً أو بيتين؛ فمن ذلك قوله:

كان يقول الشعر
ثم يختاره

(١) في الأصول «خراش» بالراء. وقد تقدم خالد بن خدّاش غير مرة في الأجزاء السابقة.
(٢) هو عقربايل وهو موضع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب (أنظر الحاشية رقم ١ ص ٢٢ ج ٩ من الأغاني طبع دار الكتب المصرية). (٣) كذا في الأصول. ولعله: «ويكنى أبا عمار الخ».
(٤) هو أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية. (أنظر الكلام طبعه في تاريخ الطبري ق ٢ ص ٢٠٠١ — ٢٠٠٣، ٢٠٠٥، ٢٠١٦ طبعة أوربا).

ولكنَّ الجوادَ ابا هشام * وفى العهدِ مأمونُ المغيَّب
وهذا ابتداء يدلُّ على أن قبله غيره؛ وقوله فى أخيه :

ولكنَّ عبدَ الله لما حوى الغنى * وصار له من بين إخوته مالٌ

وهذا أيضا ابتداء يدلُّ على أنَّ قبله غيره . وكان إبراهيم وأخوه عبد الله من صنائع
ذى الرِّياستين، اتَّصلا به فرغ منهما . وتنقلُ إبراهيمُ فى الأعمالِ الجليلة والدواوين إلى
أن مات وهم يتقلَّد ديوانَ الضَّياع والنِّفقات بسرَّ من رأى فى سنة ثلاث وأربعين
ومائتين للنصف من شعبان .

قال محمد بن داود وحدثني أحمد بن سعيد بن حسان قال حدثني ابن إبراهيم^(١)

قال سمعت دُعِيلاً يقول :

لو تكسَّب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا فى غير شيء . قال : ثم أنشدنا له ،
وكان يستحسن ذلك من قوله :

إِنَّ امرأَ ضَنٍّْ بمعروفه * عَنى لمبذولٌ له عذرى

ما أنا بالراغب فى عُرفه * إن كان لا يرغب فى شكرى

وكان إبراهيم بن العباس صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه وقصده
وصارت بينهما شحنة عظيمة لم يمكن تلافيها ، فكان إبراهيم يهجوهُ ؛ فمن قوله فيه :
٢٢
٩
١٥
هجاؤه محمد بن
عبد الملك الزيات
وتشفيه بموته

أبا جعفرٍ خَفَّ خَفْضَةً بعد رِفْعَةٍ * وقصَّرَ قليلاً عن مَدَى ظُلُومِكَ

لئن كان هذا اليوم يوماً حَوَيْتَهُ * فإنَّ رجائى فى غِدِّ كرجائك

وله فيه أيضا :

دَعوتكَ فى بَلَوَى أَلْمَتْ صرُوفُها * فأوقدت من ضِغْنٍ على سَعيرِها

فإِنِّ إذا أدعوك عند مُلِمَّةٍ * كداعيةٍ عند القبورِ نَصيرِها

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « أحمد بن داود » .

وقال فيه لما مات :

لما أتاني خبر الزيات * وأنه قد صار في الأموات

* أيقنتُ أن موته حياقي *

أخبرني بحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال : لما أنحرف محمد بن عبد الملك الزيات عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلقوه ، وكان الحارث بن بسخر صديقا له مصافيا ، فهجره فيمن هجره من إخوانه ، فكتب إليه :

تفسير لي فيمن تغير حارث * وكم من أخ قد غيرته الحوادث

أحارث إن شورك فيك فطالما * غنينا وما بيني وبينك ثالث

وقد قيل : إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصلي .

ومن جيد قول إبراهيم بن العباس وفيه غناء :

صوت

خلّ التفاق لأهله * وعليك فآلتس الطريقة

وأذهب بنفسك أن ترى * إلا عدوا أو صديقا

الغناء لأبي العيس بن حمدون ، ثقيل أول .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : كان إبراهيم ابن العباس يهوى قينة بسر من رأى ، فكان لا يكاد يفارقها . بفلس يوما للشرب ومعه إخوان له ، ودعا جماعة من جوارى القيان ، ودعاها فأبطأت ، فتغصص عليهم يومهم لما رأوا من شغل قلبه بتأخرها ، ثم وافت فسرى عنه وطابت نفسه وشرب وطرب ، ثم دعا بدواة فكتب :

ألم ترنا يوما إذ نأت * فلم تأت من بين أترابها

وقد غمرتنا دواعي السرور * بإشغالها وبإلهاها

هجره صديقه
الحارث بن بسخر
مرضاة لمحمد بن
عبد الملك الزيات
فقال في ذلك شعرا

قصة عشقه
لقينة وانكاشه
لتأخرها وشعره فيها

٥

١٠

١٥

٢٠

وَمَدَّتْ عَلَيْنَا سَمَاءَ النِّعَمِ * وَكُلُّ الْمُنَى تَحْتَ أَطْنَابِهَا^(١)
 وَنَحْنُ قُتُورٌ إِلَى أَنْ يَدُتْ * وَبَدْرُ الدُّجَى بَيْنَ أَثْوَابِهَا
 فَلَمَّا نَأَتْ كَيْفَ مُكَّأَ لَهَا * وَلَمَّا دَنَتْ كَيْفَ صِرْنَا بِهَا
 وَأَمْرٌ مِنْ حَضَرَ فَقَرَأَ عَلَيْهَا الْآيَاتِ؛ فَتَجَنَّتْ وَقَالَتْ: مَا الْقِصَّةُ كَمَا وَصَفْتَ،
 وَقَدْ كُنْتُمْ فِي قَصْفِكُمْ مَعَ مَنْ حَضَرَ، وَإِنَّمَا تَجَمَّلْتُمْ لِي لَمَّا حَضَرْتُ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا مَنْ حَنِينِي إِلَيْهِ * وَمَنْ فَوَّادِي لَدَيْهِ
 وَمَنْ إِذَا غَابَ مِنْ يَدِ * نَهْمٍ أَسِفْتُ عَلَيْهِ
 إِذَا حَضَرْتَ فَمَا مِندُ^(١) * هُمُ مَنْ أَصْبُو إِلَيْهِ
 مِنْ غَابَ غَيْرُكَ مِنْهُمْ * فَأَمْرُهُ فِي يَدَيْهِ

٢٣
٩

قال: فرضيتُ عنه، وآتممتنا يومنا على أحسن حال.

وقال محمد بن داود حدثني محمد بن القاسم قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال
 حدثني إبراهيم بن العباس - قال حدثني به دُعِيلٌ أيضًا فكانا متفقين في الرواية - قال:
 تَكُنَّا نَطْلُبُ جَمِيعًا بِالشَّعْرِ، فَخَرَجْنَا وَكُنَّا فِي تَحْجِيلٍ، فَابْتَدَأْتُ أَقُولُ فِي الْمَطْلَبِ
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ:

أجازه دُعِيلٌ
في شعر

١٥ * أَمَطَّلِبُ أَنْتَ مُسْتَعِذِبٌ *

فقال دُعِيلُ:

* لَسَمَّ الْأَفَاعِي وَمُسْتَقْتِلُ *

فقلت:

* فَإِنْ أَشِفَ مِنْكَ تَكُنْ سُبَّةً *

٢٠

فقال دُعِيلُ:

* وَإِنْ أَحْفَ عَنْكَ فَمَا تَفْعَلُ *

(١) الأطناب: جمع طناب: وهو حبل طويل يشد به سرادق البيت.

روى له الأخفش
أبياتا كان يفضلها
ويستجيدها

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس وكان يفضلها ويستجيدها :
أميل مع الذمام على ابن أمي * وأخذ للصديق من الشقيق
وإن ألفتني حراً مطاعاً * فإنك واجدي عبد الصديق
أفرق بين معروف ومني * وأجمع بين مالى والحقوق

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسن بن أبي البغل قال حدثني عمي قال :

(١)
اجتاز محمد بن علي برد الخيار على أبي أيوب ابن أخت الوزير وهو متولي ديار
مضر فلم يتلقه ، ونزل الرقة فلم يصل إليه ولم يره ، وخرج عنها فلم يسعه . فلامه إخوانه
وقالوا : يشكوك إلى إبراهيم بن العباس . فكتب إلى إبراهيم يعتذر مما جرى بعلة .
فكتب إليه إبراهيم على ظهر كتابه :

أبداً معتذر لا يعتذر * وركوب للتي لا تغفر
وملقى بمساوكلها * منه تبدو وإليه تصدر
هي من كل الوري منكرة * وهي منه وحده لا تنكر

كان يهوى جارية
اسمها « سامر »
أهدت له جارينتين

أخبرني عمي قال حدثني ابن برد الخيار عن أبيه قال :

كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنين بسراً رأى يقال لها
سامر ، وشهر بها ، فكان منزله لا يخلو منها ، ثم دُعيت في وليمة لبعض أهلها فغابت عنه
أياماً ثم جاءت معه جاريتان لمولاتها ، وقالت له : قد أهديت صاحبتك إليك عوضاً من
مغيبك عنك ؛ فأنشأ يقول :

(١) كذا في الأصول وتاريخ الطبري (ق ٣ ص ١٤٩٩) . وفي معجم الادباء لياقوت في الكلام على

إبراهيم بن العباس : " محمد بن علي بن برد الخيار " بالزاي .

صوت

أقبلن يحففن مثل الشمس طالعة * قد حسن الله أولاهن وأنحراها
ما كنت فيمن إلا كنت واسطة * وكن دونك يئنها ويئسراها

الغناء لسلسل مولى بنى هاشم، ثانی ثقيل بالوسطى مطلق . وليس لسلسل خبر يدون
ولا هو من المشهورين ولا بمن خدم الخلفاء أو دون له حديث . وذكر حبش أنه
لسلسل مولاة محمد بن حرب الهلالي . وسلسل هذه كانت من أحسن الناس وجها
وغناء، وكانت لبعض المغنين بالبصرة ، وكان محمد بن حرب هذا يتعشقها ولم تكن
مولاته . فأخبرني الحرثي بن أبي العلاء قال حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال
حدثني حماد بن إسحاق قال : أتى أبا بن عبد الحميد الشاعر رجلا بالبصرة وله
قينة يقال لها سلسل ، فصادف عندها محمد بن قطن الهلالي وعثمان بن الحكم بن صخر
التقفى فقال :

$$\frac{24}{9}$$

فتنت سلسل قلب ابن قطن * ثم تئت بابن صخر فافتن
فاتيت اليوم كي أتقذهم * فإذا نحن جميعا في قرن

فأظن الغلط وقع على حبش من هاهنا أو سمع هذا الخبر فتوهم أنها مولاة محمد
ابن حرب .

١٥

أخبرني عمي ووكيع قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عيسى
ابن عبد الرحمن قال :

ذهابه مع دجيل
ودزين ودكهم
حير أهل الشوك
وشعرهم في ذلك

خرج إبراهيم بن العباس ودجيل بن علي وأخوه رزين في نظرائهم من أهل
الأدب رجالة إلى بعض البساتين في خلافة المأمون، فلقبهم قوم من أهل السواد من
أصحاب الشوك، فأعطوهم شيئا وركبوا تلك الحمير؛ فأنشأ إبراهيم يقول :

٢٠

أَعِيضَتْ بِعَدِّ حَمْلِ الشُّو * كِ أَحْمَالًا مِنْ الْحَرْفِ^(١)
نَسَاوَى لَا مِنْ الصُّبَا * بِلْ مِنْ شِدَّةِ الضَّعْفِ

فَقَالَ رَزِين :

فَلَوْ كُنتُمْ عَلَى ذَاكَ * تَوَوَّلُونَ إِلَى قَصِيفٍ
نَسَاوَتْ حَالَكُمْ فِيهِ * وَلَمْ تَبْقُوا عَلَى خُسْفٍ

فَقَالَ دِغِيل :

وَإِذْ فَاتَ الَّذِي فَاتَ * فَكُونُوا مِنْ بَنِي الظَّرْفِ
وَمُرُّوا تَقْصِيفَ الْيَوْمِ * فَإِنِّي بَائِعٌ خُنْفَى

فَانْصَرَفُوا مَعَهُ فَبَاعَ خُفَّهُ وَأَتَّفَقَهُ عَلَيْهِمْ .

١٠ أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْإِسْكَافِيُّ :

كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ ابْنٌ قَدْ يَفَعُ وَتَرَقَّرَعَ، وَكَانَ مُعْجَبًا بِهِ فَأَعْتَلَّ مِلَّةً لَمْ تَقُلْ وَمَاتَ؛
فَرثَاهُ بِمِرَاثٍ كَثِيرَةٍ، وَجَزِعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا. فَمَا رثاه به قوله :

كُنْتَ السَّوَادَ لَمُقَاتِي * فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمْتُ * فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ

١٥

فِيهِ رَمْلٌ لِابْنِ الْقَصَّارِ . وَمِنْ مِرَاثِيهِ لِيَاَهُ قَوْلُهُ :

وَمَا زِلْتُ مُدْلَدًا أُعْطِيْتُهُ * أَدَانَعُ عَنْهُ حِمَامَ الْأَجَلِ
أَعُوذُهُ دَائِبًا بِالْقُرْآنِ * وَأَرْمَى بِطَرْفِي إِلَى حَيْثُ حَلَّ
فَانْصَحْتُ يَدِي قَصْدُهَا وَاحِدًا * إِلَى حَيْثُ حَلَّ فَلَمْ يَرْتَحِلْ

٢٠ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ حَدَّثَنِي أَبُو وَائِلَةَ قَالَ : قُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ : قَدْ أَحْمَلْتَ
نَفْسَكَ وَرَضِيتَ أَنْ تَكُونَ تَابِعًا أَبَدًا لِاِقْتِصَارِكَ عَلَى الْقَصْفِ وَاللَّعِبِ؛ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

عَاتِبَهُ أَبُو رِثَاءٍ
فِي لَهْوِهِ فَقَالَ شَعْرًا

(١) كَذَا فِي الْأَمْوَالِ .

إِنَّمَا الْمَرْءُ صُورَةٌ * حَيْثُ حَلَّتْ تَنَاهَتْ
أَنَا مَذْكُوتٌ فِي التَّصَرُّفِ لِي حَالٌ سَاعَتِي

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّبُولِيُّ قال حدثني ابن السَّخِيِّ قال :
وَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ لِأَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ ثُلُثَ مَالِهِ ، وَوَهَبَ لِأَخْتِهِ الثَّلَاثَ الْآخَرِ وَشَعْرَهُ
فِي ذَلِكَ

٥

وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ لَمَّا حَوَى الْغَنَى * وَصَارَ لَهُ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِ مَالٌ
رَأَى خَلَّةً مِنْهُمْ تُسَدُّ بِمَالِهِ * فَسَاهَمَهُمْ حَتَّى أَتَوَتْ بِهِمُ الْحَالُ
وَهَذَا مِمَّا عَيَّبَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ قَوْلُهُ أَبْتَدَأَ "وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ" . وَقَدْ كَرَّرَهُ فِي شَعْرِهِ فَقَالَ :

وَلَكِنْ الْجَوَادَ أَبَا هِشَامٍ * وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُونُ الْمَغِيبِ
بِطَيِّءٍ عَنْكَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ * وَطَلَّاعٌ عَلَيْكَ مَعَ الْخَطُوبِ
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ اخْتِيَارُهُ شَعْرَهُ وَإِسْقَاطُهُ مَا لَمْ يَرْضَهُ مِنْهُ .

٢٥
٩

١٠

وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : لَمَّا غُزِلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ عَنِ الْأَهْوَازِ فِي أَيَّامِ
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتِ أَعْتُقِلَ بِهَا وَأُوذِيَ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَبْلَ الْوِزَارَةِ صَدِيقَهُ ،
وَكَانَ يُؤْمَلُ مِنْهُ أَنْ يُسَاحِمَهُ وَيُطْلِقَهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

عزله عن الأهواز

١٥

فَلَوْ إِذْ نَبَأَ دَهْرٌ وَأُنْكِرَ صَاحِبٌ * وَسُلِّطَ أَعْدَاءُ وَغَابَ نَصِيرٌ
تَكُونُ عَنِ الْأَهْوَازِ دَارِي بَنَجْوَةٍ * وَلَكِنْ مَقَادِيرُ جَرَتْ وَأُمُورُ
وَلَمَّا لَأَرْجُو بَعْدَ هَذَا مَحْدًا * لِأَفْضَلِ مَا يُرْجَى أَخُ وَوَزِيرُ
فَأَقَامَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَصِيدِهِ وَتَكْشِفُهُ وَالْإِسَاءَةَ إِلَيْهِ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ كُلَّ مَكْرُوهٍ ، وَأَنْفَرَجَتْ الْحَالُ
بَيْنَهُمَا عَلَى ذَلِكَ ، وَهَجَاهُ إِبْرَاهِيمَ هَجَاءً كَثِيرًا .

أرسل ابن الزيات
أبا الجهم للنكاية به

وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو عبد الله الباقراني أو الطالقاني قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال :

وجه محمد بن عبد الملك بابي الجهم أحمد بن سيف إلى الأهواز ليكشف إبراهيم ابن العباس ، فتحامل عليه تحاملاً شديداً . فكتب إبراهيم إلى محمد بن عبد الملك يعرفه ذلك ويشكوه إليه ويقول له : أبو الجهم كافر لا يُبالي ما عمل ، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت :

وأقبلت تسعى إلى واحد * ضاراً كأنني قتلْتُ الرسولا
تركت عبيد بن طاهر * وقد ملئوا الأرض عرْضا وطولا
فسوف أدين بترك الصلاة * وأصطيح الخمر صرفاً شمولاً
فكان محمد لعصبيته على إبراهيم وقصده له يقول : ليس هذا الشعر لأبي الجهم ، إنما إبراهيم قار ، ونسبه إليه .

مدح المتوكل ببنتين
وغنى بهما جعفر
ابن رفة

أخبرني أحمد بن جعفر بن رفة قال حدثني أبي قال دعاني إبراهيم بن العباس وقال : قد مدحت أمير المؤمنين المتوكل ببنتين ، فغنّ فيهما وأشعثهما ، ودعاني بطيب كثير فأعطانيه ، وخلع عليّ خلعة سرية ، فغنيت فيهما . والبيتان :

صوت

لما واحد من واحد * أولى بفضل أو مروة
من أبوة وجده * بين الخلافة والنبوة
وأشعثهما وغنى فيهما المتوكل فاستحسنهما ووصله صلة سنية .
لحن جعفر بن رفة في هذين البيتين رمل بالنصر

مدح الرضا لما
عقدت ولاية العهد
فأجازه

أخبرني محمد بن يونس الأنباري قال حدثني أبي :
أن إبراهيم بن العباس الصولي دخل على الرضا لما عقد له المأمونية وولاه
العهد، فأنشده قوله :

أزالت عزاء القلب بعد التجليد * مصارع أولاد النبي محمد

— صلى الله عليه وسلم — فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضربت باسمه . فلم
تزل عند إبراهيم ، وجعل منها مهور نسائه ، وخلف بعضها لكفنه وجهازه إلى قبره .

٢٦
٩

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو العباس بن القرات والباقراني قالا :
كان إسحاق بن إبراهيم ابن أنس زيدان صديقا لإبراهيم بن العباس ، فأنسخه
شعره في مدح الرضا ، ثم ولي إبراهيم بن العباس في أيام المتوكل ديوان الضياع ، فعزله
عن ضياع كانت بيده بخلوان ، وطالبه بمال وجب عليه ، وتباعد بينهما . فقال إسحاق
لبعض من يثق به : قل لإبراهيم بن العباس : والله لئن لم يكف عما يفعله في لأخرجن
قصيدته في الرضا يخطه إلى المتوكل . فأحجم عنه إبراهيم وتلافاه ، ووجه من أرتبع القصيدة
منه وجعله على ثقة من أنه لا يظهرها ، ثم أفرج عنه وأزال ما كان يطالبه به .

أذى إسحاق ابن
أنس زيدان فهدده
فكف عنه

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال :

نادرته في ثقبيل

راكت إبراهيم بن العباس ، فلقينا رجلا كان إبراهيم يستنقله ، فسلم عليه . فلما
مضى قال : يا أبا إسحاق إنه جرمي . فقلت : ما كان عندي إلا أنه من أهل السواد .
فضحك وقال : إنما أردت قول الشاعر :

تسائل عن أنس جرم * ثقبيل والذي خلقه

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن السخي قال حدثني الحسن بن عبد الله
الصولي قال :

كتابه في شقاعة
لرجل إلى بعض
إخوانه

٢٠

(١) كذا في جميع الأصول هنا . وقد جاء في صفحة ٥ في جميع الأصول أيضا : « أحمد بن السخي » .
وليس لدينا ما يرجح إحدى الروايتين .

كتب عَمِّي إبراهيمُ بن العباسِ شفاعَةً لرجلٍ إلى بعضِ إخوانه : فلانَ مَن يَزْكُو
شكره ، ويحسُن ذِكْرَهُ ، وَيَعْنِي أمرُهُ ، والصَّنِيعَةُ عنده واقعةٌ موقِعها ، وسالكةٌ
طريقها .

وأفضلُ ما يأتِيه ذو الدِّينِ والِحِما * لإصابةِ شكرٍ لم يَضِعْ مَعَهُ أجرُ

أخبرني عَمِّي عن أبي العِيْناء قال :

مدحه عبید الله
ابن یحیی عند
المتوكل

كان عبید الله بن یحیی يقول للتوكل : يا أمير المؤمنين ، إن إبراهيم بن العباس
فضيلةٌ خَبَّأها الله لك ، وذخيرةٌ ذَخَرها لدولتك .

وذكر عن عليّ بن یحیی :

طلب اليه المتوكل
وصف القُدور
الابراهيمية
ومجونهما في ذلك

أن المتوكل بعث إلى إبراهيم بن العباس يأمره أن يصف له القُدور
الإبراهيمية ، وكان أبتدعها ؛ فكتب له صِفَتَها ، وكتب في آخرها في ذكر الأبايزر :

”ووزن دَانِقٍ“ ونسَى أن يكتب من أي شيء . فلما وصلتُ إليه الصِّفَةُ اغْتَناظَ ثم قال
لعليّ بن یحیی : احلف بحياقي أن تقول له ما أَمَرَك به ، ففعل . فقال له : قل وزنُ
دائق من أي شيء ؟ أمِنَ بظُرِ أَمَك ! قال عليّ بن یحیی : فدخلتُ إليه فقلت : إني
جئتُك في رسالةٍ عنِ بزرعلٍ أن أؤدِّيها ؛ فقال : هاتِها ، فأدَّيتها . قال : فأرجعْ إليه وقلْ له
عني : يا سيدي ، إن عليّ بن یحیی أخِي وصديقِي وقد أدَّى الرسالة ؛ فإن رأيتَ أن تجعل
وزن الدائق من بَظُرِ أُمِّي وبَظُرِ أُمِّهِ جميعاً تفضلتَ بذلك . فقلت : قَبَّحَكَ اللهُ ! وأنا
أُيشِ ذنبي ! قال : قد أدَّيتَ الرسالة وهذا جوابُها . فدخلتُ إلى المتوكل فقال : إياه
ما قال لك ؟ فقلت : قَبَّحَكَ اللهُ ما جئتُك به ! وأخبرته بالجواب ؛ فضحك حتى خَفَضَ
برجله وجعل يَشْرِبُ عليه بَقِيَّةَ يومِهِ . وإذا لَقِيتُهُ قال لي : يا عليّ ، وزن دائق أيش !

فأقول : لعنة الله على إبراهيم .

داعب الحسن بن
وهب وشعره
في ذلك

٢٧
٩

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال :
- « دعا الحسن بن وهب إبراهيم بن العباس ؛ فقال له : أركب وأجيتك عشيّاً
فلا تنتظرنى بالغداة . فأبطأ عليه ، وأسرع الحسن في شربه فسكر ونام ، وجاء إبراهيم
فراه على تلك الحال ، فدعا بدواة وكتب :
- رُحْنَا إِلَيْكَ وَقَدْ رَاحَتْ بِكَ الرِّاحُ * وَأَسْرَعَتْ فِيكَ أَوْتَارُ وَأَقْدَاحُ .
- قال : وحدثني محمد بن موسى قال :
- نظر إبراهيم بن العباس الحسن بن وهب وهو مخمور فقال له :
- عَيْنَاكَ قَدْ حَكَمْنَا مَيِّدَ * نَكَ كَيْفَ كُنْتَ وَكَيْفَ كَانَا
وَلَرْبُ عَيْنٍ قَدْ أَرَدَ * لَكَ مَيِّتَ صَاحِبَهَا عَيْنَانَا
- فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتاً وطالبه بمثله ؛ فكتب إليه بأربعة أبيات وطالبه
بأربعين بيتاً . وأبيات إبراهيم :
- أَبَا بَعْلَى خَيْرُ قَوْلِكَ مَا * حَصَلَتْ أَنْجَعَهُ وَمُخْتَصَرَهُ
مَا عِنْدَنَا فِي الْبَيْعِ مِنْ ضَبٍّ * لَلْأُسْتَقِلَّ بِوَاحِدٍ عَشْرَهُ
أَنَا أَهْلُ ذَلِكَ غَيْرَ مُخْتَشِمٍ * أَرْضَى الْقَدِيمَ وَأَقْتَنِي أَثَرَهُ
هَذَا نَحْنُ وَفَيْنَاكَ أَرْبَعَةً * وَالْأَرْبَعُونَ لَدَيْكَ مُسْتَظَرَهُ
- أخبرني الصُّوَلِيُّ قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال :
- سمعتُ إبراهيم بن العباس وقد لبس سواده يوماً يقول : يا غلامُ هاتِ ذلكَ السيفَ
الذي ماضٍ الله به أحداً قطُّ غيرى .
- قال : وسأل يوماً عن ابن أخيه طماس وهو أحمد بن عبد الله بن العباس فقيل له :
- هو مشغول بطبيبٍ ومنجِّمٍ عنده ، وكان يستنقله ، فقال قل له يا غلام : والله مالك
في الناس طبعٌ ؛ ولا في السماء نجم ، فمالك تكلف هذا التكلُّف .

كان يستنقل ابن
أخيه وحكايات
عنه في ذلك

أخبرني الصولي قال حدثني أحمد بن السخي قال :

أمر إبراهيم بن العباس أن يجمع كل أعور يمر في الطريق ، بجمعهم ووقفهم
ونخرج ومعه طلاس ، فلما رأى العور مجتمعين قال لطلاس : كلهم مثلك ، فترك هذا
الصلف فإنه داعية إلى التلف .

أخبرني الصولي قال حدثني ميمون بن موسى قال :

قال الحسن بن وهب لإبراهيم بن العباس : تعال حتى نعد البغضاء ، قال : ابدأ بي
أولاً من أجل أني أنسى طلاس ثم ثن بمن شئت .

أخبرني الصولي قال قال جعفر بن محمود :

أمر الحسن بن
مخلد بأمر فاطما
فيه فقال شعرا

ركبت بين يدي إبراهيم بن العباس . فأمر الحسن بن مخلد بأمر فاستبطأه فيه

فنظر اليه فقال :

مُعِجِبٌ عِنْدَ نَفْسِهِ * وَهُوَ لَيْزٌ غَيْرُ مُعِجِبٍ
إِنْ أَقْلٌ لَا يَقْلُ نَعَمْ * عَاتِبٌ غَيْرُ مُعْتَبٍ
مَوْلَعٌ بِالْخِلَافِ لِي * عَامِدًا وَالتَّجَنُّبِ
قُلْتُ فِيهِ بَضْدٌ مَا * قِيلَ فِي أُمِّ جُنْدُبِ

يريد قول امرئ القيس :

”مُخْلِئٌ مُرَائِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ“

أي فأنا لا أريد أن أمر بك .

قال وأخبرني الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال :

تأدرب ابن الكلبي
عند المتوكل لما
جاء كتابه

كان المتوكل قد ولي ابن الكلبي البريد ، وأحلفه بالطلاق ألا يكتبه شيئا
من أمر الناس جميعاً ولا من أمره هو في نفسه . فكتب إليه يوماً أن أمراته

(١) - هو الحسن بن مخلد بن الجراح . تولى ديوان الضياع للمتوكل بعد موت إبراهيم بن العباس هذا . (انظر
الكلام عليه في تاريخ الطبري : ق ٣ ص ١٤٣٥ و ١٤٤٤ - ١٤٤٧ و ١٦٤٧ - ١٦٤٨) .

٢٨
٩

نحرجت مع حُبِّها في نُزْهة^(١)، وأن حُبِّها عَرَبَتْ عليها بخرحنتها في صُدْغها . فقرأه إبراهيم
ابن العباس على المتوكل ثم قال له : يا أمير المؤمنين ، قد صحَّف ابنُ الكلبي ، إنما هو :
« بخرحنتها في سُرمها »^(٢) ، فضحك المتوكل وقال : صدقت . ما أظن القصة إلا هكذا . قال :
ولم يكن ابن الكلبي هذا من العرب ، إنما كان أبوه يُلقَّب « كلب الرُّحل »
فقليل له الكلبي .

أخبرني عمي قال حدثنا ميمون بن هارون قال :

استمطافه محمد بن
عبد الملك الزيات

كتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك يستعطفه : كتبت إليك وقد
بلغت المُنْدِيَّةُ الحُزْزَ ، وَعَدَّتِ الأَيَّامُ بك عليّ ، بعد عَدْوِي بك عليها ، وكان أَسْوَأُ
ظَنِّي وأكثر خوفي ، أن تسكُنَ في وقت حركتها ، وتكفَّ عند أذاها ، فصرت على أضرِّ
منها ، وكفَّ الصديق عن نُصْرَتِي خوفاً منك ، وبادر إلى العدو تقرباً إليك .
وكتب تحت ذلك :

أخ بني وبين الدهر * برصاحب أينا غلبا

صديق ما استقام فإن * نبا دهر على نبا

وثبت على الزمان به * فعاد به وقد وثبا

ولو عاد الزمان لنا * لعاد به أخا حديبا

قال وكتب إليه : أما والله لو أمنتُ ودَّك لقلت ؛ ولكني أخاف منك عتبا
لا تنصفني فيه ، وأخشى من نفسي لائمة لا تحتملها لي . وما قد قُدر فهو كائن ،
وعن كل حادثة أحوثة . وما استبدلت بحالة كنتُ فيها مغتبطاً حالة أنا في مكروهها
وألها أشدَّ عليّ من أتى فزعت إلى ناصري عند ظلم لِحَقْنِي ، فوجدتُ من يظلمني
أحفَّ نية في ظلمي منه ، وأحمدُ الله كثيراً . ثم كتب في أسفلها :

(١) الحبة : المحبوبة . (٢) في الأصول : « سرمها » بالصاد . وهو تحريف .

(٣) كذا في معجم الأدباء لياقوت . وفي الأصول : « المحزة » .

وكنْتُ أنى بإخاء الزمان * فلما نبأ صرت حرباً عواناً
وكنْتُ أذم اليك الزمان * فأصبحتُ فيك أذم الزمانا
وكنْتُ أعدك للنسائبات * فأصبحتُ أطلب منك الأمانا

هجا محمد بن
عبد الملك وكان قد
أغرى به الواثق

أخبرني الصولي قال أخبرني الحسين بن فهم قال :

كان محمد بن عبد الملك قد أغرى الواثق بإبراهيم بن العباس ، وكان إبراهيم
يعاتبه على ذلك ويُداريه ، ثم وقف الواثق على تحامله عليه فرفع يده عنه وأمر أن
يقبل منه ما رفعه ، وردّه الى الحضرة مصوناً ، فلما أحس إبراهيم بذلك بسط
لسانه في محمد ، وحسن ما بينه وبين ابن أبي دؤاد^(١) . وهجا محمد بن عبد الملك هجاء
كثيراً ؛ منه قوله :

قدّرت فلم تضرّ عدواً بقدرية * وثمّت بها إخوانك الذلّ والرّعما
وكنّت مليئاً بالتي قد يعافها * من الناس من يأبى الدنيئة والذما

أخبرني الصولي قال حدثنا ابن السّخّي قال حدثني الحسين بن عبد الله قال :
سمعتُ إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام الطائي وقد أنشده شعراً له
في المعتصم : يا أبا تمام ، أمراء الكلام رعية لإحسانك . فقال له أبو تمام : ذلك
لأنّي استضىء بك وأردّ شريعتك .

اعتذر له إبراهيم
ابن المدبر عن أخيه
فقال شعرا

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال سمعت إبراهيم بن المدبر يقول :
جرى بين إبراهيم بن العباس وبين أخى أحمد بن المدبر شيء ، وكان يودني
دون أخى ؛ فلقيته فأعتذرتُ إليه عنه ؛ فقال لي : يا أبا إسحاق :

(١) يعني بهذا أن محمد بن عبد الملك كان يصادى أحمد بن أبي دؤاد ويهجوّه . (انظر خبر ذلك مفصلاً

في ج ٢٠ ص ٥١ من الأغاني طبع بلاق) .

صوت

خَلَّ التَّفَاقَ لِأَهْلِهِ * وَعَلَيْكَ فَاتِّمَسَّ الطَّرِيقَا
وَأَذْهَبَ بِنَفْسِكَ أَنْ تُرَى * إِلَّا عَدُوًّا أَوْ صَدِيقَا
الْغَنَاءَ لِأَبِي الْعَيْسَى .

- ٥ أَخْبَرَنِي الصُّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ :
- انصرف إبراهيم بن العباس يوما من دار المتوكل فقال لنا : أنا والله مسرور
مغموم منه . فقلنا له : وما ذاك أعزك الله ؟ قال : كان أحمد بن المذبر رفع إلى
ير المؤمنين أن بعض عمالي أقتطع مالا ، وصدق في الذي قاله ، وكنت قد رأيت
هلال الشهر ونحن مع أمير المؤمنين على وجهه فدعوت له ، وضحك إلى فقال لي :
١٠ إن أحمد قد رفع علي عاملك كذا وكذا فأصدقني عنه ؛ فضاقت على الحجّة ، وخفتُ
أن أحقق قوله إن أعترفت ، ثم لا أرجع منه إلى شيء فيعود على الغرم ، فعدلت عن
الحجّة إلى الحيلة فقلت : أنا في هذا يا أمير المؤمنين كما قلتُ فيك :

احتمال على المتوكل
لينجي بعض عماله
من العقوبة

صوت

- رَدَّ قَبْلِي وَصَدَّقَ الْأَقْوَالَ * وَأَطْبَاعَ الْوُشَاةِ وَالْعُدَّالَا
١٥ أَتْرَاهُ يَكُونُ شَهْرَ صَدُودٍ * وَعَلَى وَجْهِهِ رَأَيْتُ الْهَلَالَا
- قال : لا يكون والله ذلك بحياتي يا إبراهيم ! رَوَّ هذا الشعرَ بَنَانًا حَتَّى يُغْنِيَنِي
فيه . فقلت : نعم يا سيدي على ألا يطالب صاحبي بقول أحمد . فقال للوزير : تقبل
قول صاحبه في المال . فسُررتُ بالظفر ، وأَعْتَمِمتُ لبُطْلان هذا المال وذَهابه
: مثل هذه الحيلة ، ولعله قد جُمع في زمن طويل وتعِبَ شديد .

سرق ابن دريد
وابن الرومي من
شعره

أُنشِدْتُ عَمِّي رَحِمَهُ اللَّهُ أَيْبَاتَا لَأَبْنِ دُرَيْدٍ يَمْدَحُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ :

يَا مَنْ يُقْبَلُ كَفِّ كُلِّ مُخْزِي * هَذَا ابْنُ يَحْيَى لَيْسَ بِالْمُخْرَاقِ

قَبْلُ أَنَا مَلَهُ فَلَسْنَا أَنَا مَلَا * لَكُنْهَنْ مَفَاتِحُ الْأَرْزَاقِ

فَقَالَ : يَا بُنَيَّ هَذَا سَرَقَهُ هُوَ وَابْنُ الرُّومِيِّ جَمِيعًا مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ ؛ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ يَمْدَحُ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ * تَقَاصَرُ عَنْهَا الْأُمَلُ

فَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى * وَظَاهَرُهَا لِلْقُبُلِ

وَبَسْطَتُهَا لِلْغِنَى * وَسَطَوْتُهَا لِلْأَجَلِ

وسرقه ابن الرومي فقال :

أَصْبَحْتُ بَيْنَ خِصَاصِيَّةٍ وَمَذَلَّةٍ * وَالْحُرِّ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا

فَأَمْدُدْ إِلَى يَدَا تَعَوُّدِ بَطْنِهَا * بَلَدَ النَّدَى وَظُهُورُهَا التَّقْيِيلُ

قال ثعلب إنه كان
أشعر المحدثين

أَخْبَرَنِي الصُّوَلِيُّ قَالَ سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى ثَعْلَبًا يَقُولُ :

كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ أَشْعَرَ الْمُحَدِّثِينَ . قَالَ : وَمَا رَوَى ثَعْلَبٌ شِعْرَ كَاتِبٍ قَطُّ

خَبَرَهُ . قَالَ : وَكَأَنَّهُ يَسْتَحْسِنُ كَثِيرًا قَوْلَهُ :

لَنَا إِبِلٌ كَوْمٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا * وَيَفْتَرُّ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا

فَإِنْ دُونَهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا * وَمَنْ دُونَنَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُهَا

جَمِّي وَقَرِّي فَالْمَوْتُ دُونَ مَرَامِهَا * وَأَيْسَرُ خَطْبٍ يَوْمَ حَقِّ فَنَائُهَا

ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ هَذَا لِبَعْضِ الْأَوَائِلِ لَاسْتَجِيدَ بِهِ .

(١) الكوم : الأبل الضخمة العظيمة السنام ، الواحد أِكوم والأثنى كوما .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال سمعت الحسن بن رجاء يقول :

كَمَا بَقِيعُ الصُّلَحِ أَيَّامَ بَنِي الْمَأْمُونِ يُورَانُ بَنَاتِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ ؛ فَقَدِمَ إِبْرَاهِيمُ
ابن العباس علينا ودخل إلى الحسن بن سهل فأنشده :

لِيَهْنِكَ أَصْهَارُ أَذَلَّتْ بَعْزَهَا * خَدُودًا وَجَدَّعَتِ الْأَنْوَفَ الرَّاغِمَا

جَمَعَتْ بِهَا الشَّامِلِينَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ * وَحُزَّتْ بِهَا لِلْأَكْرَمِينَ الْأَكْرَامَا

بَنُوكَ غَدَاوَا آلَ النَّبِيِّ وَوَارِثُوَالِ * خِلَافَةِ وَالْحَاوُونَ كَسَرَى وَهَاشِمَا

فقال له الحسن : ” شَيْئَتْنِي أَعْرِفَهَا مِنْ أَنْزَمٍ “ أَيْ إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ تَمْدَحُنَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
أَحْسَنَ اللَّهُ عَنَّا جَزَاءَكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ؛ فَمَا الْكَثِيرُ مِنْ فَعَلْنَا بِكَ بِجَزَاءٍ لِلْيَسِيرِ مِنْ حَقِّكَ .

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال :
أنشدني إبراهيم بن العباس لنفسه في قينة أسمها سامر كان يهواها فغضبت عليه :
وَعَلَّمَتْنِي كَيْفَ الْهَوَى وَجَهْلَتْنِي * وَعَلَّمَكُم صَبْرِي عَلَى ظُلْمِكُم ظُلْمِي
وَأَعْلَمَ مَا لِي عِنْدَكُمْ فَيَرَدْنِي * هَوَايَ إِلَى جَهْلٍ فَأَقْصِرُ عَنْ عِلْمِي

قال شعرا في قينة
سمها ” سامر “
كان يهواها
فغضبت عليه

أخبرني الصُّبُولِيُّ قَالَ :
سَمِعْتُ عُيَيْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ يَقُولُ : لَا يُعْلَمُ لِقَدِيمٍ وَلَا لِمُحَدِّثٍ فِي قِصَرِ
الَّيْلِ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ :

شعره في قصر
الليل

(١) فم الصلح : نهر كبير فوق واسط عليه عدة قرى وفيه كانت دار الحسن بن سهل . (معجم البلدان لياقوت) .

(٢) هذا مثل ، قاله أبو أنزم الطائي وكان له ابن يقال له أنزم ؛ قيل : كان عاقا فأت وترك بنين ،

فوثبوا يوما على جدهم فأدموه ، فقال :

إِنَّ بَنِي ضَرَجُونٍ بِالْأَمِّ * شَنْشَنَةُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَنْزَمِ
* مِنْ يَلْقَى آسَادَ الرِّجَالِ يَكُفُّ *

وليلة من الليالي الزهري * قابلت فيها بدرها ببدر
لم تك غير شقي وبخر^(١) * حتى تولت وهي يكر الدهر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن بشر المرندي قال :
كان إبراهيم بن العباس يوماً عند أحمد بن أبي دؤاد، فلما خرج من عنده لقيه محمد
ابن عبد الملك الزيات وهو خارج من داره؛ فتبين إبراهيم في وجه محمد الغضب فلم
يخاطبه في العاجل بشيء، فلما أنصرف إلى منزله كتب إليه :

دعني أوصل من قطع * ست يراك بي إذ لا يراكا
إني متى أجزر لهج * رك لا أضربه سواكا
وإذا قطعك في أخيد * لك قطعت فيك غداً أخاكا
حتى أرى متقسماً * يومئذ لغدي لذاكا

مسح السداد بكم
نوبه وشعره
في ذلك

٣١
٩

أخبرني الصولي قال حدثني أبو العيناء قال :
كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً، فنقط من القلم نقطة مفسدة
فمسحها بكمه؛ فتمجبت من ذلك؛ فقال : لا تعجب، المال فرع والقلم أصل،
ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب، والأصل أخرج إلى المراعاة من الفرع .
ثم فكر قليلاً وقال :

إذا ما الفكر ولد حسن لفظ * وأسلمه الوجود إلى البيان
ووشاه فتمنمه^(٢) مسد * فصيح في المقال بلا لسان
تري حلل البيان منشرات * تجلّ بينها صور المعاني

(١) في نسخة : « وبدر » . (٢) مسد : مصيب السداد .

اتهمه المأمون
بإفشاء سر مقتل
الفضل بن سهل
ثم عفا عنه بشفاعه
هشام الخطيب

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن صالح بن النطاح قال :
لما عزم المأجئون على الفتك بالفضل بن سهل ، وندب له عبد العزيز بن عمران
الطائي ، ومؤنس البصري ، وخلفا المصري ، وعلى بن أبي سعد ذا القلمين ، وسراجا
الخادم ، ثمى الخبر إلى الفضل ، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه . فلما قُتل الفضل وقتل المأمون
قتلته ، سأل من أين سقط الخبر إلى الفضل ؟ فعرف أنه من جهة إبراهيم بن العباس ، فطلبه
فاستتره . وكان إبراهيم عرف هذا الخبر من جهة عبد العزيز بن عمران ، وكان الفضل
استكتب إبراهيم لعبد العزيز بن عمران ، فأخبر به الفضل . قال : وتعمل إبراهيم بالناس
على المأمون ، وجرّد في أمره هشاما الخطيب المعروف بالعباسي . وكان خريثا على المأمون
لأنه رباه ، وتخصّص إليه إلى نهراسان في فتنة إبراهيم بن المهدي ، فلم يجبه المأمون إلى
ماسأل . فلقبه إبراهيم مستترا وسأله عما عمل في حاجته . فقال له هشام : قد وعدني
في أمرك بما تحب . فقال له إبراهيم : أظن أن الأمر على غير هذا ! قال : وما تظن ؟
قال : محلك عند أمير المؤمنين أجل من أن يعدك شيئا فترضى بتأخيرته ، وهو أكرم
من أن يعد مثلك شيئا فيؤخره ، ولكبك ممعت ما لا تحب في فكرهت أن تمنني
به فقلت لي هذا القول ، وأحسن الله على كل الأحوال جزاءك ، فمضى هشام إلى
المأمون فعرفه خبر إبراهيم ، فعجب من فطنته وعفا عنه . قال : وفي هشام يقول إبراهيم

ابن العباس :

مَنْ بَكَاتِ الْأَمْوَالَ دُنْخَرًا لَهُ * فَلَمْ تُنْخَرْ أَمْلِي فِي هِشَامِ

فَتَى يَتَى الْإِلَامَةَ عَنْ عِرْصَتِهِ * وَأَنْهَبَ الْمَالَ قَبِيضَاءَ الدِّمَامِ

(١) راجع الطبري في هذه القصة (٣٠٧ ص ١٠٢٥ - ١٠٢٨) فيها اختلاف عما هنا .

مدح الفضل بن
سهل

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسين بن أبي البغل قال :

دخل إبراهيم بن العباس على الفضل بن سهل فاستأذنه في الإنشاد ، فقال
هايت ، فأنشده :

يُمِضِي الْأُمُورَ عَلَى بَدِيهِتِهِ * وَتُرِيهِ فَكْرُهُ عَوَاقِبَهَا
فِيظُلِّ يُصِيدُهَا وَيُورِدُهَا * فَيَمُحُّ حَاضِرَهَا وَغَائِبَهَا
وَإِذَا الْمَلَأَتْ صَبْعُهُ عَظُمَتْ * فِيهَا الرِّزْيَةُ كَانَ صَاحِبَهَا
الْمُسْتَقِلَّ بِهَا وَقَدْ رَسَبَتْ * وَلَوْثَ عَلَى الْأَيَّامِ جَانِبَهَا
وَعَدَلَتْهَا بِالْحَقِّ فَأَعْتَدَلَتْ * وَوَسَّعَتْ رَاغِبَهَا وَرَاهِبَهَا
وَإِذَا الْحُرُوبُ غَلَّتْ بَعَثَتْهَا * رَأْيَا تَقُلُّ بِهِ كِتَابَهَا
رَأْيَا إِذَا نَبَتِ السِّيُوفُ مَضَى * عَزَمُ بِهَا فَشَفَى مَضَارِبَهَا
أَجْرَى إِلَى فِتْنَةٍ بِدَوْلَتِهَا * وَأَقَامَ فِي أُخْرَى تَوَادِبَهَا
وَإِذَا الْخُطُوبُ تَأَلَّفَتْ وَرَسَتْ * هَدَّتْ فَوَاصِلُهُ نَوَائِبَهَا
وَإِذَا جَرَتْ بِضَمِيرِهِ يَدُهُ * أَبَدَتْ بِهِ الدُّنْيَا مَنَاقِبَهَا
وَأَنشَدَنِي عَمِّي لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ فِي الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ وَفِيهِ غِنَاءٌ :

صوت

فَلَوْ كَانَ لِلشَّكْرِ شَخْصٌ بَيِّنٌ * إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاطِرُ
لَمُنْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ * فَتَعْلَمَ أَنِّي أَمْرٌ شَاكِرٌ

الغناء لأبي العيَّسٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ . وفيه لَرَدَاذُ ثَانِي ثَقِيلٌ . حدثني أبو يعقوب إسحاق بن
يعقوب النُّوَيْجَتِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ عُمُومَتِي وَأَهْلِنَا أَنَّ رَدَاذًا صَنَعَ فِي هَذَيْنِ
الْبَيْتَيْنِ لَحْنًا أُعْجِبَ بِهِ النَّاسُ وَاسْتَحْسَنُوهُ ، فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ صَنَعَ فِيهِ أَبُو الْعَيْسِ لَحْنًا
آخَرَ ، فَسَقَطَ لَحْنُ رَدَاذٍ وَأَخْتَارَ النَّاسُ لَحْنَ أَبِي الْعَيْسِ .

مدح المتوكل
رؤلة اليهود
فأجازوه

أخبرني حنظلة قال حدثني ميمون بن هارون قال :

لَمَّا عَقَدَ الْمُتَوَكِّلُ لَوْلَاةَ الْيَهُودِ مِنْ وَلَدِهِ رَكِبَ بُسْرٌ مِّنْ رَّأْيِ رَكْبَةٍ لَمْ يُرَ أَحْسَنُ
مِنْهَا، وَرَكِبَ وَلَاةُ الْيَهُودِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْأَتْرَاكُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَوْلَادُهُمْ يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْ
الْمُتَوَكِّلِ بِمَنَاطِقِ الذَّهَبِ ، فِي أَيْدِيهِمُ الطَّبْرِزِيَّاتُ الْمُحَلَّلَةُ بِالذَّهَبِ ، ثُمَّ نَزَلَ فِي الْمَاءِ
بِغُلَسٍ فِيهِ وَالْحَيْشُ مَعَهُ فِي الْجَوَانِحِيَّاتِ وَسَائِرِ السُّفُنِ ، وَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ فِي الْقَصْرِ
الَّذِي يَقَالُ لَهُ الْعَرُوسُ ، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا إِلَيْهِ . فَلَمَّا تَكَامَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، مَثَلَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ بَيْنَ الصِّقِّينِ ، فَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنشَادِ فَأَذِنَ لَهُ ، فَقَالَ :
وَلَمَّا بَدَأَ جَعْفَرٌ فِي الْحَمْدِ * سَسَّ بَيْنَ الْمَطَلِّ وَبَيْنَ الْعَرُوسِ
بَدَأَ لَابَسًا بِهِمَا حُلَّةً * أَزِيلَتْ بِهَا طَالَعَاتُ النَّحُوسِ
وَلَمَّا بَدَأَ بَيْنَ أَحِبَّابِهِ * وَلَوْلَاةِ الْيَهُودِ وَعَزَّ النَّفُوسِ
غَدَا قَمْرًا بَيْنَ أَقْصَارِهِ * وَشَمْسًا مُكَلَّلَةً بِالشُّمُوسِ
لَا يَنَادُ نَارٍ وَلَا طِفَائِهَا * وَيَوْمَ أَنْيَقِي وَيَوْمَ عَبَّوسِ

ثم أقبل على ولادة اليهود فقال :

أَضْحَتْ عَرَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مَنُوطَةٌ * بِالنَّصْرِ وَالْإِعْزَازِ وَالتَّأْيِيدِ
بِخَلِيفَةٍ مِنْ هَاشِمٍ وَثَلَاثَةٍ * كَتَفُوا الْخِلَافَةَ مِنْ وَلَاةِ عَهْدِ
قَمَرٍ تَوَافَتْ حَوْلَهُ أَقْصَارُهُ * فَخَفَقْنَ مَطْلَعَ سَعْدِهِ بِسَعْدِ
رَفَعَتِهِمُ الْأَيَّامُ وَارْتَفَعُوا بِهِ * فَسَعَوْا بِأَكْرَمِ أَنْفُسٍ وَجُدُودِ
قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ الْمُتَوَكِّلُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَمَرَ لَهُ وَلَوْلَاةَ الْيَهُودِ بِمِثْلِهَا .

(١) الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الطبر (الفأس) أو هو الطبر بعينه . وهذا أصح لأن أصل معناه
الطبر المعلق في المرج . فالفرس كان من عادتهم أن يعلقوا الطبر في السروج . (كتاب الألفاظ الفارسية
المعربة) . (٢) الجوانحيات : نوع من السفن كما هو ظاهر من السياق . (٣) المطل :
اسم مكان أو قصر ، كما هو ظاهر من السياق . ولم تقف عليه فيما بين أيدينا من معجمات البلدان .

أخبرني عمي قال : اجتمعت أنا وهارون بن محمد بن عبد الملك وأبن برد الخيار
في مجلس عبيد الله بن سليمان قبل وزارته ، فجعل هارون ينشد من أشعار أبيه
محاسنها ، ويفضلها ويقدمها . فقال له أبن برد الخيار : إن كان لأبيك مثل قول
إبراهيم بن العباس :

أسد ضار إذا هيجته * وأب بر إذا ما قدرا

يعرف الأبعد إن أثرى ولا * يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

أو مثل قوله :

تلج السنون بيوتهم وترى لهم * عن جاريتهم أزورار منا كب

وتراهم بسيفهم وشفارهم * مستشرقين لراغب أوراها

حامين أوقارين حيث لقيتهم * نهب العفاة ونهزة للراغب

فأذكركه وأنخربه ، وإلا فأقلل من الاقتحار والتطاول بما لا طائل فيه ، فنجعل هارون .

وقال عبيد الله بن سليمان : لعمري ما في الكتاب أشعر من أبي إسحاق وأبي علي ،

(يعني عمه الحسن بن وهب) ثم أمر بعض مكاتبه بكتب المقطوعتين اللتين أنشدهما

أبن برد الخيار .

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يهني الحسن بن سهل
بصهر المأمون :
هنا الحسن بن سهل بصهر المأمون

هتكت أكرمة جللت نعمتها * أعلت وليك واجتنت أعاديكا

ما كان يحيا بها إلا الإمام وما * كانت إذا قرنت بالحق تعدوكا

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني أبو محمد الحسن
ابن مخلد قال :
هنا محمد بن عبد الملك الزيات

(١) كذا في جميع الأصول ولعلها « يحبو » .

أودعَ محمد بن عبد الملك الزيات مالا عظيما وجوهرا نفيسا، وقد رأى
تغيرا من الواثق نخافه وفترق ذلك في ثقافته من أهل الكرخ ومعامله من التجار. وكان
إبراهيم بن العباس يُعاديهِ ويرصد له بالمكاره لإساءته إليه، فقال أبياتا وأشاعها حتى
بلغت الواثق يُغريه به :

- ٥ نصيحة شأها وزير * مستحفظ سارق مغير
ودائع جمّة عظام * قد أسبلت دونها الستور
تسعة آلاف ألف ألف * خلاها جوهرا خطير
يجانب الكرخ عند قويم * أنت بما عندهم خير
والملك اليوم في أمور * تحدث من بعدها أمور
١٠ قد شغلته محقرات^(١) * وصاحب الكارة الوزير

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يمدح المعتز وفيه غناء :

مدح المعتز شعر

صوت

- ١٥ سحر محاجر الحديقة * مليح والذي خلقه
سواء في رباته * مجانبه ومن عشقه
لعيني في محاسنه * رياض محاسن أنفه
فأحيانا أزهها * وطورا في ديم غرقه

يقول فيها في مدح المعتز بالله :

- ٢٠ فيا قمرأ أضاء لنا * يلا لئ نوره أفقه
يشبهه سنا المعتز * ذو مقة إذا رمقه
أمير قلد الرحم * من أمر عباده عقه

(١) الكارة : ما يجمع ويشد، ويعنى بها السرة التي فيها المال .

٣٤
٩

وفَضَّله وطَيَّبه * وطَهَّرَ في الوري خُلُقَه

في الأربعة الأبيات الأول رَمَلُ ذكر الهشامى أنه لابن القَصَّار، ووجدته في بعض الكتب لَعَرِيب .

هنا أحمد بن المدبر
وكان يحرض عليه
فقال شعرا

أَنشدني الأَخفش لإبراهيم بن العباس يقولها لأحمد بن المدبر وقد جاءه
بعد خلاصه من النكبة مهتئا ، وكان استعان به في أمر نكبته فقعده عنه ، وبلغه أنه
كان يحرض عليه ابن الزيات :

وكنْتَ أُنحى بالدهر حتى إذا نَبَا * نَبَوْتَ فلما عاد عُدْتَ مع الدهر
فلا يومَ إقبالٍ عَدَدْتُكَ طائِلا * ولا يومَ إدبارٍ عَدَدْتُكَ في وَثَر
وما كنتَ إلَّا مثلَ أحلامٍ نائمٍ * كَلَّا حَالَتِكَ من وفاءٍ ومن غَدَر

عائبه ابن المدبر
فقال شعرا

وأَنشدني الصولي له في أحمد بن المدبر أيضا وقد عائبه أحمد بن المدبر على
شئ بلغه فقال :

هَبِ الزَّمانَ رمانى * الشَّانُ في الحِلانِ
فيمَنَ رمانى لَمَّا * رأى الزَّمانَ رمانى
ومن دَنَحَتْ لِنَفْسِي * فصار دُخْرُ الزَّمانِ
لو قيل لى خُذْ أماناً * من أعظمِ الحَدَثانِ
لَمَّا أخذتُ أماناً * إلَّا من الإخوانِ

ومن أخبار المعتضد بالله الجارية مجرى هذا الكتاب

المتنضد وغلامه
بدر

حدَّثني عمي عن جدِّي رحمهما الله قال قال لى عبيد الله بن سليمان ، وكان
يأْسُ بى أنسا شديداً لقديم الصُّحبة وأتلاف المَنشأ : دطاني المعتضد يوما فقال :

أَلَا تُعَاتِبُ بَدْرًا عَلَى مَا لَا يَزَالُ يَسْتَعْمَلُهُ مِنَ التَّخَرُّقِ فِي النَّفَقَاتِ وَالْإِمْنَابَاتِ وَالزِّيَادَاتِ
وَالصَّلَاتِ ! وَجَعَلَ يُؤَكِّدُ الْقَوْلَ عَلَى- فِي ذَلِكَ ؛ فَلَمْ أَخْرَجْ عَنْ حَضْرَتِهِ حَتَّى دَخَلَ إِلَيْهِ
بَدْرٌ فَعَلَّ يَسْتَأْمِرُهُ فِي إِطْلَاقَاتِ مُسِيرَةٍ وَنَفَقَاتِ وَاسِعَةٍ وَصِلَاتِ سَنِيَّةٍ وَهُوَ يَأْذَنُ لَهُ
فِي ذَلِكَ كُلِّهِ . فَلَمَّا خَرَجَ رَأَى فِي وَجْهِهِ إِنْكَارًا لِمَا فَعَلَهُ بَعْدَ مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ؛
فَقَالَ لِي : يَا عُبَيْدُ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتُ مَا فِي نَفْسِكَ ، وَأَنَا وَإِيَّاهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

صوت

فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَحْوَ إِسَاءَتَهُ * مِنْ الْقُلُوبِ مَطَاعٌ حَيْثَا شَفَعَا
مُسْتَقْبَلٌ بِالَّذِي يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ * مِنْهُ الْإِسَاءَةُ مَغْفُورٌ لِمَا صَنَعَا
وَفِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ خَفِيفُ رَمَلٍ .

١٠ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قُرَيْضٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ :
غَنَيْتُ الْمُعْتَصِدَ :

كَانَ الْمُعْتَصِدُ
يَطْرِبُ لِفَنَاءِ ابْنِ
الْعَلَاءِ فِي شَعْرِ
الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ

كَلَّلَانِي تَوَّجَانِي * وَبَشَعْرِي غَنِيَانِي ^(٢)

أَطْلِقَانِي مِنْ وَثَاقِي * وَأَشْدُدَانِي بَعْنَانِي

فَاسْتَحْسَنَهُ جَدًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي : وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ ! أَمَا تَرَى زَهْوَ الْمَلِكِ فِي شَعْرِهِ وَقَوْلِهِ :

١٥ كَلَّلَانِي تَوَّجَانِي * وَبَشَعْرِي غَنِيَانِي

وَأَسْتَعَادَهُ مِرَارًا ، ثُمَّ وَصَلَنِي كُلَّ مَرَّةٍ أَسْتَعَادَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَمَا وَصَلَ بِهَا مَغْنِيًّا
قَبْلِي وَلَا بَعْدِي . قَالَ : وَأَسْتَعَادَهُ مَنِيَّ سِتِّ مَرَّاتٍ وَوَهَبَ لِي سِتِّينَ أَلْفًا . وَقَالَ
النُّشْجَانِي : بَلْ وَصَلَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ مَرَّةً وَاحِدَةً .

٣٥
٩

(١) كَانَ بَدْرٌ هَذَا غُلَامَ الْمُعْتَصِدِ ، وَلَاهُ الشَّرْطَةُ يَوْمَ وَلِيَ الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ وَلَاهُ بِمَدْيَنَ فَارَسَ . (انظر تاريخ
ابن الأثير ص ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ج ٧) . قَتَلَهُ الْمَكْنِي سَنَةَ ٢٨٩ لَأَنَّهُ أَبَى أَنْتَ
يَا بَعْدَهُ . (انظر سبب مقتله بِاسْمِهَا فِي تَارِيخِ الطُّلُوعِ ق ٣ ص ٢٢٠٩ — ٢٢١٦) .
(٢) هَذَا مِنْ شَعْرِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ (انظر ج ٧ ص ٩٣ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ) .

صنعة أولاد الخلفاء الذكور منهم والإناث

(١) فأولم وأتقنهم صنعة وأشهرهم ذكراً في الغناء إبراهيم بن المهدي؛ فإنه كان يتحقق به تحقفاً شديداً ويتبدل نفسه ولا يستتر منه ولا يُحاشى أحداً. وكان في أول أمره لا يفعل ذلك إلا من وراء ستر وعلى حال تصون عنه وترفع، إلا أن يدعو إليه الزشيد في خلوة والأمين بعده. فلما أئمنه المأمون تهتك بالغناء وشرب النبيذ بحضرته والخروج من عنده تملأ ومع المغنين، خوفاً منه وإظهاراً له أنه قد خلع ربة الخلافة من عنقه وهتك ستره فيها حتى صار لا يصلح لها. وكان من أعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات وأطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتاً. وهو من المعدودين في طيب الصوت خاصة؛ فإن المعدودين منهم في الدولة العباسية: ابن جامع وعمرو بن أبي الككات وإبراهيم ابن المهدي، ومُخارق. وهؤلاء من الطبقة الأولى، وإن كان بعضهم يتقدم. وكان إبراهيم مع علمه وطبعه مقصراً عن أداء الغناء القديم وعن أن ينحوه في صنعته، فكان يحذف نغم الأغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً ويخففها على قدر ما يصلح له ويفي بأدائه. فإذا عيب ذلك عليه قال: أنا ملك وابن ملك، أغنى كما أشتى وعلى ما ألتذ. فهو أول من أفسد الغناء القديم، وجعل للناس طريقاً إلى الجسارة على تغييره. فآل الناس إلى الآن صنفان: من كان منهم على مذهب إسحاق وأصحابه ممن كان يُنكر تغيير الغناء القديم ويُعظم الإقدام عليه ويعيب من فعله، فهو يغني الغناء القديم على جهته أو قريباً منها. ومن أخذ بمذهب إبراهيم بن المهدي أو اقتدى به مثل مُخارق وشارية وريق ومن أخذ عن هؤلاء إنما يغني الغناء القديم كما

(١) كذا في الأصول. ولعلها « يخفى به تحفياً... الخ ».

(٢) في الأصول: « ما أصلح له » وهو تحريف.

- يشتهى هؤلاء لا كما غناه من يُنسب إليه، ويحد على ذلك مساعدين ممن يشتهى أن يُقرب عليه ما أخذ الغناء ويكره ما ثقل وثقلت أدواره، ويستطيل الزمان في أخذ الغناء الجليد على جهته يقصر معرفته . وهذا إذا أطرد فلأما الصنعة لمن غنى في هذا الوقت لا للتقدمين ؛ لأنهم إذا غيروا ما أخذوه كما يرون وقد غيره من أخذوه عنه وأخذ ذلك أيضا ممن غيره، حتى يمتضى على هذا خمس طبقات أو نحوها، لم يتأد إلى الناس (١) في عصرنا هذا من جهة الطبقة غناء قديم على الحقيقة البتة . ومن أفسد هذا الجنس خاصة بنو حمدون بن إسماعيل فإن أصلهم فيه مخارق، وما نفع الله أحدا قط بما أخذ عنه، وزرياب الوائقي فإنها كانت بهذه الصورة تُغير الغناء كما تريد، وجواري شارية ورقي . فهذه الطبقة على ما ذكرت . ومن عداهم من الدور بمثل دور عريب ودور جواريا والقاسم بن زر زور وولده ودور بذل الكبرى ومن أخذ عنها، ١٠ وجواري البرامكة وآل هاشم وآل يحيى بن معاذ ودور آل الربيع ومن جرى مجراهم ممن تمسك بالغناء القديم وحمله كما سمعه، فعسى أن يكون قد بقي ممن أخذ بذلك (٢) المذهب قليل من كثير، وعلى أن الجميع من الصحيح والمغير قد آنقضى في عصرنا هذا. فن مشهور غناء إبراهيم بن المهدي :

$$\frac{٣٦}{٧}$$

صوت

١٥

- هل تطمسون من السماء نجومها * بأكفكم أو تسترون هلالها
أو تدفعون مقالة من ربكم * جبريل بلغها النبي فقالها
طرقتك زائرة فخي خيالها * زهراء تخط بالدلال جمالها
الشعر لروان بن أبي حفصة . والغناء لإبراهيم بن المهدي، ثقل أول بالنصر، وذكر حبش أن فيه لابن جامع لحنًا ماخوريا . ٢٠

(١) في الأصول : « قلم » . (٢) لعله : « مثل » . (٣) لعله : « فقد » .
(٤) لعله : « على » .

أخبار مروان بن أبي حفصة ونسبه

- هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . ويكنى أبا السَّمُط . وأسم
أبي حفصة يزيد . وذكر التَّوْفَلِي عن أبيه أنه كان يهودياً ، فأسلم على يَدَي مَرْوَانَ بْنِ
الحَكَم . وأهلُه يُنكرون ذلك ويذكرون أنه من سَبِي إِصْطَخَر^(١) ، وأنَّ عِثَانَ اشْتَرَاهُ فَوَهَبَهُ
لمروان بن الحكم . وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ سُلَيْمَانَ
ابن يحيى بن أبي حفصة بِمِثْلِ ذَلِكَ . قال : وشَهِدَ أَبُو حَفْصَةَ الدَّارَ مَعَ مَوْلَاهُ مَرْوَانَ^(٢)
ابن الحكم ، وَقَاتَلَ قِتَالاً شَدِيداً وَقَتَلَ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ يُقَالُ لَهُ بَنَان . وَجُرِحَ مَرْوَانُ يَوْمَئِذٍ ،
أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ قَطَعَتْ عِلْبَاهُ فَسَقَطَ ، فَوُثِبَ عَلَيْهِ أَبُو حَفْصَةَ وَأَحْتَمَلَهُ ، بِفَعْلٍ يَحْمِلُهُ^(٣)
مَرَّةً عَلَى عُنْقِهِ وَمَرَّةً يَحْمِلُهُ ، فَيَتَأَوَّهُ ، فيقول له : أَسْكُتْ وَأَصْبِرْ ، فَإِنَّهُ إِنْ عَلِمُوا أَنَّكَ حَيٌّ
قُتِلْتَ . فلم يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَدْخَلَهُ دَارَ أَمْرَأَةٍ مِنْ عَتَرَةِ قَدَاوَاهُ فِيهَا حَتَّى بَرِيَ ، فَأَعْتَقَهُ مَرْوَانُ
وَنَزَلَ لَهُ عَنْ أُمِّ وَلَدِهِ . يُقَالُ لَهَا سُكَّرُ كَانَتْ لَهُ مِنْهَا بِنْتُ يُقَالُ لَهَا حَفْصَةُ ، فَحَضَنَهَا ،
فَكَتَبَنِي أَبُو حَفْصَةَ ، فَحَفْصَةُ بِنْتُ مَرْوَانَ . قال : وكان مروان إذا وليَ الْمَدِينَةَ وَجَّهَ
أَبَا حَفْصَةَ إِلَى الْيَمَامَةِ — وَكَانَتْ مُضَافَةً إِلَى الْمَدِينَةِ — لِيَجْمَعَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَالِ وَيَحْمِلَهُ
إِلَيْهِ . قال : فَمَثَرُ أَبُو حَفْصَةَ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْيَمَامَةِ يُقَالُ لَهَا الْعَرِضُ ، فَوَقَفَ عَلَى بَابِ
فَأَسْتَسْقَى مَاءً ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ مُعَصَّرُفَسَّقَتُهُ فَأَعْجَبَتْهُ ، فَسَأَلَ عَنْهَا لِيَشْتَرِيَهَا ، فَقِيلَ لَهُ :
هِيَ حُرَّةٌ ، وَهِيَ مَوْلَاةٌ لِبَنِي طَامِرِ بْنِ حَنِيفَةَ . فَمَضَى حَتَّى قَدِمَ حَجْرًا ، ثُمَّ تَبِعَتْهَا نَفْسُهُ^(٤)

(١) إِصْطَخَر : بِلَادَةُ بَفَارِسَ ، وَهِيَ مِنْ أَعْيَانِ حَصُونِهَا وَمَدَنِيهَا . (٢) يَرِيدُ دَارَ عِثَانَ بْنِ عِفَانَ
ضَى اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَوْمَ هَاجَتِ الْفِتْنَةُ عَلَيْهِ لَزِمَ دَارَهُ فَخَصَرُوهُ فِيهَا حَتَّى قَتَلُوهُ وَسَمِي ذَلِكَ
يَوْمَ الدَّارِ . (٣) الْعِلْبَاءُ : عَصَبَةُ صَفْرَاءَ فِي صَفْحَةِ الْعُنُقِ . (٤) أَجْصَرَتِ الْمَرْأَةُ : بَلَغَتْ عَهْدَ
شِبَابِهَا وَأَدْرَكَتْ . (٥) حَجْر : حَاضِرَةُ الْيَمَامَةِ .

نسبه وثبت من
أخبار آبائه

جده أبو حفصة
وأخبره

فترجها، فلم يخرج من اليمامة حتى حملت يحيى بن أبي حفصة، ثم حملت بمحمد ثم بعبد الله ثم بعبد العزيز . فلما وقعت فتنة ابن الزبير خرج أبو حفصة مع مروان إلى الشام .

- قال محمد بن إدريس وحديثي أبي قال كان مروان بن أبي الجنبوب يقول :
- أُمُّ يَحْيَى بْنِ أَبِي حَفْصَةَ لَحْنَاءُ بِنْتُ مَيْمُونٍ مِنْ وَلَدِ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ^(١)، وَإِنَّ الشَّعْرَ أَتَى
 آلَ أَبِي حَفْصَةَ بِذَلِكَ السَّبَبِ . قال : وشهد أبو حفصة مع مروان يوم الجمل وقاتل قتالا شديدا . فلما ظفر على بن أبي طالب رضى الله عنه، لجأ مروان إلى مالك بن مسعم فدخل داره ومعه أبو حفصة، فقال لمالك : أغلق بابك . فقال له مالك : إن لم أمتعك والباب مفتوح لم أمتعك والباب مغلق . فطلب علي رضى الله عنه مروان منه، فلم يدفعه إليه إلا برهينة، فدفع مالك الرهينة إلى أبي حفصة، ومضى . ١٠
- مروان إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه، وقال لأبي حفصة : إن حدثت بصاحبت فعليك بالرهينة . فلما أتى مروان عليا كساه كسوة، فكساها مروان أبا حفصة، فغدا فيها أبو حفصة . وبلغ عليا رضى الله عنه ذلك فغضب وقال : كسوته كسوة فكساها عبدا ! . وشهد أبو حفصة مع مروان مرج راهط، وكان له بلاء . وكان أبو حفصة شاعرا .

٣٧
٩

- قال أبو أحمد قال لي محمد بن إدريس أخبرني أبي أن أبا السَّمُطِ مروان بن أبي الجنبوب أنشده لأبي حفصة يوم الدار :
- وَمَا قُلْتُ يَوْمَ الدَّارِ لِلْقَوْمِ صَالِحُوا * أَجَلٌ لَّا، وَلَا آخَرْتُ الْحَيَاةَ عَلَى الْقَتْلِ
 وَلَكِنِّي قَدْ قُلْتُ لِلْقَوْمِ جَالِدُوا * بِأَسْيَافِكُمْ لَا يُخَلِّصَنَّ إِلَى الْكَهَلِ

(١) في ابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٣) : « حيا بنت ميمون » . (٢) مرج راهط :
 في غوطة دمشق من ناحية الشرق، وفيه كانت الواقعة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس داعية ابن الزبير، فقتل مروان فيها الضحاك وخلصت له الخلافة .

قال : وأنشدني لأبي حفصة أيضا :

لستُ على الزحام بالأصر^(١) * إني لورادُ حياضِ الشرِّ
* معاودُ للكرِّ بعدَ الكرِّ *

قال يحيى وأخبرني محمد بن إدريس قال :

عُكْلٌ تدعى أنَّ أبا حفصة منهم ، يقولون : هو من كَنَانَةَ بن عَوْف بن
عبد مَنَاة بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وقد كانوا استعدوا عليه مروان
ابن الحكم ، وقالوا : إنما باعته عُمته لمجاعة ؛ فأبى هو أن يُقرَّ لهم بذلك .
ثم استعدوا عليه عبد الملك بن مروان أيضا ؛ فأبى إلا أنه رجل من العجم من سبي
فارس ، نشأ في عُكْل وهو صغير . قال محمد بن إدريس : وولَدَ السَّمُوعِل بن عادياء
يَدْعُونَهُ ، والسَّمُوعِل من غَسَّان . قال محمد : وزعم أهل اليمامة وعُكْلٌ وغيرهم أنَّ ثلاثة
نَفَرٍ أتوا مروان بن الحكم وهم أبو حفصة ورجل من تميم ورجل من سليم ، فباعوا
أنفسهم منه في مجاعة نالتهم ؛ فاستعدى أهل بيوتاتهم عليهم ، فأقرَّ أحدهم وهو السُّلَمِيُّ
أنه إنما أتى مروان فباعه نفسه وأنه من العرب ؛ فدنس إليه مروان من قتله .
فلما رأى ذلك الآخران ثَبَّتَا على أنهما مَوَلِيَّان لمروان . فأخبرني الحسن بن علي قال
حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : زعم المدائني أنه كان لأبي حفصة ابن يُقال
له مروان سَمَّاهُ مروان بن الحكم بأسمه ، وليس بالشاعر ، وأنه كان شجاعاً مجزباً ، وأمدَّ
به عبد الملك بن مروان المجتاج وقال له : قد بعثنا إليك مولاي ابن أبي حفصة
وهو يَعْدِل ألف رجل . فشهد معه محاربة ابن الأشعث ، فأبلى بلاءً حسناً وعُفِرَتْ تحتَه
عدةٌ خيول ، فأحتسب بها المجتاجُ عليه من عطائه . فشكاه إلى عبد الملك وذمَّ المجتاجُ
عنده ؛ فعوضه مكان ما أغرمه المجتاجُ . وكان يحيى جدَّ مروان بن سليمان جواداً مُمدِّحاً .

(١) من الصرير يقال : صر الرجل إذا صاح صياحاً شديداً .

أخبرنا محمد العباس اليزيدي قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال :

جرير يودع ابنه يحيى بن أبي حفصة

أراد جرير أن يوجه ابنه بلال بن جرير إلى الشام في بعض أمره ، فأتى يحيى ابن أبي حفصة فأودعه إياه ، ثم بلغ بلالاً أن بعض بني أمية يريد الخروج ، فقال لأبيه : لو كلفت هذا القرشي أمرى ! فقال له جرير :

أزاداً سوى يحيى تريد وصاحباً * ألا لى يحيى نعم زاد المسافر
وما تأمن الوجناء وقعة سيفه * إذا أنقضوا^(١) أو قل ما في الغرائر

٣٨
٩

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني الحسن بن علي العنزي قال :

يحيى بن أبي حفصة
يتزوج بنت زياد
بن هودة

تزوج يحيى بن أبي حفصة بنت زياد بن هودة بن شماس بن لائى بن أنف النافقة ؛

- ١٠ فاستعدي عليه عماها عبد الملك بن مروان وقالوا : أينك إبراهيم بن عدي وهو من كنانة منك واليك بنتها ، وينك هذا العبد هذه ! . فقال عبد الملك : بل العبد ابن العبد والله إبراهيم بن عدي — وكان مغموماً في النسب في الإسلام — والله لهذا أشرف منه ، وإن لأبيه من البلاء في الإسلام ما ليس لأبيها ولا لأبيكها ، وما أحب أن لى يحيى ألفاً منك . والله لو تزوج بنت قيس بن عاصم ما نزعته منه . ومن زوجه فقد زوج أبني هذا ، وأشار إلى ابنه سليمان . فخرجا وتحلف يحيى بعدهما ؛
- ١٥ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنهما قد أنضيا ركبهما وأخلفا ثيابهما والتزما مؤونة في سفرهما ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعوضهما عوضاً ! فقال : أبعد ما قال فيك ! ! قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : بل أعطيك أنت ما سألت لهما وتُعطيها ما شئت . فكساه ووصله وحمله . فخرج يحيى اليهما ففرق ذلك عليهما ، وزوج ابنه سليمان بنت أحدهما ، وولدت بنت زياد منه أولاداً .
- ٢٠

(١) الوجناء : الناقة الشديدة . وأنقض القوم : أرموا ، وقيل هلكت أموالهم وفقى زادهم .

يحيى بن الوليد بن
عبد الملك ويعزیه

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الفضل اليزيدي قال حدثني
إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال :

دخل يحيى بن أبي حفصة على الوليد بن عبد الملك لما بُوع له بالخلافة بعد
أبيه، فهناه وعزاه وأنشده :

إك المنايا لا تغادر واحدا * يمشى بسيرته ولا ذا جنة
لو كان خالق المنايا مقلتا * كان الخليفة مقلتا منهنه
بكت المنابر يوم مات وإنما * بكت المنابر فقد فارسهنه
لما علاهن الوليد خليفة * قلن أبنه ونظيره فسكنه
لو غيره قرع المنابر بعده * لنكرته فطرحنه عنهنه

زوج بنه من بنات
مقاتل المنقرى
فهجاه القلاح فرد
عليه

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العنزي قال :

خطب يحيى بن أبي حفصة إلى مقاتل بن طلبة بن قيس بن حاصم المنقرى ابنته
وأختيه، فأنعم له بذلك. فبعث يحيى إلى بنيه سليمان وعمر وجميل، فأتوه بالجفر
فزوجهن بنيه ثلاثهم، ودخلوا بهم ثم حملوهن إلى حجرة. فقال القلاح بن حزن
المنقرى في ذلك :

سلام على أوصال قيس بن عاصم * وإن كن رمسا في التراب بواليا
أضيعتموا خيلا عرابا فأصبحت * كواسد لا ينكحن إلا المواليا
فلم أرا برادا أجرا لخزية * والأم مكسوا والأم كاسيا
من الخز واللائى بحجر عليكم * نثرن فكن الخزيات البواقيا

(١) أنعم له : أفضل وقال نعم .

(٢) جفر : علم على أسماء مواضع كثيرة . (أنظر معجم البلدان لياقوت في الكلام عليه) .

فقال يحيى يرد عليه :

أَلَا قَبَحَ اللَّهُ الْفُلَاحَ وَنِسْوَةَ * عَلَى الْبُتْرِ يُعْطِشْنَ الْكِلَابَ مِنَ الثَّنَنِ
نَكَحْنَا بَنَاتِ الْقَرَمِ قَيْسَ بْنِ عَاصِمٍ * وَعَمَدًا رَغَبْنَا عَنْ بَنَاتِ بَنِي حَزْنٍ
أَبَا كَانَ خَيْرًا مِنْ أَيْبِكَ أُرُومَةً * وَأَوْسَطَ فِي سَعْدٍ وَأَرْحَجَ فِي الْوَزْنِ
لَيْبَتِ بَنِي حَزْنٍ مِنَ الدَّلِّ وَهَنَةً * كَوْهِنَةُ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ الَّتِي تَلْبَنِي
وَلَمْ تَرَحْزِيًّا ، وَلَوْ ضَمَّ أَرْبَعًا * وَأَبْرَزَ ، فِي فَرْجٍ يَعْفُ وَلَا بَطْنَ
وَضَيْفُ بَنِي حَزْنٍ يَحْجُوعُ وَجَارُهُمْ * إِذَا أَمِنَ الْجِيرَانُ نَاءً مِنَ الْأَمْنِ

٣٩
٩

أخبرنا يحيى بن علي قال أنشدني محمد بن إدريس ليحيى يذكر خروج يزيد بن المهلب ويتأسف على الحجاج :

بذكر خروج ابن
المهلب

لَا يُصْلِحُ النَّاسَ إِلَّا السِّيفُ إِذْ فُتِنُوا * لَهْفَنِي مَلِيكَ وَلَا حِجَّاجَ لِلدِّينِ
لَوْ كَانَ حَيًّا غَدَاةَ الْأَزْدِ إِذْ نَكَثُوا * لَمْ يُحِصْ قَتْلَاهُمْ حِسَابُ دِيرِينَ
لَمْ تَأْتِهِ الْأَزْدُ عِنْدَ الْبَابِ تَرْبُصُهُ * مِثْلَ الْجَرَادِ تَنْزَى فِي التَّبَايِينِ^(٢)
مِنْ كُلِّ الْخُفْجِ ذِي حَنْفٍ مُخَالَفَةً * أَرْقَتْ بِهِ السُّفُنُ عِلْجًا غَيْرَ مَجْنُونِ^(٣)

قال أبو أحمد : وأنشدني يحيى في سفیان بن عمرو والى اليمامة :

لَقَدْ عَصَانِي ابْنُ عَمْرٍو إِذْ نَصَحْتُ لَهُ * وَلَوْ أُطِيعْتُ لَمَا زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ^(٤)
لَوْ كُنْتُ أَنْفُخُ فِي خَيْمٍ لَقَدْ وَقَدْتُ * نَارِي وَلَكِنْ رَمَادٍ مَالَهُ حَمَمٌ

(١) أبرز : اتخذ الأبريز وهو الذهب الخالص يريد بالتخاذ الأبريز كثرة المال .

(٢) تربصه : تنتظره . والتباين : جمع تباين ، وهو سراويل صغير ، فارسي معرب .

(٣) الأخفج : ذو الفحج ، يقال رجل أخفج وامرأة فحجاء . والفحج هو تداني صدور القدمين وتباعده

العقبين . والخف : اعوجاج الرجل الى الداخل . وأرقت السفينة : دنت من الشط . وغير مجنون : غير مغفل ، من جهة الشيء ، إذا ستره يريد علجا لا شك فيه . (٤) في الأصول : « اطقت » بالقاف وظاهر أنه مصحف عما أثبتناه .

بجمل مروان بن
أبي حفصة ونوادير
له في ذلك

وليجي أشعار كثيرة؛ وإنما ذكرنا ها هنا ما ذكرنا لنعرف أعراق مروان في الشعر . وكان مروان أبجل الناس على يساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء، لاسيما من بني العباس، فإنه كان رستمهم أن يعطوه بكل بيت يمدحهم به ألف درهم .

أخبرنا أحمد بن عمار قال حدثنا علي بن محمد التوفلي قال سمعت أبي يقول : كان المهدي يعطي مروان وسلمًا الخاسر عطية واحدة ، وكان سلم يأتي باب المهدي على البردون قيمته عشرة آلاف درهم ، والسرج والجلام المقذوذين^(١) ، ولباسه الخبز والوشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ، ورائحة المسك والغالية والطيب تفوح منه ، ويحيى مروان وعليه فرو كيش ، وقيص كرايس وعمامة كرايس ، وخفاجيل وكساء غليظ مثنى الرائحة ، وكان لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم إليه^(٢) ، فإذا قرم أرسل غلامه فأشترى له رأسا فأكله . فقيل له : نراك لا تأكل إلا الرعوس في الصيف والشتاء ، فلم تختار ذلك؟ قال : نعم ! الرأس أعرف سعره ، ولا يستعاج الغلام أن يغرتني فيه ، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه ، إن مس عينا أو أذنا أو خذا وقف عليه ، فأكل منه ألوانا ، آكل عينيه لونا ، وأذنيه لونا ، وغلصمته لونا^(٣) ، وأكفى مؤنة طبخه ، فقد اجتمعت لي فيه مرافق .

أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن أبي العلاء المتقري قل حدثني موسى بن يحيى قال :

أوصلنا الى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم ، وجمع إليها مالا حتى تمت مائة ألف وخمسين ألف درهم ، وأودعها يزيد بن مزيد .

(١) المقذوذ : المزين المدق . (٢) الكرايس : جمع كراس وهو هنا الثوب الخشن . (٣) الكجل : الكثير الصوف من الفراء . (٤) كذا في أ ، ح . وقرم الى اللحم اشتدت شهوته له . وفي الأصول : « يقدم » بالبدال المهملة وهو تحريف . (٥) الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق ، وقيل رأس الخلقوم بشواره .

٥

١٠

١٥

٢٠

قال : فبينما نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مزيد ، وكانت فيه دُعابة ، فقال : يا أبا عليّ أودعني مروان خمسين ومائة ألف درهم وهو يشتري الخبز من البقال . قال فغضب يحيى ثم قال : عليّ بمروان ، فأُتي به . فقال له : أخبرني أبو خالد بما أودعته من المال وما تبتاعه من البقال ، والله لما يرى من أثر البخل عليك أضرت من الفقر لو كان بك .

أخبرنا يحيى قال حدثني عمر بن شبة عن أبي العلاء المتقريّ عن موسى بهذا الخبر ، إلا أنه قال : فقال له يحيى : يا مروان ، والله لا البخل أسوأ عليك أثراً من الفقر لو صرت إليه ، فلا تبخل .

أخبرنا يحيى قال حدثني عمر بن شبة قال :

بلغني أن مروان بن أبي حفصة قال ما فَرِحْتُ بشيء قطّ فَرَحَ بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهديّ ، فوزَّعْتُها فزادت درهماً فأشتريتُ به لحماً .

أخبرنا يحيى قال حكى أبو غسان عن أبي عبيدة عن جهم بن خلف قال : أتينا البمامة فزلنا على مروان بن أبي حفصة ، فأطعمنا تمرّاً ، وأرسل غلامه بفلس وسُكَّرَجَة^(١) ليشتري له زيتاً . فلما جاء بالزيت قال لغلامه : خُتْنَتِي ! قال : من فُلَس كيف أخونك ! قال : أخذتَ الفُلَس لنفسك وأستوهبت الزيت .

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أصحاب التوزيّ عنه قال :

مرّ مروان بن أبي حفصة في بعض سفرائه وهو يريد منى^(٢) بامرأة من العرب فأضافته ، فقال : لله عليّ إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لك درهماً ، فأعطاه ستين ألف درهم ، فأعطاهما أربعة دنانير .

٢٠ (١) السكَّرَجَة : الصلصة . (٢) كذا في ٢ . وفي ٣ ، ح ، م : « وهو يريد منى بامرأة » . وفي ١ : « وهو يريد منى بامرأة » وكلاهما تحريف .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دُعامة قال :

إشترى مروان لحمًا بنصف درهم ، فلما وضعه في القدر وكاد أن ينضج ، دعاه صديق له ، فردّه على القصاب بنقصان دائق . فشكاه القصاب وجعل ينادى : هذا لحم مروان ، وظنّ أنه يأنف لذلك . فبلغ الرشيد ذلك فقال : ويلك ! ما هذا ! قال : أكره الإسراف .

نصّة له مع
أبي الشمقمق

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دُعامة قال :

أنشدتُ لرجل من بني بكر بن وائل في مروان :

وليس لمروان على العريس غيرة * ولكنّ مروانًا يغار على القدير .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبو هفان قال حدثني يحيى بن الجون العبدى قال :

فرّق المهديّ على الشعراء جوائز ، فأعطى مروان ثلاثين ألفاً . بخاءه أبو الشمقمق فقال له : أجزني من الجائزة . فقال له : أنا وأنت تأخذ ولا تُعطى . قال : فأسمع مني بيتين . قال : هات . فقال أبو الشمقمق :

لحبة مروان تبقى عنبراً * خالط مسكاً خالصاً أذفراً^(١)

فما يُقيمان بها ساعة * إلا يعودان جميعاً نحرًا

فأمر له بدرهمين . وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر بحظّة عن أبي هفان

فذكر مثل الخبر الماضى وزاد فيه : فأعطاه عشرة دراهم ، فقال له خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان .

مدح الهادي
فداعيه في المعجل
والمؤجل ووصله

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني

عمي مُصعب عن جدّي عبد الله بن مصعب قال :

(١) الأذفر : الجيد من المسك .

- دخل مروان بن أبي حفصة على موسى الهادي ، فأنشده قوله فيه :
- تَسَابِهَ يَوْمًا بِأَيْسِهِ وَنَوَالِهِ * فَمَا أَحَدٌ يَدْرِي لِأَيِّهِمَا الْفَضْلُ
- فقال له الهادي : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : أَلثَّلَاثُونَ أَلْفًا مُعْجَلَةً أَمْ مِائَةُ أَلْفٍ تَدُونُ
فِي الدَّوَاوِينِ ؟ فقال له : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تُحْسِنُ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا وَلَكِنَّكَ
تَسِيئُهُ ، أَفَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَدَّكَرَكَ ؟ قال نعم . قال : تُعَجِّلُ لِي الثَّلَاثِينَ أَلْفًا
وَتَدُونُ الْمِائَةَ الْأَلْفَ ^(١) فِي الدَّوَاوِينِ . فَضَحِكَ وَقَالَ : بَلْ يَعْجَلَانِ جَمِيعًا ؛ فَخِمْلِ
الْمَالُ إِلَيْهِ أَجْمَعُ .

٤١
٩

- أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُيَيْدٍ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويهِ
قَالَ حَدَّثَنِي سَلْبَانُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ :
- اجْتَمَعَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ وَأَبُو مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ عِنْدَ الْمَهْدِيِّ ؛ فَابْتَدَأَ مَرْوَانُ
يُنْشِدُ :

مدح المهدي قلحته
اليزيدي فاعترض
على سوء أدبه

- * طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ خَفِيَ خِيَالُهَا *
- فَقَالَ الْيَزِيدِيُّ : لَحَنَ وَاللَّهِ وَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ . فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ : يَا ضَعِيفَ الرَّأْيِ
أَهَذَا لِي يَقَالَ ! ثُمَّ قَالَ :
- * بَيْضَاءُ تُخْلِطُ بِالْجَمَالِ دِلَالُهَا *
- فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَكُنِّي فِي مَجْلَسِكَ ! (يَعْنِي الْيَزِيدِيُّ) ^(٢)
فَقَالَ : أَعِذُّوهُ شَيْخَنَا ، فَإِنَّ لَهُ حُرْمَةً .

- أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ
الْمَوْصِلِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ قَالَ لِي الرَّشِيدُ : هَلْ دَخَلْتَ عَلَى
الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ دَخَلْتُ مَعَ عَمُومَتِي إِلَيْهِ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْهُ . قَالَ :

سأله الرشيد من
الوليد بن يزيد
فأجابه

- (١) فِي الْأَصُولِ الْمِائَةُ أَلْفٌ . (٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَلَعَلَّهَا مِنْ زِيَادَاتِ النَّسَاجِ .

فذهبتُ أترجح، فقال لي: إن أمير المؤمنين لا يكره ما تقول، فقل ما شئت. فقلت: يا أمير المؤمنين، كان من أجمل الناس وأشدّهم وأشعرهم وأجودهم. دخلتُ عليه مع عمومتى ولىمة فينانة، فجعل يغمز القضيّب فيها ويقول: ولدتك سُكَّر؟ — وهى أمّ ولدٍ لمروان بن الحكم فوهبها لجدّي أبي حفصة فولدت منه — فقلت له: نعم. قال لي الرشيد: فهل تحفظ من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، سمعته يُنشد في خلّاته وذكر هشاماً وتحامله عليه وما كان يريد من نقض أمره وولايته:

ليت هشاماً عاش حتى يرى * ميكتله الأوفر قد أثرما
كلنا له الصاع التي كالمها * وما ظلمناه بها أصوفاً
وما أتينا ذاك عن يدعة * أحله الفرقان لي أجمعا

فقال الرشيد: يا غلام، الدواة والقرطاس، فأتي بهما، فأمر بالأبيات فكتب.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحيب بن نصر المهلبى قالوا حدثنا
عمر بن شبة قال حدثني خلاد الأرقط قال:

جاءنا مروان بن أبي حفصة إلى حلقة يونس، فأخذ بيد خلف الأحمر فأقامه،
وأخذ خلف بيدي فقمنا إلى دار أبي عمير بفلسنا في الدهليز. فقال مروان لخلف:
نشدتك الله يا أبا محرز ألا نصحتني في شعري فإن الناس يُخدعون في أشعارهم،
وأنشده قوله:

طرفتكَ زائرةً فحى خيالها * بيضاءً تخلط بالجمال دلالها

فقال له: أنت أشعر من الأعشى في قوله:

* رَحَلْتُ سُمِيَّةً غُدُوَّةً أَجْمَالُهَا *

(١) كذا بالأصول ولعله « وهما » . (٢) المكمل: زبيل يعمل من الخوص يحمل فيه
التمر وغيره سبع خمسة عشر صاعاً . (٣) في ج: « ابن عمير » .

فقال له مروان : أتبلغ بي الأعشى هكذا ! ولا كلّ ذا ! قال : ويحله ! إنّ
الأعشى قال في قصيدته هذه :

* فأصاب حبة قلبها وطحّالها *

والطّحال ما دخل قط في شيء إلا أفسده ، وأنت قصيدتك سليمة كلّها . فقال له
مروان : إني إذا أردت أن أقول القصيدة رفعها في حول ، أقولها في أربعة أشهر ،
وأنتخلها في أربعة أشهر ، وأعريضها في أربعة أشهر .^(١)

وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن
محمد بن سلام قال أبو دلف هاشم بن محمد وحدثني به الرّياشي عن الأصمعي قال :
جاء مروان بن أبي حفصة إلى حلقة يونس ، فسلم ثم قال لنا : أيكم يونس ؟ فأومأنا

عرض شعرا له على
يونس فذبحه وفضله
على شعر للأعشى

٤٢
٩

إليه . فقال له : أصلحك الله ! إني أرى قوماً يقولون الشعر ، لأنّ يكشف أحدهم سوءته
ثم يمشي كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر . وقد قلت
شعرا أعريضه عليك ، فإن كان جيّداً أظهرته ، وإن كان رديثاً سترته . فأنشده قوله :
* طرقتك زائرة فخيّ خيالها *

فقال له يونس : يا هذا اذهب فأظهر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله :

* رحلت سمية غدوة أجمالها *

فقال له مروان : سررتني ومؤتني . فأما الذي سررتني به فأرتضاؤك الشعر . وأما الذي
ساءني فتقدّمك إياي على الأعشى وأنت تعرف محله . فقال : إنما قدّمتك عليه في تلك
القصيدة لا في شعره كلّ لأنه قال فيها :

* فأصاب حبة قلبها وطحّالها *

والطّحال لا يدخل في شيء إلا أفسده ، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه .

(١) في الأصول : « أنتخلها » بالخاء المهملة وهو تصحيف .

قال الأصمعي إنه
مولد ولا علم له
باللغة

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن ميمون طامع قال :

سمعت الأصمعي ذكر مروان بن أبي حفصة فقال : كان مولداً ، لم يكن له
علم باللغة .

أنشد شعر جماعة
من الشعراء فقال
عن كل واحد منهم
إنه أشعر الناس

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني أحمد بن عبيد الله عن العتيبي قال حدثني
بعض أصحابنا قال :

أنشدنا مروان بن أبي حفصة يوماً شعر زهير ثم قال : زهير والله أشعر
الناس ، ثم أنشد للأعشى فقال : الأعشى أشعر الناس ، ثم أنشد شعراً
لامرئ القيس فقال : امرؤ القيس أشعر الناس ، ثم قال : والناس والله أشعر
الناس . أي إن أشعر الناس من أنشدت له فوجدته قد أجاد ، حتى ينتقل إلى
شعر غيره .

اشترى من أعرابي
شعراً مدح به
مروان بن محمد
فدح هو به معن
ابن زائدة فأكرمه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني
أبي قال :

اجتاز مروان بن أبي حفصة برجل من باهلة من أهل البصرة وهو يُنشد قوماً
كان جالسا إليهم شعراً مدح به مروان بن محمد ، وإنه قُتل قبل أن يلقاه ويُنشد
إياه ، أوله :

مروانُ يا بنَ محمد أنت الذي * زِيدَتْ به شرفاً بنو مروانِ

فأعجبته القصيدة ، فأمهل الباهلي حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه في منزله فقال له : إني
سمعتُ قصيدتك وأعجبني ، ومروان قد مضى ومضى أهلُه وفاتك ما قدرته^(١) عنده ؛
أتبيعي القصيدة حتى أتتَ محلها ، فإنه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقير؟ قال نعم .
قال : بكم؟ قال : بثلاثمائة درهم . قال : قد آبتعتُها ، فأعطاه الدراهم وحلَّفه بالطلاق

(١) في ج : « ما قدرته » .

ثلاثاً وبالأيمان المخرجة ألا يتحلها أبداً ولا ينسبها إلى نفسه ولا ينسبها،
وأنه رف بها إلى منزله، فغير منها أبياتاً وزاد فيها، وجعلها في معن، وقال في ذلك البيت:
معن بن زائدة الذي زيدت به * شرفاً إلى شرف بنو شيان
ووقد بها إلى معن بن زائدة فلأ يديه، وأقام عنده مدة حتى أئثرى وآسعت حاله.
فكان معن أول من رفع ذكره ونوه به. قال: وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة
ومراثٍ حنة.

- أخبرني حبيب بن نصر المهلهي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني
محمد بن نعيم البلخي أبو يونس قال حدثني مروان بن أبي حفصة وكان لي صديقاً قال:
كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديداً، وجعل فيه مالا؛ فحدثني
معن بن زائدة باليمن أنه اضطُرَّ لشدة الطلب إلى أن أقام في الشمس حتى لوحت
وجهه، وخفف عارضيه ولحيته، وليس جبة صوف غليظة، وركب جملًا من الجمال
النقالة ليمضي إلى البادية فيقيم بها، وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمر بن هبيرة
بلاء حسناً غاظ المنصور وجداً في طلبه. قال معن: فلما خرجت من باب حرب
تبعني أسود متقلداً سيفاً، حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام جمل فأنأخه
وقبض علي؛ فقلت له: مالك؟ قال: أنت طليبة أمير المؤمنين. قلت: ومن أنا حتى
يطلبني أمير المؤمنين! قال: معن بن زائدة. فقلت: يا هذا آتق الله! وأين أنا من معن!
قال: دَع هذا عنك فأنا والله أعرف به منك. فقلت له: فإن كانت القصة كما تقول

نقل قصة فرار معن
وأن عبداً أسود
أطلقه تكريماً بعد
ما عرفه

٤٣
٩

- (١) هو يزيد بن عمر بن هبيرة أبو خالد أحد رجالات بني أمية وفرسانهم وولاتهم، أبلى مع مروان
ابن محمد في الدعوة العباسية، قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٢ هـ (انظر الكلام عليه في الطبري ق ٢
ص ١٣٦٣، ١٣٧٢، ١٩١٣، ١٩١٦، ق ٣ ص ٦١ — ٧٣).
(٢) موضع بيقداد ينسب إلى حرب بن عبد الله البلخي ويعرف بالراوندي أحد قواد أبي جعفر المنصور.
(انظر معجم البلدان لياقوت في الكلام على الحربة).

فهب أجوهر^١ حملته معي يني بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي ، فخذ
ولا تسفك دمي . قال : هاتيه فأخرجته اليه ؛ فنظر اليه ساعة وقال : صدقت في قبته ،
ولست قابله حتى أسألك عن شيء ، فإن صدقتني أطلقتك . فقلت : قل .
قال : إن الناس قد وصفوك بالحدود ، فأخبرني هل وهبت قط مالك كله ؟
قلت لا . قال : فنصفه ؟ قلت لا . قال : فثلثه ؟ قلت لا . حتى بلغ العشر
فأستحييت فقلت : أظن أني قد فعلت هذا . فقال : ما أراك فعلته ! أنا والله
راجل ، ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً ، وهذا الجوهر قيمته آلاف دنانير ،
وقد وهبته لك ، ووهبتك لنفسك ولحدودك المأثور عنك بين الناس ، ولتعلم أن
في الدنيا أجود منك ، فلا تعجبك نفسك ولتخبر بعد هذا كل شيء تفعله ، ولا
تتوقف عن مكرمة . ثم رمى بالعقد في حجرى وخلّ خطام البعير وأنصرف . فقلت :
يا هذا قد والله فضحتني ، ولسفك دمي أهون عليّ مما فعلت ، فخذ ما دفعته إليك فإنني
غني عنه فضحك ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامى هذا ، والله لا أخذه ولا آخذ
بمعروف ثمناً أبداً ، ومضى . فوالله لقد لعلته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءني به
ما شاء فما عرفت له خبراً ، وكأن الأرض ابتلعت .

١٥ قال : وكان سبب رضا المنصور عن معن أنه لم يزل مستتراً حتى كان يوم
الهاشمية^(١) ، فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه ، وثب معن وهو مثلم فانتضى
سيفه وقاتل فأبلى بلاء حسناً ، وذبح القوم عنه حتى نجا وهم يحاربونه بعدد ،

سبب رضا المنصور
عن معن بن زائدة

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح بالكوفة . وذلك أنه لما ولي الخلافة نزل بقصر ابن هيرة واستم
بناؤه وجعله مدينة وسماها الهاشمية . فلما توفي دفن بها . واستخلف المنصور فزها واستم بناء كان بقى فيها
وزاد فيها ما أراد . وكانت فيها وقعة بين أبي جعفر المنصور والراوندية ، وهم قوم يقولون بتناسخ الأرواح
ويزعمون أن روح آدم حلت في أحد رجال المنصور ، وأن ريسم الذي يطعمهم ويسقيهم هو
أبو جعفر المنصور وأن الهيثم بن معاوية جبريل . (راجع معجم البلدان لياقوت وتاريخ الطبري ج ٣
ص ١٢٩ ، ١٣١) .

ثم جاء المنصورُ راكباً على بغلة ولحامها بيد الربيع، فقال له: تَنَحَّ فَإِنِّي أَحَقُّ بِاللَّحَامِ مِنْكَ فِي هَذَا الْوَقْتِ وَأَعْظَمُ فِيهِ غَنَاءً. فقال له المنصور: صَدَقَ فَأَدْفَعُهُ إِلَيْهِ، فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ حَتَّى أَنْكَشَفَتْ تِلْكَ الْحَالُ. فقال له المنصور: مَنْ أَنْتَ اللَّهُ أَبُوكَ؟ قال: أَنَا طَلِيتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ. قال: قَدْ أَمَّنَكَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ، وَمِثْلَكَ يُصْطَنَعُ. ثم أَخَذَهُ مَعَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَبَاهُ وَزَيَّنَهُ، ثُمَّ دَعَا بِهِ يَوْمًا وَقَالَ لَهُ: إِنِّي قَدْ أَمْلَيْتُكَ لِأَمْرِ، فَكَيْفَ تَكُونُ فِيهِ؟ قال: كَمَا يُحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — قال: قَدْ وَلَّيْتُكَ الْيَمْنَ، فَأَبْسُطِ السَّيْفَ فِيهِمْ حَتَّى يُتَّقَ حِلْفُ رُبَيْعَةَ وَالْيَمْنَ — قال: أُبَلِّغُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَوَلَّاهُ الْيَمْنَ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا فَبَسَطَ السَّيْفَ فِيهِمْ حَتَّى أَسْرَفَ.

قال مروان: وَقَدِيمٌ مَعْنُ بَعَقِبَ ذَلِكَ فَدَخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَقَالَ لَهُ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: قَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ شَيْءٌ لَوْ لَا مَكَانُكَ عِنْدَهُ وَرَأْيُهُ فِيكَ لَغَضِبَ عَلَيْكَ. قال: وَمَا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَوَاللَّهِ مَا تَعَرَّضْتُ لَكَ مِنْكَ، قَالَ: إِعْطَاؤُكَ

عاتب المنصور معناه على إكرامه له فأجابه إنما أكرمه لمدحه هو

مروان بن أبي حنيفة أَلْفَ دِينَارٍ لِقَوْلِهِ فِيكَ:

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ * شَرْقًا إِلَى شَرْفِ بَنُو شَيْبَانَ

إِنْ عُدَّ أَيَّامُ الْفَعَالِ فَإِنَّمَا * يَوْمَاهُ يَوْمُ نَدَى وَيَوْمُ طِعَانِ

فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أُعْطِيْتُهُ مَا بَلَغَكَ لِهَذَا الشَّعْرِ، وَإِنَّمَا أُعْطِيْتُهُ لِقَوْلِهِ:

مَا زِلْتُ يَوْمَ الْهَاشِمِيَّةِ مُعَلِّمًا * بِالسَّيْفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ

فَمَنْعَتَ حَوْزَتَهُ وَكُنْتُ وَقَاعَهُ * مِنْ وَقَعِ كُلِّ مُهَنَّدٍ وَسِنَانِ

فَأَسْتَحْيَا الْمَنْصُورَ وَقَالَ: إِنَّمَا أُعْطِيْتُهُ مَا أُعْطِيْتُهُ لِهَذَا الْقَوْلِ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!

وَاللَّهِ لَوْلَا مَخَافَةُ النَّقْمَةِ عِنْدَكَ لَا مُمْكِنَتُهُ^(١) مِنْ مِفَاتِيحِ بَيُوتِ الْأَمْوَالِ وَأَبْجَهِتَهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ لَهُ

المنصور: اللَّهُ دُرُكٌ مِنْ أَعْرَابِيٍّ! مَا أَهْوَنَ عَلَيْكَ مَا يَعْزُّ عَلَى الرِّجَالِ وَأَهْلُ الْحَزْمِ!

(١) فِي ج: « الشُّبَّة » .

أسعبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله
ابن محمد بن موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن
الربيع قال :

مدح المهدي فرده
لمدحه معنائهم مدحه
العام المقبل فأجازه
مائة ألف درهم

رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة
في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره ، فأنشده مديحاً فيه ، فقال له : ومن
أنت ؟ قال : شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة . فقال له
المهدي : ألسنت القائل :

أَقْنَا بِالْإِمَامَةِ بَعْدَ مَعْنٍ * مُقَامًا لَا تُرِيدُ بِهِ زَوَالَا

وَقُلْنَا أَيْنَ نَزَلَ بَعْدَ مَعْنٍ * وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَانَوَالَا

قد ذهب النوال فيما زعمت ، فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا ، جروا برجله ؛
بَحْرُوا برجله حتى أخرج . قال : فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع
الشعراء - وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام هجرة - فمثل بين
يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ خَفِيَ خَيَالُهَا * بِيضَاءُ تُخِلِّطُ بِالْجَمَالِ دَلَالُهَا^(١)

قَادَتْ فَوَادَكَ فَأَمْتَقَادَ وَمِثْلُهَا * قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَالُهَا

قال : فأنصت الناس لها حتى بلغ الى قوله :

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نَجْمَومَهَا * بِأَكْفَمِكُمْ أَوْ تَسْتَرُونَ هَلَالُهَا

أَوْ تَجْحَدُونَ مَقَالَةً عَنْ رَبِّكُمْ * جَبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالُهَا

شَهِدْتُ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرُ آيَةٍ^(٢) * بَرَأَيْهِمْ فَأَرَدْتُمْ لِبَطَالُهَا

(١) في ج في هذا الموضع : « بالحيا » .

(٢) يريد قوله تعالى : « والذين آمنوا من بعد وهابوا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا
الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم » .

قال : فرأيت المهديَّ قد زحف من صدر مُصلَّاه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع ، ثم قال : كم هي ؟ قال : مائة بيت . فأمر له بمائة ألف درهم . فكانت أول مائة ألف درهم أُعطيت شاعرٌ في أيام بني العباس .

قال : ومضت الأيام ووليَّ هارون الرشيدُ الخلافة ، فدخل إليه مروان ؛ فرأيتُه واقفاً مع الشعراء ثم أنشده قصيدة أمتدحه بها . فقال له : من أنت ؟ قال : شاعرُك وعبدُك يا أمير المؤمنين مروان بن أبي حفصة . قال له : ألسنت القائل في معن بن زائدة ! وأنشده البيتين اللذين أنشده إياهما المهديُّ ، ثم قال : خذوا بيده فأخرجوه ، لا شيء لك عندنا ، فأخرج . فلما كان بعد ذلك بأيام تلطف حتى دخل ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

مدح الرشيد فرده
لمدحه معن ثم مدحه
بعد أيام فأجازه
لكل بيت ألفاً

لعمرك ما أنسى غداة المحصب * إشارة سألني بالبنان المحصب

٤٥
٩

وقد صدر المجاج إلا أقلهم * مصادر شتى موكباً بعد موكب

قال : فأعجبته ، فقال : كم قصيدتك من بيت ؟ فقال : ستون أو سبعون . فأمر له بعدد أبياتها ألفاً . فكان ذلك رسم مروان عندهم حتى مات .

أخبرني عمي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق قال :

مدح المهدي في
الرصافة فأجازه

دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي في أول سنة قدم عليه . قال :

فدخلت عليه في قصره بالرصافة فأنشدته قولي فيه :

أمر وأحل ما بلا الناس طعمه * عذاب أمير المؤمنين ونائله

فإن طليق الله من أنت مطلق * وإن قيل الله من أنت قاتله

كان أمير المؤمنين محمداً * أبو جعفر في كل أمر يحاوله

قال : فأعجب بها ، وأمر لي بمال عظيم ؛ فكانت تلك الصلة أول صلة سنية وصلت

إلي في أيام بني هاشم .

مدح المهدي
وذم عنده يعقوب
ابن داود فأجازه
من خالص ماله

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال
حدثني محمد بن عبد الله العبدي الراوية قال حدثني حسين بن الضحاك قال حدثني
مروان بن أبي حفصة قال :

دخلت على المهدي في قصر السلام، فلما سلمت عليه، وذلك بعقب سخطه^(١)
على يعقوب بن داود، قلت : يا أمير المؤمنين إن يعقوب رجل رافضي وإنه^(٢)
سمعي أقول في الورثة :

أني يكون وليس ذاك بكائي * لبني البنات وراثته الأعمام
فذلك الذي حمله على عداوتي . ثم أنشدته :

كأن أمير المؤمنين محمداً * لرأفته بالناس للناس والد
على أنه من خالف الحق منهم * سقته بدالموت الخوف الرواصد
ثم أنشدته :

أحيا أمير المؤمنين محمد * سنن النبي حرامها وحلافها
قال فقال لي المهدي : والله ما أعطيك إلا من صلب مالي فأعذرني ، وأمر لي
بثلاثين ألف درهم ، وكسائي جبة ومطرقة ، وفرض لي على أهل بيته ومواليه
ثلاثين ألفاً أخرى .

مدح معنا فأعطاه
عطايأ سنية لم
يستكثرها عليه
ابن الأعرابي

أخبرني عيسى بن الحسين الوزاق قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال
حدثنا ابن الأعرابي أن مروان بن أبي حفصة أخبره أنه وفد على معن بن زائدة
فأنشده قوله :

(١) كذا في الأصول . والذي في كتابي ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه ومعجم البلدان لباقوت
أن قصر السلام من أبنية الرشيد بن المهدي بالرقعة . والذي بناء المهدي هو قصر السلامة وهو القصر الذي بناه
بالآجر في عيساباذ الكبرى (انظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٠٢ - ٥١٧) (٢) هو يعقوب بن داود
السلي ، كان وزيراً للمهدي ثم غضب عليه وسجنه في المطبق وما زال به حتى أيام هارون الرشيد . وقد ذكره
أبو الفرج في ترجمة بشار بن برد في الأغاني (ج ٣ من هذه الطبعة) . (٣) في الأصول : « فقلت » .

٥

١٠

١٥

٢٠

بنو منظر يوم اللقاء كأنهم * أسود لها في بطن خفان^(١) أشبن^(٢)
هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل
لها^(٣)ميم، في الإسلام سادوا ولم يكن * كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا * أجاؤا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعلهم * وإن أحسنوا في الناثبات وأجملوا

قال: فأمر لي بصلة سنية وخلع عليّ وحملي وزودني. قال ثم قال لنا ابن الأعرابي: لو أعطاه كل ما يملك آما وفاه حقه. قال: وكان ابن الأعرابي يختم به الشعراء، وما دون لأحد بعده شعرا.

٤٦
٩

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني أحمد بن موسى بن حمزة قال:

مسئل عن جرير
والفرزدق أيهما
أشعر فأجاب بشعر

رأيت مروان بن أبي حفصة في أيام محمد بن زبيدة في دار الخلافة وهو شيخ كبير، فسألته عن جرير والفرزدق أيهما أشعر، فقال لي: قد سئلت عنهما في أيام المهدي وعن الأخطل قبل ذلك، فقلت فيهم قولا عقدته في شعر ليثبت، فسألته عنه فأنشدني:

ذهب الفرزدق بالهجاء وإيما * حلوا القريض ومرة للجرير
ولقد هجا فامض أخطل تغليب * وحوى النهى ببيانته المشهور
كل الثلاثة قد أجاد فدهمه * وهجاؤه قد سار كل مسير
ولقد جريت ففت غير مهلل^(٣) * بجراء لا قريف ولا مهور^(٤)
إني لأنف أن أحبر مدحة * أبدا لغير خليفة ووزير
ما ضرني حسد اللئام ولم يزل * ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

قال: فلم ير أن يقدم على نفسه غيرها. وكتبت الأبيات عن فيه.

(١) خفان كحسان: موضع كثير الفياض قرب الكوفة وهو مأسدة. (٢) الهايم: جمع لهميم وهو السابق الجواد. (٣) هلال الرجل: جين وفتر. (٤) القرف: الشديدة الجمرة ولعله يعني به المهجين.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني أبو حاتم السجستاني قال حدثني العنسي قال :

مدح معنا فساءله
عن أمه فأعطاه
إياه واستقله له

لما قدم معن بن زائدة من اليمن ، دخل عليه مروان بن أبي حفصة والمجلس غاص بأهله ، فأخذ بعضادتي الباب وأنشأ يقول :

وما أجمم الأعداء عنك بقيّة * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الجود والحنف فيهما * أبي الله إلا أن تضرا وتفعما

قال فقال له معن : احتكم ، قال : عشرة آلاف درهم . فقال معن : ربنا عليك تسعين ألفا . قال : أقلني . قال : لا أقال الله من يُقيلك .

رعى محرز معنا بالظلم
فرد عليه بما أنجله

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبي قال :

لما قدم معن بن زائدة من اليمن استقبله الناس ، وتلقاه مروان بن أبي حفصة ، فأنشده قصيدة يهنئه فيها بقدومه وبراى المنصور فيه ، وتلقاه فيمن تلقاه أبو القاسم محرز فجعل يقول له : سفكت الدماء ، وظلمت الناس ، وتعديت طورك بذلك . فلما أكثر على معن آلتفت إليه ثم قال له : يا محرز أخبرني بأى خفيك تضرب اليوم : أبا السباعي أم بالثاني ؟ قال : فأتقطع وسكت نجيلا .

ودخل معن على المنصور ، فلما سلم عليه وسأله قال له : يا معن ، أعطيت ابن حفصة مائة ألف درهم عن قوله فيك :

معن بن زائدة الذى زيدت به * شرفا إلى شرف بنو شيبان
فقال له : كلا يا أمير المؤمنين ! بل أعطيته لقوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلما * بالسيف دون خليفة الرحمن
فأستجيا المنصور من تهجينه إياه فتبسم وقال : أحسنت يا معن في فعلك .

(١) عضادات الباب : خشبته من جانبيه . (٢) البقية : الإبقاء .

(٣) هو أبو القاسم محرز بن إبراهيم أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية . انظر الكلام عليه في الطبرى (ق ٢ ص ١٩٥٥ - ١٩٥٧) .

أخبرني الحسن بن عليّ المصريّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرِيَه قال
حدثني عليّ بن ثور قال حدثني أبو العباس العدويّ قال :

ترك يحيى بن منصور
الشعر فلما سمع بكرم
معن مدحه وقال
مروان في ذلك
شعرا

لَمَّا وَلِيَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الْيَمَنَ كَانَ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ الذُّهْلِيُّ قَدْ تَنَسَّكَ وَتَرَكَ
الشعر . فلما بلغته أفعال معن وقد إليه ومدحه ، فقال مروان بن أبي حفصة :

لَا تَعْدَمُوا رَاحَتِي مَعْنٍ فَإِنَّهُمَا * بِالْجُودِ أَقْنَتَا يَحْيَى بْنَ مَنْصُورٍ
لَمَّا رَأَى رَاحَتِي مَعْنٍ تَدْفُقَتَا * بِنَائِلٍ مِنْ عَطَاءٍ غَيْرِ مَنُورٍ^(١)
أَلْقَى الْمُسُوحَ الَّتِي قَدْ كَانَ يَلْبَسُهَا * وَظَلَّ لِلشَّعْرِ ذَا رَضِيفٍ وَتَحْبِيرٍ

٤٧
٩

أخبرني محمد بن مزَيْدٍ وعيسى بن الحسين قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني
عبد الملك بن عبد العزيز قال :

تزوجت امرأة من
أهله في بني مطر
فلم يرضهم
وقال شعرا

ورد عليّ مروان بن أبي حفصة كتاب وهو بالمدينة أن امرأة من أهله
تزوجت في قوم لم يَرْضَ صَهرهم يقال لهم بنو مطر ؛ فقال في ذلك لأخيها :
لَوْ كُنْتُ أَشْبَهْتَ يَحْيَى فِي مَنَاحِكِهِ * لَمَّا تَنَقَّيْتُ فَحْلاً جَدُّهُ مَطَرُ
لِلَّهِ دَرَجِيَادٌ كُنْتُ سَائِسَهَا * ضِيْعَتَا وَبِهَا التَّحْجِيلُ وَالْغُرَرُ
نُبِئْتُ خَوْلَةً قَالَتْ يَوْمَ أَنْكَحَهَا * قَدْ طَالَمَا كُنْتُ مِنْكَ الْعَارَ أَنْتَظِرُ

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثنا الحسن بن عليّ المعروف بمحمدان^(٢)
عن محمد بن حفص بن عمرو بن الأيهم الحنفيّ قال :

تهم بالحنى الشاعر
فهجاه ولم يعف
عه حتى حقره

مرّ مروان بن أبي حفصة برجل من تيمم اللات بن ثعلبة يعرف بالحنى ؛ فقال له
مروان : زعموا أنك تقول الشعر . فقال له : إن شئت عرّفك ذلك . فقال له مروان :
ما أنت والشعر ، ما أرى ذلك من طريقك ولا مذهبك ولا تقوله ! فقال الحنّى :
أجلس وأسمع بخلس ؛ فقال الحنّى يهجوّه :

٢٠

(١) يقال : أعطاه عطاء غير منزور : إذا لم يلح عليه فيه بل أعطاه عفوا .

(٢) سمى بمحمدان ومحمدان بضم أوله وفتح هـ .

ثَوَى اللُّؤْمُ فِي الْعَجْلَانِ يَوْمًا وَلَيْلَةً * وَفِي دَارِ مَرْوَانَ ثَوَى آخِرَ الدَّهْرِ
غَدَا اللُّؤْمُ يَبْغِي مَطَرًا لِرَحَالِهِ * فَتَقَبَّ فِي بَرِّ الْبِلَادِ وَفِي الْبَحْرِ
فَلَمَّا أَتَى مَرْوَانَ خِيَمَ عِنْدَهُ * وَقَالَ رَضِينَا بِالْمَقَامِ إِلَى الْخَشْرِ
وَلَيْسَتْ لِمَرْوَانَ عَلَى الْعَرَسِ غَيْرَةٌ * وَلَكِنْ مَرْوَانًا يَغَارُ عَلَى الْقَدْرِ
فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ : نَاشَدْتُكَ اللَّهَ إِلَّا كَفَفْتَ ، فَأَنْتَ أَشْعَرُ النَّاسِ . خَلَفَ الْخَنِيَّ
بِالطَّلَاقِ ثَلَاثًا أَنَّهُ لَا يَكْفُفُ حَتَّى يَصِيرَ إِلَيْهِ بِنْفَرٍ مِنْ رُؤَسَاءِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ
بِمَحْضَرَتِهِمْ : قَاقُ فِي آسَتِي بَيْضَةٌ . فَيُخَلِّبُهُمْ إِلَيْهِ مَرْوَانُ وَفَعَلَ ذَلِكَ بِمَحْضَرَتِهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ
جَدِي يَحْيَى بْنُ الْأَيْهَمِ ، فَأَنْصَرَفُوا وَهُمْ يَضْحَكُونَ مِنْ فَعْلِهِ .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ
زَيْدِ الدَّوْسِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ بْنُ قُتَيْبَةَ الْبَاهِلِيِّ ١٠
قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ بْنُ قَطَنٍ بْنُ قَيْصَةَ بْنِ مُخَارِقِ الْهَلَالِيِّ قَالَ :
لَمَّا مَاتَ الْمَهْدِيُّ وَفَدَتِ الْعَرَبُ عَلَى مُوسَى يَهْتَنُونَ بِالْخِلَافَةِ وَيَعُزُّونَهُ عَنْ
الْمَهْدِيِّ ؛ فَدَخَلَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ فَأَخَذَ بَعْضَ أَتَدِي الْبَابِ ثُمَّ قَالَ :
لَقَدْ أَصْبَحْتُ تَحْتَالُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ * بِقَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَقَابِرُ
وَلَوْ لَمْ تُسَكَّنْ بِأَبْنِهِ فِي مَكَانِهِ * لَمَّا بَرَحْتَ تَبْكِي عَلَيْهِ الْمَنَابِرُ ١٥
قَالَ نَفَرَ النَّاسُ بِالْيَتِيمِينَ .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ مَهْرُويهِ قَالَ حَدَّثَنِي
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبَّرِ قَالَ :
مَرِيضٌ عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ وَقَدْ أُبْلِغَ مِنْ مَرَضِهِ
فَأَنْشَأَ يَقُولُ : ٢٠
صَحَّ الْجَسْمُ يَا عَمْرُو * لَكَ التَّمَحِيصُ وَالْأَجْرُ

عزى الهادي
في المهدي بيتين
تناقلهما الناس

مدح عمرو بن
مسعدة في مرضه

٤٨
٩

ولله علينا الحمد * دُ والمِنَّةُ والشكر

فقد كانت شكا شوقاً * إليك النُّهى والأمر

قال فنحا نحوه مُسلم بن الوليد فقال :

قالوا أبو الفضل محمودٌ فقلت لهم * نفسى الفِداء له من كل محذور

يأليت عاتيه بى غير أن له * أجر العليل وأنى غير مأجور

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى قال حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنى رجل من بنى سُليم فى مسجد الرصافة قال أخبرنى مروان بن أبى حفصة قال :

رأى الغول فى بعض
سفراته ففزع

وفدت فى ركب إلى الرشيد فصرنا فى أرض موحشة فقير ، وجن علينا الليل فسرنا لنقطعتها ، فلم نشعر إلا بامرأة تسوق بنا إبلنا وتحذو فى آثارنا ، فاذا هى الغول . فلما لاح الفجر عدلت عنا وأخذت عُرضاً وجعلت تقول :

يا كوكب الصبح إليك عني * فلست من صبح وليس منى

قال : فما أذكر أنى فزعت من شىء قط فزعى ليلئذ .

أخبرنى الحسن بن على قال حدثنى محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثنى على بن الحسن الكوفى قال حدثنى محمد بن يحيى بن أبى مرة التَّغَلَبى قال :

عارضه التغلبي
فى شعره فى وراثة
بنى العباس

مررت بجمعفر بن عَفَّان الطائى يوماً وهو على باب منزله ، فسألت عليه ، فقال لى : مرحباً يا أخا تَغَلَب ، اجلس بجلست . فقال لى : أما تعجب من أبى حفصة لعنه الله حيث يقول :

أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبنى البنات وراثته الأعمام

فقلت بلى والله إنى لأتعجب منه وأكثير اللعن له ، فهل قلت فى ذلك شيئاً؟ فقال : نعم قلت :

(١) العرض : الناحية .

لم لا يكون وإن ذاك لكائن * لبني البنات وراثه الأعمام
 للبنت نصف كامل من ماله * والعم متروك بغير سهام
 ما للطلق وللثرات وإنما * صلى الطلق مخافة الصمصام

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان التوفلي
 قال حدثني صالح بن عطية الأصبهم قال :

لما قال مروان :

أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثه الأعمام
 لزمته وطأدت الله أن أغتاله فأقتله أى وقت أمكنني ذلك ، وما زلت ألاحظه
 وأیره وأكتب أشعاره ، حتى خُصصتُ به ، فأنس بى جداً ، وعرفت ذلك بنو حفصة
 جميعاً فأنسوا بى ، ولم أزل أطلب له غيرة حتى مرض من حمى أصابته ، فلم أزل
 أظهر له الجزع عليه والألم والأظف ، حتى خلاى البيت يوماً فوثبت عليه فأخذت
 بحلقه فما فارقت حتى مات ، فخرجت وتركته ، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتاً ،
 وأرتفعت الصيحة فحضرت وتباكيت وأظهرت الجزع عليه حتى دفن ، وما فطن
 بما فعلت أحد ولا أتهمنى به .

١٥

ثم نعود إلى ذكر إبراهيم بن المهدي وأمه شكلة^(١) . ويكنى أبا إسحاق . وشكلة أمه
 مولدة ، كان أبوها من أصحاب المازيار ، يقال له شاه أفزند ، فقتل مع المازيار
 وسُيِّت بنته شكلة ، حُمِلت إلى المنصور ، فوهبها لمحيأة أم ولده فربتها وبعث بها
 إلى الطائف فنشأت هناك وتفصحت ، فلما كبرت رُدَّت إليها . فرآها المهدي

نشأته ونسب أمه

شكلة

٤٩

٩

(١) ضبط في القاموس بالقلم يفتح أوله . وفي الطبري يفتح أوله وكسره .

عندها فأعجبته ، فطلبها من مُحَيَّاة فأعطته إياها ، فولدت منه إبراهيم . وكان رجلاً عاقلاً
فهِمًا دِينًا أديبًا شاعرًا راويةً للشعر وأيام العرب خطيبًا فصيحًا حسنَ العارضة .

وكان إسحاق الموصلي يقول : ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن العباس :
رجلاً أفضل من إبراهيم بن المهدي . فقيل له : مع ما تبدل له من الغناء ؟ فقال :
وهل تم فضله إلا بذلك ! . حدثني بذلك محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه .

مدحه إسحاق
الموصلي

وكان أشد خلق الله إعظاماً للغناء ، وأحرصهم عليه ، وأشدهم منافسةً فيه . وكانت
صنعتُه لينةً ، فكان إذا صنع شيئاً نسبته إلى شارية وريق ، لئلا يقع عليه فيه طعن
أو تقريع ، فقلتُ صنعتُه في أيدي الناس مع كثرتها لذلك . وكان إذا قيل له فيها شيء
قال : إنما أصنع تطريباً لا تكسباً ، وأغنى لنفسي لا للناس فأعمل ما أشتي . وكان
حُسنُ صوته يستر عوار ذلك كله . وكان الناس يقولون لم يُرفى جاهلية ولا إسلام
أخ وأخت أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته علية . وكان يُماظ ^(٢) إسحاق
ويُجادله ، فلا يقوم له ولا يبقى به ، ولا يزال إسحاق يغلبه ويغضبه ^(٣) بزيته ويغض
منه بما يظهر عليه من السقطات ويبيت من خطئه في وقته وعجزه عن معرفة
الخطأ الغامض إذا مر به ؛ وقصوره عن أداء الغناء القديم فيفضحه بذلك . وقد
ذكرتُ قطعة من هذه الأخبار في أخبار إسحاق وأنا أذكرها هنا منها ما لم أذكر هناك .

كان ينسب
ما يصنع لشارية
وريق جاريته

كان ينازع إسحاق
ويجادله وجرى
بينهما مناظرات
في الغناء

ومما خالف إبراهيم بن المهدي ومن قال بقوله على إسحاق فيه : الثَّقِيلَانِ
وخفيفهما ؛ فإنه سمى الثَّقِيلَ الأول وخفيفه الثَّقِيلَ الثاني وخفيفه ، وسمى الثَّقِيلَ
الثاني وخفيفه الثَّقِيلَ الأول وخفيفه ؛ وجرى بينهما في ذلك مناظراتٌ ومجادلاتٌ
ومراسلة ومكاتبة ومشافهة ، وحضرهما الناس ، فلم يكن فيهم من يفتي بفصل

(١) هذه الكلمة ليست في ج . (٢) يماظ : ينازع . (٣) في الأصول : « وقت » . ٢٠

ما بينهما^(١) والحكم لأحدهما على صاحبه . ووضع لذلك مكاييل لتعرف بها أقدار الطرائق ، وأمسك كل واحد منهما إلى آخر أقداره ، فلم يصح شيء يعمل عليه ، إلا أن قول إبراهيم بن المهدي أضحل وبطل وترك ، وعمل الناس على مذهب إسحاق ؛ لأنه كان أعلم الرجلين وأشهرهما . وأوضح إسحاق أيضا لذلك وجهها فقال : إن الثقل الأول يميء منه قدران ، الثقل الأول التام ، والقدر الأوسط من الثقل الأول ، وجميعا طريقته واحدة لا تساعه والتكفي منه ، والثقل الثاني لا يميء هذا فيه ولا يقاربه . والثقل الأول يمكن الإدراج في ضربه لنقله ، والثقل الثاني لا يتدرج لنقصه عن ذلك . ولهما في هذا كلام كثير ومخاطبات قد ذكرتها في أخبارهما ، وشرحت العلل مبسوطة في كتاب ألفته في النعم شرحا ليس هذا موضعه ولا يصلح فيه . وأما التجزئة والقسمه فإنهما أفتيا أعمارهما في تنازعهما فيهما ، حتى كان يمضي لهما الزمان الطويل لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما في قسمه وتجزئة صوت واحد فيه ، وحتى كانا يخرججان إلى كل قبيح ، وحتى إنهما ماتا جميعا وبينهما منازعة في هذا الصوت وقسمته :

٥٠
٩

حييا أم يعمرا * قبل شحط من النوى

لم يفصل بينهما فيها إلى أن أفتقا . ولو ذهبت إلى ذكر ذلك وشرح سائر أخبار إبراهيم بن المهدي وقصصه لما ولي الخلافه وغير ذلك من وصفه بفصاحة اللسان ، وحسن البيان ، وجودة الشعر ، ورواية العلم ، والمعرفة بالحدل ، وجزالة الرأي ، والتصريف في الفقه واللغة ، وسائر الآداب الشريفة ، والعلوم النفيسة ، والأدوات الرفيعة ، لأطلت . وإتباع الغرض في هذا الكتاب الأغاني أو ما جرى مجراها ، لاسيما لمن كثرت الروايات والحكايات عنه ؛ فلذلك أقتصرت على ما ذكرته من أخباره دون ما يستحقه من التفضيل والتبجيل والثناء الجميل .

(١) لعله : ووضع كلاهما أو كل منهما أو نحو ذلك .

أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني علي بن محمد بن بكر عن جدهم حماد بن
ابن إسماعيل قال قال لي إبراهيم بن المهدي :

كلمة لإبراهيم بن
المهدي عن نفسه
في صنعة الغناء

لولا أنني أرفع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرت فيها ما يعلم الناس معه أنهم
لم يروا قبلي مثلي .

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم
ابن جعفر بن سليمان الهاشمي قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال :
دخلت يوماً إلى الرشيد وفي رأسي فضلة نحارة ، وبين يديه ابن جامع وإبراهيم
الموصل . فقال : بحياتي يا إبراهيم غني . فأخذت العود ولم ألتفت إليهما لما في رأسي
من الفضلة فغنيت :

غنى الرشيد وعنده
ابن جامع وإبراهيم
الموصل فاطر ياء

أسرى بخالدة الخيال ولا أرى * شيئاً ألد من الخيال الطارق^(١)
فيسمعت إبراهيم يقول لابن جامع : لو طلب هذا بهذا الغناء ما نطلب لك أكلنا
خبزاً أبداً . فقال ابن جامع : صدقت . فلما فرغت من غنائي وضعت العود ثم قلت :
خذاً في حقكما ودعاً باطلنا .

نسبة هذا الصوت

١٥ صوت

أسرى بخالدة الخيال ولا أرى * شيئاً ألد من الخيال الطارق^(١)
إِنَّ الْبَلِيَّةَ مَنْ تَمَلَّ حُدَيْثُهُ^(٢) * فَأَنْقَعَ فؤَادُكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ
أَهْوَاكَ فَوْقَ هَوَى النُّفُوسِ وَلَمْ يَزَلْ * مُذْ بَنَيْتَ قَلْبِي كَالْبَحْنَانِ الْخَافِقِ

(١) رواية الديوان : « أسرى بخالدة الخ »

(٢) في ديوان جرير : « يمل » بالبناء المجهول .

طَرَبًا إِلَيْكَ وَلَمْ تُبَالِي حَاجَتِي * لَيْسَ الْمَكَاذِبُ كَالْخَلِيلِ الصَّادِقِ^(١)
الشعر لحرير . والغناء لابن عائشة رَمَلٌ بِالْوُسْطَى عَنْ عَمْرٍو .

أَخْبَرَنِي بِحُظَّةٍ قَالَ أَخْبَرَنِي هَبَّةُ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي ،
وَحَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي هَبَّةُ اللَّهِ — وَلَمْ يَذْكُرْ عَنْ
أَبِيهِ — قَالَ :

غنى الرشيد وعنده
سليمان بن أبي جعفر
وجعفر بن يحيى

كَانَ الرَّشِيدُ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ أَبِي . وَقَالَ بِحُظَّةٍ عَنْ هَبَّةِ اللَّهِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : كَانَ
الرَّشِيدُ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَني ، فَنَجَلَا بِي مَرَّاتٍ إِلَى أَنْ سَمِعَنِي . ثُمَّ حَضَرَتْهُ مَرَّةً وَعِنْدَهُ
سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، فَقَالَ لِي : عَمَّكَ وَسَيِّدُ وَلَدِ الْمَنْصُورِ بَعْدَ أَبِيكَ وَقَدْ أَحَبَّ أَنْ
يَسْمَعَكَ ، فَلَمْ يَتْرَكْنِي حَتَّى غَنَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ :

إِذَا أَنْتَ فِينَا لِمَنْ يَنْهَاكَ عَاصِيَةٌ * وَإِذَا أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي

فَأَمَرَنِي بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي لَيْلَةً وَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَجْلِسِ إِلَّا جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى :
أَنَا أَحَبُّ أَنْ تَشْرَفَ جَعْفَرًا بِأَنْ تَغْنِيَهُ صَوْتًا . فَغَنَيْتُهُ لَحْنًا صَنَعْتُهُ فِي شَعْرِ الدَّارِمِيِّ :
كَأَنَّ صَوْرَتَهَا فِي الْوَصْفِ إِذَا وَصِفَتْ * دِينَارٌ صَيْنٌ مِنَ الْمَصْرِفَةِ الْعُتْقِ

٥١
٩

نَسَبَةُ هَذَيْنِ الصَّوْتَيْنِ ، مِنْهُمَا :

صَوْت

سَقِيًّا لِرَبْعِكَ مِنْ رَبْعٍ بَذَى سَلَمٌ * وَلِلزَّمَانِ بِهِ إِذَا ذَاكَ مِنْ زَمَنِ
إِذَا أَنْتَ فِينَا لِمَنْ يَنْهَاكَ عَاصِيَةٌ * وَإِذَا أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي
الشعر للأحوص . والغناء لابن سُرَيْجٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوُسْطَى عَنْ عَمْرٍو

(١) . فِي الْأَصُولِ :

شَوْقًا إِلَيْكَ وَلَمْ تَجَازِ مَوْدِقِي * لَيْسَ الْمَكَاذِبُ بِالْخَبِيبِ الصَّادِقِ
والتصويب عن الديوان . (٢) . لَعَلَّهُ : « الْأَوَّلُ مِنْهَا إِخ » .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن زهير عن مُصْعَب قال : أَنشد
مُنشِدُ وَأَبْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ عِنْدَنَا قَوْلَ الْأَحْوَصِ :

إِذْ أَنْتَ فِينَا لَمْ يَنْهَكَ عَاصِيَةٌ * وَإِذْ أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي

فَوَثَبَ، قائماً وألقى طرف رداءه وجعل يخطو إلى طرف المجلس ويحُرّه . ثم فعل ذلك
حتى عاد إلينا . فقلنا له : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا الشَّعْرَ
مَرَّةً فَأُطْرَبُنِي ، فجعلت على نفسي ألا أسمعهُ أبداً إلا جرت رَسَنِي .

والآخر من الصوتين :

صوت

كَأَنَّ صَوْرَتَهَا فِي الْوَصْفِ إِذْ وُصِفَتْ * دِينَارُ عَيْنٍ مِنَ الْمِصْرِيَّةِ الْعُتُقِ
أَوْ دُرَّةٌ أَعْيَتْ الْغَوَاصَ فِي صَدْفٍ * أَوْ ذَهَبٌ صَاغَهُ الصَّوَاغُ فِي وَرَقِ
الشَّعْرِ لِلدَّارِمِيِّ . وَالْغِنَاءُ لِمَرْزُوقِ الصَّوَّافِ رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ أَبِي الْمَكِيِّ . وَذَكَرَ عَمْرُو
أَنْ هَذَا اللَّحْنُ لِلدَّارِمِيِّ أَيْضًا . وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لَا بَنَ مُرَيْجٍ . وَفِي هَذَا الْخَبَرِ أَنَّهُ
لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ . وَفِيهِ خَفِيفٌ رَمَلٌ يُقَالُ إِنَّهُ لَحْنُ مَرْزُوقِ الصَّوَّافِ ، وَيُقَالُ
إِنَّهُ لَمَتِّمٌ ثَانِي ثَقِيلٌ عَنِ الْهَشَامِيِّ وَأَبْنِ الْمُعْتَزِّ .

أخبرني يحيى بن المنجم قال ذكر لي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن إسحاق
بن عمرو بن بزيع قال :

غنى صوتا على أربع
طبقات

كُنْتُ أَضْرِبُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ صَوْتًا ذَكَرَهُ فَنَنَاءَ عَلَى أَرْبَعِ طَبَقَاتٍ ،
(١)
عَلَى الطَّبَقَةِ الَّتِي كَانَ الْعُودُ عَلَيْهَا ، وَعَلَى ضَعْفِهَا ، وَعَلَى إِنْجَاحِهَا ، وَعَلَى إِسْبَاحِ الْإِسْبَاحِ .
قَالَ أَبُو أَحْمَدَ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : وَهَذَا شَيْءٌ مَا حُكِيَ لَنَا عَنْ أَحَدٍ غَيْرِ إِبْرَاهِيمَ ،

وقد آطاه بعض الحُذَّاق بهذا الشأن، فوجده صعباً متعذراً لا يُبلَّغ إلا بالصوت القويّ وأشدّ ما في إنجاح الإنجاح؛ لأن الضَّعْف لا يُبلَّغ إلا بصوت قويّ. إمل إلى الدقة، ولا يكاد ما أوسع مخرجه يبلغ ذلك. فإذا دقّ حتى يبلغ الإضعاف لم يقدر على الإنجاح فضلاً عن إسجاح الإنجاح. فاذا غلظ حتى يتمكن من هذين لم يقدر على الضَّعْف.

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر ابن سليمان الهاشمي قال حدثني محمد بن سليمان بن موسى الهادي قال :

٥٢
٩

دعاني إبراهيم بن المهدي يوماً فصرت إليه، وغنّ صوتاً لمعبد :
أفي الحق هذا أني بك مُولَع * وأن فؤادي نحوك الدَّسَر نازعُ

فقال لي : لمن هذا الغناء؟ فقلت : يا سيدي يقولون إنه لمعبد، ولا غنّ والله معبد كذا قط، ولا يمعّت أحداً يقول كذا، لا والله ما في الدنيا كذا. قال : فضحك ثم قال : والله يا بني ما قمتُ بنصف ما كان يقوم به معبد.

نسبة هذا الصوت

أمّا المَنّ فمن الثَّقيل الثاني، وقد ذكر في هذا الخبر أنه لمعبد، وما وجدته في شيء من الكتب له. وذكر الهشام أنه لابن المكي.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نُعيم قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثني عيسى بن محمد القُحطبي قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخُر قال :

باب غمارة عند
الأموي

لما قديم المأمون من نُرَاسان لم يظهر لمغنّ بالمدينة مدينة السلام غيري، فكنْتُ أنا دمه سرّاً، ولم يظهر للتدماة أربع سنين، حتى ظفّر بإبراهيم بن المهدي.

فلما ظفر به وعفا عنه ظهر للندماء ثم جمعنا ؛ ووجه إلى إبراهيم فحضره رثياب
مُتَبَدِّلَةٌ . فلما رآه المأمون قال : ألقى عمى رداء الكبر عن منكبيه ، ثم أمر له بخلع
فاخرة وقال : يا فتى ^(١) قد عمى ؛ فتغدى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحوّل إلينا ،
وكان مُحَارِقَ حاضراً ، فغنى مُحَارِقُ :

هذا وربُّ مسوفين ^(٢) صَبَحْتُهُمْ * من نحر بايل لذة للشارب .

فقال له إبراهيم : أسأت فأعد ؛ فأعاده ، فقال : قاربت ولم تُصِبْ . فقال له
المأمون : إن كان أساء فأحسن أنت ، فغناه إبراهيم ثم قال لمُحَارِقُ : أعدّه فأعاده ،
فقال : أحسنت . فقال للمأمون : كم بين الأمرين ؟ فقال : كثير . فقال لمُحَارِقُ :
إنما مثلكَ كمثَلُ التَّوْبِ الفَاخِرِ إذا غفل عنه أهلُه وقع عليه الغبار فأحال لونه ، فإذا
نُقِضَ عاد إلى جوهره . ثم غنى إبراهيم :

يا صاح يا ذا الضامر العنيس * والرجل ذى الأقتاد ^(٣) والحلس

أما النهار فما تُقَصِّرُهُ * رتكا ^(٤) يزيدك كلباً تمسبي

قال : وكانت لي جائزة قد خرجت ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر سيدي باللقاء هذا
الصَّوْتِ على مكان جائزتي فهو أحبُّ إليَّ منها . فقال : يا عم ألقى هذا الصَّوْتِ على
مُحَارِقٍ ، فالتقاء على ، حتى إذا كدت أن أخذه قال : أذهب فأنت أحقُّ الناس به .
فقلت : إنه لم يصلح لي بعد . قال : فأغدُّ على . فغدوت عليه فغناه متلوياً ؛ فقلت : أيها
الأمير ، لك في الخلافة ما ليس لأحد ، أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعمُّ الخليفة ،

ضنَّ على مُحَارِقِ
بصوت

(١) هو فتح خادم المأمون . انظر الطبري (ق ٣ ص ١٠٤١) . (٢) المسوفون : الصبر ؛

يقال : إن فلاناً لمُسَوِّفٍ (بالبناء للفاعل) إذا كان صبوراً . (راجع لسان العرب في مادة سَوِّف) .

(٣) يقال جعل ضامر ، وناق ضامر (بغير هاء) وضامرة . والعنيس : الناقة الصلبة القوية . والحلس :
كل شيء ، ولي ظهر البعير والدابة تحت الرجل والفتب والبرج . (٤) الرتك : سير اللابل سريعاً .

يُجود الرغائب وتَجَلَّ على بصوت ا فقال : ما أحقك ! إن المأمون لم يَسْتَبْقِي
 حُبَّةً في ولا صِلَّةٍ لرحمي ولا رِبَاءً للعرف عندى ، ولكنه سَمِعَ من هذا الجرم^(١)
 ما لم يَسْمَعْ من غيره . قال : فأعلمتُ المأمونَ مقالته ؛ فقال : إنا لانكدر على أبي إسحاق
 عَفْونا عنه ، فدعه . فلما كانت أيامُ المعتصم نَشِطَ للصُّبُوح يوماً فقال : أحضروا عني .
 بفاء في دُرَاعَةٍ من غير طَلِيسان . فأعلمتُ المعتصمَ خبرَ الصَّوتِ سرّاً . فقال : يا عم غنني :
 * يا صاح يا ذا الضَّامِرِ العَنَسِ *

فغناه ؛ فقال : ألقه على مُخارق . فقال : قد فعلتُ ، وقد سبق مني قولٌ ألا أُعيدَه
 عليه . ثم كان يتجنَّب أن يغنَّيه حيث أحضره .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

هذا ورُبُّ مُسَوِّفِينَ صَبَحْتُهُمْ * من نحرٍ بابلَ لَذَّةٍ للشارِبِ
 بَكَرُوا على بُسْخَرَةٍ فصَبَحْتُهُمْ * بلِواءِ ذِي كَرَمٍ كَقَعْبِ الحَالِبِ
 بُزْجاجةٍ مِلءِ اليَدَيْنِ كَأَنَّهَا * قِنْدِيلُ فِصْحٍ^(٢) في كِنِيسَةِ رَاهِبٍ
 الشَّعْرُ لَعِيدِيَّ بن زِيد . والغناء لِحَيْنٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالسَّابَةِ في مجرى البَنْصَرِ
 عن إسحاق .

صوت

يا صاح يا ذا الضَّامِرِ العَنَسِ * والرَّحْلُ ذِي الأَقْتَادِ وَالْحِلْسِ
 أُمَّا النَّهَارُ فَمَا تُقَصِّرُهُ * رَتَّكَا يَزِيدُكَ كَلِّمَا تُمَسِّنِي
 الشَّعْرُ لِحَالِدِ بن المُهَاجِرِ بن خَالِدِ بن الوليد .

٢٠ . (١) الجرم هنا : الخلق أو الصوت . (٢) الفصح (بالكسر) : عيد النصارى .

وذكر أحمد بن أبي طاهر عن أبيير مولاة منصور بن المهدي عن دُؤابة مولاته
أيضا قالت قالت لي أسماء بنت المهدي :

طلبت إليه أخته
أسماء، سماع غناه

قلت لأخي إبراهيم : يا أخى أشتى والله أن أسمع من غنائك شيئا . فقال :
إذا والله يا أختي لا أسمع من مثله ، على وعلى ، وظل في اليمن ، إن لم يكن إبليس ظهر لي
وعلمني النقر والنغم وصاحني وقال لي : اذهب فانت مني وأنا منك .

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هبة الله بن إبراهيم
ابن المهدي عن أبيه قال :

غضب عليه الأمين
ثم رضى عنه

غضب علي محمد الأمين في بعض هذاته ، فسأمني إلى كوثر^(١) ، فخبسني في سرداب
وأغلقه علي فمكثت فيه ليلتي . فلما أصبحت إذا أنا بشيخ قد خرج علي من زاوية
السرداب ، ودفع إلي وسطا وقال : كُلْ فاكلت^(٢) ، ثم أخرج قنينة شراب فقال :
أشرب فشربت ، ثم قال لي : غن :

لي مُدَّة لا بُدَّ أبلغها * معلومة فإذا آنقضت ميت

لو ساورتني الأسد ضارية * لغلبيتها ما لم ينج الوقت

فغنيته . وسمعتي كوثر فصار إلى محمد وقال : قد جن عمك وهو جالس يغني بكيت
وكيت . فأمر بإحضاري فأحضرت وأخبرته بالقصة ، فأمر لي بسبعائة ألف درهم
ورضى عني .

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال سمعت ينشوي يحدث عن أبي أحمد
ابن الرشيد قال :

طرح أخته طية
فاطمة المأمون
وأحمد بن الرشيد

كنت يوما بحضرة المأمون وهو يشرب ، فدعا بيا سير وأدخله فساره بشيء ومضى^(٣)
وعاد . فقام المأمون وقال لي : قم ، فدخل دار الحرم ودخلت معه ، فسمعت غناء

(١) هو كوثر خادم محمد الأمين . (انظر قرا عليه في الطبري ق ٣ ص ٨٩٩ ، ٩٢٨ ، ٩٣٩ ، ٩٥٦ ،

٩٦٥) . (٢) كذا في الأصول وظاهر أنه يريد نوحا من الطعام . (٣) في الأصول : « فسر » .

أذهل عقلي ولم أقدر أن أتقدم ولا أتاخر. وفطن المأمون لما بي فضحك ثم قال :
هذه عمتك عليّة تطارح عمتك إبراهيم :

* مالي أرى الأبصار بي جافية *

نسبة هذا الصوت

مالي أرى الأبصار بي جافية * لم تلتفت مني إلى ناحية

لا ينظر الناس إلى المبتلى * وإنما الناس مع العافية

وقد جفاني ظالماً سيدي * فادمعي منهلةً هامية

صحي سألوا ربكم العافية * فقد دهنني بمدنكم داهية

الشعر والغناء لعلية بنت المهدي خفيف رمل . وأخبرني ذكاء وجه الرزة أن

لعرية فيه خفيف رمل آخر مزموراً، وأن لحن عليّة مطلق .

١٠

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي عن إبراهيم بن علي بن هشام أن
إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بجنس صوت صنعه وإصبعه وتجراه وإجراه
لحنه؛ فغناه إبراهيم من غير أن يسمعه فأتى ما صنعه . والصوت :

حييا أم يعمرأ * قبل شحط من النوى

قلت لا تعجلوا الروا * ح فقالوا ألا بلى

أجمع الحى رحلة * ففؤادى كذى الأتى

١٥

نسبة هذا الصوت

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل

الأول مطلق في تجرى الوسطى . وذكر عمرو بن بانه أنه لما لك . وفيه للهدلى

خفيف ثقيل أول بالبصر عن ابن المكي، وزعم الهشامى أنه لحن مالك . وفيه

٢٠

(١) في ب، س، ج : «واهة» .

لَحْنَانٍ مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي أَحَدُهُمَا لِإِسْحَاقَ وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ بِهِ إِسْحَاقُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ .
وَالْآخَرُ زَعِمَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ ، وَزَعِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامُ
أَنَّهُ لِأَبْنِ مُحَرَّرٍ .

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى أَبُو الْجُمَّانِ : أَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ
لَمْ يَصْنَعْ صَوْتَهُ :

* قُلْ لِمَنْ صَدَّ حَاتِبًا *

اتَّصَلَ خَبْرُهُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ فَكَتَبَ يَسْأَلُهُ عَنْهُ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِشَعْرِهِ وَإِقَاعِهِ
وَبَسِيطِهِ وَمِجْرَاهُ وَإِصْبَعِهِ وَتَجَزُّئِهِ وَأَقْسَامِهِ وَمَخَارِجَ نَعْمِهِ وَمَوَاضِعَ مَقَاطِعِهِ وَمَقَادِيرَ
أَدْوَارِهِ وَأُوزَانِهِ ، فَعَنَاهُ . قَالَ : ثُمَّ لَقِينِي فَعَنَانِيهِ ، فَفَضَّلَنِي فِيهِ بِحَسَنِ صَوْتِهِ .

نسبة هذا الصوت

قُلْ لِمَنْ صَدَّ حَاتِبًا * وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا

بَدَّ بَلَغْتَ الَّذِي أُرِدَ * تَ وَإِنْ كُنْتَ لَاعِبًا

الشعر والغناء في هذا اللحن لإسحاق ، ثانياً ثلث بالبنصر في مجراها ، وفيه لغيره ألحان .

أَخْبَرَنِي أَبُو عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ نَعِيمٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ
أَبِيهِ قَالَ :

سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادٍ يَقُولُ : كُنْتُ أُعِيبُ الْغِنَاءَ وَأَطْعُنُ عَلَى أَهْلِهِ ،

فَخَرَجَ الْمُعْتَصِمُ يَوْمًا إِلَى الشَّيْخَانِيَّةِ فِي حَرَّاقَةٍ يَشْرِبُ ، وَوَجَّهَ فِي طَلَبِي فَصُرْتُ إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا

قَرُبْتُ مِنْهُ سَمِعْتُ غِنَاءً حَيْرَنِي وَشَغَلَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَسَقَطَ سَوْطِي مِنْ يَدِي ؛

فَأَلْتَفْتُ إِلَى زَنْقِطَةٍ غَلَامِي أَطْلَبُ مِنْهُ سَوْطَهُ ، فَقَالَ لِي : قَدْ وَاللَّهِ سَقَطَ سَوْطِي .

فَقُلْتُ لَهُ : فَأَيُّ شَيْءٍ كَانَ سَبَبَ سَقُوطِهِ ؟ قَالَ : صَوْتُ سَمِعْتُهُ شَغَلَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

فَسَقَطَ سَوْطِي مِنْ يَدِي ؛ فَإِذَا قِصَّتُهُ قِصَّتِي . قَالَ : وَكُنْتُ أَنْكَرُ أَمْرَ الطَّرَبِ عَلَى

سمعه أحمد بن
أبي دراد فذهل
عن نفسه ورجع
عن إنكاره الغناء

١٥٠

٢٠٠

الغناء ١٠٠ يستفز الناس منه ويغلب على عقولهم، وأناظر المعتصم فيه . فلما دخلت عليه يومئذ أخبرته بالخبر، فضحك وقال : هذا عمي كان يغني :

إن هذا الطويل من آل حفص * نشر المجد بعد ما كان ماتا

فإن ثبت مما كنت تناظرنا عليه في ذم الغناء سألته أن يعيده ، ففعلت وفعل ، بلغ بي الطرب أكثر مما يئلني عن غيري فأكرهه ورجعت عن رأي منذ ذلك اليوم . وقد أخبرني بهذا الخبر أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فذكر هذه القصة أو قريباً منها لزيادة اللفظ ونقصانه ، وذكر أن الصوت الذي غناه إبراهيم :

طرقك زائرة فحى خيالها * بيضاء تخلط بالحياء دلالها

هل تطمسون من السماء نجومها * بأكفكم أو تسترون هلالها

اتخذ لنفسه حراقة
بجاء داره

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن علي قال :

سمعت هبة الله بن إبراهيم بن المهدي يقول : اتخذ أبي حراقة فأمر بشدها في الجانب الغربي بجاء داره ، فمضيت إليها ليلة فكان أبي مخاطباً من داره بأمره ونهيه ، فنسمعه وبيتنا عرض دجلة وما أجهد نفسه .

ثناء ابن أبي ظبية
عليه

أخبرني عمي قال سمعت عبد الله بن مسلم بن قتيبة يقول حدثني ابن أبي ظبية قال : كنت أسمع إبراهيم بن المهدي يتحنن فأطرب .

غنى وعنده مدّة
من المغنين وغنى
بعده فحارق فأعاد
هو فأطرب

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهران قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطراني المغني عن محمد بن جابر عن عبد الله بن العباس الربيعي قال :

كنا عند إبراهيم بن المهدي ذات يوم وقد دعا كل مطرب محسن من المغنين
يومئذ وهو جالس يلعب أحدهم بالشطرنج^(١) . فترنم بصوت فريدة :

قال لي أحمد ولم يدّر ما بي * أُنحِبُّ الغداة عُتْبَةَ حَقًّا

- وهو مُتَكَيٍّ . فلما فرغ منه ترنم به مُخَارِقٌ فأحسنَ فيه وأطربنا وزاد على إبراهيم ،
فأعاده إبراهيم وزاد في صوته فعنّى على غناء مُخَارِقٌ . فلما فرغ رده مُخَارِقٌ وغنّى فيه
بصوته كله وتحفظ فيه ، فيكدنا نطير سرورًا . وأستوى إبراهيم جالسًا وكان متكئًا فغناه
بصوته كله ووقاه نغمه وشُدُّورَه ، ونظرتُ الى كتفيه تهترآن وبدنه أجمع يتحرك حتى
فرغ منه ، ومُخَارِقٌ شاخصٌ نحوه يُرعدُ وقد انتقع لونه وأصابه تحتلج ؛ فُحِيلَ لي والله
أَنْ الإيوان يسير بنا . فلما فرغ منه تقدم إليه مُخَارِقٌ فقبل يده وقال : جعلني الله فداك
أين أنا منك ! ثم لم ينتفع مُخَارِقٌ بنفسه بقيّة يومه في غنائه ، والله لكأنا ما كان يتحدث .

نسبة هذا الصوت

قال لي أحمد ولم يدّر ما بي * أُنحِبُّ الغداة عُتْبَةَ حَقًّا

فتنفسْتُ ثم قلت نعم حبٌّ . ما جرى في العروق عِرْقًا فِعْرَقًا

ما لدمعي عِدْمَتُهُ ليس يرقًا^(٢) * إنما يَسْتَهْلُ غَسَقًا فَغَسَقًا^(٣)

طَرَبًا نحو ظبية تركت قلبي من الوجد قَرْحَةً ما تَفَقَّا^(٤)

(١) كذا في ج . وفي أ : « ترنم بعضهم » . وفي سائر الأصول : « ترنم أحدهم » وكلاهما

تحريف . وفي نهاية الأرب (ج ٤ ص ٢٢٨ طبع دار الكتب المصرية) : « ترنم إبراهيم » .

(٢) يرقا : يجف ويقطع ، وأصله الهمز . (٣) الغسق : الانصباب ؛ يقال :

خسفت العين تغسق (من باب ضرب) غسقا وغسقانا إذا دمت . (٤) تفقا : تفلق

وتلشق ، وأصله الهمز .

٥٦
٩

الشعر لأبي العتاهية . والغناء لفريدة خفيف رمل بالوسطى . وفيه لإبراهيم
ابن المهديّ خفيف رمل آخر . وفريدة أيضا لحنّ من الثقيل الثاني في أبيات
من هذه القصيدة وهي :

قد لَعَمْرِي مَلَّ الطَّيِّبُ وَمَلَّ الـ * أَهْلُ مَنَى مِمَّا أَدَاوَى وَأَرْقَى
لَيْتَنِي مِتَّ فَأَسْتَرَحْتُ فَإِنِّي * أَبَدًا مَا حَيَّيْتُ مِنْهَا مُلَقًى^(١)

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هبة الله بن إبراهيم غنى الأمين فاطربه
ابن المهديّ قال حدثني عمي منصور بن المهديّ :

أنه كان عند أبي في يوم كانت عليه فيه نوبةٌ لمحمد الأمين ، فتشاغل
أبي بالشرب في بيته ولم يَمِضْ ، وأرسل إليه عدة رُسل فتأخر . قال منصور :
فلما كان من غدٍ قال : ينبغي أن تعمل على الرواح إلى لنمضي إلى أمير المؤمنين
فنترضاه ؛ فـ ؛ أشك في غضبه عليّ . ففعلت ومضيتنا . فسألنا عز خبره فأعلمنا أنه
مشرف على حير الوحش وهو مخجور ، وكان من عادته ألا يشرب إذا لحقه الخمار .
فدخلنا ؛ وكان طريقنا على حجرة تُصنع فيها الملاحى . فقال لي أنسى : أذهب فاحتر
منها عودا ترضاه ، وأصلحه غاية الإصلاح حتى لا تحتاج إلى تغييره البتة عند الضرب ؛
ففعلت وجعلته في كمي . ودخلنا على الأمين وظهره إلينا . فلما بصرنا به من بعيد قال :
أخرج عودك فاحرجته ، وأندفع بغنيّ :

وكأيس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس أني أمرؤ * أتيت الفتوة من بابها

(١) الملقى : المحتن الذي لا يزال يلقاه مكروه إثر مكروه .

(٢) الحير : الحظيرة والبستان .

وشاهدنا الجُلَّ واليَّاسِمَ * سَيْنُ والمُسِمَعَاتُ بِقُصَابِهَا
رَبِّطْنَا دَائِمًا مَعْمَلٌ * فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَزْرَى بِهَا

- فَأَسْتَوِي الْأَمِينَ جَالِسًا وَطَرِبَ طَرِبًا شَدِيدًا وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا عَمُّ وَأُحْيَيْتَ لِي
طَرِبًا ، وَدَعَا بِرُطْلٍ فَشَرِبَهُ عَلَى الرَّيْقِ وَأَمْتَدَّ فِي شَرِبِهِ ، قَالَ مَنْصُورٌ : وَغَنَّى إِبْرَاهِيمُ
يَوْمَئِذٍ عَلَى أَشَدِّ طَبَقَةٍ يُتَنَاهَى إِلَيْهَا فِي الْعُودِ ، وَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ غِنَائِهِ يَوْمَئِذٍ قَطُّ . وَلَقَدْ
رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا عَجِيبًا لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ مَا صَدَّقْتُ ، كَانَ إِذَا ابْتَدَأَ يَغْنَى أَصْغَتِ الْوَحْشُ
إِلَيْهِ وَمَدَّتْ أَعْنَاقَهَا ، وَلَمْ تَزَلْ تَدْنُو مِنَّا حَتَّى تَكَادَ أَنْ تَضَعَ رُءُوسَهَا عَلَى الدُّكَّانِ الَّذِي
كُنَّا عَلَيْهِ ، فَإِذَا سَكَتَ تَفَدَّتْ وَبُعَدَتْ مَنَّا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى أُبْعَدِ غَايَةِ يُمْكِنُهَا التَّبَاعُدُ
فِيهَا عَنَّا ، وَجَعَلَ الْإِنْسَانُ يَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنْصَرَفْنَا مِنَ الْجَوَائِزِ بِمَا لَمْ نَنْصَرَفْ بِمِثْلِهِ قَطُّ .

- أَخْبَرَنِي عَمِّي وَالصُّوْلِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى الْكَاتِبُ أَبُو الْجَمَّانِ أَنَّ
إِسْحَاقَ كَتَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِّيِّ بِصَوْتِ صَنْعِهِ فِي شَعْرِهِ وَهُوَ :

كتب له إسحاق
بصوت صنفه فغناه
وأجاده

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا * وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتُ * تَ وَإِنْ كُنْتَ لِأَعْبَا

- وَيَنْ لَهُ شَعْرَةٌ وَإِقَاعَةٌ وَبَسَاطَةٌ وَجَرَاهُ وَإِصْبَعَةٌ وَتَجَزُّؤَةٌ وَقِسْمَةٌ وَخَارِجٌ نَفْمَةٌ
وَمَوَاضِعٌ مَقَاطِعُهُ وَمَقَادِيرُ أَوْزَانُهُ ، فَغَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ ، ثُمَّ لَقِيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَغَنَاهُ إِيَّاهُ فَمَا نَحَرَمَ مِنْهُ
شَذْرَةً وَلَا نَعْمَةً ، قَالَ : وَفَاقَنِي فِيهِ بِحَسَنِ صَوْتِهِ .

نسبة هذا الصوت

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا * وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتُ * تَ وَإِنْ كُنْتَ لِأَعْبَا

٥٧
٩

- ٢٠ (١) أنظر شرح هذا البيت مفصلاً في الأغاني ج ٦ ص ٢٩٩ من هذه الطبعة .
(٢) البربط : العود ، فارسي معرب . وفي ١ و ٢ : « وإبريقنا دائماً معمل » .

وَأَعْتَرَفْنَا بِمَا آذَعَيْتَ * وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا

فَأَفْعَلِ الْآنَ مَا أَرَدْتَ * فَتَقْدَحُثُ تَائِبًا

يقال : إن الشعر لإسحاق ، ولم أجده في مجموع شعره . ووجدت فيه لحنًا لحكم الوادي في ديوان أغانيه ولحنه من الماخوري ، وهو خفيف من خفيف الثقل الثاني (١) بالنصر . وكذلك ذكرت دنانير أنه لحكم الوادي ؛ ويُسببه أن يكون الشعر لغيره . ولحن إسحاق الذي كتب به إلى إبراهيم بن المهدي ثاني ثقل بالنصر في مجراها ، وفيه ثقل أول مطلق في مجرى النصر لم يقع إلى نسبتته إلى صانعه ، وأظنه لحن حكم .

ففي أبادلف العجلى
وأهداه جارية

أخبرني عمي قال حدثنا أبو عبد الله المرزبان قال حدثني إبراهيم بن أبي دلف العجلى قال :

كنا مع المعتصم بالقاطول (٢) ، وكان إبراهيم بن المهدي في حراقة الجانب الغربي وأبي وإسحاق الموصلي في حراقتيهما في الجانب الشرقي ، فدعاهما يوم جمعة فعبرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير وعلى آقية ومنطقة (٣) . فلما دنونا من حراقة إبراهيم نهض ونهضنا ونهضت بنهوضه صبيحة له يقال لها غضة ، وإذا في يديه كأسان وفي يديها كأس ، فلما صعدنا إليه آندفع ففتى :

حيا كما الله خليليا * إن ميتا كنت وإن حيا

إن قلت أخيرا فأهل له * أو قلتما غيبا فلا غيا

ثم ناول كلا منهما كأسا وأخذ هو الكأس التي كانت في يد الجارية وقال : أشربا على ريقكما ، ثم دعا بالطعام فأكلوا وشربوا ، ثم أخذوا العيدان ففناهما ساعة

(١) في أ و م : « وهو خفيف من الثقل الثاني ... الخ » . (٢) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وهو نهر كان في موضع ساعرا قبل أن تعمّر ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصرا سماه أبا الجند . (٣) ظاهر أنه نوع من السفن ولم تقف عليه .

وغنيًا ؛ وضرب وضرباً معه ، وغنت الجارية بعدهم . فقال لها أبي : أحسنت مراراً . فقال له : إن كانت أحسنت نغزها إليك ، فما أخرجتها إلا إليك .

أخبرني عمي قال حدثنا علي بن محمد بن نصر قال حدثني أبو العيس بن حمدون قال : لما صنع مخارق لحنه في شعر العتابي :

مع من مخارق
لحنا فاطراه

- أَخْضَى الْمَقَامَ الْغَمَرَ إِنْ كَانَ غَرَنِي * سَنَا خُلْبٍ أَوْ زَلَّتِ الْقَدَمَانِ
غَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ ؛ فقال له : أحسنت وحياتي ما شئت ! فسجد مخارق سروراً بقول إبراهيم ذلك له .

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطراني عن عمرو بن بانه قال : غنى إبراهيم بن المهدي يوماً :

غنى عمرو بن بانه
لحنا وحده حديثه

- ١٠ أَدَارًا بِمُزَوًى هَجَّتِ لِلْعَيْنِ صَبْرَةً * فَمَاءُ الْمَسْوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَقُّ

فَأَسْتَحْسِنُهُ وَسَأَلْتُهُ إِعَادَتَهُ عَلَى حَتَّى أَخَذَهُ عَنْهُ فَفَعَلَ . ثم قال لي : إنَّ حديث هذا الصوت أحسن منه . قلت : وما حديثه أعزك الله ؟ قال : غنانيه أبْنُ جَامِعٍ وَالصَّنْعَةُ فِيهِ لَهُ ، فَلَمَّا أَخَذَتْهُ عَنْهُ غَنَيْتُهُ إِيَّاهُ لِيَسْمَعَهُ مِنِّي ، فَأَسْتَحْسِنُهُ جَدًّا وَقَالَ : كَأَنِّي وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُهُ قَطُّ إِلَّا مِنْكَ ثُمَّ كَانَ صَوْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى نِسْبَةِ هَذَا الصَّوْتِ .

- ١٥ أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكَاتِبُ قَالَ حَدَّثَنَا عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُحْرَدَازْبَهَ
٥٨
٩ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ بُسْخَرٍ قَالَ :

قصته مع ابن بسخر
وجاريته شارية
ومخارق وطلوية

وَجَهَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ يَوْمًا يَدْعُونِي ، وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ الْمُعْتَصِمِ ، فَصَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ وَشَارِيَةٌ جَارِيَتُهُ خَلْفَ السَّتَارَةِ ، فَقَالَ : إِنِّي قُلْتُ شِعْرًا وَغَنَيْتُ فِيهِ وَطَرَحْتُهُ عَلَى شَارِيَةٍ فَأَخَذَتْهُ وَزَعَمَتْ أَنَّهَا أَحْذَقُ بِهِ مِنِّي ، وَأَنَا أَقُولُ

إني أحذق به منها، وقد تراضينا بك حكماً بيننا لموضعك من هذه الصنعة، فأسمعه متى ومنها وأحكم ولا تعجل حتى تسمعه ثلاث مرات . فقلت نعم . فاندفع ينني بهذا الصوت :

أَضَنْ بَلِيلِي وَهِيَ غَيْرُ سَخِيَّةٍ * وَتَجَلَّ لِي بِالْهَوَى وَأَجُودُ

فأحسن وأجاد . ثم قال لها : تغنى ، فغنته فبرزت فيه حتى كأنه كان معها في أبيجاد، ونظر إلى تعرف أني قد عرفت فضلها عليه، فقال : على رسلك ! وتحدثنا ساعاً وشربنا . ثم أندفع فغناه ثانية فأضعف في الإحسان، ثم قال لها : تغنى ، فغنت فبرعت وزادت أضعاف زيادته، وكذت أشق ثيابي طرباً . فقال لي : تثبت ولا تعجل . ثم غناه ثالثة فلم يبق غاية في الإحكام، ثم أمرها فغنت، فكانه إنما كان يلعب . ثم قال لي : قل، فقضيت لها؛ فقال : أصبت، فكم تساوى عندك ؟ فحملني الحسد له عليها والنفاسة بمثلها أن قلت : تساوى مائة ألف درهم . فقال : أو ما تساوى على هذا الإحسان وهذا التفضيل إلا مائة ألف ! قبح الله رأيك ! والله ما أجد شيئاً أبلغ في عقوبتك من أن أصيرك، قم فأنصرف إلى منزلك مذموماً . فقلت له : ما لقولك أخرج من منزلي جواب، وقت وأنصرفت، وقد أحفظني كلامه وأرمني^(١) . فلما خطوت خطوات التفت إليه فقلت له : يا إبراهيم ! أتطردني من منزلك ! فوالله ما أحسن أنت ولا جاريك شيئاً . وضرب الدهر ضرباً به، ثم دعانا المعتصم بعد ذلك وهو بالوزيرية في قصر التل^(٢)، فدخلت أنا ومخارق وعلويه، وإذا أمير المؤمنين مصطريح^(٣) وبين يديه ثلاث جامات : جام فضة مملوءة دنانير^(٤)، وجام ذهب مملوءة دراهم جُددًا، وجام قوارير مملوءة عنبرًا، فظننا أنها لنا بل لم نَشْكُ في ذلك، فغنيناه وأجهدنا

٢٠ (١) في ١، ٢ : « وأمضى » . (٢) في ب، س : « قصر الليل » .

أنفُسَنَا، فلم يطرب ولم يتحرك لشيء من غنائنا. ودخل الحاجب فقال : إبراهيم بن المهدي. فَأَذِنَ لَهُ فدخل، فغناه أصواتاً أحسنَ فيها، ثم غناه بصوت من صنعه وهو :
 مابال شمس أبي الخطّاب قد غرّبت * يا صاحبي أظن الساعة آقربت

فأستحسنه المعتصم وطرب له، وقال : أحسنت والله ! فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين فإن كنت أحسنت فهب لي إحدى هذه الحمامات ؛ فقال : خذ أيّهما شئت، فأخذ التي فيها الدناير؛ فنظر بعضنا إلى بعض . ثم غناه إبراهيم بشعره وهو :
 فامزّة قهوة قرقف * شمول تروق براووقها^(١)

فقال : أحسنت والله ياعم وسررت. فقال : يا أمير المؤمنين إن كنت أحسنت فهب لي جاماً أخرى؛ فقال : خذ أيّهما شئت، فأخذ الحمام التي فيها الدراهم؛ فعند ذلك أنقطع رجاؤنا منها . وغناه بعد ساعة :

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى * عشير الذي ألقى فيلتئم الحب^(٢)

٥٩
١

فارتج بنا المجلس الذي كنا فيه، وطرب المعتصم وأستخفه الطرب فقام على رجله، ثم جلس فقال : أحسنت والله ياعم ماشئت ! قال : فإن كنت قد أحسنت يا أمير المؤمنين فهب لي الحمام الثالثة؛ فقال : خذها فأخذها. وقام أمير المؤمنين، ودعا إبراهيم بمنديل فنناه طاقنين ووضع الحمامات فيه وشده، ودعا بطين نختمه ودفعه إلى غلامه، ونهضنا إلى الانصاف، وقدمت دوابنا. فلما ركب إبراهيم التفت إلى فقال : يا محمد بن الحارث، زعمت عني أحسن أنا وجاريي شيئاً، وقد رأيت ثمرة الإحسان. فقلت في نفسي : قد رأيت، نخذها لا بارك الله لك فيها ! ولم أجبه بشيء .

(١) المزة والقهوة والقرقف والشمول : من أسماء الخمر . والراوق : باطية الخمر .

(٢) العشير : جزء من عشرة كالعشر .

نسبة هذه الأصوات

صوت

ما بال شمس أبي الخطاب قد غربت * يا صاحبي أظن الساعة أقتربت
أم لا فإل ریح كنت أملها * غدت على^(١) يصير بعد ما خيلت
أشكو اليك أبا الخطاب جارية * غريرة بفؤادي اليوم قد لعبت
رأيت قيمها يوماً يحدها^(٢) * يا ليتها قربت مني وما بأدت
الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي رمل بالنصر . وفيه هزج بالنصر، ذكر عمرو
ابن بانه أنه لإبراهيم الموصلي، وذكر غيره أنه لإبراهيم بن المهدي .

صوت

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى * عشير الذي ألقى فليتم الحب
وصالكم صد وقربكم قلى * وعطفكم سخط ومسانكم حرب
الشعر للعباس بن الأحنف . والغناء لإبراهيم .

وقال ابن أبي طاهر حدثني المؤمل بن جعفر قال : سمعت أبي يقول : كانت
في يد المعتصم باقة نرجس فقال لإبراهيم بن المهدي : ياعم قل فيها أبياتاً وغن فيها .
فنكت في الأرض بقضيب في يده هنيئة ثم قال :
شعره في باقة نرجس غنى به المعتصم

صوت

ثلاث عيون من النرجس * على قائم أخضر أملس
يدكرتني طيب رياء الحبيب * فيمنعني لذة المجلس
وصنع فيه لحناً وغاناً به ، فأعجبه وأمر له بجائزة . لحن إبراهيم في هذين البيتين خفيف
رمل بالنصر ، ذكر لي ذكاء وغيره ذلك .

(١) ریح صر : شديدة الصوت والبرد . (٢) كذا في ١٠ م وفي ج : « والنأي عندك »
وفي سائر النسخ : « والشوق يغلبني » .

فضب عليه المأمون
وسجنه فاستعطفه
حتى عفا عنه

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي عن الجاحظ،
وأخبرني به محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا يُموت بن المزرع عن الجاحظ قال :

أرسل إلى ثُمَامَةَ^(١) يوم جلس المأمون لإبراهيم بن المهدي وأمر بإحضار الناس
على مراتبهم فحضروا بغية إبراهيم، وأخبرني عمي قال حدثنا الحسن بن عليّ قال
حدثني محمد بن عمرو الأنباري من أبناء خراسان قال :

لما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي أحب أن يوبّخه على رموس الناس .
قال : يغنيء إبراهيم يَحْجُلُ في قيوده، فوقف على طرف الإيوان وقال : السلام عليك

يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال له المأمون : لا سلم الله عليك ولا حَفِظَكَ
ولا رعاك ولا كَلَّاكَ يا إبراهيم . فقال له إبراهيم : على رِسْلِكَ يا أمير المؤمنين ! فلقد

أصبحت وليّ نأري، والقدرة تُذهِبُ الحَفِيطَةَ، ومن مدّ له الاعتراض في الأمل هجّمت
به الأنأة على التّلف . وقد أصبح ذنبي فوق كلّ ذنب ، كما أت عفوك فوق كلّ عفو

— وقال الحسن بن عليّ في خبره : وقد أصبحت فوق كلّ ذنبي ، كما أصبح كلّ
ذني عفودونك — فإن تُعاقِبْ فيحقّقك، وإن تَعَفَّ فيفضلك . قال : فأطرق ملياً ثم رفع

رأسه فقال : إن هذين أشارا عليّ بقتلك . فائتفت فاذا المعتصم والعبّاس بن المأمون،
فقال : يا أمير المؤمنين، أما حقيقة الرأي في معظّم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا

عليك به وما غشاك إذ كان ما كان مني ، ولكنّ الله عودك من العفو عادة جريت
عليها دافعاً ما تخاف بما ترجو، فكفاك الله . فتبسّم المأمون وأقبل على ثُمَامَةَ ثم قال :

إنّ من الكلام ما يفوق الدرّ ويغلب السّحر، وإن كلام عمي منه، أطلقوا عن عمي

(١) ثُمَامَةُ : هو ثُمَامَةُ بن أشرس أبو من النخعي أحد المعتزلة البصريين ، ورد بغداد واتصل بهارون

الرشيد وغيره من الخلفاء، وله أخبار ونوادير يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغيره . (انظر تاريخ بغداد
ج ٧ ص ١٤٥) . (٢) انظر في هذا المقام الطبري ق ٣ ص ١٠٧٦ طبع أوربا وتاريخ

بغداد ج ٦ ص ١٤٤ طبع مصر .

حديده وردوه إلى مكرماً . فلما رد إليه قال : يا عم صر إلى المنادمة وأرجع إلى
الأنس ، فلن ترى مني أبداً إلا ما تحب . فلما كان من الغد بعث إليه بدرج فيه :

يا خير من ذملت يمانية به * بعد الرسول لآيس أو طامع
وأبر من عبد الإله على الهدى * نفساً وأحكمه بحق صادق
عسل الفوراع ما أطعت فإن تهج * فالموت في جرع السام النافع ^(١)
منقظاً حذراً وما يخشى العدا * نهران من وسنات ليل الماجع
والله يعلم ما أقول فإنها * جهد الآلية من حنيف راصع
قسماً وما أدلى إليك بحجة * إلا التضرع من محب خاشع
ما إن عصيتك والغواة تمدني * أسبابها إلا بنية طامع ^(٢)
حتى إذا علفت حبال شقوتي * ردى على حفر الممالك هائج
لم أدري أن مثل ذنبي غافراً * فأقت أرقب أي حنيفة صارعي
رد الحياة إلى بعد ذهابها * ورع الإمام القاهر المتواضع
أحياء من ولأك أطول مدة * ورعى عدوك في الوتين بقاطع
إن الذي قسم الفضائل حازها ^(٣) * في صلب آدم للإمام السابع
كم من يد لك لا تحذني بها * نفسى إذا آلت إلى مطامعي
أسديتها عفواً إلى هنيئة * فشكرت مضطناً لأكرم صانع
ورحمت أطفالا كأفراخ القطا * وعويل عانسة كقوس النازع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفواً ولم يشفع إليك بشافع
إلا العلو عن العقوبة بعدما * ظفرت يداك بمستكين خاضع

٢٠ (١) الدرج (بالفتح ويحرك) : ما يكتب فيه . (٢) رواية الطبري :
* فالصواب يمزج بالسام النافع * (٣) الهائج هنا : المنتشر . (٤) في الطبري : « الخلافة » .

٦١
٩

- قال: فبكى المأمون ثم قال: عليّ به، فأُتِيَ به فخلع عليه وحمله وأمر له بمئة ألف دينار، ودعا بالفراش فقال له: إذا رأيت عمي مُقْبِلًا فاطرح له ثُكَّاءً، فكان يُنادمه ولا يُنكر عليه شيئاً. وروى بعض هذا الخبر عن محمد بن الفضل الهاشمي فقال فيه: لما فرغ المأمون من خطابه دفعه إلى ابن أبي خالد الآخول^(١) وقال: هو صديقك خذْهُ اليك، فقال: وما تُعْطِي صداقتي عنه وأمير المؤمنين ساخطٌ عليه! أما إني وإن كنتُ له صديقاً لا أمتنع من قول الحق فيه. فقال له: قُلْ فإنك غيرُ منهم. قال وهو يريد التسلُّق على العفو عنه: إن قتلتَه فقد قتلتَ الملوكَ قبلكَ أقلَّ جرماً منه، وإن عفوت عنه عفوتَ عمن لم يُعَفَّ قبلكَ عن مثله. فسكت المأمون ساعة ثم تمثَّل:
- فلئن عفوت لأعفونَ جَلالاً * ولئن سطوت لأوهنَ عَظِماً^(٢)
قومي هم قتلوا أميمَ أخى * فإذا رميتُ أصابني سهمي^(٣)
- ١٠ خذْهُ يا أحمد اليك مكرماً، فأنصرف به. ثم كتب إلى المأمون قصيدته العينية، فلما قرأها رَقَّ له وأمر برَدِّه إلى منزله وردَّ ما قبض منه من أمواله وأملاكه. وفي خبر عمي عن الحسن بن عَلِيل قال: حدثني محمد بن إسحاق الأشعري عن أبي داود: أن المأمون تقدَّم إلى محمد بن مزداد لما أطلق إبراهيم أن يمنعه دارِي الخاصَّة والعامة، ويُوَكِّل به رجلاً من قبَله يثق به ليعرفه أخباره وما يتكلَّم به. فكتب إليه الموَكِّل
- ١٥ به أن إبراهيم لما بلغه منعه من دارِي الخاصَّة والعامة تمثَّل:
- يا سَرَحَةَ الماء قد سُدَّتْ مَوارِدُهُ * أما إليك طَريقٌ غيرُ مَسْدُودٍ^(٤)

(١) هو أحمد بن أبي خالد الآخول أحد رجالات المأمون وموضع فقته. (انظر الطبري ق ٣

ص ١٠٣٨، ١٠٤٢، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٧٥). (٢) في الأصول: «قال وهو

يريد التسلق على العفو عنه فقال... الخ» وكلمة «فقال» لا موضع لها في الكلام. (٣) هذا شعر

الحارث بن ولاة الدهلي. (انظر أشعار الخماسة ص ٩٦ طبع أوربا). (٤) لعله: «منزله».

(٥) هذا الشعر لإسحاق الموصلي.

لِحَائِمٍ حَامٍ حَتَّى لَا حَيَامَ لَهُ * مُخَلَّاهُ عَنْ طَرِيقِ الْمَاءِ مَطْرُودٍ
 فلما قرأها المأمون بكى وأمر بإحضاره من وقته مكرماً وإنزاله في مرتبته؛ فصار إليه
 محمد فبشره بذلك وأمره بالركوب فركب . فلما دخل على المأمون قبل البساط ثم قال :
 الْبِرُّ بِي مِنْكَ وَطَا الْعُدْرَ عِنْدَكَ لِي * دُونَ اعْتِذَارِي فَلَمْ تَعِذُّ لِي وَلَمْ تَلِمْ
 وَقَامَ عَلَمُكَ بِي فَأَحْتِجَّ عِنْدَكَ لِي * مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُهَيَّمٍ
 رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَمْنُنْ عَلَيَّ بِهِ * وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَّقْتَ دَمِي
 تَعَفَّوْا بِعَدْلٍ وَتَسْطَوْا إِنْ سَطَوْتَ بِهِ * فَلَا عِدْمَانَكَ مِنْ عَافٍ وَمُنْتَقِمٍ
 فَبَوَّأْتُ مِنْكَ وَقَدْ كَافَأْتَهَا بِيَدٍ * هِيَ الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمٍ
 فقال له : أجلس يا عمِّ آمناً مطمئناً، فلن ترى أبداً مني ما تكره، إلا أن تُحدثَ حديثاً
 أو تُغيِّرَ عن طاعة؛ وأرجو ألا يكون ذلك منك إن شاء الله .

أخبرني أحمد بن جعفر بحظرة قال حدثني آبن حمدون عن أبيه قال :
 كنت أحب أن أجمع بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن يوسف الكاتب بما
 كنت أراه من تقدم أحمد وغلته الناس جميعاً بحفظه وبلاغته وأدبه في كل محضر
 ومجلس . فدخلت يوماً على إبراهيم بن المهدي وعنده أحمد بن يوسف وأبو العالية
 الخزري، بفعل إبراهيم يحدثنا فيضيف شيئاً إلى شيء، مرةً يضحكنا ومرةً يعطينا
 ومرةً ينشدنا ومرةً يذكركنا، وأحمد بن يوسف ساكت . فلما طال بنا المجلس أردتُ
 أن أخطب أحمد، فسبقني إليه أبو العالية فقال :

مَالِكَ لَا تَنْبَحَ يَا كَلْبَ الدَّوْمِ * قَدْ كُنْتَ نَبَاحاً فَا لَكَ الْيَوْمُ

فتبسّم إبراهيم ثم قال : لو رأيتني في يد جعفر بن يحيى لرحمتني كما رحمت
 أحمد مني .

بذ أحمد بن يوسف
 الكاتب في حسن
 المحاضرة

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني أبي قال قال لي إسحاق: ليس فيمن يدعى العلم بالغناء مثل إبراهيم بن المهديّ وأبي دلف القاسم بن عيسى العجليّ. فقليل له: فأين محمد ابن الحسن بن مُضْعَب منهما؟ فقال: لو قيل لك إن محمد بن الحسن يُبصر الغناء لكان ينبغي لك أن تقول: وكيف يُبصر الغناء من نَسَأَ بُخْرَاسَان لا يَسْمَع من الغناء العربيّ إلّا مالا يفهمه! .

إسحق عليه إسحاق

أخبرني يحيى قال حدثني أبو العبيس بن حمدون عن عمرو بن بانه قال: رأيت إسحاق الموصليّ يُناظر إبراهيم بن المهديّ في الغناء، فتكلّما فيه بما فهماه ولم نفهم منه شيئاً. فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغناء ما نحن منه في قليل ولا كثير.

إقرار ابن بانه له
لإسحاق بالموصل
في فن الغناء

أخبرني عمي عن عليّ بن محمد بن نصر عن جده حمدون: أن المأمون قال لإسحاق: غنّ لي لحناً في شعر الأخطل: يا قَلَّ خيرُ اللّغواني كيف رُغِنَ به * فِشْرِبُهُ وَشَلَّ مِنْهُنَّ تَصْرِيدُ^(١)

فضل المأمون
غناءه على غناء
إسحاق في شعر
للاخطل

فغناه ليّاه فأستحسنه، ثم قال لإبراهيم بن المهديّ: هل صنعت في هذا الشعر شيئاً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فهاته؛ فغناه فأستحسنه المأمون وقدمه على صنعة إسحاق، ولم يدفع إسحاق ذلك.

١٥

أخبرني أبو الحسن عليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى الموصليّ قال ذكر أبي عن جدّي عن عبد الله بن عيسى الماهانيّ قال:

عليه إسحاق لحناً
فطرب له الأمين
وقصة ذلك

دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حاجة، فرأيت عليه مُطْرَفَ نَحْرٍ أسود ما رأيت قط أحسن منه؛ فتحدّثنا إلى أن أخذنا في أمر المُطْرَف فقال: لقد كانت

(١) كذا في ديوان الأخطل (طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩١ م) وفي الأصول:

«إشربة» . والشرب (بالكسر) هنا: الحظ من الماء . والوشل هنا: القليل . والتصريّد: السقي دون الري . يريد بهذا الشعر أن حظه منهن قليل .

٢٠

لَكُمْ أَيَّامٌ حَسَنَةٌ وَدَوْلَةٌ عَجِيبَةٌ، فَكَيْفَ تَرَى هَذَا؟ فَقُلْتُ لَهُ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ، فَقَالَ:
 إِنْ قِيمَتُهُ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَلَهُ حَدِيثٌ عَجِيبٌ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَقَوْمُهُ إِلَّا نَحْوًا مِنْ مِائَةِ
 دِينَارٍ، فَقَالَ إِسْحَاقُ: اسْمَعْ حَدِيثَهُ: شَرِبْنَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ، فَبِتُّ وَأَنَا مُشْخَنٌ، فَأَنْتَبِهْتُ
 لِرَسُولِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ، فَدَخَلَ عَلَيَّ فَقَالَ لِي: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَجَّلْ إِلَيَّ - وَكَانَ
 بِخِيَلًا عَلَى الطَّعَامِ فَكَنْتُ أَكُلُ قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِ - فَقُمْتُ فَتَسَوَّكْتُ وَأَصْلَحْتُ
 أَمْرِي، وَاتَّجَلَّنِي الرَّسُولُ عَنِ الْغَدَاءِ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِهِ
 وَعَلَيْهِ هَذَا الْمَطْرَفُ وَجِبَّةٌ خَزَّ دَكَّاءُ، فَقَالَ لِي مُحَمَّدٌ: يَا إِسْحَاقُ تَغْدِيَتٌ؟ فَقُلْتُ:
 نَعَمْ يَا سَيِّدِي، فَقَالَ: إِنَّكَ لَنَهَمٌ، أَهَذَا وَقْتُ غَدَاءٍ! فَقُلْتُ: أَصْبَحْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَبِي نَحَارٌ، فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا حَدَّثَانِي عَلَى الْأَكْلِ، فَقَالَ لِي: كَمْ شَرِبْنَا؟ فَقَالُوا: ثَلَاثَةٌ
 أَرْطَالٍ، فَقَالَ: أَسْقَوْهُ مِثْلَهَا، فَقُلْتُ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَفَرِّقَهَا عَلَيَّ! فَقَالَ: تُسْقَى
 رِطْلَيْنِ وَرِطْلًا، فَدَفَعَ إِلَيَّ رِطْلَانِ فَبَعَلْتُ أَشْرِبَهُمَا وَأَنَا أَتَوَهُمُ أَنَّ نَفْسِي تَسِيلُ
 مَعَهُمَا، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيَّ رِطْلًا آخَرَ فَشَرِبْتُهُ فَكَأَنَّ شَيْئًا أَنْجَلِيَ عَنِّي، فَقَالَ، غَنَى:
 كَلَيْبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا * وَأَيْسَرَ جُرْمًا مِنْكَ ضُرَّجٌ بِالْدَّمِ

فَعَنَيْتُهُ؛ فَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَطَرِبَ، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ، وَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَثِيرًا، يَدْخُلُ
 إِلَى النِّسَاءِ وَيَدْعُنَا، فَقُمْتُ فِي أَثَرِ قِيَامِهِ فَدَعَوْتُ غُلَامًا لِي فَقُلْتُ: أَذْهَبُ إِلَى مَنْزِلِي
 وَجِئْنِي بِزِمَا وَرَدَّتَيْنِ^(٢) وَلَقَّهُمَا فِي مَنْدِيلٍ وَأَذْهَبُ رَكْضًا وَعَجَّلَ، فَضَى الْغُلَامُ جَاءَنِي
 بِهِمَا، فَلَمَّا وَافَى الْبَابَ وَنَزَلَ عَنِ الدَّابَّةِ أَتَقَطَعَ الرِّذْوُنُ فَتَفَقَّ مِنْ شِدَّةِ مَا رَكَّضَهُ،
 فَادْخَلَ إِلَى الزِّمَا وَرَدَّتَيْنِ فَأَكَلْتُهُمَا وَرَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي وَعُدْتُ إِلَى مَجْلِسِي، فَقَالَ

(١) كَذَا فِي ج. وَفِي سَائِرِ الْأَسْوَالِ: «جُرَانِي». (٢) الزِّمَامُ وَرَدُّ: طَعَامٌ يُسَمَّى

«لُقْمَةُ الْقَاضِي» وَ«نَخْدُ السَّتِ» وَ«لُقْمَةُ الْخَلِيفَةِ»، وَهُوَ مَصْنُوعٌ مِنَ الْهَمِّ الْمَقْلَى بِالزُّبْدِ وَالْبَيْضِ.
 (انظر كتاب التاج للمصنف ص ١٧٣ هامش ٣).

لى إبراهيم : إن لى إليك حاجة أحب أن تقضيها لى . فقلت : إنما أنا عبدك وابن عبدك ، قل ما شئت . قال : تردّ على :

* كَلَيْبُ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا *

وهذا المطرف لك . فقلت : أنا لا آخذ منك مطرفاً على هذا ، ولكنى أصير إليك إلى منزلك فألقيه على الجوارى وأردّه عليك مراراً . فقال : أحب أن تردّه على الساعة وأن تأخذ هذا المطرف فإنه من لبسك ومن حاله كذا وكذا . فرددت عليه الصوت مراراً حتى أخذه . ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء بفلس ثم قمنا ، فشرب وتحدثنا . فغناه إبراهيم :

* كَلَيْبُ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا *

فكأنى والله لم أسمع قبل ذلك حسناً ، وطرب محمد طرباً عجيباً وقال : أحسنت والله يا عم ! أعط يا غلام عشرين درلعمى الساعة ، بخاءوا بها . فقال : يا أمير المؤمنين إن لى فيها شريكاً . قال : ومن هو ؟ قال : إسحاق . قال : وكيف ؟ قال : إنما أخذته الساعة منه لما قتت . فقلت له : ولم ! أضاعت الأموال على أمير المؤمنين حتى يشركك فيما تُعطاه ! قال : أما أنا فأشركك وأمير المؤمنين أعلم . فلما أنصرفنا من المجلس أعطاني ثلاثين ألفاً وأعطاني هذا المطرف . فهذا أخذ به مائة ألف درهم ١٥ وهى قيمته .

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبَان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال لى إبراهيم بن المهدي :

حج مع الرشيد ،
ونصته مع جارية
رأما

حججت مع الرشيد ، فلما صرنا بالمدينة خرجت أدور فى عَرَصاتها ، فأتيت إلى بئر وقد عطشت وجارية تستقي منها ، فقلت : يا جارية ، آمئحى لى دلوا . فقالت : ٢٠ أنز والله عنك فى شغل بصرية موالى على . فنقرت بسوطى على سرجى وغنيت :

صوت

رام قلبي السلو عن أسماء * وتغزى وما به من عزاء
 سُغْنَةً في الشتاء باردة الصبي * ف سراج في الليلة الظلماء
 كفنانى إن مت في درع أروى * وأمتحالي من بر عروة مائي
 ٥ — الشعر للأحوص . والغناء لمعبد رمل مُطَاق في مجرى الوسطى عن إسحاق —
 وتتمام هذه الأبيات :

إننى والذي تحجج قريش * يتنه سالكين نقب كداء^(١)
 لملم بها وإن أبت منها * صادراً كالذى وردت بداء
 ولها مربع ببرقة خايج^(٢) * ومصيف بالقصر قصر قباء
 ١٠ قلبت لي ظهر الحجن فأمست * قد أطاعت مقالة الأعداء
 ولمعبد أيضاً في البيت الأخير من هذه الأبيات ثم الأول والثاني خفيف ثقيل عن
 الهشامى . ولابن سريج في :

* ولها مربع ببرقة خايج *
 و * كفنانى إن مت في درع أروى *

١٥ رمل عن الهشامى أيضاً . ولإبراهيم في : «رام قلبي» وما بعده ثاني ثقيل عن حبش —
 قال إبراهيم بن المهدي في الخبر : فرفعت الجارية رأسها إلى فقالت : أتعرف
 برعروة ؟ قلت لا . قالت : هذه والله برعروة ، ثم سقتني حتى رويت ، وقالت :
 إن رأيت أن تُعيدته ففعلت ، فطربت وقالت : والله لأحملن قربة إلى رحلك ! .
 فقلت : آفعل ، ففعلت وجاءت معي تحملها ، فلما رأيت الجليش والخدم فزعيت . فقلت

٢٠ (١) كداء بأعلى مكة عند المحصب . (٢) برقة خايج : قرب المدينة ، وكذلك قباء .

لها: لا بأس عليك! وكسوتها ووهبت لها دنانير وحبسها عندي، ثم صرت إلى الرشيد
فحدثته حديثها، فأمر بآبتياءها وعنفها، فما برحت حتى آشرت وأعتقت، وأخذت
لها منه صلة وأقترقنا .

حدثني علي بن سليمان الأحفش ومحمد بن خلف بن المرزبان قالوا حدثنا محمد
ابن يزيد النحوي قال حدثنا الفضل بن مروان قال :

حواره مع المأمون
حين استعطفه
بكلام سعيد بن
العاص لمعاوية

لما أدخل إبراهيم بن المهدي علي المأمون وقد ظفر به، كلمه إبراهيم بكلام كان
سعيد بن العاص كلم به معاوية بن أبي سفيان في سخطه سخطها عليه واستعطفه به .
وكان المأمون يحفظ الكلام، فقال له المأمون: هيات يا إبراهيم! هذا كلام سبقك به
فحل بن العاص بن أمية وقارحهم سعيد بن العاص وخطب به معاوية . فقال له
إبراهيم: مه يا أمير المؤمنين؟ ! وأنت أيضا إن عفوت فقد سبقك فحل بن حرب
وقارحهم إلى العفو، فلا تكن حالي عندك في ذلك أبعد من حال سعيد عند معاوية، فإنك
أشرف منه، وأنا أشرف من سعيد، وأنا أقرب إليك من سعيد إلى معاوية، وإن أعظم
المحنة أن تسبق أمية هاشما إلى مكرمة. فقال: صدقت يا عم، وقد عفوت عنك .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال :
جاء بين محمد الأمين وبين إبراهيم بن المهدي كلام على التبيذ، فوجد عليه محمد .
فلما كان بعد أيام بعث إليه إبراهيم بالطاف فلم يقبلها، فوجه إليه وصيفة مليحة مغنية
معه عود معمول من عود هندي، وقال هذه الأبيات وغنى فيها وألقاها عليها حتى
أخذت الصنعة وأحكمتها، ثم وجه بها إليه . فوقفت الجارية بين يديه وقالت له :
عمك وعبدك يا أمير المؤمنين يحمل لك — وأندفعت تغني بالشعر وهو — :
هتكت الضمير برد اللطف * وكشفت هجرك لي فأنكشفت

غضب عليه الأمين
فاستعطفه

٢٠

(١) في ب، س: « فقال له إبراهيم فكان مه يا أمير المؤمنين » وكلمة « فكان » لا موقع لها
في الكلام . (٢) كذا في ح . وفي سائر النسخ: « عند » .

وإن كنت تُنكر شيئاً جرى * فهَبْ للخلافة ما قد سَلَفَ
وَجُدْ لِي بصفحك عن زَلَّتِي * فبالفضل يأخذ أهل الشرف
قال: فُسِّرَ محمدٌ بها، وبعث إلى إبراهيم فأحضره ورضي عنه وأمر له بخمسة آلاف دينار
وتَمَّ يومه معه .

٥ أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال أخبرني سعيد بن صالح الأسدي
قال حدثني جعفر بن محمد الهاشمي قال حدثني بعض خدم إبراهيم بن المهدي قال :
كانت لإبراهيم بن المهدي جارية يقال لها صَدُوف، وكان لها من نفسه موضع .
ففسدها جواريه على محلها منه، فلم يَزَلْ يُبَلِّغُه عنها ما يَكْرَهُ . حتى غَضِبَ عليها وجفاها
أياماً، ثم شقَّ ذلك عليه وأغتمَّ به ، ولم يَطِبْ نفساً بمراجعتها وصالِحِها . فدخل عليه
الأعرابي أخو مُعَلَّة صاحبة الفضل بن الربيع ، وكان حسنَ الشَّعْرِ حُلُو اللَّفْظِ
فصيحاً ، وكان إبراهيم يأنس به ، فقال له : مالي أرى الأمير منكسراً منذ أيام ؟
فأمسك . فقال : قد عرفتُ حالَ الأمير وقلتُ في أمره أبياتاً إن أذن لي أنشدته
إياها . فتبسَّم وقال : هاتِ ؛ فأنشده :

أَعْتَبْتُ أُمَّ عَتَبْتُ عَلَيْكَ صَدُوفُ * وَعِتَابُ مِثْلِكَ مِثْلُهَا تَشْرِيفُ
لَا تَقْعُدَنَّ تَلُومَ نَفْسِكَ دَائِباً * فِيهَا وَأَنْتَ بِحَبِّهَا مَشْغُوفُ
إِنَّ الصَّرِيحَةَ لَا يَنْوُءُ بِحَمَلِهَا * إِلَّا الْقَوِيُّ بِهَا وَأَنْتَ ضَعِيفُ

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتي دينار، وبعث إلى صَدُوف فخرجَتْ
إليه ورضي عنها، وبعثت إليه صَدُوف بمائة دينار .

٢٠ أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني أحمد بن علي بن حميدة قال
حدثتني رَيْقُ قالت :
قيل له تب واحرق
دقاتر الغناء فقال
ريق تحفظ كل
غنائى

مَرَضَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدَّى مَرَضَةً أَشْرَفَ مِنْهَا عَلَى الْمَوْتِ، بِفَعْلٍ يَتَذَكَّرُ شَغْفَهُ بِالْغِنَاءِ وَمَا سَلَفَ لَهُ فِيهِ وَيَتَنَدَّمُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : فُتُبْ وَأَحْرِقْ دِفَاتِرَ الْغِنَاءِ . فَخَرَّكَ رَأْسُهُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَا مَجَانِينَ ! فَهَبْنِي أَحْرِقْتُ دِفَاتِرَ الْغِنَاءِ كُلَّهَا ، رَيْئُ أَئِيشٍ أَعْمَلُ بِهَا ؟ أَأَقْتُلُهَا وَهِيَ تَحْفَظُ كُلَّ شَيْءٍ فِي دِفَاتِرِ الْغِنَاءِ !! .

رَأَى عَلِيًّا فِي النَّوْمِ
أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ وَالْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكَوْكَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمُبَرَّدُ عَنْ
أَحْمَدَ بْنِ الْإِسْبِيعِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدَّى قَالَ :

رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّوْمِ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ النَّاسُ قَدْ أَكْثَرُوا فِيكَ وَفِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَمَا عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ لِي : إِخْسًا ! وَلَمْ يَزِدْنِي عَلَى ذَلِكَ . وَأَخْبَرَنِي الْكَوْكَبِيُّ بِهَذَا الْخَبَرِ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

كَانَ إِبْرَاهِيمُ شَدِيدَ الانْحِرَافِ عَنْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَخَدَّثَ
الْمَأْمُونُ يَوْمًا أَنَّهُ رَأَى عَلِيًّا فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .
قَالَ : فَشِينَا حَتَّى جِئْنَا قَنْطَرَةً فَذَهَبَ يَتَقَدَّمُنِي لِعُبُورِهَا ؛ فَأَمْسَكْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتَ
رَجُلٌ تَدْعِي هَذَا الْأَمْرَ بَامْرَأَةٍ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ ! فَمَا رَأَيْتُ لَهُ فِي الْجَوَابِ بِلَاغَةً
كَمَا يُوصَفُ عَنْهُ . فَقَالَ : وَأَيُّ شَيْءٍ قَالَ لَكَ ؟ فَقَالَ : مَا زَادَنِي عَلَى أَنْ قَالَ سَلَامًا
سَلَامًا . فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : قَدْ وَاللَّهِ أَجَابَكَ أَلْبَغَ جَوَابٍ . قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : عَرَّفَكَ
أَنَّكَ جَاهِلٌ لَا يُجَاوِبُ مِثْلَكَ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ . فَخَجَلَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أَحْدِثْكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ .

أَخْبَرَنِي الْكَوْكَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمَفْضَلُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
الْمُهَدَّى عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

قُلْتُ لِلْأَمِينِ يَوْمًا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جْعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! فَقَالَ : بَلْ جْعَلَنِي اللَّهُ
فِدَاكَ ؛ فَأَعْظَمْتُ ذَلِكَ . فَقَالَ : يَا عَمَّ لَا تُعْظِمُهُ فَإِنَّ لِي عَمْرًا لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ ؛

تَمَنَّى لَهُ الْأَمِينُ طَوْلَ
الْعَمْرِ

بجياتي مع الأجابة أطيّب من تجرّعي فقدّمهم ، وليس يضرنّ عيش من عاش
بعدي منهم .

حدثني بحظّة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني أبي قال :
كنت يوماً بين يدي الأمين أغنيّه ، فغنيته :
غنيّ لآمين لحنا
فطرب وطاب إليه
أن يلقنه إحدى
جواريه ، وقصة
ذلك

صوت

أَقَوْتُ مَنَازِلَ بِالْهَضَابِ * مِنْ آلِ هِنْدٍ وَالرَّابِ
خَطَّارَةَ بِزِمَامِهَا * وَإِذَا وَنَتْ ذُلُّ التَّرَاكِيبِ
تَرَجَّى الْحَصَا بِمَنَاسِمِ * صُمَّ صَلَادِمَةُ صَلَابِ

قال : فاستحسن اللّحن وسألني عن صانعه ، فعرّفته أن ابن جامع حدثني عن سيّاط
أنه لابن عائشة ، فلم يزل يشرب عليه لا يتجاوزّه ، ثم أنصرفنا ليلتنا تلك . ووافاني رسوله
حين أنتهيت من النوم وأنا أستاك ، فقال لي : يقول لك : بجياتي باعّم لا تستغلّ بعد
الصلاة بشيء غير الركوب الى . فصليت وتناولت طعاماً خفيفاً وأنا ألبس ثيابي خوفاً
من رجوع رسوله ، وركبت إليه . فلما رأيته من بعيد صاح بي : يا عم بجياتي :
* خطّارة بزمامها *

فلما دخلت المجلس ابتدأته وغنيته ، فأمر باحضار صبيّة كان يتحقّاها ، فأخرجت إلى
صبيّة كأنها لؤلؤة في يدها العود . فقال : بجياتي يا عم ألقه عليها ! فأعدته مراراً وهو
يشرب ، حتى إذا ظننت أنها قد أخذته أمرتها أن تغنيه فغنته ، فإذا هو قد استوى لها
إلا في موضع كان فيه وكان صعباً جداً فجهدت جهدي أن يقع لها طلباً لمسرته ، وكان
حقيقاً منّي بذلك ، فلم يقع لها البتّة . ورأى جهدي في أمرها وتعدّره عليها ، فأقبل عليها

(١) ذال : جمع ذلول وهو السهل المتقاد من الناس والدواب ، الذكر والأنثى فيه سواء .

وقد سكر ثم قال : نُفِيتُ من الرشيد وكلُّ أمةٍ لي حرةٌ وعلى عهد الله لن تأخذيه
 في المرة الثالثة لأمرن بالقائك في دجلة ! قال : ودجلة تطفح وبيتنا وبينها نحو ذراعين
 وذلك في الربيع ، فتأملتُ القصة ، فاذا هو قد سكر ، وإذا الجارية لا تقوله كما أقوله
 أبداً . فقلت : هذه والله داهية ، ويتغنص عليه يومه وأشرك في دمها ، فعدلتُ عما
 كنتُ أغنيته عليه وتركته ما كنتُ أقوله ، وغنيته كما كانت هي تقوله ، وجعلتُ
 أردده حتى آتقتضت ثلاث مرّات أعيده فيها على ما كانت هي تقوله ، وأريته أني
 أجتهد ، فلما آتقتضت الثلاث المرات قلت لها : هاتيه الآن ، فغنته على ما كان وقع لها .
 فقلت : أحسنت يا أمير المؤمنين ، رددته معها ثلاث مرّات ، فطابت نفسه
 وسكن ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم . قال بحظّة : وقد لحقني مثل هذا ؛ فإن طرخان^(١)
 ابن محمد بن إسحاق بن كنداجيق استحسن صوتاً غنيته وهو :

حدث بلحظة
 مع طرخان
 ما حدث له هو مع
 الأمين

أعياني الشادن الربيب * أكتب أشكو فلا يجيب
 من أين أبني شفاء دائي * وإنما دائي الطبيب

— ولحنه رمل — فقال : أحب أن تطرحه على زهرة جاري ، فكنتُ أتردد
 إليها شهراً وأكثر وأردده عليها وهو يصانني ويخلع عليّ ويعطيني كلّ شيء حسن
 يكون في مجلسه ، فلا تأخذه مني ولا يقع لها . فلما كان بعد شهر قلت له : أيها الأمير
 قد والله استحييت من كثرة ما تُعطيني بسبب هذا الصوت ، وقد أعياني أن تأخذه
 زهرة ؛ ثم حدثته حديث إبراهيم بن المهدي وقلت له : لولا أني آمنك عليها لقلته
 أنا كما تقوله هي حتى نتخلص جميعاً . وليس وحياتك تأخذه أبداً كما أقوله ولا فيه
 حيلة . فقال لي : فدعه إذا .

(١) كان من الأمراء . (انظر الكلام عليه في صلة تاريخ الطبري ص ٦٢) .

حدثني بحظّة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم قال حدثني محمد بن الحارث بن
بسخر قال :

فمنى بحضرة
المأمون لئلا أراد
ابن بسخر أن
يأخذه عنه فضله

غنى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون :

صوت

يا صاح يا ذا الضامر العنيس * والرحل ذي الأساع والخليس
أما النهار فانت تقطعه * رنكا وتصبح مثل ما تسمى

— في هذين البيتين لحن لما لك خفيف ثقيل عن يونس والحشامى . قال : ولعبد فيه
ثقل أول ، وقد نسب قوم لحن كل واحد منهما الى الآخر . قال محمد بن الحارث
ابن بسخر في الخبر : والحن لما لك بن أبي السمع وهو من قيصاره ، هكذا في الخبر —
قال : فاستحسنه المأمون ، وذهبت أخذه ، ففطن لي إبراهيم بفعل يزيد فيه مرةً ويتقص
منه أخرى بزوائده التي كان يعملها في الغناء ، وعلمت ما هو يصنع فتركته . فلما قام
قلت للمأمون : يا سيدي إن رأيت أن تأمر إبراهيم أن يلقي عليّ :

* يا صاح يا ذا الضامر العنيس *

قال : أفعل . فلما عاد قال له : يا إبراهيم ألقى عليّ محمد :

* يا صاح يا ذا الضامر العنيس *

فالتفاه عليّ كما كان يغنيه مُغَيَّرًا ، ثم أنقضي المجلس وسكر المأمون . فقال لي إبراهيم :
قم الآن فانت أحذق الناس به ، فخرجت وخرج . ثم جئت الى منزله فقلت له :
ما في الأرض أعجب منك ! أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعم الخليفة تبخل عليّ
وليّ لك مثلي لا يُفانرك بالغناء ولا يكثر بك بصوت ! فقال لي : يا محمد ما في الدنيا
أضعف عقلًا منك ! والله ما أستبقاني المأمون محبةً لي ولا صلةً لرحمي ، ولكنه
سمع من هذا الحرم شيئًا فقدّه من سواه فاستبقاني لذلك . فغاضني فعله . فلما دخلت

على المأمون حدثته بما قال لى . فقال المأمون : يا محمد هذا أكفر الناس لنعمة !
وأطرق ملياً ثم قال لى : لا نكدر على أبى إسحاق عقونا عنه ولا تقطع رجمه ، فدغ
هذا الصوت الذى صن به عليك الى لعنة الله .

حدثنى الحسن بن على قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنى
محمد بن يزيد قال :

قال بينا يكيد به
لدعبل

قلت لدعبل : بالله أسألك أنت القائل :

كذلك أهل الكهف فى الكهف سبعة * إذا حُسبوا يوماً وثامنهم كلبُ
فقال : لا والله ! فقلت : مَنْ قاله ؟ قال : مرّ حشاً الله قبره ناراً إبراهيم بن المهدي ،
كافانى بذلك عن هجائى إياه ليشيط بدى^(١) .

أخبرنى محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثنى محمد بن الحارث
ابن بسخر قال :

خطأ مخارقاً فى ملن
غناه للأمون ثم
لقنه إياه على وجهه

لما رضى المأمون عن إبراهيم بن المهدي ونادمه ، دخل عليه متبذلاً
فى ثياب المغنّين وزيّهم . فلما رآه ضحك وقال : نزع عمى ثياب الكبر عن منكبيه .
فدخل وجلس ، وأمر المأمون بأن يُخلع عليه فأليس الخلع . ثم أبتدأ مخارق فغنى :

صوت

خيلى من كعبِ ألبا هديتيا * بزنب لا يفقدك أبداً كعبُ
من اليوم زوراها فإن مطينا * غداة غد عنها وعن أهلها نكب^(٢)

فقال له إبراهيم : أسأت وأخطأت . فقال له المأمون : يا عم إن كان أساء وأخطأ
فأحسن أنت . فغنى إبراهيم الصوت . فلما فرغ منه قال لمخارق : أعدّه الآن ، فأعاده
فأحسن . فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين كم بين الصوت الآن وبينه فى أول الأمر ؟

(١) أشاط دمه وبدمه : أذهبه . (٢) نكب : ماثلات ، واحداً أنكب ونكبا .

قال : ما أبعد ما بينهما ! فالتفت إلى مخارق ثم قال : إنما مثلك يا مخارق مثل الثوب الوشي الفاسخ، إذا تغافل عنه أهله سقط عليه الغبار فحال لونه، فإذا نُفِصَ، عاد إلى جوهره .

أخبرني جعفر بن قدامة^(١) قال حدثني شارية الكبرى مولاة إبراهيم بن المهدي^(٢) قالت : سمعت مولاى إبراهيم بن المهدي يتحدث قال :

سأله الرشيد عن
أحسن الأسماء
واسمها فأجاب

كنت بين يدي الرشيد جالسا على طرف حرافة من حرافاته وهو يريد الموصل وقد بلغنا إلى السودقانية، والمدادون يمدون السفن، والشطرنج بيني وبينه، والدست متوجه له، إذ أطرق هتية ثم قال، لى : يا بن أم، ما أحسن الأسماء عندك ؟ قلت : محمد اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أى شىء بعده ؟ قلت : هارون اسم أمير المؤمنين . قال : فما أتمج الأسماء ؟ قلت : إبراهيم . فزجنى ثم قال : ويحك ! أقول هذا ! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن ! فقلت له : بشؤم هذا الاسم لى من تمرود ما لى وطرح في النار . قال : إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا جرم أنه لم يعمّر من أجله . قال : إبراهيم الإمام ؟ قلت بحرفة اسمه قتله مروان في حران^(٣) . وأزيدك يا أمير المؤمنين : إبراهيم بن توليد خلع، وإبراهيم بن عبد الله بن حسن قتل، وعمه إبراهيم بن حسن سقط عليه السجن فمات، وما رأيت والله أحدا يسمى

(١) فى ب ، س : « جعفر بن محمد بن قدامة » . وقد تقدم هذا الاسم فى رجال السند غير مرة .

(٢) ظاهر من السياق أنها موضع . (٣) كذا فى الأصول وهو تحريف والمعنى المراد واضح

اذ هو يريد بشؤم اسمه أو نحو ذلك . (٤) فى بعض الأصول هكذا : « فى جراب النورة »

وفى بعضها : « فى جراب النورة » وكلاهما تحريف . والمدكور فى كتب التاريخ : أن إبراهيم بن محمد بن

على بن عبد الله بن عباس القائم بالدعوة العباسية قتله مروان بن محمد وهو فى سجن بحران ، وقيل : إنه مات

بالطاعون فيه ، وقيل : إنه مات مسموما . وحران مدينة عظيمة وهى قصبة ديار مصر على طريق الموصل والشام

والروم . (انظر تاريخ الطبرى ق ٣ ص ٢٤ — ٢٧ ومعجم البلدان لياقوت فى الكلام على « حران ») .

بهذا الاسم إلا قُتِلَ أو نُكِبَ أو رأيتُه مضروباً أو مقذوفاً أو مظلوماً . ثم ما انقضى الكلام حتى سمعت ملاحاً يصيح بأخر: مُذْ يا إبراهيم يا عاضُّ بظر أمِّه مُدَّ . فقلت له : أبقِ لك شيئاً بعد هذا ! ليس والله في الدنيا اسم أشأم من إبراهيم والسلام . فضحك والله حتى أشفقت عليه .

- ٥ حَدَّثَنِي بَحْظَةُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْهَشَامِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
 دخل الحسن بن سهل على المأمون وهو يشرب ؛ فقال له : بحياتي وبحقِّ عليك يا أبا محمد إلا شربتَ معي قَدَحًا ، وصَبَّ له من نبيذه قَدَحًا ، فأخذه بيده وقال له : مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَغْنِيكَ ؟ فأومأ إلى إبراهيم بن المهدي فقال له المأمون : غنِّه يا عم ؛ فغنَّاه :
 * تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ وَسَوَاسًا إِذَا أَنْصَرَفَتْ *

غنى للمأمون الحسن
 عرض فيه بالحسن
 ابن سهل

- ١٠ يَعْرِضُ بِهِ لِمَا كَانَ لِحَقِّهِ مِنَ السُّودَاءِ وَالْإِخْتِلَاطِ ، فغَضِبَ الْمَأْمُونُ حَتَّى ظَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ سَيُوقِعُ بِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَيْتَ إِلَّا كَفَرًا يَا أَكْفَرَ خَلْقِ اللَّهِ لِنِعْمِهِ ! وَاللَّهِ مَا حَقَّنَ دَمَكَ غَيْرُهُ ! وَلَقَدْ أَرَدْتُ قَتْلَكَ فَقَالَ لِي : إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ فَعَلْتُ فَعَلًا لَمْ يَسْبِقْكَ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَعَفَوْتُ وَاللَّهِ عَنْكَ لِقَوْلِهِ . أَخَفُّهُ أَنْ تَعْرِضَ بِهِ وَلَا تَدَّعِ كَيْدَكَ وَلَا دَعْلَكَ !
 أَوْ أَنْفَتَ مِنْ إِيْمَانِهِ إِلَيْكَ بِالْغِنَاءِ ! . فَوَثِبَ إِبْرَاهِيمُ قَائِمًا وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَمْ أَذْهَبْ حَيْثُ ظَنَنْتَ ، وَلَسْتُ بِعَائِدٍ ؛ فَأَعْرَضَ عَنْهُ .

١٥

- أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكُوكَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَرِيرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ أَبِي قَالَ :

غنى للمعتصم الحسن
 وسمعه أحمد بن
 أبي دؤاد قال للفتاء
 بعد أن كان يجنبه

- كُنْتُ أُنْجَنِّبُ الْغِنَاءَ وَأُطْعِنُ عَلَى أَهْلِهِ وَأَذْمُ لِمَجْهَمِهِ بِهِ ؛ فَوَجَّهَ الْمُعْتَصِمُ إِلَيَّ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ : الْحَقُّ بِي ؛ فَلَحِقْتُ بِهِ بِبَابِ الشَّمَاسِيَّةِ وَمَعِيَ غُلَامِي زَنْقُظَةُ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ رَكِبَ الزُّورِقَ ، وَسَمِعْتُ عَنْهُ صَوْتًا أَذْهَلَنِي حَتَّى سَقَطَ سَوْطِي .

٢٠

من يدي ولم أشعر به، ثم أحتجت وقد أعتق بي رِذْوَنِي أَنْ أُكْفَهُ بسوطي .
فقلت لغلامي : هات سوطك؛ فقال : سقط والله من يدي لما سمعتُ هذا
الغناء . فغلبنى الضحكُ حتى بان في وجهي . ودخلتُ الى المعتصم بتلك الحال . فلما
رأني قال لي : ما يُضحكك يا أبا عبد الله؟ فحدثته ، فقال : أتتوب الآن من الطعن علينا
في السماع؟ فقلت له : قَبْلَ ذلك مَنْ كان يُغَنِّيكَ؟ قال : عمي إبراهيم ، كان يُغَنِّيني :
إِنَّ هذا الطويلَ من آلِ حَفِصٍ * أَشْرَ المجدَ بعد ما كان . ما
ثم قال : أعده يا عم ليسمعه أبو عبد الله فإنني أعلم أنه لا يدعُ مذهبه . فقلت : بلى
والله لأدعنه في هذا ولا أمتك عليه . فقال : أمّا إذ كانت توبته على يديك يا عم
فلقد فزت بفخرها وعدلتَ برجل ضخم عن رأيه إلى شأننا .

٦٩
٩

١٠ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّلْحِيُّ قَالَ
حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ :
كُنْتُ أَسْأَلُ مُخَارِقًا : أَيُّ النَّاسِ أَحْسَنُ غِنَاءً؟ فَيُجِيبُنِي جَوَابًا بَهْلًا حَتَّى حَقَقْتُ
عليه يومًا قَالَ : كَانَ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ أَحْسَنَ غِنَاءً مِنْ أَبِي جَامِعٍ بِعَشْرِ طَبَقَاتٍ ،
وَأَنَا أَحْسَنُ غِنَاءً مِنْ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ بِعَشْرِ طَبَقَاتٍ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ أَحْسَنُ
غِنَاءً مِنِّي بِعَشْرِ طَبَقَاتٍ . قَالَ ثُمَّ قَالَ لِي : أَحْسَنُ النَّاسِ غِنَاءً أَحْسَنُهُمْ صَوْتًا ،
وإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ أَحْسَنُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالْوَحْشِ وَالطَّيْرِ صَوْتًا ، وَحَسْبُكَ هَذَا .

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ الْمُنَجِّمُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى قَالَ
سَمِعْتُ جَدِّي عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى يَقُولُ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ الْجَرَّائِيُّ قَالَ :

سمع إسماعيل الموصلي
صوتًا من لحنه
وشعره فطرب له
واستعاده عامة
يومه وقصة ذلك

(١) كذا في ج . وفي سائر الأصول : « إذا » وهو تحريف . (٢) في ب ، س : « الحسين
ابن إبراهيم بن رياح » وورد في الأصول المخطوطة كما أثبتناه . (٣) يقال حفه القوم وبه وحواله
إذا أهدقوا به وأطافوا وعكفوا ، فله يريده هنا حتى أهدقت به مضيقا عليه بالجواب . (٤) كذا
في الطبري (ق ٣ ض ١٣٧٩ ، ١٤٠٧ ، ١٥١٤) وفي الأصول : « الجرجاني » وهو تحريف .

٢٠

انتهت يوماً مغلّساً، فدخل إلى الغلام فقال لي : إسحاق الموصليّ بالبواب قبل
 أنت أصلّ الغداة . فقلت : يدخل ، في الدنيا إنسان يستأذن لإسحاق ! فدخل
 فقال : حملني الشوق إليك على أن بَكَرتُ هذا البُكور ، وقد حملتُ معي نبيذى
 وعملتُ على المُقام عندك . فقلت : مرحباً بك وأهلاً . ودعوت طباخى فسألته
 عما في المطبخ ، فذكر أشياء يسيرة ، منها قطعة جَدِي وطباخ^(١) ودُرَّاج^(٢) معلّق . فقال :
 ما أريد غير ذلك ، هاتِه الساعة . فقلت للطباخ : عَجِّلْ بإحضاره ، وعملتُ على الأكل
 معه وعلى أن نأخذ في شأننا . فدخل حاجي فقال : رسول الأمير إسحاق بن إبراهيم
 بالبواب ، وإذا فُرائقُ يذكر أنه وجه به إلى محمد بن الفضل ليُحضَرَه . قال فقال لي
 إسحاق : قم في حفظ الله وأجتهِد في أن نتعجَّل . قال : فتقدّمت إلى الخادم بإخراج
 الجوارى إليه وَوَضِعَ التَّيْذِينَ يديه ، وَلَيْسَتْ ثِيَابِي ونرجعت وركبت . فلما
 سِرْتُ قليلاً قلت في نفسي : أنا أخسَرُ النَّاسِ صفقةً إن تركتُ إسحاق بن إبراهيم
 الموصليّ في منزلي ومَضَيْتُ إلى إسحاق بن إبراهيم المصمعيّ ، ولا أدري ما يريد مني .
 فقلت لفُرائق : هل لك في خير؟ قال : وما هو؟ قلت : تأخذ ثلاثين درهماً وتمضي
 فتقول : إنك وجدتنى شاربَ دواءٍ . قال نعم . فدفعْتُ إليه ثلاثين درهماً ، وختمتُ له
 ختمًا ورجعت . فقال لي إسحاق : أسرعَ الكُرَّةَ ، فأخبرته بما صنعتُ ، فقال وفَّقَت .
 فجلست وكان يأكل فأكلت معه ، فأخذنا في شأننا . وخرج الجوارى اليَنا فغَنَيْنِ
 حتى مرَّ صوت إبراهيم بن المهديّ في شعره وهو :

جَدَدَ الحُبِّ بَلَايَا * أمرُها ليس يسيرا

(١) الطباخ : الكباب . (فارسيّ معرب) . والدراج : ضرب من الطير يطلق على الذكر والأنثى .

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم المصمعيّ حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتمد والوائق ، وهو من أرباب
 المكانة العالية في الرواية والأدب وقد الفناء . (انظر الحاشية رقم ١ من كتاب التاج للباحظ ص ٣١) .

— رَحْنُهُ مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي — قَالَ : فَطَرِبَ إِسْحَاقُ طَرِبًا مَارَأَيْتُهُ طَرِبَ مِنْهُ قَطُّ ، وَعَجِبَ مِنْ إِحْسَانِهِ فِي صَنْعَتِهِ وَجُودَةِ قِسْمَتِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ صَوْتَنَا يَوْمَنَا أَجْمَعَ لَا نَفْقَى غَيْرَهُ حَتَّى شَرِبَ إِسْحَاقُ قَطْرَ مِيزِهِ ^(١) ، وَفِيهِ مِنَ الْمَشْمَسِ الَّذِي كَانَ يَشْرِبُهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَطْلًا ، وَكُلَّهَا حَضَرَتْ صَلَاةً قَامَ إِسْحَاقُ يَصَلِّي بِنَا ، فَصَلَّى بِنَا الْعَتَمَةَ وَقَدْ فَنِيَ قَطْرَ مِيزِهِ فَشَرِبَ مِنْ نَبِيذِي رِطْلَيْنِ عَلَى الصَّوْتِ . قَالَ : وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ يَنْزِلُ بِسُوقِ الثَّلَاثَاءِ وَإِسْحَاقُ يَنْزِلُ عَلَى نَهْرِ الْمَهْدِيِّ . وَقَدْ وَزَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ لِلتَّوَكُّلِ قَبْلَ عِبَادَةِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى .

نسبة هذا الصوت

٧٠
٩

جَدَّ الْحَبِّ بِأَلَايَا * أَمْرُهَا لَيْسَ يَسِيرًا

كَبِيرَ الْحَبِّ وَقَدَمًا * كَانَ إِذْ حُلَّ صَغِيرًا

ذَلَّلَ الْحَبُّ رِقَابًا ^(٢) * كَانَ أَدْنَاهَا عَسِيرًا

لَيْسَ لِي مِنْ حَبِّ الْفَنَى * غَيْرُ حَرَمَانِي السَّرُورَا

الشَّعْرُ وَالْفَنَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ثَانِي ثَقِيل .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ حَمَّادٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى قَالَ :

أحب جارية عند
بعض أهله وقال
فيها شعرا

اسْتَتَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِهِ مِنَ النِّسَاءِ ، فَوَكَّلْتُ بِخِدْمَتِهِ جَارِيَةً جَمِيلَةً وَقَالَتْ لَهَا : إِنْ أَرَادَكَ لَشَيْءٌ فَطَاوَعِيهِ وَأَعْلِمِيهِ ذَلِكَ حَتَّى يَتَّسِعَ لَهُ ، فَكَانَتْ تُؤْفِيهِ حَقَّهُ فِي الْخِدْمَةِ وَالْإِعْظَامِ وَلَا تُعَلِّمُهُ بِمَا قَالَتْ لَهَا ، فَجَلَّ مَقْدَارُهَا فِي نَفْسِهِ إِلَى أَنْ قَبَّلَ يَوْمًا يَدَهَا ، فَقَبَّلَتْ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ :

يَا غَزَا لِي إِلَيْهِ * شَافِعٌ مِنْ مُقْلَتِيهِ ^(٣)

(١) القطر ميز : قلة كبيرة من الزجاج ، فاربعى معرب . (٢) كذا في ج ولعله يعني به نبذا من الأنبة صنع في الشمس . وفي أ ، م : « المششى » . وفي ب ، س : « المششر » . (٣) في أ ، م : « ملك » .

١٠

١٥

٢٠

والذى أجلتُ خَدَّ * يَهْ فَقَبِلْتُ يَدَيْهِ

بأبى وجهك ما أكَ * ثَرُ حُسَّادَى عَلَيْهِ

أنا ضيفٌ وحرأُ الضَّ * يَفْ إِحْسَانُ إِلَيْهِ

قال : وعمل فيه بعد ذلك لحناً في طريقة المنزج .

وقال أحمد بن أبي طاهر :

غَنَّى إبراهيم بن المهديَّ يوماً والمأمون مُضْطَبِّحٌ ، وقد كان خافه وبلغه عنه تنكُّره :

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتُ مِنِّي * هَوَى الدهرُ بى عنها وولَّى بها عَنِّي

فرَّقَ له المأمون لما سمعه ، وقال له : والله لا تذهب نفسك يا إبراهيم على يد

أمير المؤمنين ، فطَبَّ نفساً ؛ فإن الله قد أمَّنك إلا أن تُحدِثَ حَدَثًا يشهد عليك فيه

عَدْلٌ ، وأرجو ألا يكون منك حَدَثٌ إن شاء الله .

غنى للمأمون بشعره
وكان يخشى بطشه
فرق له وأمنه

نسبة هذا الصوت

صوت

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتُ مِنِّي * هَوَى الدهرُ بى عنها وولَّى بها عَنِّي

فإن أبك نفسي أبك نفساً نفيسةً * وإن أحسبها أحسبها على ضَبَنٍ

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهديّ ثانياً ثَقِيلٌ بالوسطى . وهذا الشعر قاله إبراهيم

ابن المهديّ لما أخرج الجُنْدُ عيسى بن محمد ابن أخى خالد من الحبس ، وله في ذلك

خبر طويل ، وقد شَرَطْنَا ألا نذكر من أخباره إلا ما كان من جلس الغناء .

وفي هذه القصيدة يقول :

(١) كان من القواد ، وقد ناصر إبراهيم بن المهدي في وثوبه على الخلافة ، وكان من وجوه شيعته

ثم غضب عليه وأمر بضربه وحبسـه لحياة ظهرت منه . (انظر تاريخ الطبري ق ٣ ص ١٠٠٢ ،

١٠٠٤ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠١١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣٤) .

وَأَفَاتَنِي عَيْسَى وَكَانَتْ خَدِيعَةً * حَلَّاتٍ بِهَا مُلْكِي وَقُلْتُ بِهَا سِنِي
 قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرُ بْنُ الْخَصِيبِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ :
 غَفَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ يَوْمًا عِنْدَ الْمَأمُونِ فَأَحْسَنَ ، وَبِحَضْرَةِ الْمَأمُونِ كَاتِبٌ لَطَاهِرٌ
 يُكْنَى أَبُو زَيْدٍ ، فَطَرِبَ حَتَّى وَثَبَ فَأَخَذَ طَرَفَ ثَوْبِ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْمَأمُونُ
 مُنْكَرًا لِفَعْلِهِ . فَقَالَ مَا تَنْظُرُ ! أَقْبَلَهُ وَاللَّهِ وَلَوْ قُتِلْتُ عَلَيْهِ ! فَتَبَسَّمَ الْمَأمُونُ وَقَالَ : أَيْتَ
 إِلَّا ظَرْفًا .

١١
 ٩

أراد الحسن بن
 سهل أن يضع منه
 ففرض هو به

قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ سَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِنَا يَقُولُ :
 اجْتَمَعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ وَالْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ عِنْدَ الْمَأمُونِ ؛ فَأَرَادَ الْحَسَنُ أَنْ
 يَضَعَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ أَيُّ صَوْتٍ تَغْنِيهِ الْعَرَبُ أَحْسَنُ ؟ يَرِيدُ
 بِذَلِكَ أَنْ يُشَهِّرَ إِبْرَاهِيمَ بِالْغَنَاءِ وَالْعِلْمِ بِهِ . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَدُ الْأَعَشَى :

* تَسْمَعُ لِلْحَيِّ وَسَوَاسًا إِذَا أَنْصَرَفَتْ *

أَيُّ لِمَاكَ مُوسُوسٌ ، وَكَانَ بِالْحَسَنِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا .

أَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ جَدِّي عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْمُنْجَمِ قَالَ :

غَنَّتْ مُغْنِيَّةٌ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ حَاضِرٌ :

* مَنْ رَأَى نُوقًا غَدَتْ سَحَّارًا *

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : أَنَا رَأَيْتُ هَذَا . قِيلَ لَهُ : وَأَيْنَ رَأَيْتَهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ

وَلَدَ عَلِيٍّ بْنِ رَيْطَةَ يَمْضُونَ فِي السَّحَرِ إِلَى الصَّيْدِ .

سمعه رومية
 أعجبت فبكت
 تأثرا من صوته

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي

بَعْضُ السَّجَّابِ عَنْ رَيْقٍ قَالَتْ :

خرجتُ يوما الى سيدي (تعني إبراهيم بن المهدي) وقد صنع لحنه في:

وإذا تُباع كريمة أو تُشترى * فسواك بائعها وأنت المشتري

وإذا صنعت صنعة أتممتها * بيسدين ليس نذاها بمكدر

وجاريه لنا رومية أعجمية لا تُفصح في أقصى الدار تكنس، وهو يطرح الصوت على شارية، والأعجمية تبكي أحرباء سمعته قط، فجعلتُ أعجب من بكائها وأنظر إليها حتى سكّت، فلما سكّت قطع البكاء، فعلمتُ أن هذا من غلبته بحسن صوته لكل طبع فصيح وأعجمي.

أخبرني الحسين بن يحيى وابن المكي وابن أبي الأزهري عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

غنى الأمين
صوتا فأجازه

غنى إبراهيم بن المهدي ليلة محمدا الأمين صوتا لم أرضه في شعرا أبي نواس وهو:

يا كثير النوح في الدمن * لا عليها بل على السكن

سنة العشاق واحدة * فإذا أحببت فاستكين

ظن بي من قد كلفت به * فهو يحفوني على الظن

رשא لولا ملاحظه * خلت الدنيا من الفتن

فأمر له بثلاثمائة ألف درهم. قال إسحاق فقال إبراهيم له: يا أمير المؤمنين قد أجزتني

إلى هذه الغاية بعشرين ألف درهم، فقال: هل هي إلا خراج بعض الكور! هكذا

ذكر إسحاق. وقد روى محمد بن الحارث بن بسطمر هذه الحكاية عن إبراهيم فقال:

لما أردت الانصراف قال: أوقروا زورق عمي دنائير، فأنصرفت بمال جليل.

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون قال ذكر لي أبو عبد الله الهشامي عن أهله

كانت يحسن
الإيقاع على الطبل
والنساء

قال قال إبراهيم بن المهدي: وقد خرج إلى ذكر الطبل والإيقاع به — فقال إبراهيم:

(١) في ب، س: «دينار». (٢) في ب، س: «بعشرين ألف ألف درهم هل هي الخ».

هو من الآلات التي لا يجوز أن تبلغ نهايتها، ف قيل له : وكيف خُصَّ الطُّبْلُ بذلك ؟
 فقال : لأن عمل اليدين فيه عملٌ واحد ، ولا بُدَّ من أن يلحق اليسار فيه نقصٌ عن
 اليمين ، ودعا بالطُّبْلِ ليرينا كيف ذلك فأوقع إيقاعاً لم تكن نظنَّ أن مثله يكون ، وهو
 مع ذلك يرينا موضعَ زيادة اليمين على اليسار . قال وقال له الأمين في بعض خلواته :
 يا عمَّ أشتى أن أراك تَرمُرُ . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما وضعتُ على في نايًا قط
 ولا أضعه ، ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلانة — من موالى المهدي — حتى تنفخ
 في الناي وأمر يدي عليه . فأحضرتُ ووضعَت الناي على فيها وأمسكه إبراهيم ،
 فكلما مرَّ الهواء أمرَّ أصابعه ، فأجمع سائرُ من حضر على أنه لم يسمع مثله قط .

٧٢
٩

وأخبرني أبو الحسن علي بن هارون أيضاً قال حدثني أبي قال، حدثني عبيد الله
 ابن عبد الله وأبو عبد الله الهشامي قالاً : ١٠

كان إبراهيم بن المهدي إذا غنى لحنه :

هل تطمسون من السماء نجومها * بأكمكم أو تسثرون هلالها
 فبلغ الى قوله :

* جبريل بلغها النبي فقالها *

هز حلقه فيه ورجعه ترجيعاً تتزلزل منه الأرض . ١٥

أخبرني محمد بن إبراهيم قريظ قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني
 الهشامي قال : غنت مقيم الهشامية
 لنا فاخسلس
 إيقاعه منها

كانت مقيم الهشامية ذات يوم جالسة بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن
 المهدي حاضر، فتغنت مقيم في الثقليل الأول :

* لزنب طيف تعتريني طوارقه *

٢٠

فأشار إليها إبراهيم أن تُعيدَه . فقالت متمِّ للمعتصم : يا سيدي إن إبراهيم يَهْتَعِدُنِي
الصوتَ وأظنه يريد أن يأخذه . فقال لها : لا تُعيدِه . فلما كان بعد أيام كان إبراهيم
حاضراً يجلس المعتصم وكانت متمِّ غائبةً عنه ، فأنصرف إبراهيم بالليل إلى منزله ومتمِّ
في منزلها بالميدان وطريقه عليها وهي في مَنْظَرَةٍ لها مُشْرِفَةٌ على الطريق وهي تَطْرَحُ
هذا الصوتَ على بعض جَوَارِي بنى هاشم ، فتقدم إلى المنظرة على دابته وتطاول
حتى أخذ الصوتَ ، ثم ضرب بابَ المنظرة بِمِقْرَعَتِهِ وقال : قد أخذناه بلا حَمْدِكَ .

نسبة هذا الصوت

لَزَيْبَ طَيْفٍ تَعْتَرِي طَوَارِقُهُ . هُدُوءاً إِذَا النَّجْمُ^(١) أَرْجَحَتْ لَوَاحِقُهُ
سَيِّبِكَ مِرْنَانَ الْعَشِيِّ يُجِيئُهُ * لَطِيفُ بَنَانِ الْكَفِّ دُرْمٌ مَرَّافِقُهُ^(٢)
إِذَا مَا بَسَاطُ اللَّهِوِمْدَ وَقُرْبَتْ * لِلذَّاتِ أَنْمَاطُهُ وَنَمَارِقُهُ^(٣)
الشعر للتميميّ . والغناء لمعبد ، ولحنه من القدر الأوسط من النقيض الأول بالنصر
في مجراها عن إسحاق . وفيه لـالك خفيف ثقيل أول بالنصر عن يونس والحشاشي .

أخبرني علي بن هارون قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

كان محمد بن موسى المنتجم يقول : حَكَّتْ أَتْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ أَحْسَنُ النَّاسِ
كَلَّهْمُ غَنَاءَ بِيْرَهَانَ ، وذلك أَتَى كُنْتُ أَرَاهُ يَجَالِسُ الْخُلَفَاءَ مِثْلَ الْمَاءِ وَنَ وَالْمَعْتَصِمَ يَغْنَى
المغنون ويغنى ، فإذا أَبْتَدَأَ الصوتَ لم يَبْقَ مِنَ الْغِلْمَانِ وَالْمُتَصَرِّفِينَ فِي الْخِدْمَةِ وَأَصْحَابِ
الصناعات وَالْمِهْنِ الصَّغَارِ وَالْيَكَارِ أَحَدٌ إِلَّا تَرَكَ مَا فِي يَدِهِ وَقَرُبَ مِنْ أَقْرَبِ مَوْضِعٍ
يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْمَعَهُ ، فَلَا يَزَالُ مُضْغِيًّا إِلَيْهِ لَاهِيًّا عَمَّا كَانَ فِيهِ مَا دَامَ يُغْنَى ، حتى إِذَا
أَمْسَكَ وَتَغْنَى غَيْرُهُ رَجَعُوا إِلَى التَّشَاغُلِ بِمَا كَانُوا فِيهِ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى مَا يَسْمَعُونَ .

برهان محمد بن موسى
المنتجم على أنه
أحسن الناس غناء

(١) ارجحن النجم : مال نحو المقرب . (٢) المرنان : الكثير الرنين ، ويقال : سحابة
مرنان وقوس مرنان ، أى كثيرة الرنين . والمراد هنا : آلة الطرب . (٣) درم : جمع أدرم
وهو من لاجم لفظاً . (٤) نسب هذا البيت في الكامل للبرد ص ٧٠٨ طبع أوربا لنصيب .

ولا برهانه أقوى من هذا في مثل هذا من شهادة الفطن له واتفاق الطبائع — مع اختلافها وتشعب طرقها — على الميل إليه والالتقاد له .

كانت له أشياء لم
يكن لأحد مثلها
٧٣
٩

حدثني أحمد بن جعفر بحظّة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال :

قلت للعصم : كانت لأبي أشياء لم يكن لأحد مثلها . فقال : وما هي ؟ قلت :

شارية وزايرتها معمرة . فقال : أما شارية فعندنا ، فما فعلت الزائرة ؟ قلت : ماتت .

قال : وماذا ؟ قلت : وساقيتها مكنونة ، ولم ير أحسن وجهاً ولا ألين ولا أظرف

منها . قال : فما فعلت ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : نخلة كانت تحمل رطباً

طول الرطبة منها شبر . قال : فما فعلت ؟ قلت : بجرتها بعد وفاته . قال : وماذا ؟

قلت : قدح الضحاح . قال : وما فعل ؟ قلت : الساعة والله حجمني فيه

أبو حرمة فسألته أن يهبه لي ففعل ، ووجهت به إلى منزلي فغسل ونظف وأعيد

إلى خزانتي ، فرأيت أبي فيما يرى النائم في ليلتي تلك وهو يقول لي :

أيترع ضحاحي دماً بعد ما غدت * على به مكنونة مئراً نمرأ

فإن كنت مني أو تحب مسرقي * فلا تغفلن قبل الصباح له كسراً

فانتبهت فزحاً وما فرق الصبح حتى كسرته .

كتب إليه إسحاق
الموصلي فأجابه

فأما المماظة التي كانت بينه وبين إسحاق فقد مضى في خبر إسحاق منها طرف .

ونذكر هاهنا منها ما جرى مجرى محاسن إبراهيم والقيام بحجته إن كانت له ، وعذره

فيما عيب عليه لأنه بذلك حقيق . فن ذلك نسخت من كتاب أعطانيه أبو الفضل

العباس بن أحمد بن ثوبان رحمه الله بخط إسحاق في قرجاس — وأنا أعرف خطه —

وجواب لإبراهيم بن المهدي في ظهره بخط ضعيف وأظنه خطه ؛ لأنه لو كان خط

(١) جمر النخلة : قطع جمارها . (٢) فرق الصبح : تبين واتضح . (٣) المماظة :

المخاصمة والمنازعة . (٤) في الأصول : « وطرد » من غير ماء الضمير .

كاتب^(١) لكان أجود من ذلك الخط ، وقد ذهب أول الكتاب فذهب به أول
الابتداء والجواب ، ونسخت بقيته ؛ فكان ما وجدته من ابتداء إسحاق :

وكنْتَ — جُعِلْتُ فِدَاكَ — كتبت في كتابك الى محمد بن واضح تذكر أنك

مولاي وسيدى . فتى دفعت ذلك ! وهل لي نخر غيره ! أو لأحد علي وعلى أبي رحمه الله

من قبل نعمة سواكم ! . وأحب ذلك أن يكون ، وأرجو أن أموت قبل أن يتليني

الله بذلك إن شاء الله . فأما ذكرك — جُعِلْتُ فِدَاكَ — الصنعة فقد أجل الله

قدرك عن الحاجة الى دفعها والاعتذار عنها . وأما أنا المسكين فانت تعلم أني

لم أُنْخِذَ ما نحن فيه صنعة قط ، وأنى لم أرْذُها إلا لكم شكراً لنعمتكم وحباً للقرب منكم

ولايكم . فليس ينبغي أن يعينني ذلك عندكم ، ولا يجوز لأحد أن يعينني به إذ كان

لكم . وقد علمت أنك لم تضعني من علويه ومُخَارِق بحيث وضعتني إلا لفضيب

أخوَجَك الى ذلك ، وإلا فانت تعلم أنهما لو كانا مملوكين لي لآثرت تعجيل الراحة

منهما بعتقهما أو تخليصة سبيلهما على ثمن أصيبه ببيعهما أو حميد أكتسبه بثنهما ،

فكيف أظن أنى عندك مثلهما ، أو أنك تقرنني إليهما وتذكرني معهما ! . أو تلومني

الآن على أن أنخرس فلا أنطق بحرف ، وأن أفر من الغناء فرارك من الخطأ فيه ،

وأمتعض منه أمتعاضك ممن يُخفى عليك شيئاً من علومه ! . كيف ترى — جُعِلْتُ

فِدَاكَ — الآن سبابي وأنت ترى أن أحداً لا يُحسن السب غيرك ! . قد أحدثت لي —

جعلت فِدَاكَ — أدباً وزدتني بصيرة فيما أحب من ترك الكلام فيه .

فإن ظننت أن هذا فرار من الحجّة وتعريد عن المناظرة ، كما قلت ، فقد ظفرت

وصرت إلى ما أحببت ؛ وإلا فانه لا ينبغي للفر أن يتلهى بما لا تقوم لذته بمعرفته ،

٢٠ (١) كذا في ب ، م . وفي سائر النسخ : « كتابه » . (٢) كذا في أ ، م . وفي سائر
النسخ : « مولى وسيد » . (٣) كذا في الأصول ولعل صوابه : « ولا أحب ذلك أن يكون الخ » .
(٤) في الأصول : « تقرنني » وهو محريف . (٥) كذا في الأصول . (٦) التعريد : الفرار .

٧٤
٩

ولا لعاقِلٍ أن يبذل ما عنده لمن لا يَحْتَمِدُهُ، ولعلَّه لا يَقلِّبُ العينَ فيه حتى يَلْحَقَهُ ما يَكْرَهُ منه. وأما ما قاله أبي — رحمه الله — من أنه لم يزل يَتَمَنَّى أن يَرى من سادته مَنْ يَعْرِفُهُ، قَدَرَهُ حقَّ معرفته ويَبْلُغَ علمُهُ بهذه الصَّنَاعَةِ الغَايَةَ العَظْمَى حتى رَأَىكَ، فقد صَدَّقَ، ما زال يَتَمَنَّى ذلك وما زِلْتُ أَتَمَنَّاهُ. فهل رَأَيْتَ — جُعِلْتُ فِدَاكَ — حَظِّي مِنْهُ إِلَّا بَأَن سَاوَيْتَ بِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَسَاوِي شِشْعَهُ، ولعلَّكَ لا تَرْضَى في بعض القوم حتى تَفْضُلَهُ عليه، لا تَنْفَعُهُ عِنْدَكَ مَعْرِفَةُ بِهِ، ولا رَعَايَةُ لَطُولِ الصُّحْبَةِ وَالْخِدْمَةِ، ولا حِفْظُ لَأَنَارٍ مَحْمُودَةٍ بَاقِيَةٍ نَذَرَهَا وَنَحْتَجُّ بِهَا. ثم ها أَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَضَعُنِي بِالْمَوْضِعِ الَّذِي تَضَعُنِي بِهِ، وَتَنَسُّبُنِي إِلَى مَا تَنَسُّبُنِي إِلَيْهِ؛ لِأَنِّي تَوَخَّيْتُ الصُّوَابَ وَاجْتَهَدْتُ فِي الْبَدَلِ وَالْمُنَاصَحَةِ، لَا يَدْفَعُكَ عَنِّي حِفْظُ لَسَلَفٍ، وَلَا صِبَايَةُ خَلِيفٍ، وَلَا اسْتِدَامَةُ لِقَدِيمٍ مَا نَعْلَمُ، وَلَا مَصَانَعَةُ لِمَا تَطْلُبُ، وَلَا وِلَاءَ مِمَّا أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَهُ. فَمَا أَرَى — جُعِلْتُ فِدَاكَ — مِنْ مَعْرِفَتِكَ بِمَا فِي أَيْدِينَا إِلَّا تَجَرَّعَ الْحَسَرَاتِ، وَتَطَلُّبَكَ لَنَا الْعَثَرَاتِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. كَيْفَ أَصْنَعُ جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنْ سَكَتُ لَمْ تَقْبَلْ ذَلِكَ مِنِّي، وَإِنْ صَدَقْتُ كَذَّبْتَنِي، وَإِنْ كَذَبْتُ ظَلَمْتَنِي، وَإِنْ مَزَحْتُ لِأَطْرِبَكَ وَأَضْحَكُكَ وَأَقْرُبَ مِنْ أُنْسِكَ وَأَخَذَ بِنَصِيبِي مِنْ كَرَمِكَ غَضِبْتَ وَسَبَبْتَ، وَلَوْ كُنْتُ قَرِيبًا مِنْكَ لَضَرَبْتَ! وَلَيْتَكَ فَعَلْتَ، فَكَانَ ذَلِكَ أَيْسَرَ مِنْ غَضَبِكَ. ثم من أعظم المصائب عندى أمرُكَ إِيَّايَ أَنْ أَسْأَلَ مُحَمَّدَ بْنَ وَاضِحٍ عَنْ قَوْلِ قُلْتَهُ فِي عِنْدَ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ. فَوَاللَّهِ — جُعِلْتُ فِدَاكَ — إِنْ لَمْ أَشْعُرْ بِذِكْرِهِ فَكَيْفَ أَحِبُّ أَنْ أَذْكُرَهُ وَأُذَكِّرَ لَهُ! وإِنِّي لِأَرَى لَكَ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَاعْتِجَابِ مِنْ صَبْرِكَ عَلَيْهِ، مَعَ أَنِّي — أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ — لَوْ رَغِبْتُ فِي هَذَا مِنْهُ وَمِنْ مِثْلِهِ لَكُنْتُكَ وَنَفْسِي ذَلِكَ بِأَنْ أَكُتُوهُ ثَوْبَيْنِ، وَأَوْهَبَ لَهُ دِينَارَيْنِ، أَوْ أَقُولَ لَهُ أَحْسَنْتَ فِي صَوْتَيْنِ، حَتَّى نَبْلُغَ أَكْثَرَهُمَا أُرَدْتُ لِي أَوْ أُرِيدَهُ لِنَفْسِي. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ

(١) لعله: «حظه». (٢) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «فيه» وهو يحرر يمينه.
(٣) كذا في الأصول. (٤) بشع بالأمر: ضاق به ذرعا.

(١) كاتب لكان أجود من ذلك الخط ، وقد ذهب أول الكتاب فذهب منه أول الابتداء والجواب ، ونسخت بقيته ؛ فكان ما وجدته من ابتداء إسحاق :

وكنْتَ — جُعِلْتُ فداءك — كتبت في كتابك الى محمد بن واضح تذكر أنك مولاي وسيدى ، فتي دفعت ذلك ! وهل لي نخر غيره ! أو لأحد على وعلى أبي رحمه الله

من قبلي نعمة سواكم ! . وأحب ذلك أن يكون ، وأرجو أن أموت قبل أن يتليني الله بذلك إن شاء الله . فأما ذكرك — جُعِلْتُ فداءك — الصنعة فقد أجل الله

قدرك عن الحاجة الى دفعها والاعتذار عنها . وأنا أنا المسكين فانت تعلم أني لم ألتزم ما نحن فيه صنعة قط ، وأنى لم أركبها إلا لكم شكراً لنعمتكم وحباً للقرب منكم وإليكم . فليس ينبغي أن يعينى ذلك عندكم ، ولا يجوز لأحد أن يعينى به إذ كان

لكم . وقد علمت أنك لم تضعنى من علويه ومخارق بحيث وضعتى إلا لغضب ١٠ أحوجك الى ذلك ، وإلا فانت تعلم أنهما لو كانا مملوكين لى لآثرت تعجيل الراحة

منهما بعتقهما أو تخليص سبيلهما على ثمن أصيبه ببيعهما أو حميد أكتسبه بثنهما ، فكيف أظن أنى عندك مثلهما ، أو أنك تقرننى إليهما وتذكرنى معهما ! . أو تلومنى

الآن على أن أحرص فلا أنطق بحرف ، وأن أفر من الغناء فرارك من الخطأ فيه ،

وأمتنع منه أمتعاضك ممن يخفى عليك شيئاً من علومه ! . كيف ترى — جُعِلْتُ ١٥

فداءك — الآن سبابى وانت ترى أن أحداً لا يحسن السب غيرك ! . قد أحدثت لى —

جعلت فداءك — أدباً وزدتنى بصيرة فيما أحب من تركه وترك الكلام فيه .

فإن ظننت أن هذا فرار من الحجّة وتعريد^(٦) عن المناظرة ، كما قلت ، فقد ظفرت

وبصرت إلى ما أحببت ؛ وإلا فانه لا ينبغي للحر أن يتلهى بما لا تقوم لذته بمعرته ،

٢٠ (١) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : « كتابه » . (٢) كذا فى أ ، م . وفى سائر

النسخ : « مولى وسيد » . (٣) كذا فى الأصول ولعل صوابه : « ولا أحب ذلك أن يكون الخ » .

(٤) فى الأصول : « تقرننى » وهو تحريف . (٥) كذا فى الأصول . (٦) التعريد : الفرار .

٧٤
٩

ولا لعاقِل أن يبذل ما عنده لمن لا يَحْمَدُه، ولعلَّه لا يَقلِّبُ العَيْنَ فيه حتى يَلْحَقَه ما يَكْرَهُ منه، وأما ما قاله أبي - رحمه الله - من أنه لم يزل يَتَمَنَّى أن يَرى من سادته مَنْ يَعْرِفُه، قَدَرَه حقَّ معرفته ويُلِّغُ علمُه بهذه الصَّنَاعَةِ العَظِيمَةَ العَظِيمَةَ حتى رَأَاكَ، فقد صَدَّقَ، ما زال يَتَمَنَّى ذلك وما زِلْتُ أَتَمَنَّا. فهل رَأَيْتَ - جُعِلْتُ فِدَاكَ - حَقِّي مِنْهُ إِلَّا بَانَ ^(١) ساوِيَتَ به من لم يكن يساوي شُيُوعَه، ولعلَّكَ لا تَرْضَى في بعض القوم حتى تَفْضُلَه عليه، لا تَنْفَعُه عندكَ مَعْرِفَةُ به، ولا رِعايَةُ لِطَوْلِ الصُّحْبَةِ وَالْخِدْمَةِ، ولا حِفْظُ لَأَنَارٍ مَحْمُودَةٍ بَاقِيَةٍ نَذَرُهَا وَنَحْتَجُّ بِهَا. ثم ها أنا من بعده تَضَعُنِي بِالْمَوْضِعِ الَّذِي تَضَعُنِي بِهِ، وَتَنْسِبُنِي إِلَى مَا تَنْسِبُنِي إِلَيْهِ؛ لِأَنِّي تَوَخَّيْتُ الصُّوَابَ وَأَجْتَهَدْتُ فِي الْبَدَلِ وَالْمُنَاصَحَةِ، لَا يَدْفَعُكَ عَنِّي حِفْظُ لَسَلَفٍ، وَلَا صِيَانَةُ خَلَفٍ، وَلَا اسْتِدَامَةُ لِقَدِيمٍ مَا نَعْلَمُ، وَلَا مَصَانَعَةُ ^(٢) لِمَا تَطْلُبُ، وَلَا وِلَاءٌ مِمَّا أَكْرَهَ أَنْ أَقُولَه. فما أَرَى - جُعِلْتُ فِدَاكَ - من معرفتك ١٠ بما في أَيْدِينَا إِلَّا تَجَرَّعَ الْحَسَرَاتِ، وَتَطْلُبَكَ لَنَا الْعَثَرَاتِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. كَيْفَ أَصْنَعُ جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنْ سَكَتُ لَمْ تَقْبَلْ ذَلِكَ مِنِّي، وَإِنْ صَدَقْتُ كَذَّبْتَنِي، وَإِنْ كَذَبْتُ ظَلِمْتُ بِي، وَإِنْ مَرَحْتُ لِأَطْرِبِكَ وَأُصْحِكَكَ وَأَقْرَبَ مِنْ أُنْسِكَ وَأَخَذَ بِنَصِيحِي مِنْ كَرَمِكَ غَضِبْتَ وَسَبَبْتَ، وَلَوْ كُنْتُ قَرِيباً مِنْكَ لَضَرَبْتُ! وَلَيْتَكَ فَعَلْتَ، فَكَانَ ذَلِكَ أَيْسَرَ مِنْ غَضَبِكَ. ثم من أعظم المصائب عندي أَمْرُكَ بِإِيَّائِي أَنْ أَسْأَلَ مُحَمَّدَ ١٥ ابْنَ وَاصِحٍ عَنْ قَوْلٍ قُلْتَهُ فِي عِنْدِ عَمْرُو بْنِ بَانَةَ. فَوَاللَّهِ - جُعِلْتُ فِدَاكَ - إِنِّي لَا بُشْعَ ^(٣) بِذِكْرِهِ فَكَيْفَ أَحِبُّ أَنْ أَذْكُرَهُ وَأُذَكِّرَ لَهُ! وَإِنِّي لِأَرْتِي لَكَ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَأَعْجَبَ مِنْ صَبْرِكَ عَلَيْهِ، مَعَ أَنِّي - أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ - لَوْ رَغَبْتُ فِي هَذَا مِنْهُ وَمِنْ مِثْلِهِ لَكَفَيْتُكَ وَنَفْسِي ذَلِكَ بَأَنْ أَكْسُوهُ ثَوْبَيْنِ، أَوْ أَهَبَّ لَهُ دِينَارَيْنِ، أَوْ أَقُولَ لَهُ أَحْسَنْتَ ٢٠ فِي صَوْتَيْنِ، حَتَّى نَبْلُغَ أَكْثَرُ مَا أَرَدْتُ لِي أَوْ أَرِيدَهُ لِنَفْسِي. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ

(١) لعله: «حظه». (٢) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «فيه» وهو تحريفه. (٣) كذا في الأصول. (٤) بشع بالأمر: ضاق به ذرعا.

حظي منك هذا! ومثله غير مستصغر لشأنك ولا مستقيل لقليل حسن رأيك . والله
 يسأل أن يطيل بقاءك، ويحسن جزاءك، ويجعلني فداك . قد طال الكتاب، وكثر
 العتاب . وجملة ما عندي من الإعظام والإجلال اللذين لا أخاف أن أجعلهما
 عندك، والمحبة التي لا أمتنع منها ولا أعرف سواها، والسمع والطاعة في تسليم ما تحب
 تسليمه والإقرار بما أحببت أن أقربه، وسأشهد على ذلك محمد بن واضح وأشهد
 لك به من أحببت وأؤذى الخراج . ولكن لا بد من فائدة وإلا أنكسر، فهات
 — جعلت فداك — وأوف وأستوف فانك واجد صحة وأستقامة إن شاء الله . مد الله
 في عمرك، وصبرني عليك، وقدمني قبلاً، وجعلني من كل سوء فداك .

نسخة جواب إبراهيم بعد ما ذهب منه

١٠ ... وأية سلامة أقدر لك عليها إلا أسوقها إليك، أعطاني الله ما أحب من ذلك لك .
 فإما أن أتكلم من وراءك بشيء تستثقله متعمداً؛ فما أنا إذا بمر ولا كريم، معاذ الله
 من ذلك! . ولئن جمعت وإياك وعلى بن هشام مجلساً لأستشهدنه على أشياء لم أذكرها
 لك، ولم أكتب بها إليك، لإجلالاً لقدير حالك عندي من اعتداد به مثل ذلك مني،
 وأنت عنه غافل، والله به عليم . وأما الرشوة فأرجو أن تجيبك على ما تشتهي آتاك
 ١٥ الله ما تحب فيما تحب وتكره وجعلك له شاكراً . وأما الفوائد التي وعدت ورودها
 علينا فلأني لو اتقيت أنك لا تفيديني شيئاً فأنظر فيه إلا وجدني فيه فطناً أجيد تفتيشه
 وأعرف كنهه وأفيدك فيه وفيما استنبطت منه ما لا تجد عند نفسك أكثر منه،
 فإما غيرك فالهباء المنثور . ويا رأس المشنعين تقول إني غيرتك بالصناعة ثم تمنع
 بحدوك في تحريف الأقوال رأيتساب الحجج، لتفهم خصمك، وتعلي حججك،

٧٥
٩

- ٢٠ (١) كذا في الأصول ولعلها : « وجملة ما عندي الإعظام والإجلال اللذان اطلع » .
 (٢) لعل إبراهيم يشير بهذا ونحوه إلى أشياء خاصة جرت بينه وبين إسحاق .
 (٣) كذا في ج وفي سائر الأصول « المغنين » .

- فكيف أعيبك بحاجتي إليك، وما أنا داخل فيه معك! لا! ولكني قلت لك: إني لست كفلان وفلان ممن لو كان عنده أمر ينازعك به ثقل عليك، إنما أنا رجل من مواليك متوسل إليك بما يسرك، أو كصاحب لك تناظره بما تحب أن تجد من تناظره فيه، فليكن ذلك بالإنصاف وطلب الصواب أصبته أو أخطأته، لا بالحيلة والآنفة والحيلة لترد الحق بالباطل. هذا معنى قولي؛ وقد استشهدت عليك فيه أبا جعفر، وجاءني كتابك وهو عندي يشهد لي. والكتاب الذي هذا فيه بخطي عنده لم يرد علي، فتتبع ما فيه وخدني به. فلمعمرى لئن كنت قرنتك بمن ذكرت لأعيبك بالتشبيه لك بهم ما عبت غير رأيي، ولا جهلت غير نفيي. ولست أعتذر من هذا لأنك تشهد لي بالحق فيه، وإنما تريد أن تخصمني بلا حجة، فيكفيني عابك بما عندى، وإلا فانت إذا بي أجهل مني بك. وقلت: «تذكرني معهما» فقد ذكر الله النار مع الجنة، وموسى مع فرعون، وإبليس مع آدم، فلم يئن بذلك موسى ولا آدم ولا أكرم فرعون وإبليس، فأعفني من المغالطة لي والتحريف لقولي، وأستغنى بي وأمتنعى بالمصادقة. فإن أنت لم تفعل بقيت واحدا مستوحشا، ولم تحذ ضيري إن علم ما تعلم لم ينقصك، وإن علم أكثر منك لم يشنك، وإن أفهمته كافاك، وإن استفهمته شفاك. لا والله ما أردت إلا ما ذكرته لك، ولا أحسبك ظننت في غير ذلك؛ لأنك لا تجهلني فأنا عندك غير جاهل. وواحدة هي لك دوني، والله ما كنت أبالي ألا أسمع من تحارق وعلويه شيئا حتى أسمع بنعيمهما، ولا أراهما حتى أراهما ميتين، وما في هذا غيرك والإعظام لك والإكرام. وذلك أنهما كانا لك غلامين فصيرتهما ندين تقول فيهما ويقولان فيك، وإنما هما صبيعتاك وحرثكما
- (١) في ب، س: «عندك لم ترد علي». (٢) خصمه يخصمه (بكر الصاد في المضارع): عليه في الخصومة. وكسر عين الفعل هنا شاذ في هذا الباب.
- (٣) يريد تحارقا وعلويه، كما سيأتي في السياق.

تأديبك وإن كانا غير طائل ، فلو أعرضت عن أنتقاصهما ورفعت ما رفع الله من
 قَدْرِي عن الإفراط في عيبيهما ، لكان ذلك أشبه بك وأجمل بحللك وخطرك ومكانك .
 وكذلك الذي تَرْتِي له منه وصاحبه محمد بن الحارث ، فوالله ما أُحِبُّ لك في أدبك
 وفضلك ودينك ومحلِّك أن تُشهر نفسك لهذا بهذا ومثله ، وأن ينتهي إليهما ذلك عنك .
 أقول يعلم الله في ذلك لا لهما . وإن ذلك ، لو صرت إليه ، لأجل بك وأجل لقدرك .
 وإن كنت لتتخوّلها به ، ولو أردت ذلك ، وإن زهدت فيه ، لم تَضَع نفسك ومحلَّك
 مع غلمانٍ أحداثٍ يبسطون ألسنتهم فيك بما بسطته منهم على نفسك ، ولو لم تفعل
 لكنت أعظم في عيونهم من بعض مواليم الذين تولّوا متهم . هذا رأي لك بما
 هو أكبر لأمرك وأشبه بحللك . والله ما غَشَشْتُك ولا أوطأتك عشواء ، فأختر لنفسك
 ما رأيت . ولا والله لا سَمِعَا بهذا أبداً ولا بما قلته في إلا خزيًا حتى يموتا ، ولا أردتُ
 — يشهد الله — بهذا غيرك . وأما من ذكرت أني أسويه بأبي إسحاق رحمه الله وهو
 لا يساوي شِسْعَه فإنك عَنَيْتَ ابنَ جامع . وإن كنت لا تدخل بيني وبين أبي إسحاق رضى
 الله عنه ، ولا أظنك والله أشدَّ حبًّا له مني ، ولا كان لك أشدَّ حبًّا منه لي ، فقد تعلم
 كيف كان لي ، ولكن لا أظلم ابنَ جامع كما تظلمه أنت يا أظلم البشر . ولئن صَمِنْتَ
 أن تُصِفَنِي لأَكْمَنِكَ فيه بما لا تدفعه ، ولكني لا أكلمك في شيء حتى أثِقَ بهذه
 منك ، وإلا وسعني من السكوت ما وسعك . ومن العَجَب الذي لم أر مثله والمكابرة
 التي لا يشبهها شيء أعتدأوك على في التجزئة حيث تقول :

حَيِّيًا أَمْ يَعْمَرًا * قَبْلَ تَحْطِ مِنَ النَّوَى

(١) كذا في الأصول . ولعل صواب العبارة : « أقول — يعلم الله — ذلك لك لا لهما » .

(٢) في ج ، ب ، س : « حتى » .

يا أخو حبيب نفسي فأَنْظُرْ كم في هذا من العيوب!! قولك : «يا» ليكون مثل «شَحِطَ» في الوزن، أَيْكون مثل هذا في الكلام! وقولك في الجزء الثاني «حَى» حتى يكون مثل «قبل»، هل يكون مثل هذا! أو ليس في «يا» المشددة أربع ياءات، وفي «حَى» التي عطفت بها ثلاث فتصير سبع ياءات، وإنما هي ثلاث في الأصل: الياء المشددة وياء الاثنين حيث تقول^(١) «حييا!». والناس في هذا يبنون وينك بهمائم، فمن أَسْتَعِدَى عليك! ولو أنصفت لعلمت أنه لا يمكن في :

* حَيَّيَا أُمَّ يَعْمَرَا *

غير ما جرأتُ أنا إلا بهذا الغلط الذي لا يحول من تحريك ساكني تجعله أول الكلام فقد زدت قبله حرفا، أو تسكين متحرك فتريد بعده حرفا، كقولك «أم يعمرًا قابل شحطن» حيث جعلت قبل الباء ألفا، وكقولك «أم يعمرن قبلا» فردت الألف لتسكت عليها لأن السكوت على متحرك لا يمكن. فأية حجة هذه! أو مَنْ يصبر لك على هذا! وإنما أردتُ أنا ما يجوز بخفي بجزئية واحدة، لا أريد غير ذلك منك. مالك يا أخى تنفس على الصواب فيما لا تقيصة عليك فيه ولا عيب، ثم اتخذتَ تَحْمَدِي إليك، بما قلتُ لك أن تسأل محمدا عن قولي فيك بظهر الغيب، ذنبًا بطبعك على الظلم والتحريف؛ حتى كأني أعلمتك أن أحدا تنقصك فحيمت لذلك، ولم يكن غير الرد عليه. والله ما مثلي بمن بهذا، ولكني كنت إذا تحدثت مع محمد خالي كلمته بمثل ما أكلمك به من الرد والجدل، فلما كان عندنا من يُحْتَشَمُ كان كلامي بما يجب أن أتكلّم به من الإكرام والتقديم، فقال لي: أى شيء هذا الذي أرى؟ فقلت له: هذا كلام الحشمة وذلك كلام الأئس. فأردتُ بإعلامك هذا أن تعلم أني لا أريد بما أنازعك فيه شيئا يزيع عما تعرف مني، وأنى أذكرك

(١) في ب، ب، س: «حَى». (٢) في الأصول: «من». (٣) في الأصول: «يجب».

بما يُشبهك في موضعه . فلو آتيت الله وأبقيت على الإخاء لما كنت تحرفه هذا بشيء، وهو جميل أرضاه من نفسي، فتصير قبيحاً تريد أن اعتذر إليك منه .
وأما أداء الخراج والإشهاد، فهذا شيء لم أطلبه منك، إنما أنت طلبته مني ظالماً لي . وذلك لأنني لم أنازلك إلا منازعة مناظرٍ يُحب أن يعرف حسن قصه وثاقب نظره .

وأما الرياسة فقد جعلها الله لك على أهل هذا العمل، ولا رياسة لي عليهم ولا لك عليّ؛ لأنني في العلم مناظر وفي العمل متلذذ . فلا تظلمني ولا نفسك لي .
ومن بعد فإني أحب أن تخبرني كيف أنت اليوم بعد . والله غممتني، لا غمك الله ولا غمّي بك . ولو شئت أرسلت إلى يحيى بن خالد طيب أخى عبيد الله فإنه رفيق مبارك عليم، وهو منك قريب في دار الروم، فأخذت برأيه ومن علاجه .
وهب الله لك العافية ووهبها لي فيك برحمته .

ولما ذكرت هذا الابتداء وجوابه على طولها، وهما قليل من كثير من مكاتباتهما، لتعرف بهما طرُقاً من مقدارهما في المنازعة والمجادلة، وأن إسحاق كان يريد من إبراهيم التواضع له والخنوع برياسته ويتحامل عليه في بعض الأوقات،
ويخو إبراهيم نحو ما فعله به؛ لأن نفسه تأبى ما يريده إسحاق منه، فيستعمل معه من المبينة مثل ما استعمله، ويكونان في طرفين من الظلم يُعَدُّ كل واحد منهما عن إنصاف صاحبه . وقد روى يوسف بن إبراهيم أخباراً فيما جرى بينهما — فوجدتُ كلامهما مرصوفاً رصف إبراهيم بن المهدي ومنظوماً نظم منطوقه — فيها تحامل على إسحاق شديد، وحكايات ينسب من نقلها إلى جهل بصناعته كان إسحاق بعيداً من مثله، ففعلتُ أن إبراهيم عمل ذلك وألفه وأمر يوسف بنشره في الناس ليدور في أيديهم ذكرٌ له يفضل به . وذلك بعيد وقوعه، ولن تُدفع الحقائق بالأكاذيب، ولا يُزيل

الخطأ الصواب، ولا الخطل السداد. وكفى من نضح عن إسحاق بأن أغاني إبراهيم ابن المهدي لا يكاد يُعرف منها صوت ولا يُروى منها إلا اليسير، وأن كلامه في تجنيس الطرائق أطرح، وعُمل على مذهب إسحاق، وأنقضى الصنع لإبراهيم بذلك مع آقضاء مذهبه، كما يضمحل الباطل مع أهله. فعدلتُ عن ذكر تلك الأخبار؛ لا لأنها لم تقع إلى، ولكنها أخبار يتبين فيها التعامل والحق، وتتضمن من السب لإسحاق والشتم والتجهيل ما يعلم أنه لم يكن يقضى على مثله لأحد ولو خاف القتل^(١)، فاستبدت ذلك وأطرحته، وأعتمدت من أخبار إبراهيم على الصحيح، وما جرى مجرى هذا الكتاب من خبر مستحسن وحكاية ظريفة دون ما يجري مجرى التعامل؛ فقد مضى في صدر الكتاب من أخبارهما وإغصاص إسحاق إياه بريته وتجريعه أمر من الصبر ما ينبئ عن بطلان غيره.



ومن صنع من أولاد الخلفاء عليّة بنت المهدي، ولا أعلم أحدا منهم بعد إبراهيم أخيها كان يتقدمها. وكان يقال: ما أجمع في الجاهلية ولا الإسلام أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وعليّة أخته. وأخبارها تُذكر بعد هذا تالية لما أذكره من غنائها. فمن صنعتها:

صوت

تضحك عما لو سقت منه شفا * من أقحوان بله قطر الندى
أغرّ يجلو عن غشا العين العشا * حلو بعيني كل كهل وقتي
إن فؤادي لا تسليه الرقي * لو كان عنها صاحبا لقد صحّا
الشعر لأبي النجم العجل، والغناء لعليّة بنت المهدي رمل بالوسطى.

(١) في هذه الجملة غموض. ولعلها تصح على هذا الوجه «... ما يعلم أنه لم يكن يقضى بمثله على أحد ولو خاف القتل» أو نحو ذلك.

أخبار أبي النجم ونسبه

قال أبو عمرو الشَّيبَانِي : اسمه الْمُفَضَّل ، وقال آبن الأعرابي : اسمه الفضل
ابن قُدَّامَة بن عُبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن إلياس
ابن عَوْف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عَجَل بن لُحَيْم بن صَعْب بن علي بن بكر
ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمَى بن جَدِيلَة بن أسد بن ربيعة
ابن نزار . وهو من رُجَّاز الإسلام الفُحول المُقدِّمين وفي الطبقة الأولى منهم .

أصله ونسبه ، وهو
في الطبقة الأولى
من الرجاز

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُبَّاب الجُمَحِيّ : إجازة عن محمد بن سلام وذكر
ذلك الأصمعيّ أيضًا قالا قال أبو عمرو بن العلاء :
كان أبو النجم أبلغ في النعمت من العجاج .

هو أبلغ في النعمت
من العجاج

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني أبو أيوب المَدِينِيّ قال حدثني الفضل
ابن العباس الهاشمي عن أبي عبيدة قال :

انصف مع الرجاز
من الشعراء

٧٨

٩

ما زالت الشعراء تَغْلِبُ^(١) حتى قال أبو النجم :

* الحمد لله الوهُوبِ المُجَزِلِ *

وقال العجاج :

١٥

* قد جبر الدينَ الإلهُ بِخَبَرِ *

وقال رُؤبة :

* وقائم الأعماق خاوي المَخْتَرِقِ^(٢) *

فانتصفوا منهم .

(١) كذا في ج . وفي سائر النسخ : « تقصر بالرجاز حتى ... الخ » . (٢) المخترق : الممر .

أعظمه رؤية
وقام له عن مكانه

ووجدتُ في أخبار أبي النجم عن أبي عمرو الشَّيْبَانِي قال :
قال له فتیانٌ من عَجَل : هذا رؤيةٌ بالمِرْبَدِ ^(١) يجلس فيسمع شعره ويُشِدُّ الدَّاسَ
ويجتمع إليه فتیان من بني تميم ، فما يمنعك من ذلك ؟ قال : أُوْحِبُّونَ هذا ؟
قالوا نعم . قال : فَأَتُونِي بَعْضُ من نَبِيذٍ فَأَتَوْهُ بِهِ ، فَشَرِبَهُ ثُمَّ نَهَضَ وقال :
إِذَا أَصْطَبَحْتُ أَرْبَعًا عَرَفْتَنِي * ثُمَّ تَجَشَّمْتُ الَّذِي جَشَّمْتَنِي
فلما رآه رؤيةٌ أعظمه وقام له عن مكانه وقال : هذا رَجَّازُ الْعَرَبِ . وسألوهُ أَنْ
يُنْشِدَهُمْ فَأَنْشَدَهُمْ :

* الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ الْمُجْزِلِ *

وكان إذا أَنشَدَ أَزِيدَ وَوَحَّشَ بَنِيابَهُ (أَي رَمَى بِهَا) . وكان من أَحْسَنِ النَّاسِ إِشَادًا .
فلما فَرَّغَ مِنْهَا قال رؤية : هذه أُمُّ الرَّجَزِ . ثم قال : يَا أَبَا النِّجْمِ ، قَدْ قَرَّبْتَ مَرَعَاهَا
إِذْ جَعَلْتَهَا بَيْنَ رَجُلٍ وَأَبْنَةٍ . يُؤَيِّمُ عَلَيْهِ رُؤْيَا أَنَّهُ حَيْثُ قَالَ :
تَبَقَّلْتُ مِنْ أَوَّلِ التَّبَقُّلِ * بَيْنَ رِمَاحِي مَالِكٍ وَنَهْشَلِ ^(٢)

أنه يريد نَهْشَلَ بَنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ . فقال له أَبُو النِّجْمِ :
هِيَهَاتَ ! الْكُرُّ نَسَابَةٌ ^(٤) . أَيْ إِنَّمَا أُرِيدُ مَالِكَ بْنَ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَّابَةَ
ابْنَ صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ . وَنَهْشَلُ قَبِيلَةٌ مِنْ رَبِيعَةَ وَهَوَّلَاءَ يَرْعَوْنَ الصَّهْمَانَ ^(٥)

(١) يعني مِرْبَدُ الْبَصْرَةِ وَهُوَ مِنْ أَشْهُرِ مَحَالِهَا ، كَانَتْ بِهِ سَوَاقُ الْإِبِلِ قَدِيمًا ثُمَّ صَارَتْ مَحَلَّةً عَظِيمَةً سَكَنَهَا
النَّاسُ ، وَبِهِ كَانَتْ مَقَاتِرُ الشُّعْرَاءِ وَمَجَالِسُ الْخُطَبَاءِ . (٢) الْعَمَسُ : الْقَدْحُ الْكَبِيرُ .

(٣) تَبَقَّلْتُ : خَرَجْتُ لَطَلَبِ الْبَقْلِ . (٤) الْكُرُّ : جَمْعُ كُرَّةٍ ، وَهِيَ رَأْسُ الذِّكْرِ . يَرِيدُ
أَنْ الرِّجَالَ اخْتَلَطَتْ طَلِيكَ . وَقَدْ صَارَ هَذَا مَثَلًا ، وَلَفْظُهُ «الْكُرُّ أَشْبَاهُ الْكُرِّ» . (٥) الصَّهْمَانُ :

أَرْضٌ فِيهَا غُلُظٌ وَارْتِفَاعٌ ، وَفِيهَا قِيَعَانُ وَاسِمَةٌ وَرِيَاضٌ مَعْشَبَةٌ ، وَإِذَا أَخْضَبَتْ رُبِعَتِ الْعَرَبُ بِجَمِيعِهَا .
وَكَانَتِ الصَّهْمَانُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ لَبَنِي حَنْظَلَةَ ، وَالْحَزْنُ لَبَنِي يَرْبُوعَ ، وَالْدهْنَاءُ لِبَنَاتِهِمْ ، وَالصَّهْمَانُ مَتَاخِمٌ
لِلدهْنَاءِ . وَالْعَرْضُ : الْوَادِي .

وعرض الدهناء . قال أبو عمرو : وكان سببُ ذِكْرِ هاتين القبيلتين (يعني بني مالك ونهشل) أنَّ دماءَ كانت بين بني دَارِمَ وبني نَهْشَلٍ وحروباً في بلادهم ، فتَحَامَى جميعُهُم الرُّعَى فيما بين قَلِجٍ والصَّامَانِ مخافةً أن يعرُوا بشرَّ حتى عفا كَلَّوْهُ وطال ، فذكر أنَّ بني عَجَلٍ جاءت لِعِزِّها إلى ذلك الموضع فرَعَتْهُ ولم تُخَفِّ من هذين الحَيِّين ، ففخر به أبو النَّجْم . قال : ويدلُّ على ذلك قول الفرزدق :

أترتع بالأحياء سعدُ بن مالك * وقد قتلوا مثنى بطنَةً واحد^(٤)
فلم يبق بين الحى سعد بن مالك * ولا نهشل إلا دماءُ الأسود^(٥)

وقال الأصمعي : قيل لبعض رُواة العرب : مَنْ أَرْجَزُ النَّاسِ ؟ قال : بنو عَجَلٍ ثم بنو سعد ثم بنو عَجَلٍ ثم بنو سعد . (يريد الأغلب ثم العجاج ثم أبا النجم ثم رؤبة) .

ترتيب الرجاز في
رأى بعض الرواة

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال عامر بن عبد الملك المسمعي :
كان رؤبة وأبو النجم يجتمعان عندى فأطلب لهما النبيذ ، فكان أبو النجم يتسرع إلى رؤبة حتى أكفَّه عنه .

كان يتسرع إلى
رؤبة فكفَّه عنه
المسمعي

ونسختُ من كتاب أبي عمرو الشَّيباني قال حدثني بعض البصريين منهم
أبو بَرَّة المَرِّيْدِي — قال وكان عالماً راوِيَةً — قال :

ناجز العجاج
حتى هرب منه

نخرج العجاج متحفلاً عليه جُبَّة نَحْرٌ وعمامة نَحْرٌ على ناقية له قد أجاد رحلها حتى
وقف بالمربد والناس مجتمعون ، فأنشدهم قوله :
* قد جبر الدين الإله جَبَرَ *

(١) قَلِج : علم على عدة مواضع . (٢) يعرُوا : يصابوا . وفي الأصول : « يفرُوا »
بالعين المعجمة وهو تعجيف . (٣) عفا : كثر . (٤) البطنة : التهمة .
(٥) الأسود : شفرس القتل ، وهو جمع الجمع للسواد ؛ ومنه قول الأعشى :
تناهيت عنى وقد كان فيكم * أسود صرعى لم يسود قتلها
(٦) متحفلاً : مزينا .

٧٩
٩

فذكر فيها ربيعة وهجاءم . فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو في بيته فقال له : أنت جالس وهذا العجاج يهجوننا بالمربد قد اجتمع عليه الناس !! قال : صنف لي حاله وزيه الذي هو فيه ، فوصف له . فقال : أبغني جملاً طحاناً قد أكثر عليه من الهناء ، فجاء بالجل إليه . فأخذ سراويل له فجعل إحدى رجله فيها وأترز بالأخرى وركب الجمل ودفع خطامه إلى من يقوده ، فأنطلق حتى أتى المربد . فلما دنا من العجاج قال : آخلع خطامه نخلمه ، وأنشد :

* تذكر القلب وجهلاً ما ذكر *

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه ورحله بالقطران ، حتى إذا بلغ إلى قوله :

* شيطانه أنثى وشيطاني ذكر *

تعلق الناس هذا البيت وهرب العجاج عنه .

غلب الشعراء
عند عبد الملك بن
مروان أو سليمان
ابن عبد الملك
وظفرته بجارية

ونسخت من كتاب أبي عمرو قال حدثني أبو الأزهري أن بنت أبي النجم عن أبي النجم أنه كان عند عبد الملك بن مروان - ويقال عند سليمان بن عبد الملك - يوماً وعنده جماعة من الشعراء ، وكان أبو النجم فيهم والفرزدق ، وجارية واقفة على رأس سليمان أو عبد الملك تدب عنه ، فقال : من صبحني بقصيدة يفتخر فيها وصدق في نخره فله هذه الجارية . فقاموا على ذلك ثم قالوا : إن أبا النجم يغلبنا بمقطعاته (يعنون بالرجز) ، قال : فإنني لا أقول إلا قصيدة . فقال من ليلته قصيدته التي نخر فيها وهي :

* طلق الهوى بجبال الشعثاء *

- ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء فأنشدوه، حتى إذا بلغ إلى قوله :
- مِنَّا الَّذِي رُبِعَ الْجِيُوشَ لظَهْرِهِ ^(١) * عشرون وهو يُعَدُّ فِي الْأَحْيَاءِ
- فقال له عبد الملك : قِفْ، إِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ فِي هَذَا الْبَيْتِ فَلَا تُرِيدُ مَا وَرَاءَهُ .
- فقال الفرزدق : وَأَنَا أَعْرِفُ مِنْهُ سِتَّةَ عَشَرَ ، وَمَنْ وَلَدَ وَلَدَهُ أَرْبَعَةَ كُلُّهُمْ قَدْ رُبِعَ .
- فقال عبد الملك أوسليمان : وَلَدَ وَلَدَهُ هُم وَلَدُهُ ، إِدْفَعْ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ يَا غَلامَ . قال :
- فغلبهم يومئذ .

قال : وبلغني من وجه آخر أنه قال له : فإذا أقررت له بستة عشر فقد وهبتُ
له أربعة، ودفع إليه الجارية، فقدم بها البادية، فكان بينه وبين أمه شرٌّ من أجلها .

وقال أبو عمرو :

- بعث الجُنَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرِّيَّ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ بِسَبْيِ
- ١٠ من الهند بيض، فجعل يهب لأهل البيت كما هو للزجل من قريش ومن وجوه
الناس، حتى بقيت جارية منهم جميلة كان يدحرجها عليها ثياب أرضها فوطئها .
- فقال لأبي النّجم : هل عندك فيها شيء حاضر وتأخذها الساعة ؟ قال : نعم
أصلحك الله ! فقال العُريان بن الهيثم النّسبي : كَذَبَ وَاللَّهِ مَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ .
- فقال أبو النّجم :

وصف جارية
لخالد بن عبد الله
القسري لساعته
فوهبها له

١٥

عَلِقْتُ خَوْدًا مِنْ بَنَاتِ الزُّطِّ ^(٢) * ذَاتَ جِهَازٍ مُضْغَطٍ مُلَطِّ ^(٤)
رَأَيْي الْمَجَسَّ جَيِّدِ الْحَوِّطِ * كَأَنَّمَا قُطِّعَ عَلَى مِقَطِّ ^(٣)
إِذَا بَدَا مِنْهَا الَّذِي تُغَطِّي ^(٥) * كَأَنَّ تَحْتَ ثَوْبِهَا الْمُنْعَطِ

(١) ربع الجيوش : أخذ ربع أموالهم ، وكان ذلك حظ الرئيس عند الغلبة ، واسم هذا النصيب

المربع . (٢) الزط : جبل أسود من السند . (٣) الجهاز هنا : فرج المرأة .

(٤) ملط : مستور، من ألت الشيء إذا ستره . (٥) انعط الثوب : انشق .

شَطَا رَمِيتَ فَوْقَهُ بِشَطِّ * لَمْ يَتَرُفْ فِي الْبَطْنِ وَلَمْ يَحِطَّ^(١)
فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَذَى التَّمَلُّي * كَهَامَةِ الشَّيْخِ الْيَمَانِيِّ الثُّطِّ^(٢)

وَأَوَّمَا بِيَدِهِ إِلَى هَامَةِ الْعُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ . فَضَحِكَ خَالِدٌ وَقَالَ لِلْعُرْيَانِ : كَيْفَ تَرَى !
أَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَرَوْى فِيهَا يَا عُرْيَانُ ؟ ! قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! وَلَكِنَّهُ مَلْعُونٌ أَبْنُ مَلْعُونٍ :
وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَأَخْبَرَنِي بِهِ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ حَدَّثَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ عَنْ فُلَيْحِ^(٣)
ابْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ :

وَرَدَّ أَبُو النَّجْمِ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الشُّعْرَاءِ . فَقَالَ لَهُمْ هِشَامٌ : صِبُّوا لِي
إِبْلًا فَقَطَّرُوهَا وَأَوْرِدُوهَا وَأَصْدِرُوهَا حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا . فَأَنْشَدُوهُ وَأَنْشَدَهُ أَبُو النَّجْمِ :
* الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّوبِ الْمُجْزِلِ *

غضب عليه هشام
ثم سمر معه ليلة
فرضى عنه

حَتَّى بَلَغَ إِلَى ذِكْرِ الشَّمْسِ فَقَالَ « وَهِيَ عَلَى الْأَفْقِ كَعَيْنٍ ... » وَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ « الْأَحْوَلِ »
ثُمَّ ذَكَرَ حَوْلَةَ هِشَامٍ فَلَمْ يَتِمَّ الْبَيْتَ وَأَرْبَعٌ عَلَيْهِ . فَقَالَ هِشَامٌ : أَجْرُ الْبَيْتِ . فَقَالَ
« كَعَيْنِ الْأَحْوَلِ » وَأَتَمَّ الْقَصِيدَةَ . فَأَمَرَ هِشَامٌ فُؤَيْدًا عُنُقَهُ وَأَخْرَجَ مِنَ الرُّصَافَةِ ،
وَقَالَ لِصَاحِبِ شُرْطَتِهِ : يَا رَبِيعُ إِيَّاكَ وَأَنْ أَرَى هَذَا ! . فَكَلَّمَ وَجْهَهُ النَّاسُ صَاحِبَ
الشُّرْطَةِ أَنْ يَقْرَهُ فَفَعَلَ ، فَكَانَ يُصِيبُ مِنْ فَضُولِ أَطْعَمَةِ النَّاسِ وَيَأْوِي إِلَى الْمَسَاجِدِ .
وَقَالَ الزُّبَيْرُ فِي خَبَرِهِ قَالَ أَبُو النَّجْمِ : وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِالرُّصَافَةِ يُضِيفُ إِلَّا سُلَيْمَ بْنَ كَيْسَانَ
الْكَلْبِيِّ وَعَمْرُو بْنُ بَسْطَامِ التَّغْلَبِيِّ ، فَكَنتُ آتِي سُلَيْمًا فَأَتَغَدَّى عِنْدَهُ ، وَآتَى عَمْرًا
فَأَتَعَشَّى عِنْدَهُ ، وَآتَى الْمَسْجِدَ فَأَيْتُ فِيهِ . قَالَ : فَأَهَمَّ هِشَامٌ لَيْلَةً وَأَمْسَى لَقَسَ النَّفْسَ

(١) الشط : جانب السنام . (٢) الثط : الحفيف اللحية . (٣) يروى : يتروى ويفكر .
(٤) في أ ، م : « المغيرة بن محمد » . (٥) فطر الابل : قرب بعضها من بعض على نسق .
(٦) في ب ، م : « بوج ، عنقه وإخراجه » . يقال رجاء باليد وبالسكين إذا صر به .

وأراد محدثاً محدثه، فقال لخادم له: ابغني محدثاً أعرابياً أهوج شاعراً يروى الشعر.
 فخرج الخادم الى المسجد فإذا هو بأبي النّجم، فضر به برجله وقال له: قُمْ أَجِبْ
 أمير المؤمنين. قال: إني رجل أعرابي غريب. قال: إياك ابغني، فهل تروى الشعر؟
 قال: نعم وأقوله. فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلق الباب، قال: فأيقن بالشر،
 ثم مضى به فأدخله على هشام في بيت صغير، بينه وبين نسائه ستر رقيق والشمع^٥
 بين يديه تزهّر^(١). فلما دخل قال له هشام: أبو النّجم؟! قال: نعم يا أمير المؤمنين
 طريدك. قال: أجلس. فسأله وقال له: أين كنت تأوى ومن كان يتركك؟ فأخبره
 الخبر. قال: وكيف آجتماعاً لك؟ قال: كنت أتغدى عند هذا وأعشى عند هذا.
 قال: وأين كنت تبيت؟ قال: في المسجد حيث وجدني رسولك. قال: وما لك
 من الولد والمال؟ قال: أما المال فلا مال لي، وأما الولد فلي ثلاث بنات وبنتي^{١٠}
 يقال له شيبان. فقال: هل زوجت من بناتك أحدا؟ قال: نعم زوجت اثنتين،
 وبقيت واحدة تخبز في أبياتنا كأنها نعام. قال: وما وصيت به الأول؟ — وكانت
 تسمى «برة» بالراء — فقال:

أوصيت من برة قلباً حراً * بالكلب خيراً والحمّة شراً
 لا تسمي ضرباً لها وجراً * حتّى ترى حلوا الحياة مرّاً
 وإن كستك ذهباً ودّراً * والحيّ عمّهم بشر طراً
 فضحك هشام وقال: فما قلت للأخرى؟ قال قلت:

سبي الحمّة وأبهي^(٤) عليها * وإن دنت فأزدلني إليها
 وأوجعي بالفهر ركبتيها^(٥) * ومرفقيها وأضربي جنبتيها

٢٠ (١) زهر السراج: تلاًلاً. (٢) في ح، ب، س: «أخرجت». (٣) جز: عدا وأمرع. (٤) بهته: قلذه بالباطل. وهي هنا على تضمين ابهى معنى افترى عليها فتعدى بعل.
 (٥) الفهر: الحجر يملأ الكف.

ر وظاهري النذر لها عليها * لا تُخْرِى الدهر به أبتنيها
قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذُه وسقط على قفاه . فقال : ويحك ! ما هذه
وصية يعقوب ولده ! فقال : وما أنا كييعقوب يا أمير المؤمنين . قال : فما قلت
لثالثة ؟ قال قلت :

أوصيك يا بتي فإني ذاهب * أوصيك أن تتحديك القرائب
والجار والضيف الكريم الساعب * لا يرجع المسكين وهو خائب
ولا تني أظفارك السلاه^(١)ب * منهن في وجه الحماة كاتب
* والزوج إن الزوج بئس الصاح^٢ ، *

$\frac{٨١}{٩}$

قال : فكيف قلت لها هذا ولم تتزوج ؟ وأى شيء قلت في تأخير تزويجها ؟ قال
قلت فيها :

كأن ظلامه أخت شيبان * يتيمه والداها حيان
الرأس قل كلّه وصيبان^(٢) * وليس في الساقين إلا خيطان
* تلك التي يفرع منها الشيطان *

قال : فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكك ، وقال للحصى^٣ : كم بقي من نفقتك ؟
قال : ثلثائة دينار . قال : أعطه إياها ليجعلها في رجل ظلامه مكان الخيطين .

وقال الأصمعي أخبرني عمي وأخبرني ببعض هذا الحديث ابن بنت أبي النجم
أن أبا النجم قال :

* الحمد لله الوهوب المجزل *

في قدر ما يمشي الإنسان من مسجد الأشياخ الى حاتم الجزار . ومقدار ما بينهما
غلوة^(٣) أو نحوها . قال : وكان أسرع الناس بديهة .

كان أسرع الناس
بديهة

(١) السلاه : الطويلة . (٢) الصبان : جمع صوابه وهي بيضة القمل .

(٣) الغلوة : رمية سهم أبعد ما يقدر عليه ، ويقال : هي قدر ثلثائة ذراع الى أربعمائة .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا
 «الأسود النوحشاني»^(١) قال :

سئل الأصمعي
 أي الرجز أحسن
 وأجود فقال
 رجز أبي النجم

مرّ أبي بالأصمعي وأنا عنده فقال له : يا أبا سعيد أيّ الرّجز أحسن وأجود؟
 قال : رَجَزُ أَبِي النَّجْمِ .

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني قال :
 دخا، أبو النّجم على هشام بن عبد الملك وقد أتت له سبعون سنة . فقال له
 هشام : ما رأيك في النساء ؟ قال : لآني لأنظر إليهن شراً^(٢) وينظرن إلى نحرّنا .
 فوهب له جارية وقال له : أغدُ عليّ فأعلمني ما كان منك . فلما أصبح غدا عليه .
 فقال له : ما صنعت ؟ فقال : ما صنعتُ شيئاً ولا قدّرتُ عليه ، وقد قلتُ في ذلك
 أبياتاً . ثم أنشده :

سأله هشام بن
 عبد الملك عن رأيه
 في النساء فأجابته

نظرتُ فأعجبها الذي في دِرْعِها * من حُسْنِه ونظرتُ في سِرْبِها ليا
 فرأتُ لهنّ كَفَلاً يَمِيلُ بِحَضْرَها * وَعَثَا^(٣) رَوَادِفُهُ وَأَجْمُ^(٤) جَانِبِها
 ورأيتُ مُنْتَشِرَ الْعِجَابِ مُقْلَصًا * رِيحُوا مَفَاصِلُهُ وَجِلْدًا بِالِيا
 أَدْنَى لَهُ الرَّكَبُ الْخَلِيقَ كَأَنَّمَا * أَدْنَى إِلَيْهِ عَقَارِبًا وَأَفَاعِيا
 إِنَّ النَّدَامَةَ وَالسَّدَامَةَ فَأَعْلَمَنَّ * لَوْ قَدْ صَبَرْتُكَ لِلوَايِسِ خَالِيا
 ما بَالُ رَأْسِكَ مِنْ وَرَائِي طَالِعًا * أَطْنَنْتِ أَنْتِ حِرَّ الْفَتَاةِ وَرَائِيا
 فَأَذْهَبَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ لَا تُرْتَجَى * أَبَدًا أَبِيدَ وَلَوْ عَمَّرْتَ لِيَا لِيا

(١) كذا في الأصول . ولم تقف على هذه النسبة فيما لدينا من كتب الأنساب . والظاهر أنها محرقة
 عن « النوشجاني » نسبة إلى نوشجان بلدة بفارس .

(٢) الشّر : النظر بجانب العين في إعراض . والخزّر : هو أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه .
 وتسكين الزاى في الخزرة لغة . (٣) الوعث : اللين . (٤) الكناية هنا ظاهرة .
 (٥) العجبان : القضيبي المدود من الخصية إلى الدبر . (٦) الركب : الفرج .

أَنْتِ الْغَرُورُ إِذَا خُيِّرْتَ وَرَبِّمَا * كَانِ الْغَرُورُ لِمَنْ رَجَاهُ شَافِيَا
لَكِنْ أَيْرَى لَا يُرَجَى نَفْعُهُ * حَتَّى أَعُودَ أَخَا فِتْنَةٍ نَاشِيَا
فَضِيحُكَ هَشَامُ وَأَمْرُهُ بِجَائِزَةٍ أُخْرَى .

قال أبو عمرو الشَّيْبَانِيُّ قال ابنُ كُكَّاسَةَ :

حدث هشام بن
عبد الملك عن نفسه
فاضحك

قال هشام بن عبد الملك لأبي النجم : يا أبا النجم حدثني . قال : عني أو عن
غيري ؟ قال : لا بل عنك . قال : إني لما كُتِبْتُ عَرَضُ لِي الْبَوْلُ ، فَوَضَعْتُ عِنْدَ
رَجُلٍ شَيْئًا أَبُولُ فِيهِ . فَقَمْتُ مِنَ اللَّيْلِ أَبُولُ ، فَفَرَجَ مِنِّي صَوْتُ فَتَشَدَّدْتُ ، ثُمَّ عُدْتُ
فَفَرَجَ مِنِّي صَوْتُ آخَرَ ، فَأَوَيْتُ إِلَى فِرَاشِي ، فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْخِيَارِ هَلْ سَمِعْتِ شَيْئًا ؟
فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ وَلَا وَاحِدَةً مِنْهُمَا ! فَضَحِكَ . قال : وَأُمُّ الْخِيَارِ الَّتِي يَعْني بِقَوْلِهِ :

٨٢
٩

قد أصبحت أُمُّ الْخِيَارِ تَدْعِي * عَلَى ذَنْبٍ كُلَّهُ لَمْ أَصْنَعْ
وهي أرجوزة طويلة .

وقال أبو عمرو الشَّيْبَانِيُّ :

ذكر فتاة في شعره
فزوجت

أَنْتَ مَوْلَاةُ ابْنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ أبا النجم فذكرت له أن بنتًا لها أدركت منذ
سنتين ، وهي من أجمل النساء وأمدَّهن قامةً ولم يخطبها أحدٌ ، فلو ذكرتها في الشعر !
فقال : أفعل ، فما اسمها ؟ قالت : نَفِيسَةٌ . فقال :

نَفِيسَ يَا قَتَالَةَ الْأَقْوَامِ * أَقْصَدْتَ قَلْبِي مِنْكِ بِالسَّهَامِ
وَمَا يُصِيبُ الْقَلْبَ إِلَّا رَامَ * لَوْ يَعْلَمُ الْعِلْمَ أَبُو هَشَامِ
سَاقَ إِلَيْهَا حَاصِلَ الشَّامِ * وَجِزْيَةَ الْإِهْوَازِ كُلِّ عَامِ
وَمَا سَقَى النَّيْلُ مِنَ الطَّعَامِ * إِذْ ضَاقَ مِنْهَا مَوْضِعُ الْإِدْغَامِ^(١)

(١) الكناية في « موضع الإدغام » ظاهرة يفسرها البيت التالي .

أَجْمُ جَاثٍ مُسْتَدِيرٍ حَامٍ * يَعْضُ فِي كَيْنٍ لَهُ تُؤَامُ^(١)
* عَضَّ النَّجَارَى عَلَى الْجَّامِ^(٢) *

فَقَالَتْ : حَسْبُكَ حَسْبُكَ ! وَوَفَدَ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمَّا رَجَعَ مِمَّعِ الزَّمْرِ وَالْجَلْبَةِ ، فَقَالَ :
مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا : نَفِيسَةٌ تَزُوجُكَ .

وصف فهود
عبد الملك بن بشر
ابن مروان
قال أبو عمرو وذكر علي بن المصور بن عمرو عن الأصمعي قال أخبرني بعض
الرواة وحدثني ابن أخت أبي النجم :

أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ بَشَرَ بْنَ مَرْوَانَ قَالَ لِأَبِي النَّجْمِ : صِفْ لِي فَهُودِي هَذِهِ . فَقَالَ :

إِنَّا نَزَلْنَا خَيْرَ مَثَرَاتٍ * بَيْنَ الْمُحِيرَاتِ الْمُبَارَكَاتِ
فِي لَحْمٍ وَحَيْسٍ وَحُبَارِيَّاتٍ * وَإِنَّا أَرَدْنَا الصَّيْدَ ذَا اللَّذَاتِ^(٣)
جَاءَ مُطِيعًا لِمُطَاوِعَاتٍ * عَلَّمَنَّا أَوْ قَدْ كُنَّا عَالِمَاتِ
فَسَكَنَ الطَّرْفَ بِمُطَرِفَاتٍ * تُرِيكَ أَمَاقًا مَخْطُطَاتِ

١٠

ونسخت من كتاب الخزاز عن المدائني عن عثمان بن حفص أن أبا النجم مدح
الحجاج بن جرجير يقول فيه :
مدح الحجاج بن جرجير
وطلب إليه واديا
في بلاده

وَيْلَ أُمِّ دُورٍ عِزَّةً وَتَجْدٍ * دُورٍ تَقْيِيفٍ بِسَوَاءِ تَجْدٍ
* أَهْلُ الْحَصُونِ وَالْخِيُولِ الْجُرْدِ *

فَأَعْجَبَ الْحَجَّاجَ رَجَزُهُ وَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ تُقْطَعُنِي ذَا الْجَبَنِينَ . فَوَجَّهَ لَهَا
وَسَكَتْ ، ثُمَّ دَمَا كَاتِبَهُ فَقَالَ : أَنْظِرْ ذَا الْجَبَنِينَ مَا هُوَ ! فَإِنْ ذَا الْأَعْرَابِيِّ سَأَلْنِيهِ لَعَلَّهُ
نَهَرَ مِنْ أَنْهَارِ الْعِرَاقِ . فَسَأَلُوا عَنْهُ فَقِيلَ : وَادٍ فِي بِلَادِ بَنِي عَجَلٍ أَعْلَاهُ حَشْفَةٌ^(٤) وَأَسْفَلُهُ
سَبَخَةٌ يُخَاصِمُهُ فِيهِ بَنُو عَمٍّ لَهُ . فَقَالَ : أَكْتَبُوا لَهُ بِهِ . قَالَ : فَأَهْلُهُ بِهِ إِلَى الْيَوْمِ .

٢٠ (١) الكين : لطم باطن الفرج . (٢) لم نعرعل هذه النسبة في مقلانها . ولعله يريد به فرسا

كريم النجار . (٣) حباريات : مفردة حبارى وهو طائر يضرب به المثل في البلاءة والحق .
(٤) الحشفة : حفرة رخوة في سهل من الأرض . والسبخة : أرض ذات تزولج .

أخطأ في أشياء
أخذت عليه

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثني أبو أيوب المدينيّ قال قال الأصمعيّ :

أخطأ أبو النجم في أشياء أخذت عليه، منها قوله :

وهي على عدّيب روى المنهل * دحل أبي المرقال خير الأدحل

* من تحت عاد في الزمان الأول *

قال الأصمعيّ : الدحل لا تُورده الإبل إنما تُورده الرّكايا ^(١) . وقد عيب بهذا وعيب

بقوله في البيت الذي يليه : إن هذا الدحل من تحت عاد . قال : والدحلان لا تُحفر

ولا تُنحت ، إنما هي خروق وشعاب في الأرض والجبال لا تُصبها الشمس ، فتبقى فيها

المياه ، وهي هوة في الأرض يضيق فيها ثم يتسع فيدخل ماء السماء .

قال الأصمعيّ : وقال يصف فرسه وقد أجراه في حلبة :

* تسبح أحرأه ويطفو أوله *

قال الأصمعيّ : أخطأ في هذا ؛ لأنه إذا سبح أحرأه كان حيار الكساح أسرع

منه . قال الأصمعيّ : وحدثني أبي أنّه رأى فرسه هذا فقومه بسبعين درهما .

وإنما يوصف الجواد بأنه تسبح أولاه وتلحق رجلاه . قال : وخير عدو الذكور

أن تُشرف ، وخير عدو الإناث أن تبسط ^(٢) وتصنعي كعدو الذئب .

(١) الركايا : جميع ركة وهي البر . (٢) تصنعي : تميل .

أخبارُ عَلِيَّةَ بنتِ المهدي ونسبها وتنف من أحاديثها

عَلِيَّةُ بنتُ المهدي أمُّها أُمٌ ولد مُغْنِيَّةٌ يقال لها مَكْنُونَةٌ، كانت من جوارى المروانيَّةِ المغنِيَّةِ .

أمها مكنونة أم ولد
اشترت للمهدي
في حياة أبيه

نسختُ من كتاب محمد بن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن
أبن القَدَّاح حَدَّثَهُ قال :^(١)

كانت مكنونة جارية المروانية - وليست من آل مروان بن الحكم،
هي زوجة الحسين بن عبد الله بن عُيَيْدِ الله بن عَبَّاس - مغنِيَّةٌ، وكانت
أحسنَ جارية بالمدينة وجهًا، وكانت رَتْخَاءً، وكان بعض من يمازحها يعبث بها
فيصيح : طَسَّتْ طَسَّتْ . وكانت حَسَنَةُ الصدر والبطن ، فكانت تُوضِعُ بهما^(٢)
وتقول: ولكن هذا! . فَأَشْتَرَيْتُ للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم، فغَلَبْتُ عليه،^(٣)
حتى كانت الخَيْرَان تقول : ما مَلِكٌ امرأةً أَغْلَظَ على منها . وأستمر امرأها عن
المنصور حتى مات، فولدت له عَلِيَّةَ بنتَ المهدي .

أخبرني عمِّي قال حدثني علي بن محمد التوفلي عن عمِّه قال :

بعض صفاتها

كانت عَلِيَّةُ بنتُ المهدي من أحسن الناس وأظرفهم تقول الشعر الجيد
وتصوغ فيه الألحان الحسنه، وكان بها عيب ، كان في جبينها فَضْلٌ مَسْعَةٌ حتى^(٤)
تسمح ، فَأَتَّخَذَتْ العصائب المكلَّلة بالجوهر لتستر بها جبينها ، فأحدثت والله شيئاً
ما رأيتُ فيما أَبْتَدَعَتْهُ النساء وأحدثته أحسن منه .

(١) في أ ، م : « أبا القداح » . (٢) الرساء : القليلة لحم العجز والفخذين .

(٣) لعل المراد تشبيهاً في استواء عجزها مع ظهرها ونفخها باستواء قمر الطست . (٤) في ب ، م :

« ويكفي هذا » . (٥) في أ ، م : « تسفح » (بتشديد الفاء) . وفي « : » : « تسج » .

وعبارة النجوم الزاهرة (ج ٢ ص ١٩١ طبع دار الكتب المصرية) : « وكان في جبهتها سعة تشين وجهها » .

أخبرني الحسين بن يحيى ووكيع قالوا حدثنا حماد بن إسحاق قال سمعت إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول :

كانت حسنة الدين
ولا تشرب ولا تنفي
إلا أيام حيضها

كانت عليّة حسنة الدين، وكانت لا تغني ولا تشرب النبيذ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة، فإذا ظهرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب، فلا تملأ بشيء غير قول الشعر في الأحيان، إلا أن يدعوها الخليفة إلى شيء فلا تقدر على خلافه. وكانت تقول : ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما حلال منه عوضاً، فبأي شيء يحتج عاصيه والمُنْتَهِك لحُرْماته ! . وكانت تقول : لا غفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط، ولا أقول في شعري إلا عبتاً .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد الكندي قال سمعت عبد الله ابن العباس بن الفضل بن الربيع يقول :

لم يجتمع في الإسلام
أخ وأخت أحسن
غناء منها ومن أخوها

ما اجتمع في الإسلام قط أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة، وكانت تُقدّم عليه .

أخبرني محمد قال حدثنا عون بن محمد الكندي قال حدثنا سعيد بن إبراهيم قال : كانت عليّة تحب أن تُراسل بالأشعار من تختصه ، فأختصت خادماً يقال له « طَل » من خدام الرشيد، فكانت تراسله بالشعر، فلم تره أياماً، ففشت على مِيرَاب وحدثته وقالت في ذلك :

كانت تحب
المكاتبة بالشعر
وكأنت طلالاً
فتمها الرشيد

٨٤
٩

قد كان ما كُلفته زمناً * يا طَل من وجد بكم يكفي

حتى أتيتك زائراً عَجلاً * أمشي على حَتِيف إلى حَتِيف

خلف عليها الرشيد ألا تكلم طلالاً ولا تسميه باسمه، فضيمنت له ذلك . وأستمع عليها يوماً وهي تدرس آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَنْصِبْهَا ^(١)

(١) كذا في أكثر النسخ . وفي ١ ، م : « تريد » وهي محروقة عن « تدبر » بالذال بمعنى قرا .

وَأَيْلُ فَطَلٍّ وَأَرَادَتْ أَنْ تَقُولَ : «فَطَلٌّ» فَقَالَتْ : فَالَّذِي نَهَانَا عَنْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .
فَدَخَلَ فَقَبَّلَ رَأْسَهَا وَقَالَ : قَدْ وَهَبْتُ لَكَ طَلًّا ، وَلَا أَمْنَعُكَ بَعْدَ هَذَا مِنْ شَيْءٍ
تُرِيدُونَهُ . وَلَهَا فِي طَلٍّ هَذَا عِدَّةُ أَشْعَارٍ فِيهَا لَهَا صِنْعَةٌ . مِنْهَا :

صوت

- ٥ ياربِّ إِنِّي قَدْ غَرَضْتُ بِهَجْرَهَا * فَإِلَيْكَ أَشْكُو ذَاكَ يَا رَبَّاهُ
مَوْلَاةٌ سَوْءٌ تَسْتَهِنُ بَعْدَهَا * نِعَمَ الْغَلَامُ وَبُئْسَتِ الْمَوْلَاةُ
«طَلٌّ» وَلَكِنِّي حُرِمْتُ نَعِيمَهُ * وَوَصَالَهُ إِنِّ لَمْ يُغْنِنِي اللَّهُ
يَا رَبِّ إِنْ كَانَتْ حَيَاتِي هَكَذَا * ضَرًّا عَلَى مَا أُرِيدُ حَيَاةَ
الشعر والغناء له خفيفٌ ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى . وقد ذكر ابنُ خُرَدَّاذْبَةَ
١٠ أَنَّ الشعرَ والغناءَ لُنْبِيَّةُ الْكُوفِيِّ ، وَأَنَّهُ هَوَى جَارِيَةٌ تُغْنِي ، فَتَعْلَمُ الْغِنَاءَ مِنْ أَجْلِهَا وَقَالَ
الشعر ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا بِذَلِكَ حَتَّى صَارَ مُقَدِّمًا فِي الْمَغْنَنِ ، وَأَنَّ هَذَا الشَّعْرَ لَهُ
فِيهَا وَالصَّنْعَةُ أَيْضًا .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ شَيْخِ
ابْنِ عَمِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

حُجِبَ عَنْهَا طَلٌّ
فَقَالَتْ فِيهِ شِعْرًا
وَصَحَّفَتْ اسْمَهُ

- ١٥ حُجِبَ طَلٌّ عَنْ عَلِيَّةَ فَقَالَتْ وَصَحَّفَتْ اسْمَهُ فِي أَوَّلِ بَيْتٍ :
أَيَا سَرُورَةَ الْهَسْتَانِ طَالَ تَشَوُّقِي * فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ لَدَيْكَ سَبِيلُ
مَتَى يَلْتَقِي مَنْ لَيْسَ يُقْضَى خُرُوجُهُ * وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ
عَمِيَ اللَّهُ أَنْ نَرْتَاحَ مِنْ كُرْبَةٍ لَنَا * فَيَلْقَى أَغْتِبَاطًا خَلَّةً وَخَلِيلُ

(١) غرضت بهجرها أى ضجرت . وفى الأصول : « عرضت » بالعين المهملة وهو تصحيف

٢٠ (٢) السزور : شجر حسن الهيئة قويم الساق ، وقد فسره صاحب القاموس العرعر .

عروضه من الطويل . الشعر والغناء . لعلّية خفيف رمل . كذا ذكر ميمون بن هارون ،
وذكر عمرو بن بانه أنه لسلسل خفيف رمل بالوسطى . وأول الصوت :

* متى يلتقى من ليس يقضى نروجه *

وذكر حبش أنه للهدلى خفيف رمل بالبصر .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق الطالقاني قال
حدثني أبو عبد الله أحمد بن الحسين الهشامي قال :

قالت عليّة في ظلّ وصحفت أسمه في هذا الشعر وغنت فيه :

صوت

سَلَّم على ذاك الغزال * الأغيّد الحسن الدلال

سَلَّم عليه وقُل له * يا غُلّ ألباب الرجال

خلّيت جسمي ضاحياً * وسكنت في ظلّ المجال^(١)

وبلغت منى غاية * لم أدْرِ فيها ما أحتيال

الشعر والغناء لعلّية خفيف رمل . وذكر في هذا أن الغناء لأحمد بن المكي في هذه الطريقة .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون عن محمد بن عليّ بن عثمان
الشطرنجي : ١٥

أن عليّة كانت تقول الشعر في خادم لها يقال له « رشأ » وتكنى عنه ، فمن
شعرها فيه وكنت عنه بزئب : ١٥
٩

صوت

وجد الفؤاد بزئباً * وجدّاً ديداً متعباً

أصبحت من كلّني بها * أدعى سقياً منصّباً^(٢)

(١) المجال : جمع حجلة وهي ستر العروس في جوف البيت . (٢) في ١ ، م : « سقياً » .

ولقد كَتَيْتُ عَنْ أَسْمَها * عَمْدًا لَكِي لَا تَغْضَبَا
 وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُرَّةَ * وَكَتَمْتُ أَمْرًا مُعْجِبَا
 قَالَتْ وَقَدْ عَزَّ الْوَصَا * لَوْلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبَا
 وَاللَّهِ لَا نَلَتْ الْمَوْدَةَ * أَوْ تَنَالَ الْكُوكَبَا

- هكذا ذكر ميمون بن هارون، وروايته فيه عن المعروف بالشُّطْرَيْجِيّ ولم يحصل ما رواه . وهذا الصوت شعره لابن رُهَيْمَةَ المَدَنِيّ . والغناء ليونس الكاتب، ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وهو من زَيْنَبِ يونس المشهورات وقد ذكرته معها .^(١) والصحيح أَنَّ عَلِيَّةَ غَنَّتْ فِيهِ لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى ، حكى ذلك ابن المكي عن أبيه، وأخبرني به ذكاء عن القاسم بن زُرْزُور .

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجواز قال^(٢)
 حدثني عبيد الله بن العباس الرِّبَيعِيّ قال :

لَمَّا عَلِمَ مِنْ عَلِيَّةَ أَنَّهَا تَكْنِي عَنْ رِشَا بَزِينَبَ قَالَتْ :

صوت

- الْقَلْبُ مُشْتَاقٌ إِلَى رَبِّ * يَا رَبَّ مَا هَذَا مِنَ الْعَيْبِ
 قَدْ تَيَّمَّتْ قَلْبِي فَلَمْ أَسْتَطِعْ * إِلَّا الْبُكَاءَ يَا عَالِمَ الْغَيْبِ
 خَبَأْتُ فِي شَعْرَى اسْمَ الَّذِي * أَرْدَتْهُ كَالْخَبَاءِ فِي الْجَيْبِ

قال : وَغَنَّتْ فِيهِ لَحْنًا مِنْ طَرِيقَةِ خَفِيفِ الرَّمْلِ الْأَوَّلِ فَصَحَّحْتُ اسْمَهَا فِي رَيْبِ .

(١) انظر الجزء الرابع من الأغاني من هذه الطبعة ص ٤٠٢ وما بعدها . (٢) مر هذا الاسم في الجزء الخامس ص ٢٧٣ باسم « الحسين بن يحيى أبو الجمان » وفي الجزء السابع ص ٢٠٨ باسم « الحسين بن يحيى أبي الحمار » .

قال : وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طُغْيَانُ ، فَوَشَتْ بِعُلْيَةِ إِلَى رَشَاءٍ وَحَكَّتْ
عنها ما لم تقل ، فقالت عُلْيَةُ :

لَطُغْيَانُ خُفِّ مُدَّ ثَلَاثِينَ حِجَّةً * جَدِيدٌ فَلَا يَبْلَى وَلَا يَتَحَرَّقُ
وَكَيْفَ يَلَى خُفٌّ هُوَ الدَّهْرُ كُلُّهُ * عَلَى قَدَمَيْهَا فِي الْمَوَاءِ مُعَلَّقُ
فَمَا حَرَقَتْ خُفًّا وَلَمْ تُبَلِّ جَوْرَبًا * وَأَمَّا سَرَائِلَاتُهَا فَمَمَزَّقُ

قال : وحلفَ رَشَاءٌ أَلَّا يَشْرَبَ النَّبِيذَ سَنَةً ، فقالت :

صوت

(١)
قَدْ ثَبِتَ الْخُلَاتِمُ فِي خِنْصَرِي * إِذَا جَاءَنِي مِنْكَ تَجَنِّيكَ
حَرَمْتُ شَرْبَ الرَّاحِ إِذْ عَفَّتْهَا * فَلَسْتُ فِي شَيْءٍ أَطَاصِيكَ
فَلَوْ تَطَوَّعْتَ لِعَوَضَتِي * مِنْهُ رُضَابَ الرِّيقِ مِنْ فَيْكِ
فِيهَا عِنْدِي مِنْ نِعْمَةٍ * لَسْتُ بِهَا مَاعَشْتُ أَبْزِيكَ
يَا زَيْنَبًا قَدْ أَرَقْتُ مُقَلَّتِي * أَمْتَعْنِي اللَّهُ بِحَبْسِكَ

غَنَّتْ فِيهِ عَلِيَّةٌ هَزَجًا .

٨٦

٩

غني عقيد المعتصم
بشعر فسأل عنه
فقال محمد بن
إسماعيل إنه لما
فغضب وأعرض
منه

أخبرني بَحْظَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَا حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ حَدَّثَنِي

(٢)
الْحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَبَاحٍ قَالَ : قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَى الْهَادِي :

كُنْتُ عِنْدَ الْمُعْتَصِمِ وَعِنْدَهُ مُحَارِقٌ وَعَلَوِيَّةٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ وَعَقِيدٌ ، فَتَغَنَّى
عَقِيدٌ وَكُنْتُ أَضْرِبُ عَلَيْهِ :

صوت

نَامُ عُدَالِي وَلَمْ أَنْمِ * وَأَشْتَبِي الْوَاشُونَ مِنْ سَقَمِي
وَإِذَا مَا قُلْتُ بِي أَلَمٌ * شَكٌّ مِنْ أَهْوَاهِ فِي أَلَمِي

(١) الكناية هنا غير مفهومة وإن كان المعنى الإجمالي واضحاً . (٢) في ب ، س : « الحسبي » .

فطرب المعتصم وقال: لمن هذا الشعر والغناء؟ فأمسكوا. فقلت: لعلية، فأعرض عني، فعرفت غلطى وأت القوم أمسكوا عمداً، فـ^(١)قطع بي. وتبين حالي، فقال: لا ترع يا محمد، فإن نصيبك فيها مثل نصيبي. الغناء لعلية خفيف رمل. وقد قال قوم: إن هذا اللحن للعباس بن أشرس الطنبوري مولى خزاعة، وإن الشعر لحالد الكاتب.

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد قال حدثني أبي قال: °
كما عند المتنصر، فغناه بنان لحناً من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل: °
غنى بنان المتنصر
بلحن لها في شعر
الرشيدي

صوت

يَا رَبَّةَ الْمَثَلِ بِالْبِرِّك * وَرَبَّةَ السُّلْطَانِ وَالْمُلْكِ^(٢)
تَخْرُجِي بِاللَّهِ مِنْ قَتْلِنَا * لَسْنَا مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْتَرِكِ

- فضحككت. فقال لي: مِمَّ ضحككت؟ قلت: من شرف قائل هذا الشعر، وشرف
من عمل اللحن فيه، وشرف مستمعيه. قال: وما ذاك؟ قلت: الشعر فيه للرشيدي،
والغناء لعلية بنت المهدي، وأمير المؤمنين مستمعه. فأعجبه ذلك وما زال يستعيده.
حدثني إبراهيم بن محمد بن بكشة قال سمعت شيخاً يحدث أبي وأنا غلام فحفظت
عنه ما حدثه به ولم أعرف اسمه، قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: °
عملت في أيام الرشيد لحناً وهو: °
أخذت من إسحاق
لحناً وغمته الرشيد
ثم غناه هو لأمون
فمنعه

صوت

سَقِيًّا لِأَرْضِ إِذَا مَا نَمِدُّ نَبْهَى * بَعْدَ الْهَدَوِّ بِهَا قَرْعُ النَّوَاقِيسِ
كَأَنَّ سَوَسَنَهَا فِي كُلِّ شَارِقِيَّة * عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطَّوَاوِيسِ

(١) قطع بي: يريد سدت على مسالك القول. (٢) البرك: علم على عدة مواضع.

- قال : فأعجبني وعملتُ على أن أباكر به الرشيدَ . فلقيني في طريق خادمٍ لعلية بنت المهدي ، فقال : مولائي تأمرك بدخول الدهليز لتسمع من بعض جواريس غناء أخذته عن أبيك وشككت فيه الآن . فدخلتُ معه إلى حجرة قد أُفردت لي كأنها كانت معدة ، بفلسة ، وقُدّم لي طعامٌ وشرابٌ فَنلت حاجتي منهما ، ثم خرج إلى خادم فقال لي : تقول لك مولائي : أنا أعلم أنك قد غدوت إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددتَه له مُحَدِّث ، فاسمعيه ولك جائزة سنية تتعجلها ، ثم ما يأمر به لك بين يديك ، ولعله لا يأمر لك بشيء أو لا يقع الصوت منه بحيث توخيت ، فيذهب سعيك باطلاً . فاندفعتُ فغنيتهُ إياه ، ولم تزل تستعيده مراراً ، ثم أخرجتُ إلى عشرين ألف درهم وعشرين ثوباً ، وقالت : هذه جائزتك ، ولم زل تستعيده مراراً . ثم قالت : اسمعه مني الآن ؛ فغنته غناء ما حرق سمعي مثله . ثم قالت : كيف تراه ؟ قلت : أرى والله ما لم أر مثله . ١٠
- قالت : يا فلانة أعيدى له مثل ما أخذ ؛ فأحضرتُ لي عشرين ألفاً أخرى وعشرين ثوباً . فقالت : هذا تمنّيه ، وأنا الآن داخلة إلى أمير المؤمنين ، أبدأ أتغني به ، وأخبر أنه من صنعتي . وأعطى الله عهداً لئن نطقت أن لك فيه صنعة لأقتلنك ! هذا إن نجوت منه إن علم بمصيرك إلى . فخرجتُ من عندها ووالله إنّي لك الموقن بما أكره ١٥
- من جائزتها أسفاً على الصوت ، فما جَسَرْتُ والله بعد ذلك أن أتغنم به في نفسي فضلاً عن أن أظهره حتى ماتت . فدخلتُ على المأمون في أول مجلس جلس له للهو بعدها ، فبدأتُ به أول ما غنيت . فتغيّر لون المأمون وقال : من أين لك ويلك هذا ؟ ! قلت : وليّ الأمان على الصدق ؟ قال : ذلك لك . فحدّثته الحديث . فقال : يا بغيض ! فما كان في هذا من النفاسة حتى شهّرتَه وذكرتَ هذا منه مع ما قد أخذته من العوض ! وهجّني فيه هُجّةً وددتُ معها أني لم أذكره . فأليتُ ألا أغنيّه ٢٠
- (١) في ب ، س : « ولن أبدأ بغناء غيره » . (٢) في أ ، م : « ووالله إنّي لأكاد أموت بما أكره الخ » .

بعدها أبدا . الشعرُ في هذا الصوت لإسماعيل بن يسار النَّسائي ، وقيل : إنه لإسحاق .
ولحنه من الثَّقِيلِ الأوَّلِ مُطْلَقٌ في مجرى الوسطى . وذكر حبش أنه للهذلي ،
ولم يحصل ما قاله .

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عيسى العتريّ قال حدثنا عبد الله بن
أبي سعد قال قال لي ينشئ المغني حدثني أبو أحمد بن الرشيد قال :

طارحت أخاها
إبراهيم الفناء
وسمعهما في مجلس
المأمون

كنت يوما عند المأمون وإلى جانبي منصور وإبراهيم عمّاي ، فجاء ياسر دخلة
فسأز المأمون . فقال المأمون لإبراهيم : إن شئت يا إبراهيم فأنهض ، فنهض . فنظرتُ
إلى ستر قد رُفِعَ مما يلي دار الحُرَمِ ، فما كان بأسرع من أن سمعت شيئا ألقني .
فنظر إلى المأمون وأنا أميل فقال لي : يا أبا أحمد مالك تميل ؟ فقلت : إني سمعت
شيئا ما سمعت بمثله . فقال : هذه عمّتك عليّة تطارح عمك إبراهيم :
* مالى أرى الأبصارَ بي جافيه *

نسبةُ هذا الصوت .

صوت

مالى أرى الأبصارَ بي جافيه * لم تلتفت مني إلى ناحية
لا ينظر الناس إلى المُبتلى * وإنما الناس مع العافيه
صَحِيحِي سَلُّوا رَبِّكُمْ العافيه * فقد دهنتى بعدكم داهيه
صارَ مني بعدكم سيدي * فالعين من هجرانه باكية

الشعر لأبي العتاهية ، وذكر ابن المعتز أنه لعلية وأن اللحن لها خفيف رمل . وذكر
أنه لغيرها خفيف رمل مطلق ، ولحن عليّة مزموّم .

أخبرني عمي قال حدثني أبو العباس أن بشرًا المرثدي قال قالت لي ربي :
كنت يومًا بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان ، فدخلت إليه
خلوب^(١) (جارية لعلية) ومعها كأسان مملوءتان وتحيّتان ، ومع خادم يتبعها عودٌ ، فغنتهما
قائمة والكأسان في أيديهما والتحيّتان بين أيديهما :

صوت

حيّا كما الله خليلاً * إن ميتاً كنت وإن حيّاً

إن قلتما خيراً فخير لكم * أو قلتما غياً فلا غياً

٨٨
٩

فشرّياً . ثم دفعت إليهما رقعة فإذا فيها : « صنعت يا سيدي أختك هذا اللحن اليوم ،
والقته على الجوارى ، وأصطبحت فبعثت لكاه به ، وبدت من شرابي إليك ومن
تحياتي وأحذق جوارى لتغنيكما . ها كما الله وسركا وأطاب عيشكما وعيشي بكما » .

أخبرني عمي قال حدثني بنحو من هذا أبو عبد الله بن المرزبان قال حدثني
إبراهيم بن أبي دلف العجلي قال :

دعا إبراهيم بن
المهدي إسحاق
وأبا دلف وغتهم
جاريته لحنا لها

تكم مع المعتصم بالقاطول وكان إبراهيم بن المهدي في حراقة بالجنب الغربي ،
وأبي وإسحاق بن إبراهيم الموصلي في حراقتيها بالجنب الشرقي . فدعاهما في يوم
جمعة ، فعبرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير ، على أقيبة ومنطقة . فلما دنونا من
حراقة إبراهيم فرأنا نهض ونهضت بنهوضه صبيّة له يقال لها « غضة » وإذا في يديها
كأسان وفي يده كأس . فلما صعدا إليه آندفع فغنى :

(١) في ١ ، ٢ : « خلوي » . (٢) القاطول : اسم نهر كانه مقطوع من دجلة ، وهو نهر
كان في موضع سامرا قبل أن تعمر ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبني على فوهته قصرا .
(٣) ظاهر من السياق أنه نوع من السفن كالزورق ونحوه . وقد ورد هذا الاسم في كتاب تزيين
الأسواق لدارد الأنطاكي صفحة ٢٥٨ طبع حجر بمصر سنة ١٢٧٩ هجرية في قوله : « فغزت على واسط
لأن لي بها صدقاً من الكتاب بحيث فرأيت زلالاً مهياً فطليت الزول معهم فقالوا نملك بدرهمين ، ولكن
الزلال لهاشي لا يريد معه غريباً ، فترى بزينا كأنك بعض الملاحين ... » وكتب مصححه بالهامش :
« قوله زلالاً كأنه نوع من السفن كالزورق كما يظهر من بقية الكلام » اه وانظر الكلام عليه في قاموس دوري .

حَيَّاكُمَا اللهُ خَلِيلَيَا * إِنْ مَيِّتَا كُنْتُ وَإِنْ حَيَّا
إِنْ قَلْتُمَا خَيْرًا فَأَهْلًا بِهِ ^(١) * أَوْ قَلْتُمَا غَيًّا فَلَا غَيَّا

ثم ناول كل واحد منهما كأساً، وأخذ هو الكأس الثالث الذى فى يد الجارية وقال :
هَلَمْ نَشْرَبْ عَلَى رِيقِنَا قَدَحًا . ثم دعا بالطعام فأكلنا ، وَوَضِعَ النِّيذُ فُشْرَبْنَا ، وَغَنِيَاهُ
وَعَنَاهُمَا وَضَرَبَا مَعَهُ وَضَرَبَ مَعَهُمَا ، وَغَنَّتِ الصَّبِيَّةُ ، فَطَرِبَ أَبُو وَقَالَ لَهَا : أَحْسَنْتِ
أَحْسَنْتِ ! . فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : إِنْ كَانَتْ أَحْسَنْتِ نَخُذْهَا ، فَمَا أُخْرِجْتُهَا إِلَّا لَكَ .

شكت اليها أم جعفر
اقتطاع الرشيد
فقال شعرا
وغنت به فرجع اليها

أخبرنى على بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس قالَا حَدَّثَنَا أَبُو هَفَاقَانُ قَالَ :
أُهِدِيتُ إِلَى الرَّشِيدِ جَارِيَةً فِي غَايَةِ الْجَمَالِ وَالْكَالِ ، نَحْلًا مَعَهَا يَوْمًا وَأُخْرِجَ كُلُّ قَبِيلَةٍ
فِي دَارِهِ وَأَصْطَبَحَ ، فَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ حَضْرِهِ مِنْ جَوَارِيهِ الْمَغْنِيَّاتِ وَالْخَدَمَةِ فِي الشَّرَابِ
زُهَاءُ أَلْفَى جَارِيَةٍ فِي أَحْسَنِ زَيٍّ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ وَالْجَوْهَرِ . وَأَتَّصَلَ
الْخَبْرُ بِأُمِّ جَعْفَرٍ فَغَلُظَ عَلَيْهَا ذَلِكَ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى عُلَيَّةَ تَشْكُو إِلَيْهَا . فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا عُلَيَّةُ :
لَا يَهْوُلَنَّكَ هَذَا ، فَوَاللَّهِ لَأُرْدَنَّهُ إِلَيْكَ ، قَدْ عَزِمْتُ أَنْ أَصْنَعَ شِعْرًا وَأَصَوِّغَ فِيهِ لَحْنًا
وَأُطْرَحَهُ عَلَى جَوَارِيٍّ ، فَلَا تَبْقَ عِنْدَكَ جَارِيَةٌ إِلَّا أَبْعَثْتُ بِهَا إِلَى وَالْبَيْسِينَ أَلَوَانَ الثِّيَابِ
لِيَأْخُذَنَّ الصَّوْتَ مَعَ جَوَارِيٍّ ، فَفَعَلْتُ أُمُّ جَعْفَرٍ مَا أَمَرَتْهَا بِهِ عُلَيَّةُ . فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ
صَلَاةِ الْعَصْرِ لَمْ يَشْعُرِ الرَّشِيدُ إِلَّا وَعُلَيَّةُ قَدْ حَرَجَتْ عَلَيْهِ مِنْ حُجْرَتِهَا ، وَأُمُّ جَعْفَرٍ مِنْ
حُجْرَتِهَا مَعَهَا زُهَاءُ أَلْفَى جَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا وَسَائِرِ جَوَارِي الْقَصْرِ ، عَلَيْهِنَّ غِرَانِبُ
الْبِلَاسِ ، وَكُلُهُنَّ فِي لَحْنٍ وَاحِدٍ هَزَجٍ صَنَعَتْهُ عُلَيَّةُ :

صوت

مَنْفَصِلٌ عَنِّي وَمَا * قَلْبِي عَنْهُ مَنْفَصِلٌ

يَا قَاطِعِي الْيَوْمِ لِمَنْ * نُوِيْتُ بَعْدَى أَنْ تَصِلُ

(١) كذا في ح . وفي أ ، م : « فأهله » . وفي ب ، س : « فغير لكم » .

(٢) كذا في الأصول . ويلاحظ أن الكأس مؤنثة .

فطرب أنرشيد وقام على رجله حتى استقبل أمّ جعفر وعليّة وهو على غاية السرور، وقال : لم أر كاليسوم قط . يا مسرور لا تُبقيين في بيت المال درهمًا إلا نثرته . فكان مبلغ ما نثره يومئذ ستة آلاف ألف درهم، وما سُمع بمثل ذلك اليوم قط .

كانت تحب لمن
الرمل

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرّد قال : كانت عليّة تقول : من لم يُطربه الرمل لم يُطربه شيء . وكانت تقول : من أصبح وعنده طبّاهجة باردة ولم يصطبج فعليه لعنة الله .

٨٩
٩

غنت هي وأخوها
إبراهيم وزمر عليهما
أخوها يعقوب

حدثني عمي قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال قالت لي عريب : أحسن يوم رأيته وأطيبه يوم اجتمعت فيه مع إبراهيم بن المهدي عند أخته عليّة وعندهم أخوهم يعقوب، وكان أحذق الناس بالزمر . فبدأت عليّة فغنتهم من صنعتها وأخوها يعقوب يزمر عليها :

١٠

صوت

تَحَبَّبَ فَإِنَّ الْحُبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ * وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ الْقَرَبِ
وغنى إبراهيم في صناعته وزمر عليه يعقوب :

صوت

يا واحدَ الحُبِّ مالى منك إذ كَلَفْتُ * نفسى بحبِّك إلّا الهُمَّ والحَزَنُ
لم يُنْسِنِيكَ سرورٌ لا ولا حَزَنٌ * وكيف لا كيف يُنسى وجهك الحسنُ
ولا خلا منك قلبي لا ولا جَسَدِي * كُلُّ بَكَلٍّ مشغولٌ ومُرْتَهَنُ
نورٌ تولد من شمسٍ ومن قمرٍ * حتى تكامل منه الروح والبدنُ
فما سمعتُ مثل ما سمعته منهما قطّ، وأعلم أنى لا أسمع مثله أبدًا .

١٥

٢٠

(١) الطباخة : ضرب من اللحم المقلّى .

تمارت خشف
وعريب في عدد
أصواتها بحضرة
المتوكل

قال ميمون بن هارون قلت لعريب :

- رأيتُ في النوم كأنني سألتُ عُلَيَّةَ بنتَ المهدي عن أغانيها فقالت لي : هي
نَيْفٌ وخمسون صوتًا . فقالت لي عريب : هي كذلك . وقد أخبرني بنحو هذا الخبر
عبد الله بن الربيع الرِّبَيعي قال حدثني وسوسة وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم
قال حدثتني خشف الواحِشِيَّة أنها تمارت هي وعريب في غناء عُلَيَّةَ بحضرة المتوكل .
أو غيره من الخلفاء ، فقالت هي : هي ثلاثة وسبعون صوتًا . فقالت عريب : هي آثنان
وسبعون صوتًا . فقال المتوكل : غنَّا غناءها ، فلم تزلَا تغنَّيان غناءها حتى مضى
آثنان وسبعون صوتًا ، ولم تذكر خشف الثالث والسبعين فُطِعَ بها وأستولت
عريب عليها وأنكسرت . قالت : فلما كان الليل رأيتُ عُلَيَّةَ فيما يرى النائم فقالت :
يا خشفُ خالفتك عريبُ في غنائي ! قلت : نعم ياسيدتي . قالت : الصواب معك ،
أفقدري ما الصوتُ الذي أنسيته ؟ قلت : لا والله ! ولَوِددتُ أني فديت ما جرى
بكل ما أملك . قالت هو :

صوت

- بني الحبُّ على الجَورِ فَلَوْ * أنصفَ المعشوقُ فيه لَسَمُجُ
ليس يُستَحَسَنُ في حكمِ الهوى * عاشقٌ يُحسنُ تأليفَ الجَجْجِ
لا تَعِينُ من محبِّ ذِلَّةٍ * ذِلَّةُ العاشقِ مِفْتَاحُ الفرجِ
وقليلُ الحبِّ صِرْفًا خالصًا * لك خيرٌ من كثيرٍ قد مُزِجُ
وكانها قد أندفعت تغنِّي به ، فما سمعتُ أحسنَ مما غنَّته ، ولقد زادت لي فيه أشياء
في نومي لم أكن أعرفها . فأنتهتُ وأنا لا أعقل فرحًا به . فباكرتُ الخليفةَ وذكَّرتُ
له القصةَ . فقالت عريب : هذا شيء صنعته أنت ليما جرى بالأمس ، وأما الصوت
فصحيح . فخلفتُ للخليفة بما رضى به أن القصة كما حكيتُ . فقال : رؤياك والله

عجب، ورحم الله عليّة! فما تركت طرفها حيّة وميتة، وأجازني جائزة سنية . ولعليّة في هذا الصوت أعنى :

* بُني الحب على الجور فلو *

لحنان : خفيف ثقيل وهزج . وقيل إن الهزج لغيرها .

ونسخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني أحمد بن محمد الفيرزان^(١) قال حدثني بعض خدام السلطان عن مسرور الكبير، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب محمد بن طاهر يرويه عن ابن الفيرزان^(١) وفيهما خلاف يذكر في موضعه، قال :
ممع الرشيد لحنين لها
من جاريته عند
إبراهيم الموصلي
فرجع إليها ومعهما
منها ومدحهما

اشتاق الرشيد إلى إبراهيم الموصلي يوماً، فركب حماراً يقرب من الأرض، ثم أمر بعض خدام الخاصة بالسعى بين يديه، وخرج من داره، فلم يزل حتى دخل على إبراهيم . فلما أحسّ به استقبله وقبل رجله . وجلس الرشيد فنظر إلى مواضع قد كان فيها قوم ثم مضوا، ورأى عيداناً كثيرة، فقال : يا إبراهيم ما هذا؟ فجعل يدافع . فقال : هـ يلك ! أضدقني . فقال : نعم يا أمير المؤمنين، جاريتان أطرح عليهما . قال : هاتهما . فأحضر جاريتين ظريفتين، وكانت الجاريتان لعلية بنت المهدي بعثت بهما يطرح عليهما . فقال الرشيد لإحدهما : غني، فغنت — وهذا كله من رواية محمد بن طاهر —

بُني الحب على الجور فلو * أنصف المعشوق فيه لسمج
ليس يستحسن في حكم الهوى * عاشق يحسن تأليف المحجج
لا تعين من محب ذلة * ذلة العاشق مفتاح الفرج
وقليل الحب صرفاً خالصاً * لك خير من كثير قد مضج

فأحسن جداً، فقال الرشيد : يا إبراهيم لمن الشعر؟ ما أمله! ولمن اللحن؟ ما أظرفه! فقال : لا أعلم لي . فقال للجارية، فقالت : لستى . قال : ومن سيتك؟ قالت : عليّة

أُخْتُ أمير المؤمنين . قال : الشعرُ واللحن ؟ ! قالت نعم ! فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إلى الأخرى فقال : غنى ، فغنت :

صوت

تَحَبَّبْتُ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ * وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ الْقَرَبِ
تَبَصَّرْتُ فَإِنَّ حَدَّثَ أَنَّ أَخَا هَوَى * نَجَا سَالِكًا فَارِجُ النَّجَاةِ مِنَ الْحَبِّ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ مُنْخَطَّ وَلَا رِضَا * فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرِّسَالِ وَالْكُتُبِ

— الغناء لعلية خفيفة ثقيل . وفي كتاب علويه : الغناء له — فسأل إبراهيم عن الغناء والشعر؛ فقال : لا أعلم لي يا أمير المؤمنين . فقال للجارية : لمن الشعر واللحن ؟ فقالت لستى . قال : وَمَنْ سِتِّكَ ؟ فقالت : عليّة أُخْتُ أمير المؤمنين . فوثب الرشيد وقال : يا إبراهيم احتفظ بالجاريتين . ومضى فركب حماره وأنصرف إلى عليّة . هذا كله في رواية محمد بن طاهر ، ولم يذكره محمد بن الحسن ، ولكنه قال في خبره : إن الرشيد زار الموصلي هذه الزيارة ليلاً ، وكان سببها أنه أنقذه في نصف الليل فقال : هاتوا حمارى فأني بعمار كان له أسود يركبه في القصر قريب من الأرض ، فركبه وخرج في دُرَاعَةٍ وَشِيٍّ مِثْلًا بِعِجَامَةٍ وَشِيٍّ مُلْتَحِفًا بِرَدَاءٍ وَشِيٍّ ، وخرج بين يديه مائة خادم أبيض سوى الفواشين . وكان مسرور القرظاني جريئاً عليه لمكانته عنده ، فلما خرج على باب القصر قال : أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : أردتُ منزلَ الموصلي . قال مسرور : فضي ونحن بين يديه حتى أنتهى إلى منزل إبراهيم ، فتلقاه وقبل حماره وقال : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك ، أفى مثل هذه الساعة تظهر ! ! قال : نعم ! شوقاً لطرق بي . ثم نزل بخلس في طرف الإيوان وأجلس إبراهيم . فقال له إبراهيم : ياسيدى

٩١
٩

(١) في الأصول : « سببه » . (٢) الدراعة : ضرب من الثياب ، أروى حبة مشقوفة المقدم . ٢٠

أَتَشَطُّ لَشَيْءٍ تَأْكُلُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَمَاهُو؟ قَالَ: خَامِيزٌ ظِيٍّ. فَأَتَى بِهِ كَأَنَّمَا كَانَ مُعَدًّا لَهُ
فَأَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا، ثُمَّ دَعَا بِشَرَابٍ كَانَ حُمْلَ مَعَهُ. فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ:
أَوْفَنِيكَ يَا سَيِّدِي أَمْ يَغْنِيكَ إِمَائُوكَ؟ فَقَالَ: بَلِ الْجَوَارِي. فَخَرَجَ جَوَارِي إِبْرَاهِيمَ
فَأَخَذَنَ صَدْرَ الْإِيوَانِ وَجَانِبِيهِ. فَقَالَ: أَيَضْرِبَنَّ كُلُّهُنَّ أَمَّ وَاحِدَةً وَاحِدَةً؟ فَقَالَ:
بَلِ تَضْرِبُ اثْنَتَانِ اثْنَتَانِ وَتَغْنِي وَاحِدَةً وَاحِدَةً. ففعلن ذلك حتى مرَّ صدرُ الإيوانِ
وأحدُ جانبيه والرَّشِيدُ يَسْمَعُ وَلَا يَنْشَطُ لَشَيْءٍ مِنْ غَنَائِنَ، إِلَى أَنْ غَنَّتْ صَبِيَّةٌ
مِنْ حَاشِيَةِ الصَّفِّ:

صـوـت

يَا مُورِي الزَّيْدَ قَدْ أُعِيَتْ قَوَادِحُهُ * إَقْبِسْ إِذَا شِئْتَ مِنْ قَلْبِي بِمِقْبَاسِ
مَا أَقْبَحَ النَّاسَ فِي عَيْنِي وَأَسْمَجَهُمْ * إِذَا نَظَرْتُ فَلَمْ أَبْصُرْكَ فِي النَّاسِ

فَطَرِبَ لَغَنَائِهَا وَأَسْتَعَادَ الصَّوْتَ مِرَارًا وَشَرِبَ أَرْطَالًا، ثُمَّ سَأَلَ الْجَارِيَةَ عَنْ صَانِعِهِ
فَأَمْسَكَتْ، فَأَسْتَدْنَاهَا فَتَقَاعَسَتْ، فَأَمَرَهَا فَأَقِيمَتْ إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَتْهُ بِشَيْءٍ أَسْرَتْهُ إِلَيْهِ.
فَدَعَا بِجَمَارِهِ فَأَنْصَرَفَ وَالتَفَتَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: مَا عَلَيْكَ إِلَّا تَكُونَ خَلِيفَةً! فَكَادَتْ
نَفْسُهُ تَخْرُجُ، حَتَّى دَعَا بِهِ بَعْدُ وَأَدْنَاهُ. هَذَا نَظْمُ رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ فِي خَبَرِهِ. وَقَالَ
مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ فِي خَبَرِهِ: فَقَالَ لِلْمَوْصِلِيِّ: آخِثُفْ بِالْجَارِيَتَيْنِ، وَرَكِبْ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى عُلْيَا
فَقَالَ: قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَشْرَبَ عِنْدَكَ الْيَوْمَ. فَتَقَدَّمَتْ فِيمَا تُصْبِحُهُ، وَأَخَذَا فِي شَأْنِهِمَا.
فَلَمَّا أَنْ كَانَ فِي آخِرِ الْوَقْتِ حَمَلَ عَلَيْهَا بِالنَّبِيذِ، ثُمَّ أَخَذَ الْعُودَ مِنْ حِجْرِ جَارِيَةٍ فَدَفَعَهُ
إِلَيْهَا، فَأَكْبَرَتْ ذَلِكَ. فَقَالَ: وَتُرَبِّةَ الْمَهْدِيِّ لَتَغْنَنَّ! قَالَتْ: وَمَا أُغْنِي؟ قَالَ: غَنِّي:

* بُنِيَ الْحَبُّ عَلَى الْجَوْرِ فَلَوْ *

فعلمت أنه قد وقف على القصة فغنته . فلما أتت عليه قال لها غني :

* تحبب فإن الحب داعية الحب *

فلجلجت ثم غنته . فقام وقبل رأسها وقال : يا سيدي هذا عندك ولا أعلم ! وتمم يومه معها .

- ٥ . حدثني بحظلة قال حدثني أبو العبيس بن حمدون قال قال إبراهيم بن المهدي :
 ما خجلت قط نجلتي من علة أختي . دخلت عليها يوماً عائداً فقلت : كيف أنت .
 يا أختي جعلت فداءك وكيف حالك وجسمك ؟ فقالت : بخير والحمد لله . ووقعت
 عيني على جارية كانت تدب عنها فتشاغلت بالنظر إليها فاعجبني وطال جلوسي ، ثم
 استحيت من علة فأقبلت عليها فقلت : وكيف أنت يا أختي جعلت فداءك وكيف
 حالك وجسمك ؟ فرفعت رأسها إلى حاضنة لها وقالت : أليس هذا قد مضى مرة
 وأجبنا عنه ! لنجلت نجلًا ما خجلت مثله قط ، وممت وأنصرفت .

عادها أخوها
 إبراهيم وكرر
 السؤال عنها فجل
 من جوابها

- أخبرني عبد الله بن الربيع الربيعي قال حدثني أحمد بن إسماعيل عن محمد بن
 جعفر بن يحيى بن خالد قال :
 شهدت أبي جعفرًا وأنا صغير وهو يحدث يحيى بن خالد جدّي في بعض ما كان
 يخبره به من خلواته مع الرشيد ، قال : يا أبت ، أخذ بيدي أمير المؤمنين ثم أقبل على حجرة
 يخترقها حتى انتهى إلى حجرة مغلقة ففتح له ، ثم رجع من كان معنا من الخدم ،
 ثم صرنا إلى حجرة مغلقة ففتحها بيده ودخلنا جميعاً وأغلقها من داخل بيده ،
 ثم صرنا إلى رواق ففتحته وفي صدره مجلس مغلق فقعّد على باب المجلس ، فنقر هارون
 الباب بيده نقرات فسمعنا حساً ، ثم أعاد النقر فسمعنا صوت عود ، ثم أعاد النقر ثالثة
 فغنت جارية ما ظننت والله أن الله خلق مثلها في حسن الغناء وجودة الضرب .
 ٢٠ . فقال لها أمير المؤمنين بعد أن غنت أصواتاً : غني صوتي ، فغنت صوته ، وهو :

أمرها الرشيد
 بالقاء فغنته من
 وراء ستار وكان
 معه جعفر ففرقه بها
 ٩٢
 ٩

صوت

وَمُحَنِّثٍ شَهِدَ الزَّفَافَ وَقَبْلَهُ * غَنَى الْجَوَارَى حَاسِرًا وَمُنْقَبًا
لَيْسَ الدَّلَالُ وَقَامَ يَنْقَرُ دَقُّهُ * تَقَرَّرَ أَقْرَبُهُ الْعِيُونَ وَأَطْرَبًا
إِنَّ النِّسَاءَ رَأَيْنَهُ فَعَشِقْنَهُ * فَشَكُونَ شِدَّةَ مَا بَيْنَ فَا كَذِبًا

— في هذا اللحن خفيف رملٍ نسبته يحيى المكيّ إلى ابن سريج ولم يصح له ، وفيه خفيف ثقيل في كتاب عليّة أنه لها ، وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات أنه لريق . واللحن مأخوذ من :

* إِنَّ الرِّجَالَ لَمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ *

وهو خفيف ثقيل للهذليّ ، ويقال إنه لابن سريج ، وهو يأتي في موضع آخر — قال : فطربتُ والله طرباً همتُ معه أن أنطح برأسي الحائط . ثم قال غنى :

* طَال تَكْذِيبِي وَتَصْدِيقِي *

فغنت :

صوت

طَال تَكْذِيبِي وَتَصْدِيقِي * لَمْ أَجِدْ صَهْدًا لِمَخْلُوقٍ
إِنَّ نَاسًا فِي الْهَوَى غَدَرُوا * أَحَدُوا نَقْصَ الْمَوَائِقِ^(١)
لَا تَرَانِي بَعْدَهُمْ أَبَدًا * أَشْتَكِي عِشْقًا لِمُعْشُوقٍ

— لحن عليّة في هذا الصوت هزج . والشعر لأبي جعفر محمد بن حميد الطوسي وله فيه لحن خفيف ثقيل . ولعريب فيه ثقيل أول وخفيف ثقيل آخر — قال : فرقص الرشيد ورقصتُ معه ، ثم قال : امض بنا فإني أخاف أن يبدو منّا ما هو أكثر من هذا ، فضئنا . فلما صرنا إلى الدهليز قال وهو قابض على يدي : أعرفت هذه المرأة ؟ قال قلت : لا يا أمير المؤمنين . قال : فإني أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتم ذلك ، وأنا أخبرك

(١) في ب ، س : « حنوا » .

أَنهَا عَلِيَّةٌ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ، وَوَالِدُهُ لَمَّا لَفَظَتْ بِهِ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدٍ وَبَلَّغْنِي لِأَقْتَلَنَّكَ بِقَالَ :
فَسَمِعْتُ جَدِّي يَقُولُ لَهُ : فَقَدْ وَالِدُهُ لَفَظْتَ بِهِ ، وَوَالِدُهُ لَيَقْتَلَنَّكَ ! فَأَصْنَعُ مَا أَنْتَ صَانِعٌ .

نسبة الصوت الذي أخذ منه :

* وَنَحْنُ شَهِدُ الزَّفَافَ وَقَبْلَهُ *

صوت

إِنَّ الرِّجَالَ لَمْ يَكُنْ لِي وَسِيلَةً * إِنْ يَأْخُذُوكَ تَكْجَلِي وَتَحْضِي
وَأَنَا أَمْرُؤُ إِنْ يَأْخُذُونِي عَنُوءَ * أَقْرَنُ إِلَى سَيْرِ الرِّكَّابِ وَأُجْنِبُ
وَيَكُونُ مَرْجُوكَ الْقَعُودُ وَحَدَجُهُ * وَأَبْنُ النَّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي

٩٣
٩

- الناس يروون هذه الأبيات لعنترة بن شداد البهسي، وذكر الجاحظ أنها لخز بن
لؤذان، وهو الصحيح. ونحز شاعر قديم يقال إنه قبل أمرئ القيس. وقد اختلف
١٠ في معنى قوله «أبن النعام» فقال أبو عبيدة والأصمعي: النعام فرسه وأبنها ظلها.
يقول: أقاد في الهجرة إلى جنبها فيكون ظل كالأركب لظلها. وقال أبو عمرو
الشياني: ابن النعام مقدم رجله مما يلي الأصابع. يقول: فلا يكون لي مركب
إلا رجلي. وقال خالد بن كلثوم: ابن النعام الخشبة التي يصلب عليها. يقول:
أقتل وأصلب فتكون الخشبة مركبي. وأحج من ذكر أنه يعني ظل فرسه وأنه يكون
١٥ كالركب له بقول الشاعر:

إِذَا ظَلَّ يَحْسَبُ كُلُّ شَيْءٍ فَارِسًا * وَيَرَى نَعَامَةً ظَلَّهُ فَيَحُولُ

قال: وأبن النعام: ظل كل شيء. وقد مضى هذا الصوت مفرداً مع خبره
في موضع آخر.

- ٢٠ (١) القعود: من الأبل ما اتخذ الراعي للركوب وحمل الزاد والمناخ. والحديج: مركب من
مراكب النساء نحو الهودج والمحفة. (٢) كذا في القاموس (في مادة «لؤذ») وفي الأصول:
«نحز» وهو تحريف.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن يزيد المَهَلِّيّ قال حدثنا حماد بن إسحاق قال :
زار الرّشيدُ عليّة فقال لها : بالله يا أُختي غَنّيني . فقالت : وحياتِكَ لأعملنَّ
فيك شعراً ولاعملنَّ فيه لحناً ، فقالت من وقتها :

صوت

تَفْدِيكَ أَخُتُكَ قَدْ حَبَوْتَ بِنِعْمَةٍ * لَسْنَا نَعُدُّ لَهَا الزَّمَانَ عَدِيلاً
إِلَّا الْخُلُودَ ، وَذَاكَ قَرْبُكَ سَيِّدِي * لَا زَالَ قَرْبُكَ وَالْبَقَاءُ طَوِيلاً
وَحَمِدْتُ رَبِّي فِي إِجَابَةِ دَعْوِي * فَرَأَيْتُ حَمِيدِي عِنْدَ ذَاكَ قَلِيلاً
وَعَمِلْتُ فِيهِ لِحْنًا مِنْ وَقْتِهَا فِي طَرِيقَةِ خَفِيفِ الرَّمْلِ ، فَأَطْرَبَ الرَّشِيدَ وَشَرِبَ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ .
قال : وقالت للرّشيد أيضاً وقد طلب أختها ولم يطلبها .

طلب الرّشيد أختها
ولم يطلبها فقالت
شعراً وبعثت من
غناه له فأحضرها

صوت

مَالِي نَسِيتُ وَقَدْ نُودِيَ بِأَصْحَابِي * وَكُنْتُ وَالذِّكْرُ عِنْدِي رَاحِجٌ غَادِي
أَنَا الَّتِي لَا أَطِيقُ الدَّهْرَ فُرْقَتَكُمْ * فَارْقُ لِي يَا أَخِي مِنْ طَوْلِ إِبْعَادِ
قال : وَغَنَّتْ فِيهِ لِحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي ، وَبَعَثَتْ مِنْ غَنَاهُ لِلرّشِيدِ ، فَبَعَثَ فَأَحْضَرَهَا .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي زُرَّوْرُ الْكَبِيرِ
غلام جعفر بن موسى الهادي :
أَنَّ عَلِيَّةَ حَجَّتْ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَتْ أَقَامَتْ بِطَيْرِزَابَادَ^(٢) أَيَّامًا ، فَأَتَتْهُ
ذَلِكَ إِلَى الرَّشِيدِ فَغَضِبَ . فقالت عليّة :

حجت وتأخرت
فكدر الرّشيد
فظلمت شعراً
وغته فرضى عنها

(١) في ٢ ، ٣ : « في البقاء » . (٢) كذا في معجم البلدان لياقوت . وطيرزاباذ :

موضع بين الكوفة والقادسية ، كان من أنزه المواضع محفوها بالكروم والشجر والحانات والمعاصر ،
وكان من المواضع المقصودة للهو والبطالة . وفي الأصول : « طير تاباذ » وهو تحريف .

صوت

- أَيُّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ أَيُّ ذَنْبٍ * أَيُّ ذَنْبٍ لَوْلَا رَجَائِي لِرَبِّي
بِمُقَامِي بِطَيْنَنَا بَادَ يَوْمًا * بَعْدَهُ لَيْلَةٌ عَلَى غَيْرِ شُرْبٍ
ثُمَّ بَاكَرْتُهَا عُقَارًا شَمُولًا * تَفْتِنُ النَّاسِكَ الْحَلِيمَ وَتُصْبِي
قَرَقَفًا قَهْوَةً تَرَاهَا جَهُولًا * ذَاتَ حِلْمٍ فَرَاغَةً كُلُّ كَرْبٍ
- قال : وصنعت في البيتين الأولين لحنا من خفيف الثقيل ، وفي البيتين الآخرين لحنا من الرمل . فلما جاءت وسميع الشعر والمخنين رضي عنها .

٩٤

٩

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني عبد الله بن إبراهيم بن المهدي قال : اشتاق الرشيد وهو بالزقة فطلبها بغائه وقالت شعرا وعملت فيه لحنا
- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني عبد الله بن إبراهيم بن المهدي قال : اشتاق الرشيد إلى عمي عليّة بالزقة ، فكتب إلى خاله يزيد بن منصور في إخراجها إليه فأخرجها . فقالت في طريقها :

صوت

- اشْرَبْتُ وَغَنَنْ عَلَى صَوْتِ النَّوَاعِيرِ * مَا كُنْتُ أَعْرِفُهَا لَوْلَا أَبْنُ مَنْصُورٍ
لَوْلَا الرِّجَاءُ لِمَنْ أَمَلْتُ رُؤْيَيْتَهُ * مَا جُرْتُ بِغَدَادٍ فِي خَوْفٍ وَتَغْرِيرٍ
وَعَمِلْتُ فِيهِ لَحْنًا فِي طَرِيقَةِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ .

١٥

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثنا الهشام أبو عبد الله قال : كانت مع الرشيد في الرى لحنت إلى المراق بشعر فردها
- لَمَّا نَحْرَجَ الرَّشِيدَ إِلَى الرَّيِّ أَخَذَ أُخْتَهُ عَلِيَّةَ مَعَهُ . فَلَمَّا صَارَ بِالْمَرْجِ عَمِلْتُ شِعْرًا وَصَاغْتُ فِيهِ لَحْنًا فِي طَرِيقَةِ الرَّمْلِ وَغَنَنْتُ بِهِ ، وَهُوَ :

- (١) المرج : يريد به مرج القلعة ، بينه وبين حلوان منزل إلى جهة همدان . كذا ذكر ياقوت في معجمه وذكر البيتين الواردين في هذه القصة .

٢٠

صوت

وَمُغْتَرِبٍ بِالْمَرْجِ يَبْكِي لِشَجْوِهِ * وَقَدْ غَابَ عَنْهُ الْمُسْعِدُونَ عَلَى الْحَبِّ
إِذَا مَا أَتَاهُ الرَّكْبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ * تَلْشَقُ يَسْتَشْفِي بِرَائِحَةِ الرَّكْبِ
فَلَمَّا سَمِعَ الصَّوْتَ عَلِمَ أَنَّهَا قَدْ أَشْتَاكَتْ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَهْلِهَا بِهِ فَرَدَّهَا .

ونسخت من كتاب هارون بن محمد الزيات حدثني بعض موالى أبي عيسى بن
الرشيد عن أبي عيسى: أن عليّة غنت الرشيد في يوم فطر:

صوت

طالَتْ عَلَى لَيْلَى الصَّوْمِ وَأَتَّصَلْتُ * حَتَّى لَقَدْ خَلَّيْتُهَا زَادَتْ عَلَى الْإَبْدِ
شَوْقًا إِلَى مَجْلِسِ يُرْهِى بِصَاحِبِهِ * أُعِيدُهُ بِجَلَالِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ

١٠ الغناء لعلية ثانی ثقیل لا یُشَكَّ فيه، وذكر بعض الناس أنه للوائق، وذكر آخرون
أنه لعبد الله بن العباس الریعی . والصحيح أنه لعلية . وفيه لعرب ثقیل أول غتته
المُعْتَمِدَ يَوْمَ فِطْرِ فَا مَرَّهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

وقال ميمون بن هارون حدثني أحمد بن يوسف أبو الجهم قال :

ضربت ويلها
سباعا وحبسته
نحياته فشفع فيه
جيرانه فقالت شعرا

كان لعلية ويكل يقال له سباع، فوقف على خيائته فضربته وحبسته، فأجتمع
١٥ جيرانه إليها فعترفوها بحيل مذهبه وكثرة صدقه، وكتبوا بذلك رقعة، فوقع فيها:

أَلَا أَيُّهَا الزَّاكِبُ الْعَيْسَ بَلَّغْنِ * سَبَاعًا وَقُلْ إِنْ صَمَّ دَارَكُمْ السَّفَرُ^(١)
أَتَسْلُبُنِي مَالِي وَإِنْ جَاءَ سَائِلٌ * رَقَقْتُ لَهُ إِنْ حَطَّ نَحْوَكَ الْفَقْرُ^(٢)
كَشَافِيَةِ الْمَرَضَى بِعَائِدَةِ الزَّنَا * تَوَمَّلْ أَجْرًا حَيْثُ لَيْسَ لَهَا أَجْرُ

(١) كذا في الأصول . والأظهر أن تكون «ضم ركبكم» أو «حل — أو جاز — داركم السفر»

٢٠ أو نحو ذلك . (٢) السفر : القوم المسافرون .

تركت الغناء لموت
الرشيد فألح عليها
الأمين فغنته

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثتني عَلمُ السَّمراءُ
جارية عبد الله بن موسى الهادي أنها شهدت عُلَيَّةَ غَنَّتْ الأَمِينَ في شعر لها ، وهو
آخر شعر قالته فيه ، وطريقته من الثقيل الثاني . وكانت لما مات الرشيد جَزَعَتْ
جَزَعًا شَدِيدًا وتركت النَّبِيذَ والغِنَاءَ . فلم يزل بها الأَمِينُ حتى عادت فيهما
على كره . والشعر :

صوت

أَطْلَتِ عَادِلَتِي لَوَمِي وَتَفْنِيدِي * وَأَنْتِ جَاهِلَةٌ شَوْقِي وَتَسْهِيدِي
لَا تَشْرَبِ الرَّاحِيقِينَ الْمُسْمِعَاتِ وَزُرْ * ظَنِيًّا غَيْرِيًّا نَقِيَّ الْخَدِّ وَالْحِيدِ
قَدْ رَحَّتْهُ شُمُولٌ فَهُوَ مُنْجَدِلٌ * يَتَحَكَّى بِوَجْهِهِ مَاءَ الْعَنَاقِيدِ
قام الأَمِينُ فَأَغْنَى النَّاسَ كُلَّهُمْ * فَمَا فَقِيرٌ عَلَى حَالٍ بِمَوْجُودِ
لَحْنُ عُلَيَّةَ فِي هَذَا الشَّعْرِ ثَانِي ثَقِيلٌ . وَلَعَرِيبَ فِيهِ هَزَجٌ ، وَقِيلَ إِنَّ الْمَهْزَجَ لِإِبْرَاهِيمَ
ابن المهدى .

٩٥
٩

وقال ميمون بن هارون حدثني محمد بن أبي عون قال حدثتني عَرِيبُ أَنَّ عُلَيَّةَ
قَالَتْ فِي لُبَانَةٍ بَنَتْ أَخِيهَا عَلَى بْنِ الْمَهْدِيِّ شَعْرًا وَغَنَّتْ فِيهِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ :
قَالَتْ شَعْرًا فِي لُبَانَةٍ
بَنَتْ أَخِيهَا عَلَى بْنِ
الْمَهْدِيِّ وَغَنَّتْ فِيهِ

صوت

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَجْلِسِ كُنْتِ زَيْنَةَ * رَسُولُ أَمِينٍ^(٢) وَالنِّسَاءُ شُهُودُ
فَقُلْتُ لَهُ كَرُّ الْحَدِيثِ الَّذِي مَضَى * وَذِكْرُكَ مِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثِ أُرِيدُ
وَقَدْ ذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّ هَذَا اللَّحْنَ لِإِسْحَاقَ غَنَّاهُ بِالرَّقَّةِ . وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ .

(١) في ح : « فقلت لها كرى » . (٢) في ب ، م : « من بين الحديث » .

سميها إسماعيل
ابن الهادي تغني
مستترة عند المأمون
أذهله غناؤها

أخبرني محمد بن يحيى عن عَون بن محمد عن أبي أحمد بن الرّشيد، ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسن عن عَون بن محمد عن أبي أحمد بن الرّشيد واللفظ له قال : دخل يوماً إسماعيل بن الهادي إلى المأمون ، فسمع غناءً أذهله . فقال له المأمون : مالك ؟ قال : قد سمعتُ ما أذهلني ، وكنتُ أكذبُ بأن الأُرغن الرُّوميّ يقتل طرباً ، وقد صدقتُ الآن بذلك . قال : أو لا تدري ما هذا ؟ قال : لا والله ! قال : هذه عمّتك عليّة تُلقِي على عمّك إبراهيم صوتاً من غنائها . إلى هاهنا رواية محمد ابن يحيى . وفي رواية محمد بن الحسن قال : هذه عمّتك تُلقِي على عمّك إبراهيم صوتاً استحسنه من غنائها . فأصغيتُ إليه فإذا هي تُلقِي عليه :

صوت

ليس خطبُ الهوى بخطبِ يسير * ليس يُنْيِكُ عنه مثْلُ حير
ليس أمرُ الهوى يُدَبِّرُ بالرأ * ي ولا بالقياس والتفكير
اللقنُ في هذا لعليّة ثَقِيلٌ أوَّل . وفيه لإبراهيم بن المهديّ ثاني ثَقِيلٌ عن الهشام .

تسوفيت ولها
خمسون سنة ،
وسبب وفاتها

أخبرني بِحُظَّةُ قال حدّثني هبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه :
أَنَّ عَلِيَّةَ بِنْتَ المَهْدِيِّ وُلِدَتْ سَنَةَ سِتِينَ وَمِائَةٍ ، وَتُوفِيَتْ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَتَيْنِ (١)
ولها خمسون سنة . وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله ابن عباس . وأخبرني محمد بن يحيى عن عَون بن محمد قال حدّثني محمد بن عليّ بن عثمان قال : ماتت عليّة سنة تسع ومائتين ، وصَلَّى عليها المأمون . وكان سبب وفاتها أَنَّ المأمون ضمَّها إليه وجعل يقبَلُ رأسها ، وكان وجهها مُعْطًى ، فشرقت من ذلك وسعلت ثم حُجِّتْ بعقب هذا أياماً يسيرةً وماتت .

(١) في الأصول : « ست عشرة ومائتين » والتصويب عن نهاية الارب والنجوم الزاهرة .

وممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن الرشيد

فرن - صنعته :

صوت

قام بقلبي وقعد * ظبي تقي عني الجلد
خلفني مدماً * أهِم في كل بلد
أسهرني ثم رقد * وما رثي لي من كد
ظبي إذا ازددت له * تذلاً تاه وصد
واعطشاً إلى فيم * يمجّ نحرًا من برد

٩٦
٩

- عروضه من مجزوء الرجز. وأنشعر والغناء لأبي عيسى بن الرشيد، ولحنه فيه ثقل أول
مطلق في مجرى الوسطى من رواية عبد الله بن المعتز والهشامي. وذكر الهشامي أن
له أيضاً فيه لحناً من ثقل الرمل، وذكر حبش أن الرمل لحسين بن محرز. وفيه
لأبي العباس بن حمدون خفيف ثقل.

أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه

اسمه أحمد، وقيل بل اسمه صالح بن الرشيد. وهذا النسب أشهر من أن يُشرح. شيء من أوصافه وأمه أم ولدٍ بربرية. وكان من أحسن الناس وجهاً ومجالسةً وعشرةً، وأجملهم وأحدهم نادرةً وأشدّهم عبثاً. وكان يقول شعراً ليناً طيباً من مثله.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال كان جميل الوجه حدثني محمد بن عبيد الله بن طاهر أنه سمع أباه يقول: سمعتُ أبي (يعني طاهر ابن الحسين) يحدث أنه سمع الرشيد يقول للأُمون: أنت تعلم أنك أحب الناس إلى، ولو أستطيع أن أجعل لك وجه أبي عيسى لفعلت.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني مسيح بن حاتم العكلي قال حدثنا إبراهيم بن محمد قال: ١٠

كان يقال: انتهى جمال ولد الخلافة إلى أولاد الرشيد، ومن أولاد الرشيد إلى محمد وأبي عيسى. وكان أبو عيسى إذا عزم على الركوب جلس الناس له حتى يروه أكثر مما يجلسون للخلفاء.

حدثني محمد قال حدثني يعقوب بن بنان قال حدثني علي بن الحسين الإسكافي قال: ١٥ كذت عند أبي الصقر إسماعيل بن بلبل وعنده عريب، فسمعتها تقول: انتهى جمال الرشيد إلى محمد الأمين وأبي عيسى، ما رأى الناس مثلهما، وكان المعتر في طرازهما. قال: وسمعتها تقول لأبي العباس بن حمدون: ما غناؤك من غناء أبي عيسى ابن الرشيد! وما سمعت قط غناء أحسن من غناؤه، ولا رأيت وجهاً أحسن من وجهه.

(١) كذا في ١، ٢. وفي ح: «في غناؤك من غناء أبي عيسى الخ». وفي ب، س: «في غناؤك مشابة من غناء أبي عيسى الخ». ٢٠

مدحت عريب
حسنه وغناه

- أخبرني محمد قال حدثني الغلابي قال حدثنا يعقوب بن جعفر قال . .
 قال الرشيد من
 جواب له في صباه
 وقبله
- قال الرشيد لأبي عيسى آبنه وهو صبي : ليت جمالك لعبد الله (يعني المأمون) .
 فقال له : على أن حظه منك لي . فعجب من جوابه على صباه وضمه إليه وقبله .
- وأخبرني الحسن بن علي وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عبد الله بن
 أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن طاهر عن أبيه قال :
 مخط من رؤية
 هلال شهر رمضان
- حدثني من شهد المأمون ليلة وهم يترأثون هلال شهر رمضان وأبو عيسى
 أخوه معه وهو مستلق على قفاه ، فرأوه وجعلوا يدعون . فقال أبو عيسى قولاً أنكر
 عليه في ذلك المعنى . كأنه كان متسخطاً لورود الشهر ، فما صام بعده .
- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الحسين بن فهم قال : قال أبو عيسى بن الرشيد :
 ١٠ دهاني شهر نصوم لا كان من شهر * وما ضمت شهرًا بعده آخر الدهر
 فلو كان يعديني الإمام بقدره * على الشهر لاستعدت جهدي على الشهر
 فناله بعقب قوله هذا الشعر صرع ، فكان يصرع في اليوم مرات إلى أن مات ، ولم
 يبلغ شهرًا آخر .
- وذكر علي بن الهشامي عن جده آبن حمدون قال : قلت لإبراهيم بن المهدي :
 ١٥ من أحسن الناس غناء ؟ قال : أنا . قلت : ثم من ؟ قال : أبو عيسى بن الرشيد .
 قلت : ثم من ؟ قال : مخارق .
- أخبرني الحسن بن علي قال حدثني آبن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله
 آبن طاهر قال حدثنا محمد بن سعيد أخو غالب الصَّعْدِيُّ^(١) قال :
 ثابت طاهر بن
 الحسين أمام
 المأمون فغضب
 فترضاه
- كان أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الحسين يتغذيان مع المأمون ، فأخذ
 أبو عيسى هندباء^(٢) فغمسها في الخل وضرب بها عين طاهر الصحيحة . فغضب طاهر .
 ٢٠
- (١) هذه النسبة إلى صعدة ، وهي من بلاد اليمن . (٢) الهندباء : صنفان من النبات : أحدهما
 قريب الشبه من الخس عريض الورق ، والآخر أدق وأرق منه وفي طعمه سراة . (انظر مفردات
 ابن البيطار طبعة بلاق ج ٢ ص ١١٨) .

وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِحْدَى عَيْنَيَّ ذَاهِبَةً ، وَالْأُخْرَى عَلَى يَدَيَّ
مَذْلُ ، يُفْعَلُ هَذَا بِي بَيْنَ يَدَيْكَ !! فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : يَا أَبَا الطَّيِّبِ إِنَّهُ وَاللَّهِ لَيَعْبَثُ^(١)
بِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا الْعَبَثِ .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
عَزَّصَ يَعْقُوبُ بْنُ
الْمَهْدِيِّ فَضَحَكَ
الْمَأْمُونُ وَنَهَاهُ

أَبْنِ طَاهِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عِيْسَى بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عِيْسَى بْنُ مَاهَانَ قَالَ :

بَيْنَا الْمَأْمُونُ يَخُطِّبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمَنْبَرِ بِالرَّصَافَةِ وَأَخُوهُ أَبُو عِيْسَى تَلْقَاءَ وَجْهِهِ
فِي الْمَقْصُورَةِ ، إِذْ أَقْبَلَ يَعْقُوبُ بْنُ الْمَهْدِيِّ وَكَانَ أَقْسَى النَّاسِ ، مَعْرُوفًا بِذَلِكَ . فَلَمَّا أَقْبَلَ
وَضَعَ أَبُو عِيْسَى كَفَّهُ عَلَى أَنْفِهِ ، وَفَهِمَ الْمَأْمُونُ مَا أَرَادَ فَكَادَ أَنْ يَضْحَكَ . فَلَمَّا أَنْصَرَفَ
بَعَثَ إِلَى أَبِي عِيْسَى فَأَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ لَهَمَمْتُ أَنْ أَبْطَحَكَ فَأَضْرِبَكَ مِائَةَ دَرَّةٍ !
وَيْلَكَ ! أَرَدْتُ أَنْ تَفْضَحَنِي بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ يَوْمَ جُمُعَةٍ وَأَنَا عَلَى الْمَنْبَرِ ! إِيَّاكَ أَنْ
تَعُودَ لِمِثْلِ هَذِهِ ! . قَالَ : وَكَانَ يَعْقُوبُ بْنُ الْمَهْدِيِّ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُمَسِكَ الْقَسَاءَ إِذَا جَاءَهُ .
فَاتَّخَذَتْ لَهُ دَايَةً مِثْلَةً وَطَيَّبَتْهَا وَتَنَوَّقَتْ فِيهَا . فَلَمَّا وَضَعَتْهَا تَحْتَهُ فَمَّا ، فَقَالَ : هَذِهِ
لَيْسَتْ بِطَيِّبَةٍ . فَقَالَتْ لَهُ الدَّايَةُ : فِدَيْتُكَ ! غِذَهُ قَدْ كَانَتْ طَيِّبَةً وَهِيَ مِثْلَتُهُ ، فَلَمَّا رُبِعَتْهَا
فَسَدَتْ . قَالَ : وَكَانَ يَعْقُوبُ هَذَا مُحَقِّقًا ، كَانَ يَخْطُرُ بِبَالِهِ الشَّيْءُ فَيُشْتَبِهُ فَيُثَبِّتُهُ
فِي إِحْصَاءِ خَزَائِنِهِ . فَضَجَّ خَازِنُهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَكَانَ يُثَبِّتُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُثَبِّتُ تَحْتَهُ أَنَّهُ
لَيْسَ عِنْدَهُ ، وَإِنَّمَا أُثَبِّتَهُ لِيَكُونَ ذِكْرُهُ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ يَمْلِكَهُ . فَوُجِدَ فِي دَفْتَرِهِ فِيهِ^(٢)
تَبَتْ ثِيَابٌ : «تَبَتْ مَا فِي الْخِزَانَةِ مِنَ الثِّيَابِ الْمُنْقَلَةِ الْإِسْكَدْرَانِيَّةِ وَالْهَشَامِيَّةِ ، لِأَشْيَاءِ
— أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ — بَلْ عِنْدَنَا مِنْهَا زُرْحِيَّةٌ كَانَتْ لِلْمَهْدِيِّ . الْفُصُوصُ الْيَاقُوتُ الْأَحْمَرُ
الَّتِي مِنْ حَالِهَا كَذَا وَكَذَا لِأَشْيَاءِ — أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ — بَلْ عِنْدَنَا مِنْهَا دُرٌّ كَانَ فِيهِ

(١) فِي ح ، ب ، س : «معى» . (٢) كَذَا فِي ح . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : «...دَفْعَتْهُ

لَهُ فِيهِ» . (٣) ظَاهِرُ مِنَ السِّيَاقِ أَنَّهَا ضُرِبَ مِنَ الثِّيَابِ ، وَلَمْ تُنْشَرْ عَلَيْهَا فَمَا عَرَفْنَاهُ مِنْ مَقَالَةٍ .

للهدى "خاتم هذه صفته". فحمل ذلك الدفتر الى المأمون ، فضحك لما قرأه
حتى فُصَّ برجله وقال : ما سمعتُ بمثل هذا قط . .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا سليمان بن داود المهلبى قال حدثني الهيثم
ابن محمد بن عباد عن أبيه قال : كان المأمون يحبه
ويغنى أن يلى الأمر
بعده

كان المأمون أشد الناس حبا لأبي عيسى أخيه ، كان يُعده للأمر بعده ، وتذاكرنا
ذلك كثيرا . وسمِعته يقول يوما : إنه ليسهل على أمر الموت وفقد الملك ، وما يسهل
شيء منهما على أحد ، وذلك لحبتي أن يلى أبو عيسى الأمر من بعدى لشدة حُبِّي إياه .

أخبرني محمد بن عيسى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال :
كان سبب موت أبي عيسى بن الرشيد أنه كان يحب صيد الخنازير ، فوقع
عن دابته فلم يسلم دماغه ، فكان يُخَبِّط في اليوم مرات إلى أن مات .

حدثني محمد قال حدثنا أبو العيَّاء قال حدثنا محمد بن عباد المهلبى قال :
لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخلت إلى المأمون وغمامتى على ، فخلعت عمامتى
ونبذتها وراء ظهري — والخلفاء لا تعزى في العمام — ودنوت . فقال لى : يا محمد ،
حال القدر دون الوطر . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كل مصيبة أخطأتك تهون ، فجعل
الله الحزن لك لا عليك .

أخبرنا محمد قال حدثنا عوف بن محمد قال سمعت هبة الله بن إبراهيم يقول :
مات أبو عيسى بن الرشيد سنة تسع ومائتين ، وصلى عليه المأمون ونزل في قبره ،
وأمتنع من الطعام أياما حتى حاف أن يضر ذلك به .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمَّار قال حدثني أبو العيَّاء قال سمعت محمد
ابن عباد يقول : وجد عليه المأمون
وجدا شديدا

لَمَّا تَوَفَّى أَبُو عَيْسَى بْنُ الرَّشِيدِ وَجَدَ الْمَأمُونَ عَلَيْهِ وَجَدًا شَدِيدًا، وَكَانَ لَهُ مُحِبًّا
وَالِيهِ مَائِلًا. فَرَكِبَ إِلَى دَارِهِ حَتَّى حَضَرَ أَمْرَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ، وَحَضَرَهُ النَّاسُ، وَكُنْتُ
فِي مَن حَضَرَ، فَمَا رَأَيْتُ مُصَابًا حَزِينًا قَطُّ أَجْمَلَ أَمْرًا فِي مُصِيبَةٍ وَلَا أَأَحْرَقَ وَجَدًا
مِنْهُ مِنْ رَجُلٍ صَامَتِ تَجْرِي دُمُوعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ مِنْ غَيْرِ كَلْعٍ وَلَا اسْتِنْثَارٍ^(١).

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَعْدٍ الْوَرَّاقُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ :
دَخَلْتُ عَلَى الْمَأمُونَ فِي أَوَّلِ صَحْبَتِي إِيَّاهُ وَقَدْ تَوَفَّى أَخُوهُ أَبُو عَيْسَى وَكَانَ لَهُ مُحِبًّا
وَهُوَ يَبْكِي وَيَمْسَحُ عَيْنَيْهِ بِمَنْدِيلٍ، فَقَعَدْتُ إِلَى جَنْبِ عَمْرُو بْنِ مَسْعَدَةَ وَتَمَثَّلْتُ
قَوْلَ الشَّاعِرِ :

نَقَصُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَسْبَابُهَا * نَقَصُ الْمَنَآيَا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ
وَلَمْ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ سَاعَةَ يَبْكِي، ثُمَّ مَسَحَ عَيْنَيْهِ وَتَمَثَّلَ :

سَابِكُكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغَضَّ * لِحَسْبِكَ مَنَى مَا يُجْنُ الْجَوَانِحُ
كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَتَّى سَوَاكَ وَلَمْ تَنْعُ * عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النُّوَاحِ
ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ : هَيْهَ يَا أَحْمَدُ ! تَمَثَّلْتُ قَوْلَ عَبْدِ بْنِ الطَّيِّبِ :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ * وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَرْحَمَا
نَحِيَّةً مَنْ أَوْلَيْتَهُ مِنْكَ نِعْمَةً * إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطِ بِلَادِكَ سَلَمًا
وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكَ وَاحِدٍ * وَلَكِنَّهُ بَنَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا

فَبَكَى سَاعَةً ثُمَّ التَفَتَ إِلَى عَمْرُو بْنِ مَسْعَدَةَ فَقَالَ : هَيْهَ يَا عَمْرُو ! قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
بَكُّوا حَذِيفَةَ لَمْ تُبَكُّوا مِثْلَهُ * حَتَّى تَعُودَ قِبَائِلُ لَمْ تُخْلَقِ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَالَّذِي فِي كِتَابِ اللَّفَّةِ : كَلَعَ وَجْهَ الرَّجُلِ كَلْعًا وَكَلَاحًا (كَفَرَاب) :

تَكَثَّرَ فِي عُبُوسٍ أَوْ عَيْسٍ فَأَنْرَطَ فِي تَعْبِهِ . وَالْإِسْتِنْثَارُ : إِتْرَاجُ مَا فِي الْأَنْفِ مِنْ أَدَى .

بكاه المأمون وتمثل
شعرا وعزاه فيه
ابن أبي دواد
وعمر بن مسعدة
وناحت عليه عريب

٥

١٠

١٥

٢٠

فإذا عَرِيبٌ وَجَوَارٍ مَعَهَا يَسْمَعَنَّ مَا يَدُورُ بَيْنَنَا، فَقُلْنَا : اجْعَلُوا لَنَا مَعَكُمْ قَوْلًا لِقَوْلِ
نَصِيرٍ^١ . فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُونُ : قُولِي ، فَرُبَّ صَوَابٍ مِنْكَ كَثِيرٌ . فَقَالَتْ :

كَذَا قَلِيلٌ الْخَطْبُ وَلَيْفَدَجِ الْأَمْرُ * وَلَيْسَ لَعِينٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ^(١)

كَأَنَّ بَنِي الْعَبَّاسِ يَوْمَ وَفَاتِهِ * نَجْمٌ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ

فَبَكَى وَبَكَينَا . ثُمَّ قَالَ لَهَا الْمَأْمُونُ : تَوَجَّيْ ، فَنَاحَتْ وَرَدَّ عَلَيْهَا الْجَوَارِيُّ . فَبَكَى الْمَأْمُونُ
حَتَّى قَلَّتْ : قَدْ خَرَجْتُ نَفْسُهُ ، وَبَكَينَا مَعَهُ أَحْرَبَاءُ ، ثُمَّ أَمْسَكَتْ . فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُونُ :
أَصْنَعِي فِيهِ لَحْنًا وَغَنِّي بِهِ . فَصَنَعَتْ فِيهِ لَحْنًا عَلَى مَذْهَبِ النَّوْحِ وَغَنَّتْهُ إِيَّاهُ عَلَى
الْعُودِ . فَوَالَّذِي لَا يُحْلَفُ بِأَجَلٍ مِنْهُ لَقَدْ بَكَينَا عَلَيْهِ غِنَاءً أَكْثَرَمَّا بَكَينَا عَلَيْهِ نَوْحًا .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا الطَّبِيبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَاهِلِيُّ^(٢) قَالَ حَدَّثَنِي مُوسَى

ابْنُ سَعِيدٍ عَنْ أَخِيهِ عَمْرٍو قَالَ :

لَمَّا مَاتَ أَبُو عَيْسَى بْنُ الرَّشِيدِ وَجَدَ عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ وَجَدًا شَدِيدًا حَتَّى أَمْتَنَعَ مِنَ
النَّوْمِ وَلَمْ يَطْعَمْ شَيْئًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو الْعَتَاهِيَّةُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : حَدِّثْنِي : يَا إِسْحَاقُ

بِحَدِيثِ بَعْضِ الْمُلُوكِ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِنَا رَفَارِقَهَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ
مُسْلِمَانِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْفَرَتْ يَابَهُ وَمَسَّ أَطْيَبَ طَابَهُ وَرَكِبَ أَفْرَهَ خَيْلِهِ وَتَقَدَّمَ إِلَى جَمِيعِ
مَنْ مَعَهُ أَنْ يَرْكَبَ فِي مِثْلِ زِيَّهِ وَأَكَلَ سِلَاحَهُ ، وَنَظَرَ فِي مِرْآةٍ فَأَعْجَبَتْهُ هَيْئَتُهُ وَحُسْنُهُ ،

فَقَالَ : أَنَا الْمَلِكُ الشَّابُّ ، ثُمَّ قَالَ لِلْجَارِيَةِ لَهُ : كَيْفَ تَرَيْنَ ؟ فَقَالَتْ :

أَنْتَ نَعِمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى * عَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ

أَنْتَ خَلَوْتَ مِنَ الْعُيُوبِ وَمَا * يَكْرَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَانِي

(١) يلاحظ أن هذا الشعر لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي ، وقد قتل هذا الأمير في حرب كانت

بينه وبين أصحاب بابك الخرمي سنة ٢١٤ هجرية . والمراد هنا أن أبا عيسى بن الرشيد مات سنة ٢٠٩ هجرية ،
فأما هذا . وأصل الشعر « كَانَ بَنِي نَهَانَ » فقير وجعل « كَانَ بَنِي الْعَبَّاسِ » .

(٢) في ب ، س : « الطيب » .

طلب المأمون من
أبي العتاهية أن
يسليه عنه

٩٩
٩

فأعرض بوجهه ، فلم تدُرْ عليه الجمعة إلّا وهو في قبره . قال : فبكي المأمون والناس ،
فما رأيت بأكثَر من ذلك اليوم . قال : وهذان البيتان لموسى شهوات .

ومن غناء أبي عيسى وجيد صنعة ، والشعر له ، وطريقته من الثقيل الثاني مطلق
في مجرى البنصر . وذکر حبش أن فيه لحسين بن محرز أيضا صنعة من خفيف الرمل :

صوت

رَقَدَتْ عَنْكَ سَلَوَتِي * وَالْهَوَى لَيْسَ يَرْقُدُ
وَأَطَارُ السُّهَادُ نَوَى * مَيَّ فَنَوِي مُشْرَدُ
أَنْتَ بِالْحُسْنِ مِنْكَ يَا * حَسَنَ الْوَجْهِ تَشْمَدُ
وَفَوَادِي بِحُسْنِ وَجْهِ * يَهْكُ يَشْقَى وَيَكْدُ

ومن غنائه أيضا وهو من صدور صنعة في شعر الأخطل — ولحنه من الثقيل الأول — :

صوت

إِذَا مَا زِيَادٌ عَلَّنِي ثُمَّ عَلَّنِي * ثَلَاثَ زُجَاجَاتٍ لَهْنٌ هَدِيرُ
نَحْرَجْتُ أَجْرَ الدَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّنِي * عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
وَلَا يَسْحَاقُ فِي هَذَا الشَّعْرِ رَمْلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرُو .

*

وَمَنْ عُرِفَتْ لَهُ صِنْعَةٌ مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْهَادِي
فَمِنْ صِنْعَتِهِ :

صوت

تَقَاضَاكَ دَهْرُكَ مَا أَسْلَفَا * وَكَدَّرَ عَيْشَكَ بَعْدَ الصَّفَا
فَلَا تَجْزَعَنَّ فَإِنَّ الزَّمَانَ * رَهِيْنٌ بِتَشْتِيْتِ مَا أَلْفَا
وَمَا زَالَ قَلْبُكَ مَأْوَى السَّرُورِ * كَثِيرَ الْهَوَى نَاعِمًا مُتَرَفَا
أَلْحَ عَلَيْكَ بِرَوَعَاتِهِ * وَأَقْبَلَ يَرْمِيكَ مُسْتَهْدِفَا

الشعر والغناء لعبد الله بن موسى . ولحنه مأخوذة وهو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى .

أخبرني أحمد بن جعفر بَحْظَة قال حدثني أبو حشيشة قال :

- ب كان عبد الله بن موسى الهادي أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناءً . وكان له غلام أسود يقال له قلم ، فعلمه الصوت وحدقه . فأشترته منه أُم جعفر بثلاثمائة ألف درهم . قال أبو حشيشة فحدثني دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال : كنت أنا وَثِيفُ الخادمِ الأسودِ مولى الفضل بن الربيع نُضَارِبِ مولاى عبد الله بن موسى . وقد أخذ النَّبِيذُ من الجماعة . فضرب عبد الله وَثِيفُ صوتاً فأختلفا فيه وتشابرا . فقال عبد الله : كذا أخذته من منصور زَلَزَل . وقال وَثِيفُ : كذا أخذته منه ، وطال تشابُرهما فيه . وكان وَثِيفُ معرِداً يذهب عقله من أدنى شيء يشربه ، وكان عبد الله أيضاً معرِداً . فغضب وَثِيفُ ورفع العودَ وهو لا يعقل ، فضرب به رأس عبد الله ابن موسى فطوقه إِيَّاهُ . وأبتدر خَدَمُ عبد الله ؛ فقال لهم عبد الله بن موسى : لا تَمْسُوهُ وأخرجوا العودَ من عُنُقِي فأخرجوه . وكان عبد الله بن موسى أشدَّ خلقِ الله عَرَبَةً أيضاً ، فُرِزِقَ في ذلك اليومَ حِلْماً لم يَرِ مثله ، وقال لخدمته : إن قتلته قتلْتُ كَلْباً وتحدث الناس بذلك ، ولكن آخَلَعُوا عليه وهبوا له ولا يدخل منزلي أبداً .

قال بَحْظَة قال أبو حشيشة أخبرني الحَفِصِيُّ المِعْرِفِيُّ قال :

- ١٥ دعاني عبد الله بن موسى يوماً ودعاني أخوه إسماعيل ؛ فأثرت إسماعيل لما كان في عبد الله من العَرَبَةِ . فلم نشعر إلا بعبد الله قد وافانا وقت العصر على بِرْدَوْنٍ أشهب متقلداً سيقاً وهو سكران . فلما رأيناه تطايرنا في الحجر ، فنزل عن دابته وجلس . وجنا إسماعيل بين يديه إجلالاً له ، وقال له : يا سيدي قد سررتني بتفضلك وميصيرك إلى . قال : دَعْنِي من هذا ، مَنْ عندك ؟ قال : فلان وفلان ، فعَدَّ جماعة مَنْ كان عنده . قال له : هاتِهِمْ . فدعا بنا فخرجنا وقد مُتْنَا فَرَعًا . فأقبل عليّ من بينهم فقال لي : يا حَفِصِيُّ ! ٢٠ أبعثُ إليك ثلاثة أيامٍ تَبَاعاً فتدعني وتجيء إلى إسماعيل ! وضرب بيده إلى سيفه ،

اختلف مع ثقيف
الخادم في صوت
فضرب ثقيف
رأسه بالعود فلم
عليه ، وكان معرِداً

١٠٠
٩

دعا الحفصى فآثر
عليه أخاه إسماعيل

فقام إسماعيل بنى وبينه وقال : نَعَمْ ! يَجِئْنِي وَبَدْعُكَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِكَ إِلَّا بِشَجَّةٍ أَوْ عَرَبْدَةٍ مَعَ حِرْمَانٍ ، وَلَا يَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِي إِلَّا بِرَبٍّ مَعَ خَلْعَةٍ وَوَعْدٍ مُحَصَّلٍ ، أَتَلُومُهُ عَلَى ذَلِكَ ! . فَكَفَّ عَبْدُ اللَّهِ وَكَانَ شَدِيدَ الْعَرَبْدَةِ وَقَامَ وَأَنْصَرَفَ .

أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِيهِ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ — وَكَانَ يَكْتُبُ لِأَبِي جَعْفَرٍ — قَالَ :

كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْهَادِي ، فَمَرَّ بِهِ خَادِمٌ لِصَالِحِ بْنِ الرَّشِيدِ . فَقَالَ لَهُ : مَا أَسْمُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : اِسْمِي ”لَا تَسَلْ“ . فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهُ وَحُسْنُ مَنْطِقِهِ فَقَالَ لِي : قُمْ بِنَا حَتَّى تُسَرَّ الْيَوْمَ بِذِكْرِ هَذَا الْبَدْرِ ، فَقُمْتُ مَعَهُ . فَأَنْشَدَنِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ :

وَشَادِنٍ مَرَّ بِنَا * يَجْرَحُ بِاللَّحْظِ الْمُقْلَ

مَظْلُومٍ خَصِيرٍ ظَالِمٍ * مِنْهُ إِذَا يَمْشِي الْكَفْلُ

اعْتَدَلْتُ قَامُتُهُ * وَاللَّحْظُ مِنْهُ مَا عَدَلُ

بَدْرٌ تَرَاهُ أَبَدًا * طَالَعَ سَعِيدٌ مَا أَفْلُ

سَأَلْتُهُ عَنْ أَسْمِهِ ۖ فَقَالَ لِي اِسْمِي ”لَا تَسَلْ“

وَأُطْلِعْتَ فِي وَجْتِي * لَهُ وَرَدَتَانِ مِنْ نَجْلِ

فَقُلْتُ مَا أَخْطَأَ مِنْ * سَمَّاكَ بَلْ قَالَ الْمَثَلُ

لَا تَسْأَلُنْ عَنْ شَادِنٍ * فَاقْ بِجَمَالٍ وَكَمَلُ

قَالَ : وَقَالَ فِيهِ — وَقَدْ قِيلَ لِمَنَّهُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ — :

عَمَّ الَّذِي نَهَوَى وَذَلَّ * صَبَّ الْفُؤَادِ مُحْتَبَلُ

لَجَّ بِهِ الْهَجَرُ وَذَا الـ * هَجَرٌ إِذَا لَجَّ قَتْلُ

مِنْ شَادِنٍ مُتَّطِقٍ * فَاقْ بِجَمَالٍ وَكَمَلُ

تَنَاصَفَ الْحُسْنُ بِهِ * فَلَا تَسَلْ عَنْ ”لَا تَسَلْ“

وقال حدثني محمد بن أحمد المكي عن أبيه قال :

دعاني عبد الله بن موسى يوماً فقال لي : أتعلم غلاماً ضارباً مغنياً قيمةً عدل
لا حيف فيه على البائع ولا على المشتري ؟ فقلت نعم . فأخرج إلى أبيه القاسم
وكنث قد عرفته ، وهو أحسن من القمر ليلة البدر ، فأخذ عوداً فضرب ، فأكبث
على يديه أقبلهما . فقال لي عبد الله : أتقبل يد غلام مملوك ! قلت : بأبي وأمي
هو من مملوك ! وقبثت رجلاه أيضاً . فقال : أما إذ عرفته فأحب أن تضاربه ، ففعلت ،
فلما رأى الغلام زيادتي عليه في الضرب آغم وأقبل على أبيه فقال له كالمعتذر من
ذنبه : أنا متلذذٌ وهذا متكسب . فضجحت وقلت : هو ذاك ياسيدي . وعجبت
من حدة جوابه معتذراً على صغريته .

كان له ابن جيد
الضرب وطلب إلى
المكي أن يقومه
مهما أنه مملوك

أخبرني الصولي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال :

كان عبد الله بن موسى جواداً كريماً ممدحاً ، وفيه يقول الشاعر — وفيه لعلويه
لحن من خفيف الثقل الأول بالنصر — :

كان كريماً ممدحاً

صوت

أعبد الله أنت لنا أمير * وأنت من الزمان لنا مجير
حكيت أباك موسى في العطايا * إمام الناس والملك الكبير
قال محمد بن يحيى والعتابي : ولعبد الله بن موسى غناء في قول عمر بن أبي ربيعة

غنى بشعر لعمر بن
أبي ربيعة

صوت

إني أسماء أرسلت * وأخوال الشوق مرسل
أرسلت تستريري * وتهدى وتعذل
ولحنه فيه رمل . قال : وفيه لابن سريج والغريض ومالك الحان .

٢٠

عبد الله بن موسى الهادي
نحوه ثم سمى فأت

أخبرني علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال حدثني أبو سعيد
السكري عن محمد بن حبيب قال :

كان عبد الله بن موسى الهادي معرباً ، وكان قد أحفظ المأمون^(١) مما يعرف
عليه إذا شرب معه ، فأمر بأن يُحبس في منزله فلا يخرج منه ؛ وأُقعد على باب حرساً .
ثم تذاً من ذلك فأظهر له الرضا وصرف الحرس عن بابه ، ثم نادى فعرّب عليه
أيضاً وكلّمه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مغرباً بالصيد ، فأمر المأمون خادماً من
خواص خدمه يقال له "حسين" فسّمه في درّاج وهو بمروى أباد ، فدعا عبد الله^(٢)
بالعشاء ، فأتاه حسين بذلك الدّراج فأكله . فلما أحسّ بالسمّ ركب في الليل
وقال لأصحابه : هو آخر ماتروني . قال : وأكل معه من الدّراج خادمان ، فأما أحدهما
فمات من وقته ، وأما الآخر فبقى مدّة ثم مات ، ومات عبد الله بعد أيام .

✱ ✱

١٠٢
٩

وممن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن محمد الأمين

فمن مشهور صنعته :

ألا يا دير حنظلة المفدى * لقد أورثتني سقماً وكداً^(٣)

أزف من العقار إليك دنا^(٤) * وأجعل تحت الورق المندي

الشعر والغناء لعبد الله بن محمد الأمين ، أخبرني بذلك محمد بن يحيى الصولي عن
عبد الله بن المعتز وله فيه لحنان خفيف رمل وخفيف ثقيل . وفيه لعبد الله بن
موسى الهادي رمل . وفيه ثاني ثقيل ، وذكر حبش — وهو ممن لا يُحصل قوله —
أنه لحنين ، ولم يصح عندنا من صانعه .

(١) في ج : « وكان قد أعضل بالمأمون » أي أعياه أمره وضاق به الحيل فيه .

(٢) لم تقف على هذا الموضع . (٣) سيذكر المؤلف هذا الديرق في ص ٢٠٠ — ٢٠١

من هذا الجزء . (٤) في أ ، م ، ح : « زفا » بالفاء وهي مصحفة عن « زفا » بالفاء .

أخبار عبد الله بن محمد ونسبه

عبد الله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وأمُّ عبد الله بن محمد أمُّ ولَد، وكان ظريفاً غزيراً يقول شعراً كثيراً ويصنع صنعةً صالحةً. وأمُّ محمد الأمين زُبَيْدَةُ بنتُ جعفر بن المنصور. وزبيدة لقبٌ غلب عليها، وأسمها أمة العزيز. وكان المنصور يرقصها وهي صغيرة - وكانت سميكة حسنة البدن - فيقول لها: يا زبيدة يا زبيدة، فغلب عليها ذلك.

نسبه

أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال :

كانت بين عبد الله بن محمد الأمين وبين أبي نهشل بن حميد مودة . فاعترض عبد الله جاريةً مغنيةً لبعض نساء بني هاشم وأعطى بها مالاً عظيماً . فعرفت منه رغبةً فيها فزادت عليه في السَّوَم ، فتركها ليكرههم . فجاء أخ لأبي نهشل بن حميد فأشترها وزاد . فتبعها نفس عبد الله ، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النزول له عندها ، فسأله ذلك فومده ودافعه . فكتب عبد الله إلى أبي نهشل :

كان صديقا لأبي نهشل فأحب جارية اشترها أخوه فكتب له شعرا فأخذها له منه

يَا بَنَ حَمِيدٍ يَا أَبَا نَهْشَلٍ * مِفْتَاحَ بَابِ الْحَدِيثِ الْمُقْفَلِ
يَا أَكْرَمَ النَّاسِ وَدَادًا وَأَرْ * عَاهِمَ لِحَقِّ ضَائِعِ مُهْمَلِ
أَحْسَنْتَ فِي وَدَى وَأَجَمَلْتَ بِل * جُرْتَ فِعَالِ الْحُسَيْنِ الْمُجْمَلِ
يَتُّكَ فِي ذِي يَمَنِ شَاخٌ * تَقْصُرُ عَنْهُ قُتَّتَا يَدْبَلِ^(١)
خَلَقْتَ فِينَا حَاتِمًا دَا النَّدَى * وَجُدْتَ جَوْدَ الْعَارِضِ الْمُسِيلِ
أَيُّ أَخٍ أَنْتَ لِذِي وَحْدَةٍ * تَرْكُتَهُ بِالْعِزِّ فِي بَحْفَلِ

نجومُ حَفَى مِنْكَ مَسْعُودَةٌ * فَيَا أَرْجَى لَسَنَ بِالْأَفْلِ
فَصَدَّقِ الظَّنَّ بِمَا قَلَبَهُ * وَسَهِّلِ الْأَمْرَ بِهِ يَسْهَلِ
لَا تَحْرِمْ نِيَّ وَلَدَيْكَ الْمُتَى * بِاللَّهِ صَيْدَ الرَّشَاءِ الْأَحْلِ
رُمِيتُ مِنْهُ بِسِهَامِ الْهَوَى * وَمَا دَرَى بِالرُّمِيِّ فِي مَقْتَلِ
أَدْنَيْتَنِي بِالْوَعْدِ فِي صَيْدِهِ * إِذْ نَاءَ عَطْشَانٍ مِنَ الْمَنْهَلِ
ثُمَّ تَنَاسَيْتُ وَأَسْكَمْتَنِي * إِلَى مِطَالٍ مُوَحِّشِ الْمَنْزِلِ
تَرَكْتَنِي فِي لُحْيَةٍ عَائِمًا * لَا أَعْرِفُ الْمُدِيرَ مِنْ مُقِيلِ
صَرَحَ بِأَمْرِي وَاضِحَ بَيْنٍ * لَا خَيْرَ فِي ذِي لَبْسٍ مُشْكِلِ

١٠٣
٩

قال : فلم يزل أبو نهشلٍ بأخيه حتى نزل له عنها .

وأخبرني الصُّوْلِيُّ أيضًا بغير إسناد، ووجدتُ هذا الخبر في كتابٍ لمحمد
ابن الحسن الكاتب يرويه عن أبي حسان الفَرَّارِيِّ قال :

خرج الى ضيقه
وتكاتب هو ونديمه
أبو نهشل بشعر

كَانَ أَبُو نَهْشَلٍ بْنُ حَمِيدٍ صَدِيقًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ وَنَدِيمًا لَهُ . وَكَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ
صَبِغَةٌ بِالْأَسْوَادِ تُعْرَفُ بِالْعَمْرِيَّةِ ، فَفَرَّجَ إِلَيْهَا وَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا . فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو نَهْشَلٍ :
سَقَى اللَّهُ بِالْعَمْرِيَّةِ الْغَيْثَ مَازِلًا * حَلَلَتْ بِهِ يَا مُؤْنِسِي وَأَمِيرِي .
فَأَنْتَ الَّذِي لَا يَخْلُقُ الدَّهْرَ ذِكْرُهُ * وَأَنْتَ أَخِي حَقًّا وَأَنْتَ سِرُّوْرِي
فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ :

لَئِنْ كُنْتُ بِالْعَمْرِيَّةِ الْيَوْمَ لَاهِيًا * فَإِنَّ هَوَاكُمَ حَيْثُ كُنْتُ ضَمِيرِي
فَلَا تَحْسِبْنِي فِي هَوَاكُمَ مُقَصِّرًا * وَكُنْ شَافِعِي مِنْ مُخْطَطِكُمْ وَمُجِيرِي

قال محمد بن الحسن في خبره : وصنع عبد الله في هذه الأبيات الأربعة لحنا، وصنع
فيها سليم بن سلام لحنا آخر .

(١) في ح : « ما الرى » . (٢) حرك لضرورة الشعر . (٣) في الأصول : « فيه » .

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال :
كان عبد الله بن محمد الأمين ينادم الواصل ثم نادى بعده سائر الخلفاء إلى المعتد .
قال : وأنشدني له في المعتد :

نادم الواصل
والخلفاء من بعده
إلى المعتد ،
وشعر له فيه

رَأَيْتُ الْهَلَالَ عَلَى وَجْهِكَ * فَارْتَدْتُ أَدْعُو إِلَهِي لَكَ
فَلَا زِلَّاتٍ تَحْيَا وَأَحْيَا مَعًا * وَأَمْنِي اللَّهُ مِنْ فَقْدِكَ
قال : ومن شعره — وله فيه لحن من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل — :

صوت

يَا مَنْ بِكُلِّ خَلْقٍ * تَرَاهُ صَبَابًا مُتَمِّمًا
وَمَنْ تَجَالَلَ تَيْبًا * فَبِهِ تَرَاهُ يُكَلِّمُ
لَا شَيْءَ أَعْجَبُ عِنْدِي * مِمَّنْ يَرَاكَ فَيَسَلِّمُ

فأما دير حنظلة الذي ذكره في شعره وفيه الغناء المذكور من صناعته متقدما ،
فإنه دير بالجزيرة . أخبرني بخبره هاشم بن محمد أبو دلف الخزازي قال حدثنا الرباشي
قال أنشدني أبو المحلح لحنظلة بن أبي عفراء أحد بني حبة الطائيين وهم رهط
أبي زبيد ورهط إياس بن قبيصة :
(١) (٢)

ومهما يكن رَيْبُ الزَّمانِ فَإِنِّي * أَرَى قَرَّ اللَّيْلِ الْمُغْرَبِ كَالْفَتَى
يَهْلُ صَغِيرًا ثُمَّ يَعْظُمُ ضَوْؤُهُ * وَصُورُهُ حَتَّى إِذَا مَا هُوَ أَسْتَوَى
تَقَارِبُ يَنْجُو ضَوْؤُهُ وَشُعَاعُهُ * وَيَمْصَحُ (٣) حَتَّى يَسْتَسِرَّ فَلَا يُرَى

(١) هو حرملة بن المنذر بن معد يكرب الطائي ، كان نصرانيا وهو من أدرك الجاهلية والإسلام .

(٢) انظر ترجمته في الأغاني ج ١١ ص ٢٤ طبع بلاق . (٣) كان واليا لكسرى على الحيرة بعد

قتله النعمان بن المنذر . (انظر تاريخ ابن الأثير ج ١ ص ٣٥٦ — ٣٦٩) . (٣) مصحح : ٢٠ ذهب وانقطع .

كذلك زَيْدُ الْمَرْءِ ثُمَّ أَنْتَقَصُوه * وَتَكَرَّرُ فِي دَهْرِهِ بَعْدَ مَا مَضَى^(١)
تُصَبِّحُ أَهْلَ الدَّارِ وَالْدَّارُ زِينَةً * وَتَأْتِي الْجِبَالَ مِنْ شَمَارِيجِهَا الْعُلَا^(٢)
فَلَا ذَا غِنَى يُرِجَّتَنَ عَنْ فَضْلِ مَالِهِ * وَإِنْ قَالَ أُخْرِنِي وَخُذْ رِشْوَةً أَبَى^(٣)
وَلَا عَنْ فَقِيرٍ يَأْتِيحُونَ لِقَعْرِهِ * فَتَنْفَعَهُ الشُّكُوى إِلَيْهِ إِنْ شَكَّى
قال : وَكَانَ حَنْظَلَةُ هَذَا قَدْ تَعَبَّدَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَتَفَكَّرَ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ وَتَنَصَّرَ وَبَنَى دَيْرًا^{١٠٤}
بِالْحِزْبَةِ ؛ فَهُوَ الْآنَ يُعْرَفُ بِهِ يَقَالُ لَهُ دَيْرُ حَنْظَلَةَ . وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ
يَا دَيْرَ حَنْظَلَةَ الْمَهْيِجِ لِي الْمَوَى * قَدْ تَسْتَطِيعُ دَوَاءَ عَشْقِ الْعَاشِقِ



وَمِنْ صَنَعَ مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ أَبُو عَيْسَى بْنُ الْمُتَوَكِّلِ

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ جَمَعَ لَهُ صِنْعَةً مَقْدَارُهَا أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ صَوْتٍ ، مِنْهَا الْجَيِّدُ^{١٠}
الصَّنْعَةُ وَفِيهَا الْمُتَوَسُّطُ ، قَدْ سَمِعْنَا كَثِيرًا مِنْهَا ؛ إِلَّا أَنِّي أَذْكَرُ مِنْ ذَلِكَ بِهَا عَرَفْتُ شَاعِرَهُ
وَكَانَ لَهُ خَبْرٌ يَتَّصِلُ بِهِ حَسَبَ مَا شَرَطْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَضَمَّنَاهُ إِيَّاهُ مِنَ الْأَخْبَارِ ،
ثُمَّ أَذْكَرُ أَخْبَارَ أَبِي عَيْسَى بَعْدَ ذَلِكَ

قال ابن المعتز حدثني النعماني قال سمعت أبا عيسى بن المتوكل يقول : إذا أتممتُ^{١٥}
صِنْعَةَ ثَلَاثَةِ صَوْتٍ وَسَتِينَ صَوْتًا عَدَدَ أَيَّامِ السَّنَةِ تَرَكْتُ الصَّنْعَةَ ، فَلَمَّا صَنَعْتُهَا تَرَكْتُ
الصَّنْعَةَ . فَمِنْهَا — وَهُوَ لَعَمْرِي مِنْ جَيِّدِ الْغِنَاءِ وَفَاخِرِ الصَّنْعَةِ ، وَلَوْ لَمْ يَصْنَعْ غَيْرَهُ
لَكَفَاهُ — فِي شِعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

(١) فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : « فِي إِثَرِهِ » . (٢) فِي الْأَصُولِ : « وَبَيْتٌ » وَالتَّصْوِيبُ عَنْ
مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ . (٣) يَلَاظِحُ أَنَّ الضَّائِرَ فِي هَذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي بَعْدَهُ مُتَابِيَةٌ ، وَالْمُرَادُ بِهَا وَاحِدٌ
هُوَ الْمَوْتُ ، فَإِذَا كَانَ ضَمِيرُ جَمْعٍ فَالْمُرَادُ الْمُنَابَا . ٢٠

صوت

يَضْطَرِبُ الخَوْفُ والرجاءُ إذا * حَرَّكَ موسى القُضيبَ أو فَكَّرَ
ولحنه من الثَّقِيلِ الأول . والشعرُ لأبي العتاهية، وقد مَضَتْ أخبارُه؛ وإنما قَدِمْتُ
ذِكْرَهِ بِجُودَةِ صِنْعَتِهِ وأنه شُبِّهَ فِيهِ بِصِنْعَةِ الفَحُولِ ومُحْكَمِ أَغَانِي الأوائل .

ومنها :

صوت

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحْمَلُ * وللدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وتَعْدِلُ
وعاقِبَةُ الصَّبْرِ الجَمِيلِ جَمِيلَةٌ * وأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّجَمُّلُ
الشعرُ لعلِّي بن الجهم . والغناء لأبي عيسى بن المتوكل ، ثانی ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى .

أخبار علي بن الجهم ونسبه

هو علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كراز بن كعب
 ابن مالك بن عيينة بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لؤي^(١)
 ابن غالب . هكذا يدعون ، وقريش تدفعهم عن النسب وتسميهم بنى ناجية ،
 ينسبون إلى أمهم ناجية ، وهي امرأة سامة بن لؤي . وكان سامة ، فيما يقال ، خرج
 إلى ناحية البحر بن مغاضباً لأخيه كعب بن لؤي في مماتة كانت بينهما ، فطاطات
 ناقته رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العشب ، فعلق بمشقرها أفعى فعطفته على قنبا
 فحكته به ، فدب الأفعى على القتب حتى نهش ساق سامة فقتله . فقال أخوه يرثيه :
 عين جودي لسامة بن لؤي * علق ساق سامة العلاقة^(٢)
 رب كاس هرقها ابن لؤي * حذر الموت لم تكن مهورقه

نسبه ونسب قبيلته
 بنى سامة

وقال من يدفع بنى سامة من نسابي قريش : وكانت معه امرأته ناجية . فلما مات
 تزوجت رجلاً من أهل البحرين فولدت منه الحارث ، ومات أبوه وهو صغير . فلما
 ترعرع طمعت أمه في أن تلحقه بقريش ، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤي . فرحل

(١) في ابن خلكان : « بن كعب بن جابر بن مالك » . (٢) في ابن خلكان : « عتبة » .

(٣) في ابن خلكان : « ... ابن الحارث بن قطن بن خديج بن قطن بن أحم بن ذهل بن عمرو بن مالك
 بن عبيدة بن الحارث بن سامة ... الخ » . (٤) المماثلة : المخاصمة والمنازعة . (٥) ورد في لسان
 العرب (في مادة « فوق ») أن امرأة رجل من الأزد هي التي قالت هذا الشعر ترثيه وكان سامة نزل على زوجها
 ضيقاً . فلما أصبح قعد يستن ، فنظرت إليه زوجة الأزد فأهجم . فلما رى سواكه أخذتها فصبتها .
 فنظر إليها زوجها ، فلب ناقة وجعل في حلابها مما وقده إلى سامة ، فغمزته المرأة ففراق اللين وخرج يسير .
 فيينا كان في موضع يقال له جوف الخيلة نهش أفعى ، كما جاء في الأصل . وانظر بقية هذا الشعر في لسان
 العرب . (٦) العلاقة : في الأصل المنية . ويريد بها هنا الحية .

(١) من البحرين إلى عمه كعب وأخبره أنه ابن أخيه سامة . فعرف كعب أمه وظنه صادقا في دعواه . ومكث عنده مدة ، حتى قدم مكة ركب من أهل البحرين ، فرأوا الحارث فسأموا عليه وحادثوه ساعة . فسألهم عنه كعب بن لؤي ومن أين يعرفونه ، فقالوا له : هذا ابن رجل من أهل بلدنا يقال له فلان ، وشرحوا له خبره . فنفاه كعب ونفى أمه ، فرجعا إلى البحرين فكانا هناك ، وتزوج الحارث وأعقب هذا العقب .
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « دُعِيَ سَامَةُ لَمْ يُعَقِّبْ » . وكان بنوناجية آرتدوا عن الإسلام . ولما ولي علي بن أبي طالب رضى الله عنه الخلافة دعاهم إلى الإسلام ؛ فأسلم بعضهم وأقام الباقون على الوعدة فسباهم وأسترقهم ؛ فاشتراهم مصقلة ابن هبيرة منه وأدى ثلث ثمنهم وأشهد بالباقي على نفسه ، ثم أعتقهم وهرب من تحت يديه إلى معاوية ، فصاروا أحرارا ، ولزمه الثمن ، فشعث علي بن أبي طالب شيئا من داره ، وقيل بل هدمها . فلم يدخل مصقلة الكوفة حتى قُتِل علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

وزعم ابن الكلبي : أن سامة بن لؤي ونكد غالب بن سامة وأمهم ناجية ، ثم هلك سامة خلف عليها ابنه الحارث بن سامة ، ثم هلك ابن سامة ولم يعقب ، وأن قوما من بنى ناجية بذت جرم بن ربان علاف أدعوا أنهم بنو سامة بن لؤي ، وأن أمهم ناجية

(١) في الأصول : « من أهل البحرين » . (٢) انظر هذه القصة مفصلة في الطبرى

ق ١ ص ٣٤٣٩ — ٣٤٤٢ (٣) يريد أنه نقض بعضها منا .

(٤) في ٣٠١ : « ثم هلك ابن سامة ولم يعقب » . (٥) في الأصول هنا : « ابن جرم » .

(٦) ربان علاف : بالراء المهملة المفتوحة والباء الموحدة المشددة ، وليس في العرب غيره ، ومن

سواه فبالزاي المعجمة . وقد ورد هذا الاسم في الأصول محرفا بصورتي ، وفي أكثرها زيادة « ابن » .
بين ربان وعلاف ، وهما لشخص واحد ، كما ذكر ذلك المؤلف في الصفحة التالية . (راجع القاموس وشرحه في مانتق ربان وعلاف) .

هذه ونسبوها هذا النسب، وأتمموا إلى الحارث بن سامة وهم الذين باعهم علي بن أبي طالب إلى مضقلة . قال : ودليل ذلك وأن هؤلاء بنو ناجية بنت جرم قول طليعة الخصى التميمي أحد بني ربيعة بن مالك :

زعمتم أن ناجي بنت جرم * عجوز بعد ما بلي السنام
فإن كانت كذلك فاليسوها * فإن الحلي للأثني تمام

وهذا أيضا قول الهيثم بن عدي . فأما الزبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش وقال : هم قريش العازبة . وإنما سُموا العازبة لأنهم عَزَبُوا عن قومهم فَنُسِبُوا إلى أُمِّهم ناجية بنت جرم بن ربان وهو عَلاف ، وهو أول من اتخذ الرِّحَالِ العِلافِيَّةَ فَنُسِبَتْ إليه . وأسم ناجية ليلي ؛ وإنما سُميت ناجية لأنها سارت في مَقَاذِيرٍ معه فَعَطِشَتْ فَاسْتَسْقَتْ ماء ، فقال لها : الماء بين يديك ، وهو يريها السَّراب ، حتى جاءت الماء فشربت وسميت ناجية . وللزبير في إدخالهم في قريش مذهب وهو مخالفة فعل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وميله إليهم لإجماعهم على بُغْضِهِ رضي الله عنه ، حسب المشهور المأثور من مذهب الزبير في ذلك .

وكان علي بن الجهم شاعرا فصيحاً مطبوعاً ؛ وخصَّ بالمتوكل حتى صار من جلسائه ، ثم أبغضه لأنه كان كثير السَّعاية إليه بُدْمَائِهِ والذِّكْرَ لهم بالقبيح عنده ، وإذا خلا به عرَّفه أنهم يعيبونه ويثلبونه وينقصونه ، فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة ، فنفاه بعد أن حبسه مدة . وأخباره تُذكر على شريح بعد هذا . وكان ينحو نحو مروان بن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب وذمهم والإغراء بهم وهجاء الشيعة ، وهو القائل :

ورافضة تقول بشعب رضوى * إمام ، خاب ذلك من إمام
إمام من له عشرون ألفا * من الأتراك مُشْرِعة السهام

كان شاعرا فصيحاً
اختص بالمتوكل
وهجا عليا وشيعته

١٥

٢٠

وفيه يقول البُحرى :

إذا ما حُصِّلَتْ عَلَيَا قُرَيْش * فلا في العير أنت ولا النفير
وما رُغِّتَاؤُكَ الْجَهْمُ^(١) بِنُ بَدْرِ * من الأفار ثم ولا البدور^(٢)
ولو أعطاك ربك ما تَمَنَّى * لزاد الخلق في عِظَمِ الأيُور
عَلَامَ هَجَوْتَ مَجْتَهِدًا عَلَيَا * بما لَفَقْتَ من كَذِبٍ وزُور
أما لك في آسَتِكَ الوجعَاءِ شُغْلٌ * يَكُفُّكَ عن أذى أهل القبور

وسمعه أبو العيْناء يومًا يطعن على علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال له :
أنا أدري لم تطعن على علي أمير المؤمنين : فقال له : أتعني قصّة بَيْعِهِ أَهْلِي من
مَصْقَلَةِ بن هُبَيْرَة ؟ قال : لا ! أنت أوضع من ذلك ، ولكن لأنه قتل الفاعل ففعل
قوم لوط والمفعول به ، وأنت أسفلهما .

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الهشامى قال :

كان علي بن الجهم قد هجا بختيشوع^(٣) ، فسبّه عند المتوكل فحبسه المتوكل . فقال
علي بن الجهم في حبسه عدّة قصائد كتب بها الى المتوكل فأطلقه بعد سنة ، ثم نفاه
بعد ذلك الى نُرَاسان . فقال أوّل ما حُسِّسَ تحصيله كتب بها الى أخيه ، أوّلها قوله :

هجا بختيشوع فسبه
عند المتوكل فحبسه
سنة ثم نفاه وقال
في ذلك شعرا

تَوَكَّلْنَا على رَبِّ السماء * وسألنا لأسباب القضاء

ووطَّئْنَا على غَيْرِ اللِّيَالِي * نفوسًا ساحت بعد الإباء

وَأَفْنَيْتُ المُلُوكَ مَحْجَبَاتٌ * وبابُ الله مَبْذُولُ الفناء

(١) الرغناء : أصلها عصب أو عرق في الثدي يدر اللبن . واستعملها البُحرى هنا في الأب .

(٢) في ديوان البُحرى طبع مطبعة الجوائب :

ولو أعطاك ربك ما تَمَنَّى * عليه ل زاد في غلظ الأيُور

(٣) هو بختيشوع بن جبريل بن بختيشوع الأكبر المتطبب . (انظر الطبرى ق ٣ ص ٦٦٧ ،

١٤٣٧ ، ١٤٤٧ ، ١٧٩٠) .

هي الأيام تَكُنُّنا وتأسو * وتأتي بالسعادة والشقاء
وما يُجِدِي الثراء على غني * إذا ما كان محظور العطاء
حلبنا الدهر أشطره ومررت * بنا عقب الشدائد والرخاء
وجربنا وجرب أولونا * فلا شيء أعز من الوفاء
ولم ندع الحياء لمس ضرر * وبعض الضر يذهب بالحياء
ولم نحزن على دنيا بولت * ولم نسبق إلى حسن العزاء
توق الناس يا بن أبي وأمي * فهم تبع المخافة والرجاء
ولا يغررك من وغد إخاء * لأمر ما غدا حسن الإخاء
ألم ترمظهرين على عيبنا * وهم بالأمس إخوان الصفاء
فلما أن يليت غموا وراحوا * على أشد أسباب البلاء
أبت أخطارهم أن ينصروني * بمال أو يجاه أو ثراء
وخافوا أن يقال لهم خذلتكم * صديقاً فآذعوا قدم الحفاء
تصافرت الروافض والنصارى * وأهل الاعتزال على هجائي

— يعني بأهل الاعتزال علي بن يحيى المنجم وقد كان بلغه عنه ذكر له : —

وطابوني وما ذنبي إليهم * سوى علمي بأولاد الزناء
فبختيشوع يشهد لابن عمرو * وعزوت لهارون المرائي
وما الجذماء بنت أبي سمير * يجذماء اللسان عن الخناء
إذا ما عتد مثلكم رجالاً * فما فضل الرجال على النساء
عليكم لعنة الله ابتداء * وعوداً في الصباح وفي المساء

(١) العقب : جمع عقبه وهي النوبة . (٢) كذا في ح . وفي سائر الأصول : « عبا »

وهو تصحيف .

إِذَا سُمِّيْتُمْ لِلنَّاسِ قَالُوا * أُولَئِكَ شَرٌّ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ
أَنَا الْمُتَوَكِّلُ هَوَى وَرَأْيَا * وَمَا بِالْوَأْتِقَةِ مِنْ خَفَاءِ
وَمَا حَبَسُ الْخَلِيفَةِ لِي بَعَارٍ * وَلَيْسَ بِمُؤَيَّسٍ مِنْهُ التَّنَائِي

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال قال لي أبو الشَّبل البرُّجُمي : ما شعر على
(١)
ابن الجهم في الحبس بدون شعر عدي بن زينة :

قال أبو الشَّبل
شعره في الحبس
كشعر عدي بن زيد

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال :

حبسه المتوكل
بسعاية جلسائه
ونفاه إلى خراسان
فعذبه طاهر بن
عبد الله فقال شعرا

كَانَ سَبَبُ حَبْسِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى بَنِ الْجَهْمِ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْجُلَسَاءِ سَعَوْا بِهِ إِلَيْهِ
وَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ يَجْمَشُ الْخَدَمَ وَيَغْرِزُهُمْ ، وَلَئِنَّهُ كَثِيرُ الطَّعْنِ عَلَيْكَ وَالْعَيْبِ لَكَ وَالْإِزْرَاءِ
عَلَى أَخْلَاقِكَ ؛ وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يُوْغِرُونَ صَدْرَهُ قَلِيلَهُ حَتَّى حَبَسَهُ ؛ ثُمَّ أبلغوه عنه أنه
هجاه . فنفاه إلى خراسان وكتب بأن يُصَلَّبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ . فلما وصل إلى
الشاذيَاخَ حَبَسَهُ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ بِهَا ، ثُمَّ أُخْرِجَ فَصَلَّبَ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ
(٢)
مَجْرَدًا ثُمَّ أُنْزِلَ . فقال في ذلك :

لَمْ يَنْصَبُوا بِالشَّاذِيَاخِ عَشِيَّةَ الْإِثْنَيْنِ مَسْبُوقًا وَلَا مَجْهُولًا
نَصَبُوا بِمُحَمَّدِ اللَّهِ مِلءَ قُلُوبِهِمْ * شَرْفًا وَمِلءَ صُدُورِهِمْ تَبْجِيلًا
مَا أَزْدَادَ إِلَّا رَفْعَةً بِنُكُولِهِ * وَأَزْدَادَاتِ الْأَعْدَاءِ عَنْهُ نُكُولًا
هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْثَ فَارِقَ غَيْلَةٍ * فَرَأَيْتَهُ فِي تَجَمُّلٍ مَحْمُولًا

(١) عدي بن زيد الشاعر حبسه النعمان ، وله شعر في حبسه . (انظر ترجمته في الجزء الثاني ص ٩٧)
وما بعدها من هذه الطبعة) . (٢) يجمش الخدم : يلاعهم ويقرصهم . (٣) الشاذيَاخ :
من ضواحي نيسابور أم بلاد خراسان ، وكانت قديمًا بستانًا لعبد الله بن طاهر بن الحسين ملاصقا بمدينة
نيسابور ، فبقي فيه دارا له ، ثم أمر الجنيد بالبناء حوله فعمرت حتى اتصل بناؤها ببناء نيسابور وصارت
من جملة محالها . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) يريد بنكوله الأولى التثنية به ، وبالثانية
الفرار عنه والاحجام . و يلاحظ في الأولى أنه يقال : نكل به تنكيلا ونكل به تخفف والاسم النكال بالفتح .

لا يأمن الأعداء من شداته * شداً يفصل هامهم تفصيلاً
ما عابه أن بُزَّ عنه لباسه * فالسيف أهول ما يرى مسلولا
إن يُتَدَلَّ فالبدْر لا يُزرى به * أن كان ليلة تمه مبدولا
أو يسلبوه المال يُخزِنُ فقدُه * ضيقاً أَلَمَ وطارقاً وتزيباً
أو يحبسوه فليس يُحبس سائراً * من شعره يدعُ العزير ذليلاً
إكَّ المصائب ما تعلت دينه * نعم وإن صعبت عليه قليباً
والله ليس بغافل عن أمره * وكفى بربك ناصراً ووكيلاً
ولتعلن إذا القلوبُ تكشفت * عنها الأكنة من أضل سبيلاً

كتب المتوكل
لظاهر باطلاته
فأطلقه فقال شعراً

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

كتب المتوكل إلى طاهر بن عبد الله بإطلاق علي بن الجهم . فلما أطلقه قال :
أطاهر إني عن خراسان راحل * ومستخبر عنها فما أنا قائل
أأصدق أم أكفي عن الصدق أيماً * تحيرت أدته إليك المحافل^(٢)
وسارت به الرُجبان وأصطفقت به * أكف قيان وأجنته القبائل
وإني بغالى الحميد والدم عالم * بما فيهما نأى الرمية ناضل^(٣)
وحقاً أقول الصدق إني لمائل * إليك وإن لم يحظ بالود مائل
ألا حرمة تُرعى ألا عقد ذمة * لجارٍ ألا فعل لقولٍ مشاكِل
ألا منصف إن لم نجد متفضلاً * علينا ألا قاضٍ من الناس عادل

(١) في ٤٠م : « وليعلن » بالياء المثناة من تحت . (٢) في ٤١م : « عن الحق » . (٣) الرمية

النامية : التي أصيبت ثم غابت عن الرامي وماتت ؛ يقال أرمى فلان الصيد فرمى ؛ قال امرؤ القيس يهجو :

فهو لا ترمى رميته * ماله لا عد من قعره

يريد على بن الجهم أنه يصيب غرامه . وفاضل : وصف من فضله إذا سبقه أرغله في المناضلة

وهي المباراة في الرمي .

فلا تَقْطَعَنَّ غِيْظًا عَلَيَّ أَنَا مَلًّا * ففبِكَ مَا عَصَيْتُ عَلَيَّ الْإِنَامُ
أَطَاهِرُ إِن تُحْسِنُ فَإِنِّي مُحْسِنٌ * إِلَيْكَ وَإِن تَبْخُلُ فَإِنِّي بَاخِلٌ
فَقَالَ لَهُ طَاهِرٌ : لَا تَقُلْ إِلَّا خَيْرًا فَإِنِّي لَا أَفْعَلُ بِكَ إِلَّا مَا تُحِبُّ ، فَوَصَلَهُ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ .

أخبرني عمي قال حدثني محمد قال :

جيش جارية فباعته
فقال شعرا فأجابته

• كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ فِي مَجْلَسٍ فِيهِ قَيْنَةٌ ، فَعَابَتْهَا وَجَمَشَهَا ، فَبَاعَدَتْهُ وَأَعْرَضَتْ
عَنْهُ ، فَقَالَ فِيهَا :

خَفِيَّ اللَّهُ فَيَمْنٌ قَدْ تَبَلَّتْ فَوَادَهُ * وَغَادَرْتَهُ نِيْضًا كَأَنَّ بِهِ وَقْرًا
دَعَى الْبَخْلَ لَا أَسْمَعُ بِهِ مِنْكَ إِثْمًا * سَأَلْتُكَ أَمْرًا لَيْسَ يُعْرِى لَكُمْ ظَهْرًا
فَقَالَتْ لَهُ : صَدَقْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ ، لَيْسَ يُعْرِى لَنَا ظَهْرًا ، وَلَكِنَّهُ يَلَأُ بَطْنًا !!

• أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويَه قَالَ حَدَّثَنَا
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَذْبُورِ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ قَالَ

كان يتشامم من
الحارثي فرآه فقال
شعرا

كَانَ الْحَارِثِيُّ يَجِيءُ إِلَى حُلْوَانَ وَأَنَا أَتَوَلَّاهَا — وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ عَلَى مِظَالِهَا —
فَإِذَا وَرَدَهَا وَقَعَ الْإِرْجَافُ ^(١) ، فَلَمْ يَزَلْ مُتَّصِلًا حَتَّى يُخْرَجَ ، فَإِذَا خَرَجَ سَكَنَ الْإِرْجَافُ .
فَأَتَانِي مَرَّةً وَظَهَرَ كَوْكَبُ الذَّنَبِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَقُلْتُ :

لَمَّا بَدَأَ أَيْقَنْتُ بِالْعَطَبِ * فَسَأَلْتُ رَبِّي خَيْرَ مُنْقَلَبٍ
لَمْ يُطْلَعْ إِلَّا لِأَسَدَةٍ ^(٢) * الْحَارِثِيُّ وَكَوْكَبُ الذَّنَبِ

(١) . كذا في الأصول باثبات الياء في «خفي» في هذا البيت ، وفي «دعي» في البيت بعده .
ونحسب أن هذه الياء من زيادات النساخ ، وأن الخطاب للذكر والمراد به أنثى ، كما يدل عليه سياق الكلام .
ولا فائدة أن يقع مثل علي بن الجهم في هذا الخطأ اللغوي ، إذ الأمر من «خاف» للخطابة «خاف» .
(٢) . حلوان : مدينة بالعراق . (٣) الإرجاف هنا : الزلزلة ، يقال رجفت الأرض
وارجفت . (٤) الأبدية : الداهية الخالدة الذكر ، والأمر العظيم تنفر منه وتستوحش .

قال ابن المدبر: . وكان الحارثي أعور مُقْبِحَ الوجه، وفيه يقول أبو علي البصير:

يا معشر البُصَرَاءِ لَا تَنْطَرِقُوا ^(١) * جيشي وَلَا تَعْرِضُوا لِلنِّكِرِي
رُدُّوا عَلَيَّ الْحَارِثِيَّ فَإِنَّهُ * أَعْمَى يُدَلِّسُ نَفْسَهُ فِي الْعُورِ ^(٢)

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال أنشدني إبراهيم بن المدبر علي

انحل شعر إبراهيم
ابن العباس

ابن الجهم وذكر أن علياً أنشده إياه لنفسه :

أَمِيلُ مَعَ الدِّمَامِ عَلَى ابْنِ أُمِّي * وَأَخُذُ لِلصَّدِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ
وَأَنَا أَلْفَيْتَنِي حُرًّا مُطَاعًا * فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أُفَرِّقُ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنِّي * وَأَجْمَعُ بَيْنَ بَالِيٍّ وَالْحَقِيقِ

فقال إبراهيم : كَذَبَ وَاللَّهِ عَلَى ابْنِ الْجَهْمِ وَأَنْتُمْ . وَاللَّهِ لَهَذَا الشَّعْرُ أَشْهَرُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ

العباس من إبراهيم بالعباس أبيه .

١٠

أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال

قال المتوكل إنه
كذاب وأثبت
كذبه بكلامه له

قال المتوكل

علي بن الجهم أَكْذَبُ خَلْقِ اللَّهِ . حَفِظْتُ عَلَيْهِ أَنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِحُرَّاسَانَ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى وَأُنْسِي مَا أَخْبَرَنِي بِهِ ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِالثُّغُورِ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى وَأُنْسِي الْحِكَايَتَيْنِ جَمِيعًا ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِالْجَبَلِ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ،
فِيَجِبُ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَى هَذَا وَعَلَى التَّقْلِيلِ مِائَةً وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَإِنَّمَا يُزَاهِي سَنَةَ ^(٤)
الْخَمْسِينَ سَنَةً . فَلَيْتَ شَعْرِي أَى فَائِدَةٍ لَهُ فِي هَذَا الْكَذْبِ وَمَا مَعْنَاهُ فِيهِ !!

١٠٩
٩

(١) تطرف الشيء : تحييفه وأخذ من أطرافه . (٢) كذا في ح . وفي سائر النسخ

« بالور » : (٣) في ب ، سم : « أشبه » . (٤) يلاحظ أن مجموع السنين التي ذكرها

٢٠

لا يبلغ مائة وخمسين .

أخبرني محمد بن إبراهيم قال حدثنا عبد الله بن المعتز، وحدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

عربد عليه بعض
ولد علي بن هشام
فهباهم

اجتمع علي بن الجهم مع قوم من ولد علي بن هشام في مجلس ، فعربد عليه بعضهم ، فغضب وخرج من المجلس ، وآنصل الشر بينهم حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه وأغتابوه . فقال يهجوهم :

- بني مُتَمِّ هل تدرون ما الخبر * وكيف يُستَرامر ليس يَستَمر
حاجيتكم : مَنْ أبوكم يا بني عَصَب * شَتَّى ولكنا للعاهر الجَحر
قد كان شَيْخُكُمْ شَيْخًا لَهُ خَطَرٌ * لكنَّ أُمَّكُمْ في أمرها نَفَرُ
ولم تكن أُمَّكُمْ - والله يكلُّوها - * محجوبةً دونها الحُرَّاسُ والسُّترُ
- ١٠ كانت مَغْنِيَةُ الْفَتَيَانِ إِنْ شَرَبُوا * وَغَيْرُ مَمْنُوعَةٍ مِنْهُنَّ إِذَا سَكَرُوا
وَكَانَ إِخْوَانُهُ غُرًّا غَطَّارِفَةً * لَا يُمَكِّنُ الشَّيْخُ أَنْ يَعْصِيَ إِذَا أَمَرُوا
قَوْمٌ أَعْقَاءُ إِلَّا فِي بَيْوتِكُمْ * فَإِنَّ فِي مِثْلِهَا قَدْ تُخْلَعُ الْأُذُرُ
فَأَصْبَحَتْ كَرَّاجٍ الشُّوْلُ حَافِلَةً * مِنْ كُلِّ لَاحِقَةٍ فِي بَطْنِهَا دَرُّ
بِفَتْحٍ عَصَبًا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ * نَوَا نَخَانِيثَ فِي أَعْنَاقِهَا الْكَبَرُ^(٢)
فَوَاحِدٌ كَسَرَوْهُ فِي قَرَّاطِقِهِ * وَآخَرُ قَرَشِيٍّ حِينَ يُخْتَبَرُ^(٤)
- ١٠ مَا عَلِمَ أُمَّكُمْ مَنْ حَلَّ مِثْرَهَا * وَمَنْ رَمَاهَا بِكُمْ يَأْيُسُ الْقَدَرُ

(١) في الأصول : « كرمج » والمراح : مأوى الإبل . والشول من النوق : التي خف لبنيها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية ، فلم يبق في ضرعها إلا شول من اللبن أي بقية مقدار ثلث ما كانت تحلب حدثان (بكسر أوله وسكون ثانيه) نتاجها . واحداثها شائلة ، وهو جمع على غير قياس . وأما الناقاة الشائل (بغير س) فهي اللاتخ التي تشول بذنبا للفعل أي ترفعه ، فذلك آية لقاحها ، وترفع مع ذلك رأسها وتشمخ بأفقها ، وهي حينئذ شامدة ، وجمعها شول وشمد . والمراد من البيت ظاهر .
(٢) كذا في الأصل أي وهما نوما نخانيث ... الخ ، فسرهما في البيت الثاني ، وإن كان مع ذلك يَحْتَمِلُ أنها حرفت عن كلمة على وزن فعل بضم أوله جمعا لأفعل ، مثل نوك جمع أنوك أو نحو ذلك .
(٣) الكبير : الطويل . معرب . (٤) القراطيق : جمع قرطق وهو القباء .

يوم إذا تُسبوا فالأثم واحدة * والله أعلم بالآباء إذ كثروا
لم تعرفوا الطعن إلا في أسافلكم * وأنتم في المخازي فتية صبر
أحببت إلامامكم لاني بأمركم * وأمر غيركم من أهلكم خبر
تفكّهون بأعراض السكّام وما * أنتم وذُرُكم السادات يا عمر
هذا الهجاء الذي تَبَقَّى ميا^(٢) * على جباهكم ما أورد الشجر

سعى عند المتوكل
بندما فقه وبلغه أنه
هجاه فخبسه ،
وأحسن شعره
في الحبس

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال :
كتب صاحب الخبر إلى المتوكل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح أحترق
فمات . فقال علي بن الجهم : قد بلغني أن العامل قتله وصانع صاحب الخبر حتى
كتب بهذا . وكان يسعى بالجلساء إلى المتوكل فأبغضه وأمره بأن يلزم بيته ، ثم بلغه
أنه هجاه فخبسه . وأحسن شعره في الحبس قصيدته التي أولها :

قالت حُبِسْتُ فقلت ليس بضائري * حَبْسِي وَأَيُّ مُهْنٍ لَا يُغْنِدُ^(٣)
أَوْ مَا زَايَتِ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيْلَهُ * كِبَرًا وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَرَدُّو
وَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ * عَنْ نَاطِرِكَ لَمَا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ
وَالْبَدْرُ يُدْرِكُهُ السَّرَارُ فَتَنْجِلِي^(٤) * أَيَّامَهُ وَكَأَنَّهُ مُتَجَدِّدُ
وَالْغَيْثُ يَحْصِرُهُ الْغَمَامُ فَمَا يَرَى * إِلَّا وَرَيْقَهُ يَرُوعُ وَيَرْعَدُ^(٥)
وَالزَّاعِيَةُ لَا يُقِيمُ كُفُوبَهَا * إِلَّا التَّقَافُ وَجَدْوَةٌ تَتَوَقَّدُ^(٦)
وَالنَّارُ فِي أَجَارِهَا مَحْبُوءَةٌ * لَا تُصْطَلَى إِنْ لَمْ تُثْرَ الْأَزْنَدُ

١١٠
٩

(١) العرة : جمع عرة وهو الرجل يكون شين القوم ؛ يقال : فلان عرة أهله .
(٢) الميام : جمع ميسم (بكسر الميم) وهو هنا أثر الوسم والجمع مواسم على الأصل باعتباره من وسم ،
وميام على اللفظ . (٣) في ب ، سه : « قالوا » . (٤) السرار : (بالفتح والكسر)
آثراً أيام الشهر . (٥) في الأصول : « يراع » . (٦) الزاعية : رماح منسوبة إلى
رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الأسته . (٧) التقاف : آلة من خشب تسوى بها الرماح

والحبس مالم تغشه لذنية * شعاء نعم المنزل المتورد^(١)
 بيت يحد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
 لو لم يكن في الحبس إلا أنه * لا يستذلك بالحباب الأعبد
 كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجوا ومات طيبه والعود
 يا أحمد بن أبي دؤاد إنما * تدعى لكل عظمة يا أحمد
 أبلغ أمير المؤمنين فدونه * خوض الردى وغاوى لا تنفد
 أنتم بنو عم النبي محمد * أولى بما شرع النبي محمد
 ما كان من كرم فاتم أهله * كرم مغارسكم وطاب المجد
 من السوية يا بن عم محمد * خصم تقربه وأخر تبعه
 إن الذين سعوا إليك بباطل * حساد نعمتك التي لا تجحد
 شهدوا وغنبا عنهم فتحكموا * فينا وليس كغائب من يشهد
 لو يجمع الخصماء عندك مجلس * يوماً لبان لك الطريق الأقص
 فبأي جرم أصبحت أعراضنا * نهبا تقسمها للثيم الأوغد

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو الفضل
 الربيعي^(٢) قال قال لي علي بن الجهم :

دخلت على المتوكل وقد بلغني أنه كلم قبيصة جاريته فأجابته بشيء أغضبه،
 فرماها بمخدة فأصاب عينا فأنثرت فيها، فتأوهت وبكت وبكى المعتزل بكائها، ففرج
 المتوكل وقد حم من الغم والغضب، فلما بصرتي دعاني وإذا الفتح يرى^(٣) تحت يمشوع
 القارورة ويشاوره فيها، فقال لي : قل يا علي في عتي هذه شيئا وصف أن الطبيب
 ليس يدرى ما بي، فقلت :

دخل على المتوكل
 والطبيب يفحص
 عله وكانت جاريته
 قبيصة أغضبه
 فضر بها ثم اغتم
 لذلك فقال هو
 في ذلك شعرا

(١) المتورد : الذي يورد ويزار مثل المورد . وفي ب ، سه : " المتورد " وهو محريف .

(٢) في أ ، م : « الربيعي » . (٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل بن أبيه .

- تَنَكَّرَ حَالِ عَلِيِّ الطَّيِّبِ * وقال أَرَى بِجِسْمِكَ مَا يَرِيْبُ
جَسَنَسْتُ الْعِرْقَ مِنْكَ فَدَلَّ جَسِي * عَلَى أَلَمٍ لَهُ خَبْرٌ عَجِيبُ
فَمَا هَذَا الَّذِي بَكَ هَاتِ قُلْ لِي * فَكَانَ جَوَابَهُ مِثْنَى النَّجِيبُ
وَقُلْتُ أَيَا طَيِّبُ الْمَهْجَرُ دَائِي * وَقُلْتَنِي يَا طَيِّبُ هُوَ الْكَثِيبُ
فَحَرَّكَ رَأْسَهُ عَجَبًا لِقَلْبِي * وقال الحب ليس له طيبُ
فَأَعْجَبْنِي الَّذِي قَدْ قَالَ جِدًّا * وَقُلْتُ بَلَى إِذَا رَضِيَ الْحَبِيبُ
فَقَالَ هُوَ الشِّفَاءُ فَلَا تُقَصِّرْ * فَقُلْتُ أَجَلٌ وَلَكِنْ لَا يُحِبُّ
أَلَا هَلْ مُسْعِدٌ يَبْكِي لِشَجْوِي * فَأَتَى هَائِمٌ قَرْدٌ غَرِيبُ
فَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَحَيَاتِي! يَا غَلَامَ اسْقِنِي قَدَحًا؛ لِجَاءَهُ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ وَسُقِيَتِ الْجَمَاعَةُ
مِثْلَهُ. وَخَرَجَتْ إِلَيْهِ فَضَّلُ الشَّاعِرَةُ بِأَبْيَاتِ أَمْرُهَا قَبِيحَةً أَنْ تَقُولَهَا عَنْهَا، فَقَرَأَهَا فَذَا هِيَ: ١٠
لَا كُتِبَنَّ الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْ حُرْقٍ * حَتَّى أَمُوتَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ النَّاسُ
وَلَا يَقَانُ شَكَا مَنْ كَانَ يَعْشَقُهُ * إِنْ الشَّكَاةُ لَمِنْ تَهَوَّى هِيَ الْيَأْسُ
وَلَا أَبُوحُ بِشَيْءٍ كُنْتُ أَكْتُمُهُ * عِنْدَ الْجُلُوسِ إِذَا مَا دَارَتْ النَّكَاسُ
فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ: أَحْسَنْتَ يَا فَضْلُ. وَأَمَرَ لَهَا وَلِي بَعَثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَدَخَلَ إِلَى
قَبِيحَةٍ فَتَرَضَّاهَا. ١٥

١١١
٩

خرج مع جماعة
الى الشام فقطع
عليهم الأعراب
الطريق فقرأ أصحابه
وثبت هو وقال
شعرا

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال :
خرج علي بن الجهم الى الشام في قافلة ، فخرجت عليهم الأعراب في خساف (١)
فهرَّب من كان في القافلة من المُقَاتِلَةِ ، وثبت علي بن الجهم فقاتلهم قتالاً شديداً ،
وثاب الناس إليه فدفعهم ولم يحطوا بشيء ، فقال في ذلك :

٢٠ (١) في الأصول «خساف» بالخاء المهملة وهو تصحيف . وخساف : برية بين بالس وحلب .
(معجم البلدان لياقوت) .

صَبَرْتُ وَمِثْلِي صَبْرُهُ لَيْسَ يُنْكَرُ * وَلَيْسَ عَلَى تَرْكِ التَّقَحُّمِ يَعْدَرُ
 غَرِيْزَةُ حَرًّا لَا اخْتِلَاقُ تَكْلُفٍ * إِذَا خَامَ^(١) فِي يَوْمِ الْوَعَى الْمُتَصَبِّرُ
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الْمَوْتَ تَهْفُو بُنُوْدُهُ * وَبَانَتْ عَلَامَاتُ لَهُ لَيْسَ تُنْكَرُ
 وَأَقْبَلَتِ الْأَعْرَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * وَنَارُ عَجَاجِ أَسْوَدِ اللَّوْنِ أَكْدَرُ
 بِكُلِّ مُشِيحٍ مُسْتَمِيتٍ مُشْمَرٍ * يَحُولُ بِهِ طَرْفُ أَقْبِ^(٢) مُشْمَرُ
 بَارِضٍ خُسَافٍ حِينَ لَمْ يَكْ دَافِعٌ * وَلَا مَانِعٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمَذْكُرُ^(٣)
 فَقَلَّلَ فِي عَيْنَيَّ عُظْمَ جَمْعِهِمْ * عَزِيمَةُ قَلْبٍ فِيهِ مَا جَلَّ يَصْغُرُ
 مُعْتَرِكٍ فِيهِ الْمَنَايَا حَوَاسِرُ * وَنَارُ الْوَعَى بِالْمَشْرِفَةِ تُسْعِرُ
 فَمَا صُنْتُ وَجْهِي عَنْ ظُبَاتِ سِيوفِهِمْ * وَلَا أُنْخَزْتُ عَنْهُمْ وَالْقَنَا تَتَكَسَّرُ
 وَلَمْ أَلِكْ فِي حَرِّ الْكَرْهَةِ مُحْجِمًا * إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَرْبِ لِلْوَرْدِ مَصْدَرُ
 إِذَا سَاعَدَ الطَّرْفُ الْفَتَى وَجَنَانَهُ * وَأَسْتَمِرُّ خَطِيًّا وَأَبْيَضُ مِبْتَرُ^(٤)
 فَذَاكَ، وَإِنْ كَانَ الْكَرِيمُ بِنَفْسِهِ، * إِذَا أَصْطَكَّتِ الْأَبْطَالُ فِي النَّقْ عَسْكَرُ
 مَنَعْتَهُمْ مِنْ أَنْ يَنْالُوا قَلَامَةً * يَكُنْتُ شَجَاهُمْ وَالْأَسِنَّةُ تَقْطُرُ
 وَتَلِكُ سَبْجَايَا قَدِيمًا وَحَادَثًا * هَا عُرِفَ الْمَاضِي وَعَزَّ الْمُؤَخَّرُ
 أَبْتُ لِي قُرُومٌ أَنْجَبْتَنِي أَنْ أُرَى * وَإِنْ جَلَّ خَطْبٌ خَاشِعًا أَنْضَجَرُ
 أَوْلَيْتُكَ آلَ اللَّهِ فَهَرُ بْنُ مَالِكٍ * بِهِمْ يُجْبَرُ الْعِظْمُ الْكَسِيرُ وَيُكْسَرُ
 هُمُ الْمَنِيكِبُ الْعَالِي عَلَى كُلِّ مَنِيكِبٍ * سِيوفُهُمْ تُفْنِي وَتُغْنِي وَتُقْفِرُ

(١) خام : نكص وجبن . (٢) المشيح : المجيد . (٣) الطرف : الكريم

من الخليل . والأقرب : الدقيق الخضر الضامر البطن . (٤) الصفيح هنا : السيف العريض .

(٥) المعروف في كتب اللغة أن يقال سيف بآثر وبناز (بقتل يد الناه) وبناز (وزان غراب) وبثورة

ولكن على بن الجهم استعمل هنا هذه الصيغة ، فرجحنا هذا الضبط ، إذ المستعمل في القطع من هذه المادة

إنما هو « بثر » الثلاثي ، واسم الآلة منه مِبْر .

قال إن أباه حبسه
في الكتاب وهو
صبي ثم كتب إلى
أبيه شعرا فكذبه
إبراهيم بن المدبر

أخبرني عيسى بن الحسين الوزاق والحسن بن علي قالوا جميعا حدثنا محمد
ابن القاسم بن مهرويه قال حدثني عيسى بن أبي حرب قال حدثني علي بن الجهم قال :
حبسني أبي في الكتاب ، فكتبت إلى أمي :

يا أمنا أفديك من أم * أشكو إليك قضاة الجهم
قد سرح الصبيان كلهم * وبقيت محصوراً بلا جرم

قال : وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أمي ؛ فأرسلت إلى أبي : والله لئن لم تطلقه
لأخرجن حاسرة حتى أطلقه . قال عيسى فحدثت بهذا الخبر إبراهيم بن المدبر فقال :
علي بن الجهم كذاب ، وما يمنعه من أن يكون ولده هذا الحديث وقال هذا الشعر
وله ستون سنة ، ثم حدثكم أنه قاله وهو صغير ، ليرفع من شأن نفسه ! .

١١٢

مدح أحمد بن
أبي دؤاد وكان
منحرفاً عنه ليشفع
له في حبسه فقعد
عنه فهجاه وشتم
به بعد أن قناه
المتوكل

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :
كان أحمد بن أبي دؤاد منحرفاً عن علي بن الجهم لأعتقاده مذهب الحشوية .
فلما حبس علي بن الجهم مدح أحمد بن أبي دؤاد عدة مدائح ، وسأله أن يقوم
بأمره ويشفع فيه ، فلم يفعل وقعد عنه . فمنها قوله :

يا أحمد بن أبي دؤاد إنما * تدعي لكل عزيمة يا أحمد
أبلغ أمير المؤمنين ودونه * خوؤ الردى وخاؤف لا تنقد
أتم بنو عم النبي محمد * أولى بما شرع النبي محمد

وهذه الأبيات من قصيدته التي أولها :

* قالت حبست فقلت ليس بضائري .

(١) الحشوية : طائفة يقولون : حكم الأحاديث كلها واحد ، وعندهم أن تارك النفل كترك الفرض .

وهم فرقة من المرحبة . (انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص ١٦٢ طبع دار الكتب المصرية) .

فلما نقي المتوكل أحمد بن أبي دؤاد شمت به علي بن الجهم وهجاه فقال :
يا أحمد بن أبي دؤاد دعوة * بعثت إليك جنادلاً وحديدا
ما هذه اليدع التي شمتها * بالجهل منك العدل والتوحيداً
أفسدت أمر الدين حين ولّيته * ورميته بأبي الوليد وليدا^(١)
لا محكماً جزلاً ، ولا مستطرفاً^(٢) * كهلاً ، ولا مستحدثاً معموداً^(٣)
شيراً ، إذا ذكر المكارم والألأ * ذكر أنقلأياً مبيدأً ومعيداً^(٤)
ويود لو مسخت ربيعة كلأها * وبنو إباد صحفة وثريدا
وإذا تربع في المجالس خلته * ضبعا وخلت بني أبيه قريدا
وإذا تبسم ضاحكاً شبهته * شريقاً تعجل شربه مردودا
لا أضبحت بالخير عين أبصرت * تلك المناخر والثنايا السوداء^(٥)
أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال :

كتب من حبسه
شعرا لطاهر بن
عبد الله بن طاهر
ابن الحسين

كتب علي بن الجهم الى طاهر من الحبس :

إن كان لي ذنب في حُرمة * والحق لا يدفعه الباطل
وحُرمتي أعظم من زلتى * لو نالني من عدلكم نائل
ولي حقوق غير مجهولة * يعرفها العاقل والجاهل
وكل إنسان له مذهب * وأهل ما يفعله الفاعل
وسيرة الأملاك منقولة * لا جائر يُخفى ولا عادل
وقد تعجلت الذي خفته * منك ولم يأت الذي أمل

(١) أبو الوليد هو محمد بن أحمد بن أبي دؤاد ، كان يتولى المظالم بسامرا وعزله المتوكل سنة ٢٣٧هـ .

(٢) الجزل هنا : الجيد الرأي أصيله . (٣) لعلها « مستطرفا » بالطاء المعجمة أى معدودا ظريفا .

(٤) لعلها : « محمودا » . (٥) القلايا : المقاليات ، مفردة قلية . (٦) بعد هذه

الكلية وقبل الشعر كلمة « صوت » في ح ، ب ، س ؛ ولم يذكر فيه ألحانا حتى يكون لهذه الكلية موقع .

جحدثنى عمى قال حدثنا محمد قال :

شعره في مقين
كان ينزل عنده
في جماعة بالكرخ

كان علي بن الجهم يعاشر جماعة من قتيان بغداد لما أطلق من حبسه ورد من النفي، وكانوا يتقايئون ببغداد، ويلزمون منزله مقين بالكرخ يقال له المفضل. فقال فيه علي بن الجهم :

نزلنا بباب الكرخ أطيب منزل * على محسنات من قيان المفضل
فلا بن سريخ والغريص ومعبد * بدائع في أسماعنا لم تبدل
أو أنس ما للضيف منهن حشمة * ولا رهبر بالجليل المجل
يسر إذا ما الضيف قل حياؤه * ويفعل عنه وهو غير مغفل
ويكثر من دم الوفار وأهله * إذا الضيف لم يأنس ولم تبدل
ولا يدفع الأيدي المريبة غيرة * إذا نال حظا من لبوس وما أكل
ويطرق أطراق الشجاع مهابة * ليطلق طرف الناظر المتأمل
أشربيد وأعجز بطرف ولا تحف * رقيقا إذا ما كنت غير مبجل
وأعيرض عن المصباح والهج بمناله * فإن نحمد المصباح فاذن وقيل
وسل غير ممنوع وقول غير مسكت * ونم غير مدعور وقم غير معجل
لك البيت ما دامت هداياك جمّة * وكنت مليا بالنبيذ المعسل
فبادر بأيام الشباب فإنها * تقضى وتفتى والغواية تجلى
ودع عنك قول الناس أتلفت ماله * فلا أن فاضحى مبدرا غير مقيل
هل الدهر إلا ليلة طرحت بنا * أو آخرها في يوم لمومعجل

١١٣
٩

(١٠) ظاهر أن معناه : يجالسون القيان ، وأن معنى مقين صاحب قيان .

سقى الله باب الكرخ من مُتَرَّه * إلى قَصْرِ وَضَاحٍ فَبِرْكَةٍ زَلَزِلْ^(٢)
 مَسَاحِبُ أَذْيَالِ الْقِيَانِ وَمَسَرَّحِ الْ * حِسَانِ وَمَثْوَى كُلِّ خَرَقٍ مُعَدِّلِ^(٣)
 لَوْ أَنَّ أَمْرَأَ الْقَيْسِ بِنَ حُجْرٍ يَحُلُّهَا * لَأَقْصَرَ عَنْ ذِكْرِ الدَّخُولِ وَحَوْمِلِ^(٤)
 إِذَا لَرَأَى أَنْ يَمْنَحَ الْوُدَّ شَادِنًا * مَقْصَرِ أَذْيَالِ الْقَبَا غَيْرَ مُسْبِلِ^(٥)
 إِذَا اللَّيْلُ أَدْنَى مَضْجَعِي مِنْهُ لَمْ يَقُلْ^(٦) * عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا أَمْرَأَ الْقَيْسِ فَأَنْزِلِ

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مَهْرُويه قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدْبَرِ
 قَالَ أَتَشَدُّنِي عَلَى بَنِ الْجَهْمِ لِنَفْسِهِ :

وَإِذَا جَزَى اللَّهُ أَمْرَأً بِفَعَالِهِ * بَحْزَى أَخَا لِي مَا جِدًّا سَمَحًا
 نَادَيْتُهُ عَنْ كُرْبَةٍ فَكَأَنَّمَا * أَطْلَعْتُ عَنْ لَيْلٍ بِهِ صُبْحًا

أَنشَدَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
 الْمَدْبَرِ شِعْرًا لِنَفْسِهِ
 فَكَذَبَهُ وَقَالَ إِنَّ
 الشَّعْرَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ
 الْعَبَّاسِ

فَقُلْتُ لَهُ : وَيْلَكَ ! هَذَا لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ يَقُولُهُ فِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ !
 بَحْزَدْنِي وَكَابِر . فَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى بَنِ الْجَهْمِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ وَأَنَا عَنْده . فَلَمَّا
 رَأَى قَالَ : اجْتَمَعَ الْإِبْرَاهِيمَانِ . فَتَرَكْتُهُ سَاعَةً ثُمَّ أَتَشَدُّتُ الْبَيْتَيْنِ ، وَقُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ
 الْعَبَّاسِ : إِنَّ هَذَا يُزْعِمُ أَنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَهُ . فَقَالَ : كَذَبٌ ، هَذَانِ لِي فِي مُحَمَّدِ

(١) قَصْر وَضَاحٍ : قَصْرُ بَنِي الْهَدْيِ قَرِيبَ رِصَاقَةِ بَغْدَادَ ، وَقَدْ تَوَلَّى الزُّنَمَةَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْبَارِ يُقَالُ لَهُ
 وَضَاحٌ فَتَنَسَّبَ إِلَيْهِ . وَقِيلَ وَضَاحٌ مِنْ مَوَالِي الْمَنْصُورِ . وَقَالَ الْخَطِيبُ : لَمَّا أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِنَاءَ الْكَرْخِ فَلَدَّ ذَلِكَ رَجُلًا
 يُقَالُ لَهُ الْوَضَاحُ بْنُ شَبَا ، فَبَنَى الْقَصْرَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ قَصْرُ الْوَضَاحِ . (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ لِيَاقُوتَ) . (٢) بَرَكَةُ زَلْزَلٍ :
 يَبْقَدَادُ بَيْنَ الْكَرْخِ وَالصَّرَاةِ (يَفْتَحُ أَوَّلُهُ) وَبَابُ الْمَحْوِلِ (بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ مَعَ فَتْحِهَا) وَسُورَةُ أَبِي الْوَرْدِ تَنَسَّبَ
 إِلَى زَلْزَلِ الْضَارِبِ . (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ لِيَاقُوتَ) . (٣) انْخَرَقَ مِنَ الرِّجَالِ : الْكَرِيمُ الَّذِي يَنْخَرِقُ فِي كَرَمِهِ
 أَيْ يَتَسَّعُ فِيهِ . وَالْمَعْدَلُ : الَّذِي يَكْثُرُ النَّاسُ عِنْدَهُ وَلَوْ مَهْ عَلَى إِسْرَافِهِ فِي الْكَرَمِ . (٤) رَوَايَةُ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ :

مَنَازِلُ لَا يَسْتَتِيعُ الْغَيْثُ أَهْلَهَا * وَلَا أَوْجَهُ اللَّذَاتُ عَنْهَا بِمَعْزَلِ
 مَنَازِلُ لَوْ أَنَّ أَمْرَأَ الْقَيْسِ حَلَّهَا * لَأَقْصَرَ عَنْ ذِكْرِ الدَّخُولِ لِحَوْمِلِ
 (٥) فِي يَاقُوتَ :

إِذَا لَرَأَى أَمْنَحَ الْوُدَّ شَادِنًا * مَقْلُصٌ

(٦) فِي الْأَصُولِ : «لَمْ أَقُلْ» . وَالتَّصْوِيبُ مِنْ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ لِیَاقُوتَ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى قَصْرِ وَضَاحٍ .

أبن عبد الملك الزيات . فقال له علي بن الجهم بيقية : ألم أنك أن تتحل شعري !
فغضب إبراهيم وجعل يقول له بيده : سوءة عليك سوءة لك ! ما أؤخك ! وهو
لا ينكر في ذلك ولا يتجمل . ثم التقينا بعد مدة فقال : رأيت كيف أخزيت إبراهيم
أبن العباس ! ! فجعلت أعجب من صلابته وجهه .

حدثني عمي قال أنشدنا محمد بن سعد لعلي بن الجهم وفيه غناء :
شعر له في الفراق

إِطْلُبْ يا أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيَّ * أَنْ شَوْقِي إِلَيْكَ قَاضٍ عَلَيْهَا
إِنْ قَضَى اللَّهُ لِي رَجُوعًا إِلَيْكُمْ * لَا ذِكْرُ الْفِرَاقِ مَا دُمْتُ حَيًّا
إِنْ حَرَّ الْفِرَاقِ أَنْحَلْ جَسْمِي * وَكُوى الْقَلْبَ مِنْكَ بِالشَّوْقِ نَيْكًا

١١٤
٩

كانت محمد بن
عبد الملك الزيات
منحرفا عنه ويسميه
عند الخليفة فهجاه

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفا عن علي بن الجهم وكان يسببه عند
الخليفة ويعيبه ويدكره بكل قببح . فقال فيه علي بن الجهم :

لَعَائِنُ اللَّهِ مُتَابِعَاتٍ * مُصَبَّحَاتٍ وَمُهَجَّجَاتٍ
عَلَى أبن عبد الملك الزيات * عَرَّضَ شَمْلَ الْمُلْكِ لِلشَّتَاتِ
وَأَنْفَذَ الْأَحْكَامَ جَائِرَاتٍ * عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ذَارِيَاتٍ^(٤)

وعن عقول الناس خارجات * يرمى الدواوين بتوقعات
مُعَقَّدَاتٍ كَكُرْقَى الْحَيَاتِ * سَبْحَانَ مَنْ جَلَّ عَنْ الصِّفَاتِ
بعد ركوب الطوف في القرات^(٥) * وبعد بيع الزيت بالحبات

(١) في ح، ب، سـ : « لا يفكر » . (٢) في ب، سـ، حـ : « قال حدثني الخ »
وكلمة « قال » هنا لا موقع لها . (٣) سببه (من باب سرب ومنع) شتمه ووقع فيه . وهذه
الكلمة محرفة في الأصول، ففي ب، سـ : « يسبه » وفي أ، م : « يشبهه » وفي حـ : « يسببه » .
(٤) كذا في الأصول بالذال المعجمة . وذاريات من ذرت الريح التراب تدره وتذريه : فرقته
وأطارته . يريد أنها تعنى كتاب الله . ويحتمل أن يكون ذاريات بالزاي أى عابثات .
(٥) الطوف : قرب ينفخ فيها وينشد بعضها الى بعض كهيئة السطح يركب عليها في الماء ويجعل عليها .

صرتَ وزيراً شامخَ الثَّباتِ ^(١) * هارونَ ^(٢) يابنَ سَيِّدِ السَّادَاتِ
أما ترى الأمورَ مُهَمَّلَات * تشكو إليك عَدَمَ الكُفَاةِ
فعاجيلُ العِلَجِ بِمُرَهَفَات * من بعد ألفِ صُحْبِ الأصواتِ
بمُثَمِّرَاتٍ ^(٤) غيرِ مُورِقَات * ترى بِمَتْنِيهِ مَرَضَاتِ
* تَرَصَّفَتِ الأَسْنَانُ فِي اللُّثَاثِ *
٥

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال :
كان علي بن الجهم سأل عمر بن الفرج ^(٥) الرجحي معاينته ، وأستوفده في نكته
فلم يعاونه ولم يرفده ، ثم قبض علي عمر بن الفرج وأسلم إلى نجاح ليصادره . فقال
علي بن الجهم له :
٦

استوفد عمر بن
الفرج فلم يرفده
ثم قبض علي عمر
فشتم به وقال
شعرا

أبلغ نجاحاً في الفتيان مألوكاً * تمضي بها الرِّيحُ لاصداراً وإيراداً
لن يخرج المالُ عفواً من يدي عُمير * أو يُعَمَدَ السَّيْفُ في فؤديه لإغماره
الرَّجْحِيونَ لا يُوفُونَ ما وعدوا * والرَّجْحِيَّاتُ لا يُخْلِفْنَ مِيعَاداً
قال وقال في عمر بن الفرج أيضاً :
جمعتُ أمرين ضاع الحزمُ بينهما * تينه المملوكُ وأفعال المالكِ

١٢٥

(١) كذا في الأصول والنفس غير متاجة لها (٩) :

(٢) يريد هارون الواثق الخليفة العباسي . (٣) يريد ألقام من الشياطين .

(٤) مثرات : لها ثمر . والثمر من السوط : فقرة في طرفه تشبها بالثمر في الهيئة والتدلي عنه كشدلي الثمر .

(٥) كان هو وأبوه فرج من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل . غضب عليه المتوكل ؛

لأن الواثق وكله به حين أغضب عليه . يكتب عنه ويحفظ أخباره . فلما ولي الخلافة نكبه في شهر رمضان

سنة ٢٣٣ هـ وأمر بحبسه ومصادرة أمواله . (راجع الطبري ق ٣ ص ١٣٧٠ و ١٣٧٧) ٢٠

(٦) - هو نجاح بن سلة أبو الفضل ، كان على ديوان التوقيع والتنيع على الحال في عهد المتوكل ، ثم نكبه
عنده عبيد الله بن يحيى بن خاقان سنة ٢٤٤ هـ ، وكان متكبها من المتوكل وإليه الوزارة وجامعة أعماله .

(راجع الطبري ق ٣ ص ١٤٤٠ - ١٤٤٧) (٧) المألوك : الرسالة .

أهدت شكرًا بلا ير ومزينة^(١) * لقد سلكت طريقاً غير مرسوم
ظننت عرضك لا يرمى بقارعة * وما أراك على حال بمترول

تمثل بشعره نديم
لسليمان بن وهب
وكان عربد عليه
وأخيه فرضى عنه

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال :
كان لسليمان بن وهب نديم يأنس به ويألفه ، فعربد عليه ليلة من الليالي
عربدة قبيحة ، فأطرحه وجفاه^(٢) . فوقف له على الطريق . فلبس مراً به وثب^(٣)
إليه فقال له : أيها الوزير ، ألا تكون في أمرى كما قال علي بن الجهم :

القوم إحول صدق بينهم نسب * من المودة لم يعدل بها نسب
تراضعوا ديرة الصبهاء بينهم * فأوجبوا الرصيع الكأس ما يجب
لا تحفظن على السكان زلتن * ولا تريننك من أخلاقه ريب

١١٥
٩

فقال له سليمان : قد رضىت عنك رضا صحيحاً ، فعد إلى ما كنت عليه من ملازمتي .
وأول هذه الأبيات :

الورد يضحك والأوتار تصطخب * والنأي يندب أشجاناً ويتحب
والراح تعرض في نور الربيع كل * تجلى العروس عليها الدر والذهب
واللهو يلحق مغبوقاً بمضطرب^(٤) * والدور سيان محثوث ومتحب
وكما أنسكت في الكأس آونة * أقسمت أن شعاع الشمس ينسكب

١٥

(١) يقال : رزاه ماله من باب قطع وعلم رزوا ومزينة إذا أصاب منه خيرا .

(٢) هو أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد . كتب للأموين وهو ابن أربع عشرة سنة ثم لإيتاخ ثم
لأشناس ، ثم إلى الوزارة للهندي بالله ثم للعمد على الله ، وقد مدح خلق كثير من أعيان الشعراء كأي تمام
والبحرئ . ونقل سليمان المذكور في الدرر والوزارة . ولم يزل كذلك حتى توفي مقبوضاً عليه
في منتصف صفر سنة ٢٧٢ . (راجع ابن خلكان) .

٢٠

(٣) سبق ب « نسبه » ، « نحد » : « عليه » . (٤) : « كنا في الأصول » .

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثني أسلم مولى عبد الله بن طاهر قال :

أنشد عبد الله بن طاهر شعرا وكان معهما فسرى عنه

دخل علي بن الجهم يوماً على عبد الله بن طاهر في غُدوة من غُدوات الربيع وفي العشاء غيم رقيق والمطر يحيى قليلاً ويسكن قليلاً ، وقد كان عبد الله عزم على الصبوح . فغاضبته خطيئة له ، فتغنص عليه عهده وقر . فخر علي بن الجهم بالخبر وقيل له : قل في هذا المعنى شيئاً ، لعله ينشط للصبوح . فدخل عليه فأنشده :

صوت

أما ترى اليوم ما أحبل شمالك * صفو وغيم وإبراق وإرعاد
كأنه أنت هاهنا لا شبيه له * وفأل وهجر وتقريب وإبعاد
فما كبر الراح وأشر بها معتقة * لم يدخر مثلها كسرى ولا عاد
وأشرب على الروض إذ لاحت زخارفه * زهر ونور وأوراق وأوراد
كأنما يومنا قبل الحبيب بنا * بذل وبخل وإبعاد وميعاد
وليس يذهب عني كل فلككم * نعي ورشد وإصلاح وإنساد
فأستحسن الأبيات وأمر له بثلاثة دينار . وحمله وخلع عليه ، وأمر أن يغنى
في الأبيات . الغناء لبذل الطاهرية ، خفيف رمل . وفيه لغيرها هزج .

١٥

حدثني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال حدثني رجل من أهل خراسان قال :
رأيت علي بن الجهم بعد ما أطلق من حبسه جالساً في المقابر ، فقلت له :
ويحك ! ما يجلسك هاهنا ؟ فقال :

جلس في المقابر
بعد خروجه من
السجن وقال شعرا

يشتاق كل غريب عند غربه * ويذكر الأهل والجيران والوطن
فليس لي وطن أمسيت أذكره * إلا المقابر إذ صارت لهم وطناً

٢٠

حدثني عمي قال أنشدنا أحمد بن عبيد ومحمد بن سعد علي بن الجهم وفيه غناء : شهر له وفيه غناء .

صوت

لو نَصَلَتْ إلينا * لوَهَبْنَا لك ذَنْبَكَ
بأي ما أَبْغَضَ العيد * شَ إِذَا فَارَقْتُ قُرْبَكَ
لَيْتَنِي أَمْلِكُ قَلْبِي * مِثْلَ مَا تَمْلِكُ قَلْبَكَ
أيها الوائِقُ بالله لقد ناصحت ربك
بما رأى النَّاسُ إماماً * أَنْتَبَ الْأَمْوَالُ نَهَبَكَ
أصبحت تُجْتَنُّكَ الْعُدُ * يَا وَحْزِبُ اللَّهِ حَزْبَكَ
الغناء لعريب رمل . وفيه لغيرها هجج .

مدح أبا أحمد بن
الرشيد فلم يعطه
شيئا فجهجاه

١١٦
٩

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

كان علي بن الجهم قد مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يعطه شيئا فقال يهجوه :

يا أبا أحمد لا يُنْتَهَجِي من الشُّعْرِ الْفِرَارُ
لبنى العباس أحلام * م عِظَامٌ ووقارُ
ولهم في الحرب إقدا * م ورأى وأصطبارُ
ولهم ألسنة تب * يرى كما تبرى الشِّفَارُ
ووجوه كنجوم الليل تهدي من يحارُ
وتسليم كنسيم الروض جادته القطارُ
ولعطفك عن المحج * يد شماس وأز رارُ
إن تكن منهم بلا شك فلعود قنارُ

(١) القنار : ربح العود المحرق .

حَدَّثَنِي بِحُظَّةٍ وَعَمِّي قَالَا حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ
دَخَلَ إِلَيْنَا عَلَى بْنِ الْجَهْمِ بِعَقِبِ مَوْتِ أَبِي وَالْمَجْلِسُ حَافِلٌ بِالْمُعْزِينَ، فَتَلَّ قَائِمًا
وَأَنشَدَنَا يَرِثِيهِ :

رثى عبد الله بن
طاهر بشعره وأنشده
أبنته يمزيه

أَيُّ رَكْنٍ وَهَى مِنَ الْإِسْلَامِ * أَيُّ يَوْمٍ أَخْنَى عَلَى الْأَيَّامِ
جَلَّ رُزْءُ الْأَمِيرِ عَنْ كُلِّ رُزْءٍ * أَلَا كَيْتُهُ خَوَاطِرُ الْأَوْهَامِ
سَلْبَتُهُ الْأَيَّامُ ظِلًّا ظَلِيلًا * وَأَبَاحَتْ حَيَّ عَزِيزَ الْمَرَامِ
مَا بَنَى مُضْعَبٍ حَلَّاتٍ مِنَ النَّاسِ * سَاحِلُ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَامِ
فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنَ الدَّهْرِ رَيْبٌ * عَمَّ مَا خَصَّكُمْ جَمِيعَ الْأَنَامِ
أَنْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ إِلَّا دُمُوعًا * شَاهِدَاتٍ عَلَى قُلُوبٍ دَوَامِ
مَنْ يُدَاوِي الدُّنْيَا وَمَنْ يَكْلَأُ الْمُدَّ * لَكَ لَدَى فَادِحِ الْخَطُوبِ الْعِظَامِ
نَحْنُ بَيْنَا بِمَوْتِهِ وَأَجَلُ الْإِلَ * خَطِيبُ مَوْتِ السَّادَاتِ وَالْإِعْلَامِ
لَمْ يَمُتْ وَالْأَمِيرُ طَاهِرٌ حَيٌّ ^(١) دَائِمٌ الْإِنْتِقَامِ وَالْإِنْتَعَامِ
وَهُوَ مِنْ بَعْدِهِ نِظَامُ الْمَعَالِي * وَتَمَوَّامُ الدُّنْيَا وَسَيْفُ الْإِمَامِ
قَالَ : فَمَا أَذْكَرَ أُنَى بَكَيْتَ أَوْ رَأَيْتَ فِي دُورِنَا بَايَكًا أَكْثَرَ مِنْ يَوْمَيْنِ .

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الدَّهْقَانَةِ النَّدِيمُ قَالَ :
دَخَلْنَا يَوْمًا إِلَى الْمُعْتَرِّ وَهُوَ مُصْطَبِحٌ عَلَى صَوْتِ اخْتَارِهِ وَاقْتَرَحِهِ عَلَى عَمْرِيبَ ،
وَأُظُنُّ الصَّنْعَةَ لَهَا ، فَلَمْ يَزَلْ يَشْرَبُ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ، فَلَمَّا سَكِرَ أَمَرَ لَهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ ، وَفَرَّقَ عَلَى الْجُلَسَاءِ كُلِّهِمُ الْجَوَائِزَ وَالطَّيِّبَ وَالْخَلَعَ . وَالصَّوْتُ :

غنت عمريب المعتز
بشعره فطرب
وفرق مالا

(١) يريد طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين .

العينُ بعدَكَ لم تنظر إلى حَسَنٍ * والنَّفْسُ بعدَكَ لم تسكن إلى سَكَنٍ
كَأَنَّ نَفْسِي إِذَا مَا غَبَتَ غَائِبَةٌ * حَتَّى إِذَا عُدَّتْ لِي عَادَتَ إِلَى بَدَنِيهِ
والشعرُ لعلِّي بن الجهم .

خرج مع عبد الله
ابن طاهر للصيد
وغرَّبُوا فقال شعرا
يصف ذلك

حَدَّثَنِي بِحَفْظَةِ وَمُحَمَّدِ بْنِ خَلْفٍ وَكَيْعٍ وَعَمِّي قَالُوا جَمِيعًا حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ :

لَمَّا أَطْلَقَ أَبِي طَاهِرٌ عَلَيَّ بَنَ الْجَهْمِ مِنَ الْخَبَسِ أَقَامَ مَعَهُ بِالشَّادِ بِحِجَّةٍ ، فُجِرُوا
يَوْمًا إِلَى الصَّبِيِّ ، وَاتَّفَقَ لَهُمْ مَرْجٌ كَثِيرُ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ ، وَكَانَتْ أَيَّامُ الزَّعْفَرَانِ ،
فَأَصْطَادُوا صَيْدًا كَثِيرًا حَسَنًا ، وَأَقَامُوا يَسْرِبُونَ عَلَى الزَّعْفَرَانِ . فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ
يَصِفُ ذَلِكَ :

وَطِئْنَا رِيَاضَ الزَّعْفَرَانِ وَأَمْسَكْتُ * عَلَيْنَا الْبَزَاءُ الْبَيْضُ حُمَرَ الدَّرَاجِ^(٢)
وَلَمْ تَحْمِهَا الْأَذْفَالُ مِنَّا وَإِنَّمَا * أَتَجَنَّا حِمَاهَا بِالْكَلَابِ النَّوَاجِ^(٣)
بُمُسْتَرَوِحَاتٍ سَابِحَاتٍ بِطُونُهَا * عَلَى الْأَرْضِ أَمْثَالُ السَّهَامِ الزَّوَالِ^(٤)
وَمُسْتَشْرِفَاتٍ بِالْهُوَادِي كَأَنَّهَا * وَمَا عَقَفْتُ مِنْهَا رَعْوُسُ الصَّوَالِ^(٥)
وَمِنْ دَالِعَاتٍ أَلْسُنًا فَكَأَنَّهَا * لَحَى مِنْ رِجَالٍ خَاضِعِينَ كَوَاسِجِ^(٦)
وَمِنْ دَالِعَاتٍ أَلْسُنًا فَكَأَنَّهَا * لَحَى مِنْ رِجَالٍ خَاضِعِينَ كَوَاسِجِ^(٧)

١١٧
٩

- ١٥ (١) راجع الحاشية رقم ٣ صفحة ٢٠٨ من هذا الجزء . (٢) الدراريج : جمع دراج
وهو طير جميل المنظر ملون الريش . وفي الأصول : « التدرج » وهو تحريف . (٣) نباج الكلب :
نباحه . وفي ١ ، ح ، م : « النواج » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . وفي ب ، ص :
« البوارج » وهو تحريف . (٤) استروح الشيء : تسممه . وسابحات : سرعات .
(٥) الزوالج : هنا بمعنى السريمة . يقال سهم زالج أى يزج على وجه الأرض ثم يمضى .
(٦) الهوادي هنا : الأعناق . وعقفت : عطففت .
٢٠ (٧) دالعات السنن : مخرجات السنن من أفواهها . والكوسج : الذى لحيته على ذقنه لا على عارضيه .

فَلَيْتَ بِهَا الْفَيْطَانَ فَلَيْتَ كَانَتْهَا * أَنَا مَلُ إِحْدَى الْغَانِيَاتِ الْخَوَالِجِ^(١)
 فَقُلْ لِبُغَاةِ الصَّيْدِ هَلْ مِنْ مُفَاخِرٍ * بِصَيْدٍ وَهَلْ مِنْ وَاصِفٍ أَوْ مُخَارِجِ^(٢)
 قَرَنَّا بُرَاةً بِالصُّقُورِ وَحَوَمَتٍ * شَوَاهِينَا مِنْ بَعْدِ صَيْدِ الزَّمَانِجِ^(٣)

عَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ :

كُتِبَ عَلَى بَنِ الْجَهْمِ إِلَى التَّوَكُّلِ وَهُوَ عَجُوبٌ :

كتب من حبسه
إلى المتوكل شعرا

صوت

أَقْلَسَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ * يَتَّبِعْكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى
 وَيَقْذُوكَ بِالنِّعَمِ السَّابِغَاتِ * وَلَيْدًا وَذَا مَيْعَةٍ أَمْرَدًا
 وَتَجَرِي مَقَادِيرُهُ بِالَّذِي * تُحِبُّ إِلَى أَنْ بَلَغْتَ الْمَدَى
 وَيُعْلِيكَ حَتَّى تَوَافِيَ السَّمَاءَ * تُسَالُ لِحَاوِزَتِهَا مُضْعِدًا
 فَا بَيْنَ رَبِّكَ جَلَّ أَسْمُهُ * وَبَيْنَكَ إِلَّا نَبِيَّ الْهُدَى
 فَشَكَرًا لِأَنْعَمِهِ إِنَّهُ * إِذَا شُكِرَتْ نِعْمَةٌ جَدًّا
 وَعَفْوًا عَنْ مُذْنِبٍ خَاضِعٍ * فَرَنْتَ الْمُقِيمَ بِهِ الْمُقْعِدَا
 إِذَا أَدْرَعَ اللَّيْلَ أَفْضَى بِهِ * إِلَى الصُّبْحِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْقُدَا
 عَفَا اللَّهُ عَنْكَ إِلَّا حُرْمَةً * تَعُوذُ بِفَضْلِكَ أَنْ أَبْعِدَا
 لَنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْ * لِأَنْتَ أَجَلٌ وَأَصْلٌ يَدَا
 أَلَمْ تَرَّ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ * وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى

(١) حوایج : جمع حائلة وهي : ف القطن حتى يخلص الحب منه .

(٢) خارجه : نأهده . يريد : هل من مناهض يناهضنا في الصيد . (٣) كذا في أكثر

الأصول . والزمانج : مع زنج (وزان سكر) وهو نوع من الطير يصاد به دون العقاب ، تغلب على لونه
 الحمرة . وفي ب ، س : « الزمانج » . جمع راج ، وهو ملواح تصاد به الجوارح كالصقور ونحوها .
 وهذا لا يصلح في هذا المقام .

وَمُفْسِدَ أَمْرِ تَلَايَتِهِ * فَعَادَ فَاصْلَحَ مَا أُنْصَدَا
فَلَا عُدْتُ أَعْصِيكَ فِيمَا أَمَرُ * تَ حَتَّى أَزُورَ الثَّرَى مُلْحَدَا
وَالَا نَخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ * وَخُنْتُ الصَّدِيقَ وَعِغْتُ النَّدَى
وَكُنْتُ كَعَزُونَ أَوْ كَابْنَ عَمْرُو * مُبِيجَ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَدَا
يَكْثُرُ فِي الْبَيْتِ صَبِيَانَهُ * يَغِيظُ بِهِمْ مَعْشَرًا حُسَدَا

٥

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ :

شمت بأحمد بن
أبي دؤاد حين فُلج
وقال شعرا يهجو

لَمَّا فُلَجَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ شِمْتُ بِهِ عَمِّي ابْنَ الْجَهْمِ وَأَظْهَرَ ذَلِكَ لَهُ وَقَالَ فِيهِ :

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ سِوَى خِيَالِكَ لَا مَعَا * فَوْقَ الْفِرَاسِ مُمَهَّدَا بُوَسَادِ
فَرِحْتُ بِمَضْرَعِكَ الْبَهْرِيَّةِ كُلِّهَا * مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُوقِنًا بِمَعَادِ
كَمْ مَجْلِسَ اللَّهِ قَدْ عَطَلْتَهُ * كَيْ لَا يُحَدِّثَ فِيهِ بِالْإِسْنَادِ
وَلَكُمُ مَصَابِيحٌ لَنَا أَطْفَأَتْهَا * حَتَّى يَزُولَ عَنِ الطَّرِيقِ الْهَادِي
وَلَكُمُ كَرِيمَةٌ مَعْتَبِرُ أَرْمَلَتَهَا * وَمُحَدِّثٌ أَوْقَعَتْ فِي الْأَقْيَادِ
إِنَّ الْأَسَارَى فِي السُّجُونِ تَفَرَّجُوا * لَمَّا أَتَاكَ مَوَاصِبُ الْعُودَادِ
وَعَدَا لِمَصْرَعِكَ الطَّبِيبَ فَلَمْ يَجِدْ * شَيْئًا لِدَائِكَ حِيلَةَ الْمُتَرَدِّدِ
فَدَقَّ الْمَوَانِ مُعْجَلًا وَمُؤْجَلًا * وَاللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ بِالْمِرْصَادِ
لَا زَالَ فَالْجُحُكُ الَّذِي بَكَ دَائِبًا * وَيُخَفِّتُ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالْأَوْلَادِ

١٠

١٣

١١٨
٩

أَنشَدَنِي عَمِّي لِابْنِ الْجَهْمِ وَفِيهِ غِنَاءٌ لِعَرِيبٍ :

شعر له غنت فيه
عريب

نَطَقَ الْهَوَى يَجُودِي هُوَ الْحَقُّ * وَمَلَكَتْنِي فَلَيْهِنَكَ الرَّقُّ
رِفْقًا بِقَلْبِي يَا مَعْدَبَهُ * رِفْقًا وَلَيْسَ لِفْطَالِمِ رِفْقُ
وَإِذَا رَأَيْتُكَ لَا تَكَلِّنِي * ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَالْأَفْقُ

٢٠

وَأُنْشِدُنِي لَهُ فِيهِ غِنَاءٌ أَيْضًا ، وَيُقَالُ إِنَّهُ آخِرُ شِعْرِ قَالِهِ :
 يَارَحْمَةً لِلْغَرِيبِ بِالْبَلَدِ النَّ * لَازِحٌ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا
 فَارَقَ أَحِبَّاءَهُ فَمَا آتَنَفَعُوا * بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَمَا آتَنَفَعَا
 وَقَالَ لِمَنْ حَضَرَ مَعَهُ مَجْلِسًا وَكَانَ خَيْرَ طَيْبٍ :

هجا مغنيا بشعر

كُنْتُ فِي مَجْلَسٍ فَقَالَ مُغْنِيٌّ أَل * تَقُومُ كَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الشِّتَاءِ
 فَذَرَعْتُ الْبِسَاطَ مِنِّي إِلَيْهِ * قُلْتُ هَذَا الْمِقْدَارُ قَبْلَ الْغِنَاءِ
 فَإِذَا مَا عَزَّيْتُ بِهِ أَنْ تَتَغَنَّى * أَذْنُ الْحَرْ كُلُّهُ بِأَنْقِضَاءِ
 أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ أَبِي طَالِحٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِّ قَالَ :
 لَمَّا حَبَسَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلُ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ ، وَأَجْمَعَ الْجُلَسَاءُ عَلَى عِدَاوَتِهِ
 وَإِبْلَاجِ الْخَلِيفَةِ عَنْهُ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَوَصْفِهِمْ مَسَاوِيَهُ ، قَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ يَمْدَحُهُ وَيَذْكُرُهُ
 حَقُوقُهُ عَلَيْهِ ، وَهِيَ :

استشفع بقبيلة
الى المتوكل وهو
في حبسه فأرسلت
اليه ابنتها المعتز

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ أَلَا حُرْمَةً * تَعُوذُ بِعَفْوِكَ أَنْ أَبْعَدَا
 وَوَجَّهَ بِهَا إِلَى بَيْتِ دُونَ الْخَادِمِ ، فَدَخَلَ بِهَا إِلَى قَبِيحَةٍ وَقَالَ لَهَا : إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْجَهْمِ
 قَدْ لَازَبَكَ وَلَيْسَ لَهُ نَاصِرٌ سِوَاكَ ، وَقَدْ قَصَدَهُ هَؤُلَاءِ التَّدْمَاءُ وَالْكَتَابُ لِأَنَّهُ رَجُلٌ
 مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ وَهُمْ رَوَافِضُ ، فَقَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى الْإِغْرَاءِ بِقَتْلِهِ . فَدَعَتِ الْمُعْتَرِّ
 وَقَالَتْ لَهُ : أَذْهَبَ بِهَذِهِ الرُّقْعَةِ يَا بَنِيَّ إِلَى سَيِّدِكَ وَأَوْصِلَهَا إِلَيْهِ ، بِخَاءِهَا وَوَقَفَ بَيْنَ
 يَدَيْ أَبِيهِ . فَقَالَ لَهُ : مَا مَعَكَ فَدَيْتُكَ ؟ فَدَنَا مِنْهُ وَقَالَ : هَذِهِ رُقْعَةٌ دَفَعْتُهَا إِلَى أُمِّي .
 فَقَرَأَهَا الْمُتَوَكِّلُ وَضَحِكَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : أَصْبَحَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ — فَدَيْتُهُ —
 خَصَمَكُمْ . هَذِهِ رُقْعَةُ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ يَسْتَقِيلُ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَفِيعُهُ ، وَهُوَ مِنْ لَائِرِ دَعْوَةٍ ،
 وَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

٢٠

فَلَا عُدْتُ أُعْصِيكَ فِيمَا أُمِرْتُ * إِلَى أَنْ أَحُلَّ الثَّرَى مُلْحَدَا

(١) يستقيل : يطلب الإقالة من ذنبه والعفو عنه .

- وَإِلَّا نَخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ * وَخُنْتُ الصَّدِيقَ وَعِفْتُ النَّدَى

وَكُنْتُ كَعَزُونَ أَوْ كَابْنِ عَمْرٍو * مُبِيعَ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَا

وَتَبَّ ابْنُ حَمْدُونَ وَقَالَ لِلْعَتَرِ : يَا سَيِّدِي فَنَنْدِفُ هَذِهِ الرُّقْعَةَ إِلَى السَّيِّدَةِ ؟ قَالَ
بَيِّدُونَ الْخَادِمَ : أَنَا ، فَقَالُوا لَهُ : أَحْسَنْتَ ! تُعَادِينَا وَتَوْصِلُ رُقْعَةً عَدُونًا فِي هِجَانِنَا !!
فَأَنْصَرَفَ بَيِّدُونَ وَقَامَ الْمُعْتَرِّ فَاَنْصَرَفَ . وَأَسْتَلَبَ ابْنُ حَمْدُونَ قَوْلَهُ :

وَكُنْتُ كَعَزُونَ أَوْ كَابْنِ عَمْرٍو * مُبِيعَ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَا

١١٩
٩

بِفَعْلٍ يُنْشِدُهُمْ إِيَّاهُ وَهُمْ يَشْتُمُونَ ابْنَ حَمْدُونَ وَيَضْجُونَ وَالتَّوَكَّلُ يَضْحَكُ وَيَصْفَقُ
وَيَشْرَبُ حَتَّى سَكِرَ وَنَامَ ، وَسَرَقُوا قَصِيدَتَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ التَّوَكَّلِ وَأَنْصَرَفُوا ، وَلَمْ يَوْقِعْ
بِإِطْلَاقِهِ وَنَسِيَهُ . فَقَالُوا لِابْنِ حَمْدُونَ : وَيْلَكَ ! تُعِيدُ هِجَانِنَا وَشَتْمَنَا ! ! فَقَالَ : يَا حَقِّ وَاللَّهِ
لَوْ لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ فَيَضْحَكُ وَيَشْرَبُ حَتَّى يَسْكُرَ وَيَنَامَ لَوْقِعَ فِي إِطْلَاقِهِ وَوَقَعْنَا مَعَهُ
فِي كُلِّ مَا نَكْرَهُ .

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ هَارُونَ بْنِ زِيَادٍ قَالَ حَدَّثَنِي
أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونَ قَالَ :

لَمَّا أَفْتُتِحتْ أَرْمِينِيَّةٌ وَقُتِلَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ فَأَنشَدَ
الْمَتَوَكَّلَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يُهَنِّئُهُ فِيهَا بِالْفَتْحِ وَيَمْدَحُهُ ، فَقَالَ فِيهَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الرَّسُولِ
الْوَارِدِ بِالْفَتْحِ وَرَأْسَ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ * جِئْتُ بِمَا يَشْفِينِي مِنَ الْغَلِيلِ

بِجَمَلَةٍ تُغْنِي عَنِ التَّفْصِيلِ * بِرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلِ

* قَهْرًا بَلَا خَتْلٍ وَلَا تَطْوِيلِ *

(١) فِي الْأَصُولِ : « تَوْب » . (٢) هُوَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ ، ظَفَرِيَّةٌ بَنِي

وَأَحْرَقَ مَدِينَةَ قَفْلَيْسَ سَنَةَ ٢٣٨ هـ .

هَذَا الْمَتَوَكَّلُ بِفَتْحِ
أَرْمِينِيَّةٍ

فاستحسن جميع من حضر ارتجاله هذا وابتداه ، وأمر له المتوسك بثلاثين ألف درهم ، وتمم القصيدة . وفيها يقول :

جَاوَزَ نَهْرَ الْكُرِّ بِالْحِيُولِ * تَرْدَى بِفَتَيَانِ كَأَسَدِ الْغِيلِ^(١)
 مُعَوَّدَاتِ طَلَبِ الدُّحُولِ * تُخْزِرُ الْعَيُونَ طَبِيبِ النَّصُولِ^(٢)
 شُعْتُ عَلَى شُعْتُ مِنَ الْفَحُولِ * جَبَّيْنُ يَلْفُ الْحَزْنِ بِالسُّهُولِ^(٣)
 كَأَنَّهُ مُعْتَلِجُ السُّيُولِ * يَسُوسُهُ كَهْلٌ مِنَ الْكُهُولِ^(٤)
 لَا يَلْتَنِي لِلصَّعْبِ وَالذُّلُولِ * عَلَى أَغْرٍ وَاضِحٍ الْخُجُولِ^(٥)
 حَتَّى إِذَا أَحْمَرُ لِلْخُذُولِ * أَجَزَهُ بَصَارِمُ صَقِيلِ^(٦)
 ضَرْبًا طَلْحَفًا لَيْسَ بِالْقَلِيلِ * وَمِنْجَنِيْقٌ مِثْلُ حَلْقِ الْفِيلِ^(٧)
 تَرْفُضُ عَنْ خُرْطُومِهِ الطَّوِيلِ * صَوَاعِقُ مِنْ حَجَرِ السَّجِيلِ^(٨)
 تَتْرَكَ كَيْدَ الْقَوْمِ فِي تَضَلِيلِ * مَا كَانَ إِلَّا مِثْلُ رَجْعِ الْقِيلِ^(٩)
 حَتَّى لَهَجَلَتْ عَنْ حَزْبِهِ الْمَفْلُولِ * وَعَنْ نِسَاءٍ حُسْرٍ ذُهُولِ^(١٠)
 صَوَارِيخُ يَعْتُرْنَ فِي الدُّيُولِ * تَوَاكَلِ الْأَوْلَادُ وَالْبُعُولِ^(١١)
 لَا وَالَّذِي يُعْرِفُ بِالْعُقُولِ * مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ وَلَا تَمْثِيلِ^(١٢)
 مَا قَامَ اللَّهُ وَلِلرَّسُولِ * بِالْدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَبِالتَّنْزِيلِ^(١٣)
 * خَلِيفَةُ كُحْمَفَرِ الْمَأْمُولِ *

(١) الكر (بضم أوله) : نهر بين أرمينية وأزان يشق مدينة تفليس . وتردى الغيل رديا ورديانا : ترجم الحصا بحوافرها من شدة وطئها . (٢) في أكثر الأصول : « الدخول » بالدال والحاء وهو تصحيف وفي ج : « الدحول » بالدال والحاء المهملتين . والدحول : جمع ذحل وهو الثأر .

(٣) خزر : جمع أنزروتنزراء . وتخزر العين : ضيقها ، وهو كناية عن الغضب .

(٤) في ج : « طيب » . وفي أ ، م هكذا : « حتى » . وفي ب ، س : « صيقى » .

(٥) اعتلجت الأمواج والسيول : التطلمت . (٦) أحمر : برز . (٧) طلحفا : شديدا .

(٨) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة . فارسي معرب . (٩) السجيل : حجارة كالدر .

مدح المتوكل
بقصيدة وأرسلها
من حبسه مع علي
ابن يحيى

١٢٠
٩

أخبرني علي بن العباس قال حدثني محمد بن عبد السلام قال :
رأيت مع علي بن يحيى المنعجم قصيدة علي بن الجهم يمدح المتوكل ويصف
الهاروني^(١)، فقلت له : يا أبا الحسن ، ما هذه القصيدة معك ؟ فضحك وقال :
قصيدة لعلي بن الجهم سألتني عرّضها على أمير المؤمنين فعرضتها . فلما سمع قوله :
وَقُبَّةُ مُلْكٍ كَأَنَّ النَّجْوَى * مَ تَصْنِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
تَخْرُ الْوَفُودُ لَهَا . إِذَا مَا تَجَلَّتْ لِأَبْصَارِهَا
وَفَوَارَةُ ثَارِهَا فِي السَّمَاءِ * فَلَيْسَتْ تُقْصِرُ عَنْ ثَارِهَا
تَرْدُ عَلَى الْمُنْزَنِ مَا أَنْزَلَهُ^(٢) إِلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ مِدْرَارِهَا
تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأَسْتَحْسَنَهَا . فلما انتهيت إلى قوله :
تَبَوَّأَتْ بَعْدَكَ قَعَرَ السَّجُونِ * وَقَدْ كُنْتُ أَرَى لَزْوَارِهَا
غَضِبَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ وَقَالَ : هذا بما كسبت يداه ، ولم يسمع تمام القصيدة .

شاع مذهب وشرة
فسافر لحلب فقتل
في الطريق وقال
شعرا قبل موته

أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن موسى قال :
لما شاع في الناس مذهب علي بن الجهم وشرة وذكره كل أحد بسوء من
صديقه وعدوه تحاماه الناس ، فخرج عن بغداد إلى الشام ، فاتفقنا في قافلة إلى حلب .
وخرج علينا نفر من الأعراب ، فتسرع إليهم قوم من المقاتلة ، وخرج فيهم فقاتل
قتالا شديدا وهزم الأعراب . فلما كان من غد خرج علينا منهم خلق كثير ، فتسرعت
إليهم المقاتلة وخرج فيهم فأصابته طعنة قتلتها ، فخننا به واحتملناه وهو يتزرف دمه .
فلما رأني بكى وجعل يوصيني بما يريد . فقلت له : ليس عليك بأس . فلما أمسينا
قلق قلقا شديدا وأحس بالموت ، فجعل يقول :

(١) الهاروني : قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون الواثق بالله . وهو على دجلة بينه وبين
سامراء ميل .
(٢) يحتمل جدا أن تكون : « تفضي » .

أَزِيدَ فِي اللَّيْلِ لَيْلٌ * أَمْ سَالَ بِالصُّبْحِ سَيْلٌ
ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ^(١) * وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلٌ

فَأَبَى كُلٌّ مِنْ كَانَ فِي الْقَافِلَةِ ، وَمَاتَ مَعَ السَّحَرِ ، وَدُفِنَ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ عَلَى مَرَحَلِهِ
مِنْ حَلَبَ .

وَمِنْ صِنْعَةِ أَبِي عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ

صَوْتُ

إِنَّ النَّاسَ غَطَّوْنِي تَغَطَّتْ عَنْهُمْ * وَإِنْ يَجْثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحٌ
وَإِنْ حَقَرُوا يَرَى حُفْرَتِ بَنَاتِهِمْ * فَسَوْفَ تَرَى مَاذَا تُشِيرُ النَّبَاتُ^(٢)

الشعر لأبي دلامة . والغناء لأبي عيسى بن المتوكل ، ولحنه ثَقِيلٌ أَوَّلُ عَنْ الْمُعْتَزِّ .

(١) دجيل : نهر يخرج من أعلى بغداد بين تكريت وبينها مقابل القادسية دون سامراء .

(٢) النباتات : جمع نبتة ، وهي تراب البئر .

أخبار أبي دلامة ونسبه

نسبه وهو مولى
لبنى أسد وكان
فاسد الدين متهكما

أبو دلامة زَند بن الجَوْن . وأكثُر الناس يُصَحِّفُ اسمَه فيقول "زيد" بالياء ،
وذلك خطأ ، وهو زَند بالنون . وهو كوفيٌّ أسودٌ ، مولى لبني أسد ، كان أبوه - بدأ
لرجل منهم يقال له فضا فاض فأعتقه . أدرك آخر أيام بني أمية ، ولم يكن له في أيامهم
نباهة ، ونبغ في أيام بني العباس ، وأتقطع إلى أبي عباس وأبي جعفر المنصور
والمهدي . فكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيون مجالسته ونوادره . وقد كان أتقطع
إلى رُوح بن حاتم المُهَلَّبِيَّ أيضًا في بعض أيامه . ولم يصل إلى أحد من الشعراء ما وصل
إلى أبي دلامة من المنصور خاصة . وكان فاسد الدين ، ردى المذهب ، مرتكبًا
للحارم ، مُضِيًّا للفروض ، مجاهرًا بذلك ، وكان يُعلم هذا منه ويُعرف به ، فيُتَجَانَى
عنه لِلطَّيفِ محله . وكان أول ما حُفِظَ من شعره وأُسْنِيتِ الجوائز له به قصيدة
مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم . فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار
قال حدثني محمد بن داود بن الجراح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حبيب قال :
لما قال أبو دلامة قصيدته في قتل أبي مسلم التي يقول فيها :

أبا مُسْلِمٍ خَوْفَتْنِي الْقَتْلَ فَأَتَّحَى * عليك بما خَوْفَتْنِي الْأَسَدُ الْوَرْدُ
أبا مُسْلِمٍ ما غَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَةً * على عبده حتى يَغَيِّرَهَا الْعَبْدُ

أنشدها المنصور في محفل من الناس ، فقال له : أحتم . قال : عشرة آلاف درهم ،
فأمر له بها . فلما خلا به قال له : إيه ! أما والله لو تعديتها لقتلتك .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن مسلم عن أبيه قال :
سمي لي أبو دلامة نفسه زَندًا (بالنون) ابن الجَوْن . وأسلم مولاه فضا فاض ، وله
أيضا شعر ، وكان في الصحابة .

أول شعر عرف به
١٢١
٩

١٠

١٥

٢٠

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال حدّثني جعفر
ابن الحسين المهلّبيّ قال :

أعفاه المنصور
من لبس السواد
والقلانس دون
الناس

كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابه بلبس السَّوَادِ وَقَلَانِسٍ طَوَالِ تَدْعَمٍ
بَعِيَا إِذْ مِنْ دَاخِلِهَا ، وَأَنْ يَلْقُوا السُّيُوفَ فِي الْمَنَاطِقِ ، وَيَكْتُبُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ :
﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . فدخل عليه أبو دُلَامَة فِي هَذَا الزَّيِّ . فَقَالَ ٥
لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ : مَا حَالُكَ ؟ قَالَ : شَرُّ حَالٍ ، وَجَيْهِي فِي رِصْفِي ، وَسَيْفِي فِي آسَتِي ،
وَكِتَابُ اللَّهِ وَرَاءَ ظَهْرِي ، وَقَدْ صَبَغْتُ بِالسَّوَادِ ثِيَابِي . فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَعْفَاهُ وَحَدَّه
مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا . أَنْ يَسْمَعَ هَذَا مِنْكَ أَحَدٌ .

وَنَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ لَأَبْنِ النَّطَّاحِ فَذَكَرَ مِثْلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ سَوَاءً وَزَادَ فِيهَا :
وَكُنَّا نَرْجِي مِنْ إِمَامٍ زِيَادَةً * بَخَادٍ بِطُولِ زَادِهِ فِي الْقَلَانِسِ ١٠
تَرَاهَا عَلَى هَامِ الرِّجَالِ كَأَنَّهَا * دِنَانُ يَهُودٍ جُلَّتْ بِالْبِرَانِسِ
فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَعْفَاهُ .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد النحويّ قال حدّثني
الجاحظ قال .

طلب من المنصور
أو السفاح ، كلب
صيد ثم تدرج
في الطلب إلى أشياء
كبيرة

كان أبو دُلَامَة بَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ وَاقِفًا — وَأَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ ١٥
أَنَّهُ كَانَ وَاقِفًا بَيْنَ يَدَيِ السَّفَّاحِ — فَقَالَ لَهُ : سَلْنِي حَاجَتَكَ . قَالَ أَبُو دُلَامَة : كَلْبٌ
أَتَصِيدُ بِهِ . قَالَ : أَعْطُوهُ إِيَّاهُ . قَالَ : وَدَابَّةٌ أَتَصِيدُ عَلَيْهَا . قَالَ : أَعْطُوهُ . قَالَ : وَغَلَامٌ
يَصِيدُ بِالْكَلْبِ وَيَقُودُهُ . قَالَ : أَعْطُوهُ غَلَامًا . قَالَ : وَجَارِيَةٌ تُصْلِحُ لَنَا الصَّيْدَ وَتُطْعِمُنَا
مِنْهُ . قَالَ : أَعْطُوهُ جَارِيَةً . قَالَ : هَؤُلَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَبِيدُكَ فَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ دَارٍ
يَسْتَكُونُهَا . قَالَ : أَعْطُوهُ دَارًا تَجْمَعُهُمْ . قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ ضَيْعَةٌ فَمِنْ أَيْنَ ٢٠

يعيشون ! قال : قد أعطيتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : مالا نبات فيه . فقال : قد أقطعك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فياني بنى أسد . فضحك وقال : اجعلوها كلها عامرة . قال : فأذن لي أن أقبل يدك . قال : أما هذه فدعها . قال : والله ما منعت عيالي شيئا أقل ضرراً عليهم منها . قال الجاحظ : فأنظر إلى حدقه بالمسالة ولطفه فيها : ابتدأ بكلب فسهل القصة به ، وجعل يأتي بما يليه على ترتيب وفكاهة ، حتى نال ما لو سأل بهية لما وصل إليه .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني السكري عن محمد بن حبيب قال :
 اسم أبي دلامة زند بالنون ، ومن الناس من يرويه بالياء ، وكنت أبا دلامة باسم جبل بمكة يقال له أبو دلامة ، كانت قريش تئذ فيه البنات في الجاهلية ، وهو بأعلى مكة .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرني عمي قال حدثني الكزاني عن العمري عن الهيثم قال :

دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنِ فَانْتَجِعُوا * وَزَوْدُوكَ خَبَالًا بئس ما صنعوا
 والله يعلم أَنَّ كَادَتْ لِيَيْنُهُمْ * يَوْمَ الْفِرَاقِ حَصَاةُ الْقَلْبِ تَنْصَدَعُ
 عَجِبْتُ مِنْ صِيَّتِي يَوْمًا وَأُمُّهُمْ * أُمُّ الدَّلَامَةِ لَمَّا هَاجَهَا الْجَزَعُ
 لا بَارِكَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ مُنْهِيَةٍ * هَبَّتْ تُلُومُ عِيَالِي بَعْدَ مَا هَجَعُوا
 وَنَحْنُ مُشْتَبِهُوا الْأَلْوَانَ أَوْجَهُنَا * سُودٌ قَبَاحٌ وَفِي أَسْمَانَا شَعْرٌ
 إِذَا تَشَكَّيْتُ إِلَى الْجُوعِ قُلْتُ لَهَا * مَا هَاجَ جُوعُكَ إِلَّا الرَّيُّ وَالشَّيْبُ

(١) الجريب من الأرض : ثلاثة آلاف وستائة ذراع ، وقيل : عشرة آلاف ذراع . (٢) كان الأنفل أن يكون «أجدوا البين فاننجعوا» لينفق الضميران . على أنه يجوز أن يكون ضمير «الخليط» مفردا وجمعا .

كنى باسم جبل
 بمكة
 ١٢٢
 ٩

أنشد المنصور
 شعرا فأجازه

١٥

٢٠

— وَيُرَوَّى وَهُوَ الْجَيِّدُ :

أَذَابَكَ الْجُوعُ مُذْ صَارَتْ عِيَالُنَا * عَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْهُ الرَّئِيُّ وَالشَّيْبُ —
لَا وَالَّذِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى * لَكَ الْخِلَافَةَ فِي أَسْبَابِهَا الرِّفْعُ
مَا زِلْتُ أَخْلَصُهَا كَسْبِي فَنَآكُلُهُ * دُونِي وَدُونِ عِيَالِي ثُمَّ تَضْطَجِعُ
شَوْهَاءَ مَشْنَأَةٍ فِي بَطْنِهَا نَجْلٌ * وَفِي الْمَفَاصِلِ مِنْ أَوْصَالِهَا فِدْعُ^(١)
ذِكْرُهَا بِكِتَابِ اللَّهِ حُرْمَتَنَا * وَلَمْ تَحْكُنْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَنْتَفِعُ
فَاخْرَنْطَمَتْ^(٢) ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مُغْضِبَةٌ * أَنْتِ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ يَا لِكُفِّ
أَنْخُرْجَ لَتَبِيعَ لَنَا مَالًا وَمَزْرَعَةً * كَمَا لِحَيْرَانَا مَالٌ وَمُزْدَرَعُ
وَأَخْدَعُ خَلِيفَتَنَا عَنْهَا بِمَسْأَلَةٍ * إِنْ الْخَلِيفَةُ لِلسُّؤَالِ يَنْخَدَعُ

- ١٠ فضحك أبو جعفر وقال: أرضوها عني وأكتبوا له بمائتي جريب عامرة ومائتي جريب
غامرة — وقال الهيثم: بستائة جريب عامرة وغامرة — فقال له: أنا أقطعك يا أمير
المؤمنين أربعة آلاف جريب عامرة فيما بين الحيرة والنجف، وإن سئلت زدتك.
فضحك وقال: اجعلوها كلها عامرة .

- ١٥ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الطَّلَاسِ رَوَى حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازِ عَنْ
الْمَدَائِنِيِّ قَالَ :
شَهِدَ أَبُو دُلَامَةَ بِشَهَادَةِ لُجَارَةٍ لَهُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَلَى أَنَّهُ نَازِعُهَا فِيهَا رَجُلٌ .
فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الشَّهَادَةِ قَالَ : اسْمَعْ مَا قُلْتُ فَيْكَ قَبْلَ أَنْ آتِيكَ ثُمَّ أَقْبِضْ مَا شِئْتَ .
قَالَ : هَاتِ ، فَأَنْشَدَهُ :

شهد عند ابن أبي ليلى
لجارة له وقال شعرا
فأما مضى ابن أبي ليلى
شهادته

- ٢٠ (١) النجل : عظم البطن واسترخاؤه . والفدع : الاوجاج . (٢) اخرنطمت : رفعت ألقها
واستكبرت وغضبت . (٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى فاضى الكوفة . أول من استقضاء
على الكوفة يوسف بن عمر الثقفي واستقضاء بعد ذلك بنو العباس .

إِنَّ النَّاسَ غَطُّونِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ * وَإِنْ بَحَسُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ
وَإِنْ حَفَرُوا بَرَى حَفَرْتُ بِثَارِهِمْ * لِيُعْلَمَ يَوْمًا كَيْفَ تِلْكَ النَّبَاطُ.

ثم أقبل على المرأة فقال : أَتَبِيعِينِي الْآنَ ؟ قالت نعم . قال : بكم ؟ قالت :
بمائة درهم . قال : ادفعوها إليهما ففعلوا . وأقبل على الرجل فقال : قد وهبتهما لك ،
وقال لأبي دلّامة : قد أَمْضَيْتُ شَهَادَتَكَ ولم أبحث عنك ، وأبتعتُ مِمَّنْ شَهِدَتْ
له ، ووهبتُ مِلْكَى لِمَنْ رَأَيْتُ . أَرْضَيْتَ ؟ قال نعم ، وأنصرف .

شرب مع السيد
الحميرى أراي عطاء
السندى فذم ابنته
وأخبر المنصور
فأكرمه

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة قال
حدثنا محمد بن سلام عن علي بن إسماعيل قال :

١٢٣
٩

كنتُ أَسْقِي أَبَا دُلَّامَةَ وَالسَّيِّدَ ، إِذْ خَرَجْتُ بِنْتُ لَأْبَى دُلَّامَةَ ، فَقَالَ فِيهَا
أَبُو دُلَّامَةَ :

١٠

فَمَا وَلَدَتْكَ مَرْيَمُ أُمَّ عَيْسَى * وَلَا رَبَّكَ لَقَهَاتُ الْحَكِيمِ
أَجْزَا يَا أَبَا هَاشِمٍ . فَقَالَ السَّيِّدُ :

وَلَكِنْ قَدْ تَضَمَّكَ أُمُّ سَوَّى * إِلَى لَبَّائِهَا وَأَبُ لَثِيمِ

ففضحك لذلك . ثم غدا أبو دلّامة إلى المنصور فألقاه في الرَّحْبَةِ يُصَلِّحُ فِيهَا شَيْئًا
يريده ، فأخبره بقصة بنته وأنشده البيتين ، ثم أندفع فأنشده بعدهما :

١٥

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ * قَوْمٌ لَقِيلَ أَقْعِدُوا يَا آلَ عَبَّاسٍ

ثُمَّ أَرْتَقُوا فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ كُلُّكُمْ * إِلَى السَّمَاءِ فَاتَمَّ أَظْهَرُ النَّاسِ

وَقَدَّمُوا الْقَائِمَ الْمَنْصُورَ رَأْسَكُمْ * فَالْعَيْنُ وَالْأَنْفُ وَالْأُذُنَانِ فِي الرَّاسِ

(١) كذا في ح . وفي سائر النسخ : « السندى » . وقد رجحنا رواية ح لأن أبا هاشم كنية السيد
الحميرى . وسيأتى في الصفحة التالية هذا الخبر بين أبي دلّامة وأبي عطاء السندى . فلهذا هو الذي أوقع
النساخ في هذا اللبس .

٢٠

فَأَسْتَحْسِنُهَا، وَقَالَ لَهُ : بَأَى شَيْءٍ تَحُبُّ أَنْ أُعِينَكَ عَلَى قُبْحِ آبْنِكَ هَذِهِ؟ فَأَخْرَجَ
نَحْرِيَّةً قَدْ كَانَ خَاطِمُهَا مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : تَمَلَّأْ لِي هَذِهِ دَارَهُمْ، فُلِّمْتُ فَوَسَعْتُ أَرْبَعَةَ
آلَافٍ دِرْهَمٍ .

وَقَدْ أَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي الْكَرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْعُمَرِيُّ عَنْ الْمُهَيْمِ
ابْنِ عَدِيٍّ قَالَ :

دَخَلَ أَبُو عَطَاءٍ السَّنْدِيُّ يَوْمًا إِلَى أَبِي دُلَامَةَ مَا حَتَبَسَهُ عِنْدَهُ، وَدَعَا بِطَعَامٍ فَأَكَلَا
وَشَبِعَا، وَخَرَجَتْ إِلَى أَبِي دُلَامَةَ صَبِيَّةٌ لَهُ فَحَمَلَهَا عَلَى كَتِفِهِ، فَبَالَتَ عَلَيْهِ فَنَبَذَهَا عَنْ
كَتِفِهِ، ثُمَّ قَالَ :

بَلَّيْتُ عَلَى - لَأَخِيَّتِ - ثَوْبِي * فَبَالَ عَلَيْكَ شَيْطَانٌ رَجِيمٌ
فَمَا وَلَدَتْكَ مَرْيَمٌ أُمُّ عِيسَى * وَلَا رَبَّكَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ

ثُمَّ آتَيْتُ إِلَى أَبِي عَطَاءٍ فَقَالَ لَهُ : أَجْزُ . فَقَالَ :

صَدَقْتَ أَبَا دُلَامَةَ لَمْ تَلِدْهَا * مُطَهَّرَةٌ وَلَا فُلٌّ كَرِيمٌ
وَلَكِنْ قَدْ حَوَّتْهَا أُمُّ سَوِيٍّ . إِلَى لَبَّاتِهَا وَأَبُّ لَكْسِيمٍ

فَقَالَ لَهُ أَبُو دُلَامَةَ : عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ ! مَا حَلَّكَ عَلَى أَنْ بَلَغْتَ بِي هَذَا كُلَّهُ ! وَاللَّهِ
لَا أَنَا زَعَمْتُ بَيْتَ شَعْرٍ أَبَدًا . فَقَالَ أَبُو عَطَاءٍ : لِأَنْ يَكُونَ الْهَرْبُ مِنْ جَهَنَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ :

لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمُنْصُورِ وَالنَّاسُ عِنْدَهُ يَعْزُونَهُ ؛
فَانْشَأَ أَبُو دُلَامَةَ يَقُولُ :

أُمْسَيْتَ بِالْأَنْبَارِ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ * لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عُقْرِهَا تَحْوِيلًا
وَبَلَى عَلَيْكَ وَوَيْلٌ أَهْلِي كُلِّهِمْ * وَيْلًا وَعَوَّلًا فِي الْحَيَاةِ طَوِيلًا

رَأَى السَّفَّاحَ عِنْدَ
الْمُنْصُورِ فَغَضِبَ
وَأَرَادَ إِخْرَاجَهُ إِلَى
الْحَرْبِ فَاسْتَرْضَاهُ

فَلْتَبْكِينَ لَكَ النِّسَاءُ بَعْبَرَةً * وَلْيَبْكِينَ لَكَ الرِّجَالُ عَوِيلًا

مات الندى إذ مُتَّ يابن محمد * فجعلته لك في الثراء عديلا^(١)

إني سألت الناس بعدك كلهم * فوجدت أسمع من سألت بخيلا

أليشقوق أحرث بعدك للتي * تدعُ العزيز من الرجال ذليلا

فلا حليف يمين حق برة * بالله ما أُعطيت بعدك مؤلا^(٢)

١٢٤
٩

قال : فأبكى الناس قوله . فغضب المنصور غضباً شديداً وقال : ائن سمعتك تُشيدُ

هذه القصيدة لأقطعن لسانك . فقال أبو دلّامة : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس

أمير المؤمنين كان لي مُكرماً وهو الذي جاء بي من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه ،

فقل كما قال يوسف لإخوته : (لَا تَحْزَبُوا عَلَيَّ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) .

فسرى عن المنصور وقال : قد أفلتاك يا أبا دلّامة ، فسأل حاجتك . فقال : يا أمير

المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض

ولم أقبضها . فقال المنصور : ومن يعرف هذا ؟ فقال : هؤلاء ، وأشار إلى

جماعة من حضر . فوثب سليمان بن جُحَالِد وأبو الجهم فقالا : صدق أبو دلّامة ،

نحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيط : يا سليمان أَدْفَعْهَا إِلَيْهِ

وسيره إلى هذا الطاغية (يعني عبد الله بن علي) ، وقد كان خرج بناحية الشام ،

وأظهر الخلاف . فوثب أبو دلّامة فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أعيدك بالله أن أخرج

معهم ، فوالله إني لمشتوم . فقال المنصور : امض فإن يميني يغلب شؤمك فأخرج .

(١) التراء : لغة في الثرى . وسيرد في الصفحة التالية رواية أخرى : « بالتراب » . (٢) السؤل

(يهمز ولا يهمز) : ما سأله . (٣) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم الخليفة المنصور ،

خرج عليه ستة ست وثلاثين ومائة ودعا لنفسه ؛ فوجه إليه المنصور بأ مسلم انخراساني ووقعت له معه وقعة

هائلة دارت فيها الدائرة أخيراً على عبد الله .

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أحبُّ لك أن تجرّب ذلك منى على مثل هذا العسكر؛
فإني لأدري أيهما يغلب : أئمنك أم شؤمى ، إلا أنى بنفسى أوثق وأعرف وأطول
تجربة . قال : دَعْنِي من هذا فألك من الخروج بَدْ . فقال : إني أَصْدُقُكَ الآنَ ، شهدتُ
والله تسعةَ عشرَ عسكرًا كُلُّها هُزِمَتْ ؛ وكنتُ سببها . فإن ثلثَ الآنَ على بصيرةٍ
أن يكونَ عسكرُكَ العشرين فافْعَلْ . فاستغرب أبو جعفر ضحكًا ، وأمره أن يتخلف^(١)
مع عيسى بن موسى بالكوفة^(٢) .

أخبرنى عمى قال حدثنا الكرائى قال حدثنى العمري عن الهيثم بن عدي قال :
لما مات أبو العباس السفاح وولى المنصور ، دخل عليه أبو دلامة ، فقال له
أبو جعفر : ألسنتي القائل لأبي العباس :

أغضب المنصور
لكثرة مدحه
السفاح

وَكُنَّا بِالْخَلِيفَةِ قَدْ عَقَدْنَا * لِوَاءِ الْأَمْرِ فَأَنْتَقِضَ الْوَاءُ
فَنَحْنُ رَعِيَّةٌ هَلَكْتَ ضَيْعًا * تَسُوقُ بِنَا إِلَى الْفِتَنِ الرَّعَاءُ
قال : ما قلت هذا يا أمير المؤمنين . قال : كذبت والله ! أفلسَتِ القائل :
هَلَكَ النَّدَى إِذْ بَنَتْ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ * بِفَعْلَتِهِ لَكَ فِي التَّرَابِ عَدِيلًا
ولقد سألتُ النَّاسَ بَعْدَكَ كُلَّهُمْ * فَوَجَدْتُ أَكْرَمَ مَنْ سَأَلْتُ بِخِيَلَا
ولقد حَلَفْتُ عَلَى يَمِينِ بَرَّةٍ * بِاللَّهِ مَا أُعْطِيتُ بَعْدَكَ سُؤْلًا

فقال أبو دلامة : إن أخاك صلى الله عليه غلبني على صبري ، وسلبني عزيزتي ، وعزّني
بإحسانه إلى وجزعى عليه ، فقلت ما لم أتأمله ، وإني أرغب في الثمن فأستقره .
السَّلْعَةُ حَيًّا وَمَيِّتًا . فإن أُعْطِيتُ ما أُعْطِيَ ، أخذتُ ما أخذ ، فأمر به فحُيِسَ ثلاثًا
ثم خَلَى سَبِيلَهُ ودعاه إليه فوصله ، ثم عاد له إلى ما كان عليه .

٢٠ (١) أى أكثر من الضحك وبالغ فيه . (٢) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي
الغياثي أمير الكوفة . وكان ولي عهد المنصور بعهد من السفاح ثم قدم المنصور عليه في ولاية العهد ابنة المهدى ،
ثم خلعه المهدى من ولاية العهد .

أمره روح بن
حاتم بمبارزة
خارجي نخده

١٢٥
٩

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني أبو دلالة قال :

أتى بي المنصور أو المهدي وأنا سكران ، فحلف ليخرجني في بعث حرب ، فأخرجني مع روح بن حاتم المهلب^(١) لقتال الشراة^(٢) . فلما ألتقي الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتي فرسك ومعى سلاحك لأنتب في عدوك اليوم أثرا ترتضيه . فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ، ولأخذنك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلي ، ودعا بغيرهما فاستبدل به . فلما حصل ذلك في يدي وزالت عني حلاوة الطمع ، قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فاسمعهما . قال : هات ، فأنشدته :

لاني أستجرتك أن أقدم في الوغى * ليطاعن وتنازل ويضرب
فهب السيوف رأيتها مشهورة * فتركتها ومضيت في المرباب
ماذا قول لما يحيى وما يرى * من واردات الموت في النشاب

فقال : دع عنك هذا وستعلم . وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة ، فقال : اخرج إليه يا أبا دلالة . فقلت : أشدك الله أيها الأمير في دمي . قال : والله لتخرجن . فقلت : أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ما شبعت مني جراحة من الجوع ، فترلى بشيء آكله ثم أخرج . فأمر لي برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف . فلما رأني الشاري أقبل نحوي عليه فزرو وقد أصابه المطر فابتل ، وأصابته الشمس فأقفعل^(٣) وعيناه تقدان ، فأسرع إلى .

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، ولي إفريقية والبصرة وغيرهما ، وكان جليلا شجاعا جوادا . (٢) الشراة : الخوارج . (٣) كذا في ح . واقفعل : تقبض . وفي سائر النسخ : « فافعل » ، هو تحريف .

- فقلت له : على رَسْلِكَ يا هذا كما أنت ، فوقف . فقلت : أقتل مَنْ لا يقا تلْك ؟ قال لا . قلت : أقتل رجلاً على دينك ؟ قال لا . قلت : أفستحِلُّ ذلك قبل أن تدعو مَنْ تقا تلْه إلى دينك ؟ قال : لا ، فأذهب عني إلى لعنة الله . قلت : لا أفعل أو تسمع مني . قال : قل . قلت : هل كانت بيننا قُطْ عداوةٌ أو تِرَةٌ ، أو تعرفني بحالٍ تُحفظك عليّ ، أو تعلم بين أهلي وأهلك وتراً ؟ قال : لا والله . قلت : ولا أنا والله لك إلا جميل الرأي ، وإني لأهواك وأتخل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أَراده لك . قال : يا هذا جزاك الله خيراً فأنصرف . قلت : إن معي زاداً أحبُّ أن آكله معك ، وأحبُّ مَواكِلِك لتتوكَّد المسودةُ بيننا ، ويَري أهلُ العسكر هوانهم علينا . قال : فأفعل . فتقدمتُ إليه حتى اختلفت أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها والناس قد غلبوا صَحِكا . فلما استوفينا ودعني . ثم قلت له : إن هذا الجاهل إن أقمت على طلب المبارزة ندبني إليك فتتبعني وتتعب . فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل . قال : قد فعلتُ ، ثم أنصرف وأنصرف . فقلت لروح : أما أنا فقد كنتُك قِرْنِي فقل لغيري أن يكفيك قرنه كما كفيتك ، فامسك . وخرج آنحريدعو إلى البراز ، فقال لي : اخرج إليه . فقلت ^(١) :

- ١٠ إلى أعوذ بروح أن يقدمني * إلى البراز فتخزي بي بنو أسد
إن البراز إلى الأقران أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا إذ صمدت ^(٢) لها * وأصبحت للخلق بالرصد

(١) وردت هذه الأبيات في وفيات الأعيان لابن خلكان هكذا :

- ٢٠ إلى أعوذ بروح أن يقدمني * إلى القتال فيخزي بي بنو أسد
إن المهلب حب الموت أورثكم * ولم أرث أنا حب الموت من أحد
إن الدتق إلى الأعداء أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد

(٢) في الأصول : « إن صمدت » وهو تحريف .

إِنَّ الْمَهْلَبَ حُبُّ الْمَوْتِ أَوْرَثَكُمْ * وَمَا وَرِثْتُ أَخْتِيَارَ الْمَوْتِ عَنْ أَحَدٍ
لَوْ أَنَّ لِي مَهْجَةً أُخْرَى لَجِدْتُ بِهَا * لَكُنْهَا خُلِقْتُ فَرْدًا فَلَمْ أَجِدْ
فَضِيحَكَ وَأَعْفَانِي .

أمره مروان
ابن محمد بمبارزة
خارجي فخره
١٢٦-
٩

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال أبو دلالة :

كُنْتُ فِي عَسْكَرِ مَرْوَانَ أَيَّامَ زَخَفٍ إِلَى سِنَانِ الْخَارِجِيِّ : فَلَمَّا التَّقَى الرَّحْفَانِ
خَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلٌ فَنَادَى : مَنْ يَبَارِزُ ! فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَنْجَلَهُ ^(١) وَلَمْ يَنْهَبْهُ ^(٢) . فَنَظَرَ
ذَلِكَ مَرْوَانَ وَجَعَلَ يَسْتَدْبِرُ النَّاسَ عَلَى تَحْسِيئَةٍ ^(٣) ، فَقَتَلَ أَصْحَابَ التَّحْسِيئَةِ ، فَزَادَ
مَرْوَانَ وَنَدَبَهُمْ عَلَى أَلْفٍ ، وَلَمْ يَزَلْ يَزِيدُهُمْ حَتَّى بَلَغَ خَمْسَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ . وَكَانَ تَحْتَى
فَرَسٌ لَا أَخَافَ خَوْنَهُ ؛ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِالْخَمْسَةِ آلَافِ تَرْقِيَتِهِ وَأَقْتَحَمَتْ ^(٤) الصَّفَّ . فَلَمَّا
نَظَرَنِي الْخَارِجِيُّ عَلِمَ أَنِّي نَحَرَجْتُ لِلطَّمْعِ ؛ فَأَقْبَلَ إِلَى مُتَهَيِّئًا وَإِذَا عَلَيْهِ فَرَسٌ قَدْ أَصَابَهُ
الْمَطْرُفُ فَابْتَلَّ ، ثُمَّ أَصَابَتْهُ الشَّمْسُ فَأَقْفَعَلَّ ، وَإِذَا عَيْنَاهُ تَقْدَانِ كَأَنَّهُمَا مِنْ غَوْرِهِمَا
فِي وَقَبَيْنِ ^(٥) : فَلَمَّا دَنَا مِنِّي أَنْشَأَ يَقُولُ :

وَأَخَارِجْ أَنْحَرِجَهُ حُبُّ الطَّمْعِ * فَزَمِنَ الْمَوْتَ فِي الْمَوْتِ وَقَعَ

* مَنْ كَانَ يَنْتَوِي أَهْلَهُ فَلَا رَجَعَ *

فَلَمَّا وَقَرْتُ فِي أَذُنِي أَنْصَرَفْتُ عَنْهُ هَارِبًا . وَجَعَلَ مَرْوَانُ يَقُولُ : مَنْ هَذَا الْفَاضِحُ ؟
إِنِّي نَوِي بِهِ ، فَدَخَلْتُ فِي غِمَارِ النَّاسِ فَتَجَوْتُ .

أعطاه موسى
ابن داود مالا
ليجى منه نهر
الى السواد وسكر
١١٤

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد قال حدثنا الزبير قال
حدثنا جعفر بن الحسين اللهي قال :

(١) يعني مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية . (٢) نهبه : كفه وزجره . وسياق الكلام
يقضي أن يكون « ولم يمهله » . (٣) في الأصول : « عن » . (٤) هذه لغة ضعيفة
وأفصح اللغات : « بخمسة الآلاف » . (٥) ترقبه : رصده . (٦) الوقب هنا : قبرة
في الجبل يجتمع فيها الماء .

(١) عزم موسى بن داود بن علي الهاشمي على الحج . فقال لأبي دلامة : اجمع معي
ولك عشرة آلاف درهم . فقال : هايتها ، فدفعته إليه ، فأخذها وهرب إلى السواد ،
بفعل ينفقها هناك ويشرب بها الخمر . فطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخشي قوت الحج
نفرج . فلبث شارف القادسية إذا هو بأبي دلامة خارجاً من قرية إلى أخرى
وهو سكران ، فأمر بإخذه وتقييده وطرحه في سجن بين يديه ففعل ذلك به . فلما
سار غير بعيد أقبل على موسى وناداه :

يا أيها الناس قولوا أجمعون معاً * صلى الإله على موسى بن داود
كأن ديباً جنى خذبه من ذهب * إذا بدا لك في أثوابه السُّود
لما أعبى بداود وأعظمه * من أن أكلف حجاً يا بن داود
خبرت أن طريق الحج معطشة * من الشراب وما شربى بتصيد (٤)
والله مافي من أجر فتطلبه * ولا الشئ على ديني بمحمود
فقال موسى : ألتقوه لعنه الله عن التحمل ودعوه ينصرف ، فألقي وعاد إلى قصفه
بالسواد ، حتى نفذت العشرة آلاف درهم . (٥)

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن جعفر بن الحسين اللّهي ،
وأخبرني عمي عن الكُرّاني عن العمري عن الهيثم بن عديّ قال : (٦)
قال أبو أيوب المورياني لأبي جعفر ، وكان يشأ أبا دلامة ، : إن أبا دلامة
معتكف على الخمر فما يحضر صلاة ولا مسجداً ، وقد أفسد فتيان العسكر . فلو أمرته

أمره المنصور
بملزمة الجماعة
في مسجد القصر
فقال شعرا يستغفبه

(١) هو ابن عم السفاح ، كان أبوه داود أمير مكة والمدينة ، واستخلف حين احتضر على عمله ولده
موسى . فاستعمل السفاح خاله زيادا على مكة ، وموسى بن داود هذا على إمرة المدينة .
(٢) في الأصول : « خارج » . (٣) في الأصول المخطوطة : « أجمعين » .
(٤) صرد شربه : قطعه . (٥) راجع الحاشية رقم ٤ في الصفحة السابقة .
(٦) كذا في - . وفي سائر الأصول : « قال » وهو تحريف .

بالصّلة معك لأجرت فيه وفي غيره من فتيان عسكريك بقطعه عنهم . فلما دخل عليه أبو دلّامة قال له : يا ابن الخنّاء، ما هذا المجنون الذي يبلغني عنك ! . قال أبو دلّامة : يا أمير المؤمنين ما أنا والمجنون وقد شارفتُ بابَ قبري ! . قال : دعني من استكانتك وتضرّعتك، وإياك أن تفوتك صلاة الظهر والعصر في مسجدي . فلئن فاتتاك لأحسّن أدبك ولأطيلن حبسك . فوقع في شرّ ولزم المسجد أياماً، ثم كتب قصّته ^{١٢٧} ودفعها إلى المهدي فأوصلها إلى أبيه، وكان فيها :

ألم تعلم أنّ الخليفة لزمني * بمسجده والقصر مالى والقصر !
أصليّ به الأولى جميعاً وعصرها * فويلي من الأولى وويلي من العصر
أصليهما بالكثرة في غير مسجدي * فإليّ في الأولى ولا العصر من أجر
لقد كان في قومي مساجد جمّة * سواء ولكن كان قدراً من القدر
يكلّفني من بعد ما شئتُ خطّة * يحطّ بها عنّي الثقل من الوزر
وما ضرّه والله يغفر ذنبه * لو أنّ ذنوب العالمين بهلى ظهره
قال : فلما قرأ المنصور قصّته ضحك وأباه من الحضور معه ، وأحلفه أن يصليّ الصلاة في مسجد قبيلته .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد عن الزبير عن عمه،
ونسخت من بعض الكتب عن نصر بن محمد الخزاز عن أبيه عن الهيثم بن عديّ^(٣)
وروايته بعض من روى عن الزبير .

أنّ أبا جعفر كان يحبّ العبث بأبي دلّامة — وقال الآخر: إنّ أبا العباس السّفّاح
كان يحب ذلك — فكان يسأل عنه فيوجد في بيوت الخمارين لا فضل فيه . فعاتبه

٢٠ (١) لزه بكذا : ألزمه إياه . (٢) في ج : «وعلى» . (٣) في ح : «الخرزى» .
وفي ١ ، ٢ : «الخرزى» .

على انقطاعه عنه ؛ فقال : إنما أفعل ذلك خوفاً أن تَمَلَّنِي . فعلم أنه يُحَاجِرُهُ ،
فأمر الربيع أن يوَكِّلَ به من يُحَضِّرُهُ الصلوات معه في جماعة في الدار . فلما طال
ذلك عليه قال :

- ألم تَرَيَا أَنَا الخليفةَ لَزْنِي * بمسجده والقصر مالى وللقصر !
فقد صَدَّنِي عن مسجدِ أَسْتَلِدُهُ * أَعْلَا ، فِيهِ السَّمَاعُ وبالبحر
وَكَلَّفَنِي الأُولَى جميعاً وعصرها * فويل من الأُولَى وَعَوَّلِي من العصر
أَصَلَّيْهُمَا بالكُورِ في غير مسجدى * فإلى من الأُولَى ولا العصر من أبحر
يَكَلِّفَنِي من بعد ما شَبْتُ تَوْبَةً * يَحُطُّ بِهَا عَنِ المَثَاقِيلِ من وَزْرِ
لقد كان في قومي مساجدُ بَحْمَةٍ * ولم ينشرح يوماً لغشيانها صدرى
ووالله مالى نِيَّةٌ في صلاته * ولا البر والإحسان والخير من أَمْرِي
وما ضَرَّهُ والله يغفر ذنبه * لو آتَ ذُنُوبَ العالمين على ظَهْرِي

- فبلغته الأبيات فقال : صدق ! ما يَضُرُّنِي ذلك ، والله لا يَصْلُحُ هذا أبداً ، فدَعُوهُ
يَعْمَلُ ما يشاء . وقال الهيثم في خبره : فقال له أبو جعفر : قد أعفيناك من هذه الحال ،
ولكن على ألا تَدَعِ القيام معنا في ليالي شهر رمضان فقد أَظَلَّ^(٢) . فقال : أفعل . قال :
إنك إن تَأَخَّرْتَ لَشَرْبِ الخمر عَمِلْتَ ذلك . ووالله لئن فعلتَ لأَحْدَثَكَ . فقال أبو دُلَامَةَ :
الْبَلِيَّةُ في شهر أَصْلَحَ منها في طول الدهر ، سمعاً وطاعة . فلما حَضَرَ شهر رمضان
لزم المسجد . وكان المهدي يبعث إليه في كل ليلة حَرَسِيًّا يَحِيءُ به ؛ فشَقَّ ذلك عليه ،
وفزع إلى الخيزران وأبي عبيد الله وكلَّ مَنْ كَانَ يُلَوِّذُ بالمهدي ليشَفَعُوا له في الإعفاء

أزيمه المنصور
بالقيام شهر رمضان
فكتب إلى ربيعة
شعرا يستشفع بها
للمهدي

- (١) يعنى : يخلص منه ويتحلل المآذير الباطلة لانقطاعه عنه . (٢) أظَلَّ : غشى وأشرف
وأقبل . (٣) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري الكاتب الوزير . كان من رجالات
المنصور ثم المهدي . عزله الوزارة ثم جعله على ديوان الرسائل ، ثم عزله عنه سنة ١٦٧ هـ

من الأيام ، فلم يُجِبهم . فقال له أبو عبيد الله : الدالُّ على الخير كفاعله ، فكيف
شُكرك ؟ قال : أتمُّ شكر . قال : عليك رِيطَةٌ ^(١) فإنه لا يخالفها . قال : صدقت ، والله ،
ثم رفع إليها رُقعةً يقول فيها :

١٢٨
٩

أبلغَ رِيطَةَ أُنَى * كنتُ عبداً لأبيها
ففضى يرحمه الله * له وأوصى بي إليها
وأراها نَسِيَّتِي * مثلَ نسيانِ أخيها
جاء شهر الصَّوم عِشَى * مِشْيَةً ١٠ أَشْتَمِهَا
قائداً لى ليلة القَدِّ * رِ كَأَنى أَسْتَعِهَا
تَتَطَّحُ القِبْلَةَ شَهراً * جَهَّتْ لى لَأَتَلِهَا
ولقد عشتُ زماناً * فى فِياقٍ وجِها
فى لِيالٍ من شتاءٍ * كنتُ شَيْخاً أَصْطَلِهَا
قاعداً أوقِدُ ناراً * لِيَضْبَابِ أَشْتَوِهَا
وصَبَّوْجٍ وَغَبَّوْجٍ * فى عِلَابٍ أَحْتَسِهَا
ما أبالى ليلة القَدِّ * ر ولا تُسْمِعُنِيهَا ^(٢)
فاطلي لى فرجاً من * عها وأجرى لك فيها . ١٥

فلما قرأتِ الرُقعةَ ضَحِكَتْ وأرسلتْ إليه : اصْطَبِرْ حَتَّى تَمُتْ لى لَيْلَةُ القَدْرِ . فكتب
إليها : إني لم أسألكِ أن تكلميه فى إعفائى عاماً قابلاً ، وإذا مضت ليلة القدر فقد
فنى الشَّهرُ . وكتب تحتها أبياتا :

(١) رِيطَة : هى ابنة الخليفة أبى العباس السفاح وزوجة المهدي . (٢) العلاب : جمع
علبة وهى قَدَحٌ ضَخْمٌ من جلود الإبل أو هى قَدَحٌ من خشب . (٣) لا هتا زافية ، وهو خبر
يراد به النهي .

- خافى لَهْكَ فى نَفْسٍ قَدْ آخِضَرَتْ * قامت قِيامَتُها بين المَصْلِيَّةِ
 ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ من هَمٍّ فَأُطْلِبُها * إناى أَخافُ المَناءَ يا قَبيلَ عَشْرِينا
 يا لَيْلَةَ الْقَدْرِ قَدْ كَثُرَتْ أَرْجُلُنا * يا لَيْلَةَ الْقَدْرِ حَقًّا ما تُؤْمِنُنا!؟
 لا بَارِكِ اللهُ فى خَيْرٍ أَوْمَلُهُ * فى لَيْلَةٍ بَعْدَ ما قُنا ثَلَاثِينا
 فَلَمَّا قَرَأَتِ الأَبْيَاتَ نَحِكتُ ، ودخلت إلى المَهْدَى فشَفَعْتُ له إِلَيْه ، وأنشدته
 الشعرين ، فَضَحِكَ حَتَّى اسْتَلَقَى ، ودما به وَرَيْطَةٌ معه فى المَجْلَةِ ^(١) فدخل ، فأخرج رأسه
 إِلَيْه وقال : قَدْ شَفَعْنَا رَيْطَةَ فَيْك ، وَأَمَرْنَا لَكَ بِسَبْعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . فقال : أَمَّا شَفَاعَةُ
 سَيِّدَتِي فى حَتَّى أَعَقَيْتَنِي فَأَعْفَاها اللهُ مِنَ النَّارِ . وأما السَّبْعَةُ الأَلْفُ فما أَعْجَبَنِي ما فَعَلْتَهُ ؛
 إِمَّا أَنْ تُتِمَّها بِثَلَاثَةِ آلَافٍ فَتَصِيرَ عَشْرَةٌ ، أَوْ تَنْقُصَنِي مِنْها أَلْفَيْنِ فَتَصِيرَ خَمْسَةُ آلَافٍ ،
 فإِنِّى لا أَحْسِنُ حَسَابَ السَّبْعَةِ . فقال : قَدْ جَعَلْتُها خَمْسَةً . قال : أَعْيذكُ بالله أن
 تَخْتارَ أَدْنى الحَالَيْنِ وَأَنْتَ أَنْتَ . فَعِثْ بِهِ المَهْدَى سَاعَةً ثُمَّ تَكَلَّمْتُ فِيهِ رَيْطَةً فَأَتَمَّها
 لَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ .

أنشد المهدى شعره
 فى نخاس فضحك
 منه

- أخبرنى الحسين بن على عن حماد عن أبيه قال :
 مرَّ أبو دُلَّامة بِنَخَّاسٍ يَبِيعُ الرِّقِيقَ ، فرأى عنده مِنْهُنَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَسَنٌ ،
 فأنصرف مهموماً ، فدخل إلى المهدى فأنشده :

إِنْ كُنْتَ تَبْنِى العَيْشَ حُلُوءاً صافِياً * فالشعرَ أَعْرِزْ به وَكُنْ نَخَّاساً
 تَتَلَّى الطَّرَائِفَ مِنْ ظُرُوفِ مُنْهَدٍّ . يُخَدِّثُنْ كُلَّ عَشِيَّةٍ أَعْرَاساً
 والرجُحُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ رَاهِجٌ * سَمَحاً بِبَيْعِكَ كُنْتَ أَوْ مَكَّاساً ^(٢)
 دارَتْ عَلَى الشَّعْرَاءِ حِرْفَةٌ نَوْبَةٌ ^(٣) * فَتَجَزَّعُوا مِنْ بَعْدِ كَأْسٍ كَاساً

١٢٩
٩

- (١) المجلَّة : بيت يزين بالثياب والأسمرة والستور . (٢) مكس فى البيع يمكس (من باب
 ضرب) : نقص الثمن . والمراد هنا المشاحة فى البيع والشراء . (٣) لعل صوابها : «نوبة حرفة» .

وَسَرَّ بَلَوْا قُصَّ الكَسَا لِحَاوِلُوا * بالنَّخْسِ كَسْبًا يُذْهِبُ الْإِفْلَاسَا
بِفَعْلٍ الْمَهْدَى يَضْحَكُ مِنْهُ .

لنقى رؤيا للنصور
وأخذ منه ثيابا

نسختُ من كتاب ابن النطّاح قال :

دخل أبو دلالة على المنصور فأنشده :

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي * ثِيَابًا بَحْمَةً وَقَضَيْتَ دِينِي

فَكَانَ بِنَفْسِي الْخَرْفِيهَا * وَسَاجُ نَاعِمٍ فَاتَمَّ زَيْسِي^(١)

فَصَدَّقَ بِأَفْذَتِكَ النَّفْسُ رُؤْيَا * رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَاكَ عَيْنِي^(٢)

فأمر له بذلك وقال له : لا تعد أن تحلم على ثانية^(٣)، فأجعل حلمك أضغاثًا ولا أحققه .

حبسه المنصور
لسكره فبعث له من
الحبس شعرا فمعا
عنه

ثم خرج من عنده ومضى فشرب في بعض الحانات فسكر وأنسرف وهو يميل .
فلقيه العسس فأخذه ، وقيل له : من أنت وما دينك ؟ فقال :

دِينِي عَلَى دِينِ بَنِي الْعَبَّاسِ * مَا خُتِمَ الطِّينُ عَلَى الْقِرْطَاسِ

لَأَنِّي أَصْطَبَحْتُ أَرْبَعًا بِالكَاسِ * فَقَدْ أَدَارْتُ شُرْبَهَا بِرَامِي

* فَهَلْ بِمَا قُلْتُ لَكُمْ مِنْ بَاسِ *

فأخذه ومضوا ، وخرقوا ثيابه وساجه وأتى به أبو جعفر - وكان يؤتى بكل من أخذه

العسس - فحبسه مع الدجاج في بيت . فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته

أخرى فلا يجيبه أحد ، وهو في ذلك يسمع صوت الدجاج وزقاة الديوك . فلما

أكثر قال له السجان : ما شأنك ؟ قال : ويلك من أنت وأين أنا ؟ قال :

في الحبس ، وأنا فلان السجان . قال : ومن حبسني ؟ قال : أمير المؤمنين . قال :

(١) الساج : الطيلسان الأخضر وقيل الأسود وقيل المقور ينسج كذلك . وفي الأساس : « لبسوا

السيجان وهي الطيلسة المدترة الواسعة » . (٢) في ب ، س : « الناس » .

(٣) محمل فلان : قال حلمت بكذا وهو كاذب .

وَمَنْ نَحَرَ طَبْلَسَانِي؟ قَالَ : الْحَرَسُ . فطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِدَوَاةٍ وَقِرَاطِاسٍ فَعَمِلَ ،
فَكَتَبَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَدَتَكَ نَفْسِي * عَلَامَ حَبَسْتَنِي وَنَحَرْتَ سَابِحِي
أَمِنْ صَفَرَاءَ صَافِيَةِ الْمِزَاجِ * كَأَنَّ شُعَاعَهَا لَهَبُ السَّجَّاجِ
وَقَدْ طَبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى * لَقَدْ صَارَتْ مِنَ النَّظْفِ النَّضْجِ^(١)
تَهَشُّ لَهَا الْقُلُوبُ وَتَشْتَهِيهَا * إِذَا بَرَزَتْ تَرْقُوقُ فِي الرُّجَاجِ^(٢)
أَقَادَ إِلَى السُّجُونِ بَغِيرِ جُرْمٍ * كَأَنِّي بَعْضُ عُمَالِ الْخَرَجِ
وَلَوْ مَعَهُمْ حُبِسْتُ لَكَانَ سَهْلًا * وَلَكِنِّي حُبِسْتُ مَعَ الدُّجَاجِ
وَقَدْ كَانَتْ تُحِبُّنِي ذُنُوبِي * بَأَنِّي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ نَاجِي
عَلَى أَنِّي وَلِمَنْ لَأَقِيتُ شَرًّا * لَخَيْرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِي

فَدَعَا بِهِ وَقَالَ : أَيْنَ حُبِسْتَ يَا أَبَا دُلَامَةَ؟ قَالَ : مَعَ الدُّجَاجِ . قَالَ : فَمَا كُنْتَ
تَصْنَعُ؟ قَالَ : أَقْبَوِي مَعَهُنَّ حَتَّى أَصْبِحْتُ . فَضَحِكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ وَأَمَرَ بِهِ بِجَائِزَةٍ .
فَلَمَّا نَحَرَ قَالَ لَهُ الرَّبِيعُ : إِنَّهُ شَرِبَ الْخَمْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ وَقَدْ طَبَخَتْ
بِنَارِ اللَّهِ؟ (يعني الشمس) . فَأَمَرَ بِرَدِّهِ ثُمَّ قَالَ : يَا خَيْثُ شَرِبْتَ الْخَمْرَ؟ قَالَ لَا .
قَالَ : أَفَلَمْ تَقُلْ «طَبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ»؟ تعني الشمس . قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا عَنَيْتُ إِلَّا نَارَ اللَّهِ
الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى فُؤَادِ الرَّبِيعِ . فَضَحِكَ وَقَالَ : خُذْهَا يَا رَبِيعُ وَلَا تَعَاوِدِ التَّعَرُّضَ .

١٣٠
٩

قَالَ ابْنُ النَّطَّاحِ : وَمَرَّ أَبُو دُلَامَةَ بِبَيْتٍ بِالْكُوفَةِ فَقَالَ لَهُ :
رَأَيْتُكَ أَطْعَمْتَنِي فِي النَّامِ * قَوَاصِرُ^(٣) مِنْ تَمْرِكَ الْبَارِحَةِ

لَفَقَ رَأْيَا لِمَا
وَأَخَذَ مِنْهُ تَمْرًا

(١) النطفة : الماء الصافي قل أوكثر . (٢) في ١ ، ٢ : « برقت » . وترقرو :
تلا لا أي تنجي ، وتذهب . (٣) قواصر : واحدتها قوصرة ، وهي وعاء من قصب يرفع
فيه امر من البواري .

فَأَمَّ الْعِيَالُ وَصِيَّانَهَا * إِلَى الْبَابِ أَعْيُنُهُمْ طَاعَهُ
فَاعْطَاهُ جُلَّتْ تَمَرٌ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ رَأَيْتَ هَذِهِ الرُّؤْيَا ثَانِيَةً لَمْ يَصِحَّ تَفْسِيرُهَا . فَأَخَذَهَا
وَانْصَرَفَ .

وَقَالَ ابْنُ النَّطَّاحِ :

هنا المهدي بقدمه
من الرى فلا حجره
دراهم

لَمَّا قَدِمَ الْمَهْدِيُّ مِنَ الرَّيِّ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو دُلَامَةَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
إِنِّي نَذَرْتُ لِنَبِيِّكَ سَالِمًا * بِقُرَى الْعِرَاقِ وَأَنْتَ ذُو وَفَرٍ
لِتُصَلِّيَنَّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ * وَلِتَمْلَأَنَّ دِرَاهِمًا حِجْرِي
فَقَالَ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَّا الدِّرَاهِمُ فَلَا . فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُمَرَّقَ
بَيْنَهُمَا ثُمَّ تَخْتَارُ أَسْهَلَهُمَا . فَأَمَرَ بَأَن يُمَلَأَ حِجْرُهُ دِرَاهِمًا .

وَمِثْلُ هَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ مَا حَدَّثَنِي بِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ
عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ :

قَدِمَ الْمُهَلَّبُ مِنْ بَعْضِ غَزَوَاتِهِ ، فَلَقِيَتْهُ عَجُوزٌ مِنَ الْأَزْدِ فَقَالَتْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ،
أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ إِلَّا وَقَفْتَ فَوْقَ . فَدَنَّتْ وَقَبَّلَتْ يَدَهُ وَقَالَتْ : هَذَا نَذْرُكَ
عَلَيَّ ، إِنِّي نَذَرْتُ عَلَى اللَّهِ أَنْ أَقْبَلَ يَدَكَ إِنْ قَدِمْتَ سَالِمًا وَتَهَبَ لِي أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا
وَجَارِيَةً صُغْدِيَّةً تَخْدُمُنِي . فَضَحِكَ وَقَالَ : أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ وَقَيْنَا بِنَذْرِكَ ، ادْفَعُوا إِلَيْهَا
ذَلِكَ ، وَإِيَّاكَ يَا أُمَّاهُ وَهَذِهِ النُّذُورُ ؛ فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَفِي لَكَ بِهَا وَيَنْشِطُ لَتَحْلِيلِكَ مِنْهَا .

قَالَ ابْنُ النَّطَّاحِ :

خبر من الصوم
والحرف كتب
للهدي شعرا فعجل
جائزته

وَصَامَ النَّاسُ فِي سَنَةِ شَدِيدَةِ الْحَرِّ عَلَى عَهْدِ الْمَهْدِيِّ ، وَكَانَ أَبُو دُلَامَةَ
يَنْتَجِزُ جَائِزَةً أَمَرَ لَهُ الْمَهْدِيُّ بِهَا . فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو دُلَامَةَ رُقْعَةٌ يَشْكُو فِيهَا أَذَى الْحَرِّ
وَالصَّوْمِ وَهِيَ :

(١) الْجَلَّةُ (بِالْف) : قَفَّةٌ كَبِيرَةٌ لِلتَّمَرِ .

أدعوك بالرحم التي هي جمعت * في القرب بين قريبتنا والأبعد
إلا سمعت وأنت أكرم من مشى * من مُنشدٍ يرجو جزاء المنشد
جاء الصيام فصمته متعبداً * أرجو رجاء الصائم المتعبداً
ولقيت من أمر الصيام وحره * أمرين قيساً بالعذاب المؤبد^(١)
وسجدت حتى جبهتي مشجوجة * مما يناطحني الحصا في المسجد
فأمن بتسريحى بمطلك بالذى * أسلفتني من البلاء المرصد

فلما قرأ المهدي رقعته غضب وقال : يا حاض كذا من أمه أي قرابة بني وبينك ؟ !
قال : زحيم آدم وحواء ، أنسيتهما يا أمير المؤمنين ! فضحك وقال : لا والله ما نسيتهما ؛
وأمر بتعجيل ما أجاز به وزاد فيه . وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال
حدثنا الخزازي عن المدائني وزاد فيه قال : وأنشده أيضاً في ذم الصوم :

هل في البلاد لرزق الله مفترش * أم لا ففي جلده من خشية برش

— يعني أن جلده الرزق خشن الملمس فهو يُفترش كما يُفترش الضب^(٢) — أشعر :

أضحي الصيام مُنيخاً وسطعر صبتنا * نيت الصيام بأرض دونها حرش^(٣)

إن صمت أوجعني بطني وأقلبني * بين الجوانح مس الجوع والعطش

وإن خرجت بليل نحو مسجدهم * أضرتني بصر قد خانه العمش

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزبير عن عمه ،
ونسخت من كتاب ابن النطاح قال اليزيدي في خبره :

١٣١
٩

عزى أم سلبية بنت
يمقوب في السفاح
فاضحكها

(١) المؤصد : المطبق . (٢) في الأصول : « الملبس » بالباء . (٣) احترش الضب

وحرشه : صاده ، وهو أن يحرك يده على حجره ليظله حية فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه . ومنه المثل :

« أتعلمني بضب أنا حرشته » يخاطب به العالم بالشي من يريد تعليمه . (٤) الحرش (بالتحريك) لغة :

الخشونة . يبقى لو كان بينه وبين الصوم من غلظ الأرض وحزونها ما يحول دونه .

دخل أبو دلّامة على رَيطَة بعد وفاة المهديّ، وقال آسن النطّاح : دخل على أمّ سَلَمَة بنت يعقوب بن سَلَمَة بعد وفاة أبي العباس، وهو الصحيح، فعزّاها به وبكى وبكت معه، ثم أنشدتها :

مَنْ يُجِلُّ في الصبر عَنكَ فلم يكن * صبري عليك غَدَاة يَنْتَ جميلا
يُحْدِثُونَ أَبَدَالًا به وأنا أمرؤ * لو مِتُّ وَجَدًا ما وَجَدْتُ بديلا
لَئِن سَأَلْتُ الناسَ بَعْدَكَ كُلَّهُمْ * فَوَجَدْتُ أَجودَ مَنْ سَأَلْتُ بِجَمِلا

فَقَالَتْ أمّ سَلَمَة . لم أرَ أَحَدًا أُصِيبَ به غَيْرِي وَغَيْرِكَ يَا أَبَا دَلَامَة . فَقَالَ : وَلَا سَوَاءَ يَرَحُّكَ اللَّهُ ، لَكَ مِنْهُ وَلَدٌ وَمَا وَلَدْتُ أَنَا مِنْهُ . فَضَحِكَتْ — وَلَمْ تَكُنْ مِنْذَمَاتِ أَبُو الْعَبَّاسِ ضَحِكَتْ إِلَّا ذَلِكَ الْوَقْتُ — وَقَالَتْ لَهُ : لَوْ حَدَّثْتَ الشَّيْطَانَ لِأَضْحَكْتَهُ .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيّ قَالَ حَدَّثَنَا الْغَلَّابِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الضُّحَّاكِ قَالَ :

خدع المهدي بموت زوجته وخذعت زوجته الخيزران بموته كذلك فضحكا منهما

دخل أبو دلّامة على المهديّ وهو يبكي . فَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : مَاتَتْ أمّ دَلَامَة ، وَأَنْشَدَهُ لِنَفْسِهِ فِيهَا :

وَكُنَّا كَرْوِجَ مَنْ قَطَا فِي مَقَازٍ * لَدَى خَفِضِ عَيْنٍ نَاعِمٍ مُؤْنِقٍ رَغْدٍ
فَأَفْرَدَنِي رَبُّبُ الزَّمَانِ بِصَرْفِهِ * وَلَمْ أَرِ شَيْئًا قَطُّ أَوْحَشَ مِنْ فَرْدٍ

فَأَمَرَ لَهُ بِثِيَابٍ وَطِيبٍ وَدَنَائِيرٍ ، وَخَرَجَ . فَدَخَلَتْ أمّ دَلَامَة عَلَى الْخِيزْرَانِ فَأَعْلَمَتْهَا أَنَّ أَبَا دَلَامَة قَدْ مَاتَ ، فَأَعْطَتْهَا مِثْلَ ذَلِكَ ، وَخَرَجَتْ ، فَلَمَّا التَقَى الْمَهْدِيُّ وَالْخِيزْرَانُ عَرَفَا حِيلَتَهُمَا بِفَعْلٍ يَضْحَكَانِ لِذَلِكَ وَيَعْجَبَانِ مِنْهُ .

(١) أم سلمة : هي أم سلمة المخزومية امرأة الخليفة أبي العباس السفاح ، وتزوجها بعده عبد الله

ابن عبد الحميد المخزومي . (انظر الأغاني ج ٤ ص ٣٣٥ من هذه الطبعة) .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة، ونسخت أنا من كتاب
آبن النطاح قال :

فرض له المنصور
على كل هاشمي عطاء
فنقصه العباس بن
محمد دينارين فذمه

دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده :

أما ورب العاديات ضبحا * ^(١)حقا ورب الموريات قدحا
إن المغيرات على صبحا * ^(٢)والناكات من فؤادي قرحا
عشر ايسال بينهم ضبحا * ^(٣)يخلقن مالى ككل عام صبحا

فقال له أبو جعفر: وكم تذبح يا أبا دلامة؟ قال: أربعة وعشرين سنة. ففرض له
على كل هاشمي أربعة وعشرين ديناراً، فكان يأخذها منهم. فأتى العباس بن محمد
في عشر الأصحى يشجّرها. فقال: يا أبا دلامة، أليس قد مات أبوك؟ قال بلى.
قال: أنقصوه دينارين. قال: أصلح الله الأمير لا تفعل، فإنه ترك على ولدين. فابى
إلا أن ينقصه. فخرج وهو يقول :

أخطاك ما كنت ترجوه وتأمله * ^(٤)فاغسل يديك من العباس بالياس
وأغسل يديك بأشنان فأنقهما * ^(٥)مما تؤمل من معروف عباس
جزاك ربك يا عباس عن قريح * ^(٦)جنات عدن وعنى جرّنى آس

- ١٥ (١) الضبح: صوت أنفاس الخيل إذا عدت ليس بصهيل ولا جمعة. (٢) نكا الفرح: قشره قبل أن يبرأ فيندى. وقد وردت هذه الكلمة في الأصول محرفة؛ ففي ح: «الناكات». وفي أ، م: «الناكات». وفي ب، س: «الفاتكات». (٣) في الأصول: «قدحا» بالـدال، وهو تحريف. (٤) في أ، م: «صبحا» بالصاد المهملة. وهي في كلتا صورتها غير واضحة. (٥) يخلقن: يستاصلن. وفي ب، س: «يتلفن». وفي سائر الأصول: «يخلقن» بالحاء المهملة. وهو مصحف عما أثبتناه، كما يحتمل أن يكون مصحفاً عن «يخلقن» بالـقاف بمعنى يستاصلن أيضاً. (٦) الأشنان (بالضم): حمض تفصل به الأيدي. (٧) الحرزة: الخزمة.

فبلغ ذلك أبا جعفر فضحك، وأغتاظ على العباس، وأمره بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أخرى . هذه رواية يزيد . وأما ابن النطاح فإنه ذكر أن الذي نقصه الدينارين على بن صالح وقال له : إنا نقصتُك دينارين لموت أبنك دُلّامة . فحلف ألا يأخذ إلا خمسين ديناراً ، ثم قام مُغضباً ، فأتبعه الرسول فأعطاه إياها . فقال له : ^(١)أولى له . أما ما سبق فلا حيلة فيه ، والمستأنف فقد أمّنه . وقد كان قال فيه :

لعلى بن صالح بن علي * تسب لو يُعينه بساج
وبنو مالك كثير ولكن * مالنا في بقاءهم من فلاج
غير فضيل فإن للفضل فضلاً * مستبيناً على قریش البطاح

أخبرني محمد بن أحمد عن محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال :

خاصم رجل أبا دُلّامة في داره ، فارتفعا إلى عافية القاضي فأنشأ أبو دُلّامة يقول :

لقد خاصمتني دُهاة الرجال * وخاصمتها سنة وإفيه
فأدحض الله لي حجة * ولا خيب الله لي قافية
ومن خفت من جوره في القضاء * فلست أخافك يا عافية

فقال له عافية : أما والله لأشكوّنك إلى أمير المؤمنين ولأعلمنه أنك هجوتني . قال : إذا يعزلك . قال : ولم ؟ قال : لأنك لا تعرب المديح من الهجاء . فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر لأبي دُلّامة بجائزة .

(١) أولى له : معناها التهديد والتوعد .

أخبرنى محمد بن أحمد عن أحمد بن الحارث عن المدائنى قال :

أمره المهدي بهجاء
أحد الحضور
فهجا نفسه

دخل أبو دلامة على المهديّ وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى
والعبّاس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بنى هاشم . فقال له : أنا أعطى
الله عهداً لئن لم تهجّ واحداً ممن في البيت لأقطعن لسانك — ويقال إنه قال : لأضربن
عنقك — فتطوّل إليه القوم ، فكلمنا نظراً إلى واحد منهم غمزّه بأنّ عليه رضاه . قال
أبو دلامة : فعلمتُ أنّي قد وقعتُ وأنا عَزَمَةٌ من عَزَمَاتِهِ لا بدّ منها ، فلم أرَ أحداً
أحقّ بالهجاء منّي ، ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسي ، فقلت :

أَلَا أبلغُ إِلَيْكَ أبا دَلَامَةَ * فليس من الكرام ولا كرامه
إذا ليس العِمامَةُ كان قِرْدًا * ويستزيراً إذا نزع العِمامة
جمعت دَمَامَةً وجمعت لَوْماً * كذاك اللّؤمُ نتبعه الدمامة
فإنّك قد أصبحت نعيمَ دُنْيَا * فلا تفرّح فقد دنتِ القيامة
فضحك القوم ولم يبق منهم أحدٌ إلّا أجازه .

أخبرنى الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير عن عمّه قال :

قال شعرا في المهدي
وعلى بن سليمان
وقد خرجا للصيد
فأصاب الأول
وأخطأ الثاني

خرج المهديّ وعليّ بن سليمان إلى الصّيد ، فسَنَحَ لهما قَطيعٌ من ظِباء ، فأرْسَلَتِ
الكلابُ وأجريت الخيلُ ، فرمى المهديّ ظليّاً بسهم فصرّعه ، ورمى عليّ بن سليمان
فأصاب بعض الكلاب فقتله . فقال أبو دلامة :

قد رمى المهديّ ظليّاً * شكّ بالسهم فؤاده
وعلى بن سليماً * ن رمى كلباً فصّاده
فهنيئاً لهما كلٌّ أمرىءٍ يا كلّ زاده

١٣٣
٩

فضحك المهدي حتى كاد أن يسقط عن مَرَجِه، وقال : صدق والله أبو دلالة ، وأمر له بجائزة مَنيَّة . أخبرني بهذا الخبر عَمَى عن الكُرَافِي عن العُمَرَى عن الهيثم بن عديّ فذكر مثل ما ذكره وقال فيه : فُلُقَّبَ عليُّ بن سليمان "صائد الكلب" وعَلِقَ به .

أنشد المنصور
شعرا فأعطاه دارا
وكوة ثم احتاج
الى الدار وعوضه
بدها

قال ابن النطاح : وأنشد أبو دلالة المنصور يوماً :

هاتيك والدتي عجوزٌ هُـ^(١) * مثل البليّةِ دِرْعُها في المشجب^(٢)
مهزولةٌ الخمين^(٣) من يرها يقلّ * أبصرتُ غولاً أو خيالاً، القُطرب^(٤)
ما إذ تركتُ لها ولا لابنٍ لها * مالا يؤمل غيرَ بَكْرِ أجرب
ودجاجةٍ خمساً يرخن^(٥) إليهم * لما يبيض^(٦) وغيرَ غيرٍ مغرب
كتبوا إلى صحيفة مطبوعة^(٧) * جعلوا عليها طينة كالقُرب
فعلبتُ أن الشرّ عند فكّاكها * ففككتُها عن منيل ربح الجُورب
وإذا شبيه بالأنفاسي رُقشت^(٨) * يُوعِدني بتلطيظ وتثؤب^(٩)
يشكون أن الجوع أهلك بعضهم * لزباً^(١٠) فهل لك في يالٍ لزب
لا يسألونك غيرَ طلّ سحابةٍ * تغشاهم من سبيلك المتحلّب
يا باذل الخيراتِ يابن بدولها * وابن الكرام وكلّ قريم منجب
أتم بنو العباس يُعلم أنكم * قدما فوارس كل يوم أشهب

(١) الهمة : العجوز الفانية . (٢) المشجب (ومثله الشجاب) : خشبات موقفة منصوبة توضع عليها الثياب وتلشر . يريد أن أمه فئت حتى أشبهت خشبات المشجب . (٣) الهى : عظم الحنك وهو الذي عليه الأسنان . (٤) القُطرب هنا : ذكر الفيلان أو الصغير من الجن . (٥) يجوز في تابع المستقى بغير مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى . وقد روى هنا المعنى . (٦) العير (بالفتح) : الحمار . والمغرب : الذي اشتد بياضه حتى تبيض محاجره وأرفاعه . (٧) مطبوعة : مخنومة . (٨) في الأصول : «وتثؤب» ويقال لغة ثأب وثأب بالتضعيف . وقد آثرنا الثانية لأنه على رواية الأصول تكون في «ثأفة ألف الأساس» ، وإذا كانت لُزمت في القصيدة كلها . (٩) اللزب (بالتحريك) : ضيق العيش .

أَحْلَاسٌ خَيْلٌ اللَّهُ وَهِيَ مُغِيرَةٌ * يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَالِ الْغُبَارِ الْأَكْهَبِ^(٢)

قال : فأمر له . دار يسكنها وكسوة ودراهم . وكانت الدار قريبة من قصره ، فأمر بأن تزداد في قصره بعد ذلك لحاجة دعت إليه . فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله :

يَا بَنَ عَمِّ النَّبِيِّ دَعْوَةَ شَيْخٍ * قَدْ دَنَا هَدْمُ دَارِهِ وَدَمَارُهُ

فهو كالماخض التي اعتادها الطلح * قُ قُ فَقَرْتُ وَمَا يَقْرُ قَرَارُهُ

إِن تَحْزُ عُسْرُهُ بِكَفِّكَ يَوْمًا * فَبِكَفِّكَ عُسْرُهُ وَيَسَارُهُ

أَوْ تَدْعُهُ فَلِلْبَوَارِ ، وَأَنْتِ * وَلِمَاذَا وَأَنْتِ حَتَّى بَوَارُهُ

هل يخاف الهلاك شاعر قوم * قَدُمْتُ فِي مَدِيحِهِمْ أَشْعَارُهُ

لَكُمْ الْأَرْضُ كُلُّهَا فَأَعِيرُوا * شَيْخَكُمْ مَا أَحْتَوَى عَلَيْهِ جِدَارُهُ

فَكَأَنَّ قَدْ مَضَى وَخَلَّفَ فِيكُمْ * مَا أَعْرَيْتُمْ وَأَقْفَرْتُمْ مِنْهُ دَارُهُ

فأستعبر المنصور ، وأمر بتعويضه داراً خيراً منها ووصله .

قال ابن النطاح :

ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده مُحْرِزٌ ومُقاتِلٌ ابنا دُؤَالٍ يعاتبانه على تقريبه .

أبَا دُلَامَةَ وَيَعْيِيَانَهُ عِنْدَهُ . فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ :

أَلَا أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ هَلْ أَنْتَ مُحْرِرِي * وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَهَلْ أَنْتَ سَائِلِي

أَلَمْ تَرْحِمِ اللَّحْيَيْنِ مِنْ لَحْيَيْهِمَا * وَكِلَاهُمَا فِي طَوْلِهَا غَيْرُ طَائِلِ

وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَهَلْ أَنْتَ مُكْرِمِي * بِحَلْقِهِمَا مِنْ مُحْرِرٍ وَمُقَاتِلِ

فَإِنْ يَأْذِنُ الْمَهْدِيُّ لِي فِيهِمَا أَقُلْ * مَقَالًا كَوَقْعِ السِّيفِ بَيْنَ الْمَفَاصِلِ

وَلَا تَدْعُنِي وَالْهَمُومُ تَنْوِينِي * وَقَلْبِي مِنَ الْعِلْجَيْنِ جَمَّ الْبَلَابِلِ^(٣)

عابه عند المهدي
محرز ومقاتل ابنا
دؤال فهجاهما
بمحضرته

١٣٤
٩

٢٠ (١) أحلاس الخيل هنا : الملازمون ظهورها . (٢) الكهبة : غيرة مشربة سوادا .

(٣) فعل الشرط محذوف أي ولا تفعل تدعني .

فقال . أو أخذ لك منهما عشرة آلاف درهم يفديان بها أعراضهما منك ؟ قال :
ذلك إلى أمير المؤمنين . فأخذها له منهما وأمسك عنهما .

قال ابن النطاح :

ودخل أبو دلالة على سعيد بن دعلج^(١) مولى بني تميم فقال :

إذا جئت الأمير فقل « سلام » عليك ورحمة الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلي غريم * من الأعراب قبح من غريم
غريم لازم بفناء بيتي * لزوم الكلب أصحاب الرقيم^(٢)
له مائة على ونصف أخرى * ونصف التصف في صك قديم
دراهم ما أنتفعت بها ولكن * وصلت بها شيوخ بني تميم
أتوني بالعشيرة يسألوني * ولم أك في العشيرة باللثيم

فضحك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهما وقال : ما أساء من أنصف ، وقد
كافأتك عن قومك وزدتك مائة .

(١) كان أميراً على شرطة البصرة وأحدثها لأبي جعفر المنصور، ثم ولى البحرين له أيضاً وعزله بعد
ذلك . ولى الهدى طبرستان وعزله عنها . (انظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦ و ٧ و ٢٦ و ٢٧ و ٣٩ و ٤١)
(٢) قال الزنجشیری فی تفسیر قوله تعالى : (أم حسب أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
عجا) : « الرقيم اسم كلهم ، قال أمية بن أبي الصلت :

وليس بها إلا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم في الكهف همد

وقيل هو لوح من رصاص رقت فيه أسماءهم جعل على باب الكهف ، وقيل إن الناس رقوا حديثهم
نقرا في الجبل ، وقيل : هو الوادي الذي فيه الكهف ، وقيل الجبل ، وقيل قريتهم ، وقيل مكانهم بين
غضبان وأيلة دون فلسطين » . وفي اللسان مادة رقم : « قال أبو القاسم الزجاجي في الرقيم خمسة
أقوال : أحدها عن ابن عباس أنه لوح كتبت فيه أسماءهم . الثاني أنه الدواة بلغة الروم عن مجاهد .
الثالث القرية عن كعب . الرابع الوادي . الخامس الكتاب عن الضحاك وقتادة ، وإلى هذا القول
يذهب أهل اللغة » .

مدح سعيد بن دعلج
فأجازه

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير عن جعفر بن الحسين اللّهي عن عمه
مصعب :

داعب المنصور
في جنازة بنت عمه
حتى ضحك

أن حمادة بنت عيسى توفيت وحضر المنصور جنازتها . فلما وقف على حُفرتها
قال لأبي دلامة : ما أعددت لهذه الحفرة ؟ قال : بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة
بنت عيسى يُجاء بها الساعة فتدفن فيها . فضحك المنصور حتى غلب فستر وجهه .

أخبرني حمي رحمه الله تعالى قال حدثنا محمد بن سعد الكرائي قال قال أبو عمر
حفص بن عمر العمرى حدثنا الهيثم قال :

سأل الخيزران
جارية فوعده
بها وأبطأت
فاستنجزها بشعر
وفصة زوجته وابنه
مع هذه الجارية

تحت الخيزران ، فلما خرجت صاح بها أبو دلامة . قالت : سلوه ما أمره .
فقالوا له : ما أمرك ؟ فقال : أدنوني من تحملها . قالت : أدنوه ، فأذني . فقال : أيتها
السيدة ، إني شيخ كبير وأجرك في عظيم . قالت : فقه . قال : تهين لي جارية من
جوارك تؤسني وترفق بي وترينني من عجوز عندي ، قد أكلت ريفدي ،
وأطالت كدي ، وقد عاف جلدي جلدها ، وتمتيت بعدها ، وتشوقت فقدها .
فضحك الخيزران وقالت : سوف أمر لك بما سألت . فلما رجعت تلقاها
وذكرها ، ونخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غرض^(١) . ثم دخل على أم عبيدة حاضنة
موسى وهارون ، فدفع إليها رقعة قد كتبها إلى الخيزران فيها :

أبلغني سيدي بالله * يا أم عبيده
أنها أرشدها الله وإن كانت رشيدة
وعدتني قبل أن تح * ربح للحج ولیده
فتأيت وأرسل * ست بعشرين قصيده

(١) غرض : ضجر ومل .

كَلَّمَا أَخْلَقْنِ^(١) أَخْلَقَ * تَ لَهَا أَنْعَى جَدِيدَه

لَيْسَ فِي بَيْتِي لَنْهَيْ * لَدِ فِرَاشِي مِنْ قَعِيدَه

غَيْرُ عَجْفَاءَ عَجُوزِ * سَافَهَا مِثْلَ الْقَدِيدَه

وَجْهَهَا أَقْبَحُ مِنْ حُو * تِ طَرِيٍّ فِي عَصِيدَه

مَاحِيَةً مَعَ أَنْتَى * مِثْلَ عِرْسِي بِسَعِيدَه

١٣٥
٩

فلَمَّا قُرِئَتْ عَلَيْهَا الْآيَاتُ ضَحِكَتْ وَأَسْتَعَادَتْهَا مِنْهُ لِقَوْلِهِ « حُوتَ طَرِيٍّ فِي عَصِيدَه »
وَجَعَلَتْ تَضَحُّكُهَا، وَدَعَتْ بِجَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا فَاتَّقِيَةً فَقَالَتْ لَهَا : خُذِي كُلَّ مَا لَكَ
فِي قَصْرِى فَفَعَلَتْ ، ثُمَّ دَعَتْ بِبَعْضِ الْخَدَمِ وَقَالَتْ لَهُ : سَلِّمْهَا إِلَى أَبِي دُلَامَةِ . فَأَنْطَلَقَ
الْخَادِمُ بِهَا فَلَمْ يَصَادِفْهُ فِي مَنْزِلِهِ . فَقَالَ لَامِرَأَتِهِ : إِذَا رَجَعَ فَأَدْفَعِهَا إِلَيْهِ ، وَقُولِي لَهُ : تَقُولُ
لَكَ السَّيِّدَةُ : أَحْسِنُ مُحَبَّةَ هَذِهِ الْجَارِيَةِ فَقَدْ آثَرْتُكَ بِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ نَعَمْ . فَلَمَّا خَرَجَ دَخَلَ
أَبْنَاهُ دُلَامَةُ فَوَجَدَ أُمَّهُ تَبْكِي . فَسَأَلَهَا عَنْ خَبَرِهَا فَأَخْبَرَتْهُ وَقَالَتْ : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَبْرَأَ
يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَالْيَوْمَ . فَقَالَ : قُولِي مَا شِئْتِ لِأَنِّي أَفْعَلُهُ . قَالَتْ : تَدْخُلُ عَلَيْهَا فَتُعَلِّمُهَا
أَنَّكَ مَالِكُهَا وَتَطْوُؤُهَا فَتَحْرُمَ عَلَيْهِ ، وَإِلَّا دَهَبْتُ بِعَقْلِهِ وَجَفَانِي وَجَفَاكَ . فَفَعَلَ وَدَخَلَ
إِلَى الْجَارِيَةِ فَوَطَّأَهَا وَوَأَفَّقَهَا ذَلِكَ مِنْهُ : وَخَرَجَ . ثُمَّ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ فَقَالَ لَامِرَأَتِهِ :
أَيْنَ الْجَارِيَةِ ؟ قَالَتْ : فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ . فَدَخَلَ إِلَيْهَا شَيْخٌ مُحْطَمٌ ذَاهِبٌ ، فَدَبَّ يَدَهُ
إِلَيْهَا وَذَهَبَ لِيَقْبَلَهَا . فَقَالَتْ لَهُ : مَا لَكَ وَبَيْتُكَ ! تَنْسَحُ وَإِلَّا لَطَمْتُكَ لَطْمَةً دَقَقْتُ
مِنْهَا أَنْفَكَ . فَقَالَ لَهَا : أَهَذَا أَوْصَيْتُكَ السَّيِّدَةُ ! . فَقَالَتْ : إِنَّهَا قَدْ بَعَثَتْ بِي إِلَى
فَتَى مِنْ حَالِهِ وَهَيْئَتِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي أَنْفًا ، وَنَالَ مِنِّي حَاجَتَهُ . فَعَلِمَ
أَنَّهُ قَدْ دُعِيَ مِنْ أُمِّ دُلَامَةَ وَأَبْنَاهَا . فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو دُلَامَةَ فَلَطَمَهُ وَلَبَّيْهِ وَحَلَفَ

(١) كَذَا فِي ١٠ . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « أَخْلَقْنِ » بِالْقَاءِ الْمُرْجُوَّةِ .

(٢) لَيْهِ : أَخَذَ بِتَلْبِيئِهِ أَيْ جَمَعَ ثِيَابَهُ عِنْدَ صَدْرِهِ وَنَحَرِهِ فِي الْخَصْرَةِ ثُمَّ جَزَّهُ .

ألا يفارقه إلا عند المهدى . فمضى به مُلَبِّياً حتى وقف على باب المهدى . نَعْرِفُ
خَبْرَهُ . وانه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بإدخاله . فلما دخل قال له : مالك
وَيْلَكَ ؟ قال : عَمِلَ بِي هَذَا ابْنُ الْخَيْثَةِ مَا لَمْ يَعْمَلْ وَلَدٌ بِأَبِيهِ ، وَلَا تُرْضِينِي إِلَّا أَنْ
تَقْتُلَهُ . فقال له : وَيْلَكَ فَمَا فَعَلَ ؟ فأخبره الخبر . فضحك حتى استلقى ثم جلس . فقال
له أَبُو دُلَامَةَ : أُعْجِبَكَ فَعَلُهُ فَتَضَحَّكَ مِنْهُ ؟ فقال : عَلَى السَّيْفِ وَالنَّطْعِ . فقال له
دُلَامَةُ : قَدْ سَمِعْتَ حُجَّتَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَاسْمَعْ حُجَّتِي . قال : هَاتِ . قال : هَذَا
الشَّيْخُ أَصْفَقُ النَّاسَ وَجَهًا ، يَبْذُرُ أُمَّيَّ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا غَضِبْتُ ، وَنَكْتُ جَارِيَتَهُ
مَرَّةً وَاحِدَةً فَغَضِبَ وَصَنَعَ بِي مَا تَرَى ! فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ أَكْثَرَ مِنْ ضَحْكَه الْأَوَّلِ ،
ثُمَّ قَالَ : دَعَهَا لَهُ يَا أَبَا دُلَامَةَ وَأَنَا أَعْصِيكَ خَيْرًا مِنْهَا . قال : عَلَى أَنْ تَجْبَاهَا لِي
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَإِلَّا نَاكَهَا وَاللَّهِ كَمَا نَاكَ هَذِهِ . فَتَقَدَّمَ إِلَى دُلَامَةَ إِلَّا يُعَاوِدُ
بِمِثْلِ فَعَلِهِ ، وَحَلَفَ أَنَّهُ إِنْ عَاوَدَ قَتْلَهُ ، وَوَهَبَ لَهُ جَارِيَةً أُخْرَى كَمَا وَعَدَهُ .

وقال ابن النطاح :

دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَهْدِيِّ وَعِنْدَهُ شَاعِرٌ يُنْشِدُهُ . فَقَالَ لَهُ : مَا تَرَى فِيهِ ؟ قَالَ :
إِنَّهُ قَدْ جَهَدَ نَفْسَهُ لَكَ فَأَجْهَدْ نَفْسَكَ لَهُ . فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : وَأَبَيْكَ إِنَّهَا لَكَلِمَةٌ عَذْرَاءُ
مِنْكَ ، أَحْسِبُكَ تَعْرِفُهُ ! قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُهُ وَلَا قُلْتُ أَنَا إِلَّا حَقًّا . فَأَمَرَ لِلشَّاعِرِ
بِجَائِزَةٍ ، وَلَأَبَى دُلَامَةَ بِمِثْلِهَا لِحَسَنِ مَحْضِرِهِ .

سأله المهدى عن
شاعر فاطمراه
فأجازه لحسن
محضره

قال ابن النطاح وحدثني أبو عبد الله العُقَيْلُ قال :

رَأَيْتُ عَلَى أَبِي دُلَامَةَ قُرُوءَةً فِي الصَّبَفِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا تَمَلُّ هَذِهِ الْقُرُوءَةَ ! قَالَ :
بَلَى ، وَرَبِّ مَمْلُوءٍ لَا يُسْتَطَاعُ فِرَاقُهُ . فَتَزَعْتُ فَاضِلَ ثِيَابِي فِي مَوْضِعِي وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ .
قَالَ : وَأَهْدِي لِلْمَهْدِيِّ فَيْلٌ ، فَرَأَاهُ أَبُو دُلَامَةَ فَوَلَّى هَارِبًا وَقَالَ :
يَا قَوْمُ إِنِّي رَأَيْتُ الْفَيْلَ بَعْدَكُمْ * لَا بَارَكَ اللَّهُ لِي فِي رُؤْيَا الْفَيْلِ

خلع عليه العقيل من
ثيابه التي عليه

فزع من رؤية
الفيل وقال فيه
شعرا

ابصرتُ قصراً له عينٌ يعلِّبها * فكذتُ أرمي بسلحي في سَراويلي
قال ابنُ النطاح :

أنشد المهدى شعرا
في بقلته واستوجهه .
أخرى غيرها

ودخل أبو دلامة على المهدى فأنشده قصيدته في بقلته المشهورة :
أتاني بغلةٌ يَسْتامُ مني ^(١) * عريقٌ في الخسارة والضلال ^(٢)
فقال تبعها ؟ قلت أرْتبِطها * بحكك إن بيى غيرُ غالى
فأقبل ضاحكاً نحوى سروراً * وقال أراك سَمَحاً ذا جمال
هَلُمَّ إلى يخلوبى خِداعاً * وما يدري الشقى بمن يخالى ^(٣)
فقلتُ بأربعين فقال أحسن * إلى فإن مثلك ذو سِجَال
فأتركتُ خمسةً منها لعلبى * بما فيه يصير من الخيال

١٠ فقال المهدى : لقد أفلت من بلاءٍ عظيم . قال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثتُ
شهرًا أتوقع صاحبها أن يردّها . قال : ثم أنشده :

فأبدلنى بها يا ربَّ طرْفاً ^(٤) * يكون جمالٌ مرْكَبه جمالى
فقال لصاحب ذوابه : خيِّره من الإصْطَبَل مرْكَبين ^(٥) . قال : يا أمير المؤمنين إن
كان الاختيار لى وقعتُ في شرٍّ من البغلة ، ولكن مره أن يختار لى ، فقال : اختر له .
١٥ وأخبرنى به عمى عن الكزائى عن العُمري عن الهيثم بن عدي ، وخبره أتم .

وأخبرنى محمد بن خلف عن أحمد بن الهيثم عن العُمري عن الهيثم بن عدي قال :
دخل أبو دلامة يوماً على المهدى ، فحادته ساعة وهو يضحك وقال له : هل بقي
أحدٌ من أهلى لم يصلك ؟ قال : إن أمنتنى أخبرتك ، وإن أعقبتنى فهو أحبُّ إلى .
قال : بل تُخبرنى وأنت آمن . قال : كلهم قد وصلنى إلّا حاتمَ بنى العباس . قال :

احتال على العباس
ابن محمد بشعرواخذ
منه ألفى درهم
وكان راهن المهدى
على ذلك فأخذ
منه ستة آلاف

(١) في ج : « أتاني خائب » . (٢) استام : طلب السوم أى تعيين الثمن . (٣) السجَال هنا :
المباراة والمساجلة يريد أنه لا يماكس في الثمن . (٤) الطرف من الخيل : الكريم . (٥) في ب ،
س : « بين مركبين » .

(١) ومن هو؟ قال : عمك العباس بن محمد . فالتفت إلى خادم على رأسه وقال : جأ عُنُقِ العاصِ بظُرْأُمَّه . فلما دنا منه صاح به أبو دُلَامة : تَنَحَّ يا عبدَ السَّوءِ لا تُخَنِّث مولاك وتُثَكِّثَ عهدَه وأمانَه . فضحك المهدى وأمر الخادمَ فتنحَّى عنه ، ثم قال لأبى دُلَامة : وَيْلَكَ ! والله عَمَى أبْجُلُ الناس . فقال أبو دُلَامة : بل هو أَسَخَى الناس . فقال له المهدى : والله لو مُتَّ ما أعطاك شيئاً . قال : فإن أنا أُتَيْتُهُ فأجازنى ؟ قال : لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثة دراهم . فأنصرف أبو دُلَامة فخرَّ للعباس قصيدة ثم خذا بها عليه وأنشده :

قِفْ بالديارِ وأَيُّ الدهرِ لم تَقِفْ * على المنازلِ بين الظُّهرِ والنَّجَفِ
وما وُقُوفُكَ فى أَطْلالِ مَنزِلَةٍ * لولا الذى أَسْتَدْرَجْتُ من قَلْبِكَ الكَلَفِ
١٠ إن كنتَ أَصْبَحْتَ مشغوقاً بساكنها * فلا وربِّكَ لا تَسْفِكُ من شَغَفِ
دَعْ ذا وَقُلْ فى الذى قد فاز من مُضِرِّ * بالمَكْرُماتِ وعِزِّ مِقْتَرِفِ^(٢)
هذى رسالةُ شَيْخٍ من بَنى أَسَدٍ * يُهْدِى السَّلامَ إلى العباسِ فى الأَمْحَفِ^(٣)
تَخْطُها من جَوارى المِصْرِ كاتِبَةٌ * قد طالما ضَرَبَتْ فى اللامِ والأَلِفِ
وطالما أَخْتَلَفَتْ صَيْفاً وشَتِيبَةً * إلى معلِّمها بِاللُّوحِ والكَتِفِ^(٤)
حتى إذا نَهَدَ الثَّدْيَانِ وأَمْتَلَأَا * منها وَخِيفَتْ على الإِسْرافِ والقَرْفِ^(٥)
١٥ صَبَتْ ثَلَاثَ مِيزِينَ ما تَرى أَحَدًا * كما يَصُونُ تِجَارُ دُرَّةَ الصَّدَفِ
فبينما الشَّيْخُ يَهْوَى نحو مَجْلِسِهِ * مبادِراً لصلاةِ الصُّبْحِ بالسَّدَفِ^(٦)
حانتَ لَهُ لَحْمَةٌ منها فأبصرها * مُطَلَّةً بين سَجَفَيْها من الغُرْفِ^(٧)

١٣٧
٩

(١) جأ : اضرب . (٢) الظهر : موضع . والنجف (بالتحريك) : موضع بظهر الكوفة

وهو دومة الخندل بعينها ، وبالقرب منه قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب . (٣) فى ب ، س :

« عزم » . (٤) مقترف : مكتسب . (٥) فى ب ، س : « ضيفا » بالضاد المعجمة

وهو تصحيف . (٦) القرف : التهمة . (٧) السدف : الظلة .

خَفَرٌ وَاللَّهِ مَا يَذَرِي غَدَاتِيذٍ * أَخَرٌ مُنْكَشِفًا أَمْ غَيْرُ مُنْكَشِفٍ
 وَجَاءَهُ النَّاسُ أَفْوَاجًا بِمَاءِهِمْ * لِيَغْسِلُوا الرَّجُلَ الْمَغْشَى^(١) بِالنُّطْفِ
 وَوَسَّوْا بِقُرَائِنٍ فِي مَسَامِعِهِ * بِخَافَةِ الْحَرِّ وَالْإِنْسَانُ لَمْ يَخَفِ
 شَيْئًا وَلَكِنَّهُ مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ * أَمْسَى وَأَصْبَحَ مَوْقُوفًا عَلَى التَّلَفِ
 قَالُوا : لَكَ الْوَيْلُ مَا أَبْصَرْتَ ؟ قُلْتُ لَهُمْ * تَطَلَّعْتُ مِنْ أَعَالَى الْقَصْرِ ذِي الشَّرَفِ
 قُلْتُ أَيُّكُمْ وَاللَّهِ يَأْجُرُهُ * يُعِينُ قُوَّتَهُ فِيهَا عَلَى ضَعْفِ
 قِفَامِ شَيْخٍ يَهِيءُ مِنْ رَجَالِهِمْ * قَدْ طَالَمَا خَدَعَ الْأَقْوَامُ بِالْخَلْفِ
 فَابْتَاعَهَا لِي بِالْفَنَى دَرَاهِمَ فَاتَى * بِهَا لَمَّا لَقِيتُهَا عَلَى كَتِفِي
 فَبِتُّ أَثْمَتُهَا طَوْرًا وَأَزْمَتُهَا * طَوْرًا وَأَصْنَعُ بَعْضَ الشَّيْءِ فِي التُّخَفِ
 فَبَيْنَ ذَلِكَ كَذَا إِذَا جَاءَ صَاحِبُهَا * يَتَنَبَّئُ الدَّرَاهِمَ بِالْمِيزَانِ ذِي الْكِفِّ^(٢)
 وَذِكْرَ حَقِّ عَلَى زَنْدٍ وَصَاحِبِهِ * وَالْحَقُّ فِي طَرَفٍ وَالطِّينُ فِي طَرَفِ
 وَبَيْنَ ذَلِكَ شُهُودٌ لَا يَضُرُّهُمْ * أَكُنْتُ مُعْتَرِفًا أَمْ غَيْرُ مُعْتَرِفِ
 فَإِنْ يَكُنْ مِنْكَ شَيْءٌ فَهُوَ حَقُّهُمْ * أَوْلَا فَإِنَّ مَدْفُوعٌ إِلَى التَّلَفِ

قال : فضحك العباس وقال : وَيَحْكُ أَصَادِقُ أَنْتَ ؟ قال : نعم والله . قال : يا غلام
 ادفع إليه ألقى درهم ثمنها . قال : فأخذها ثم دخل على المهدي فأخبره القصة وما أحتال
 له به . فأمر له المهدي بستة آلاف درهم . وقال له المهدي : كيف لا يضركم
 ذلك ؟ قال : لأتني مُعْدِمٌ لا شيء عندي . وقال عمي في خبره : فقال له العباس بن محمد
 شاركني في هذه الجارية . قال : أفعل ولكن على شريطة . قال : وما هي ؟ قال : الشركة^(٣)
 لا تكون إلا مفاوضة^(٤) ، فاشتري معها أخرى ، لبيع كل واحد منا إلى صاحبه ما عنده

(١) النطف : جمع نطفة (بالضم) وهي الماء الصافي قل أو أكثر . (٢) في ح ، ب ، س :

« خافه » وهو تحريف . (٣) المشهور في مثل هذا أن يقال : فبيننا ذلك كذا أو « بيننا » . وقد جاء
 بها أبو دلالة هنا على الأصل . (٤) شركة المفاوضة : هي الشركة العامة في كل ما يملكه الشريكان .

وياخذ الأخرى مكانها ليلةً وليلةً . فقال له العباس : قَبِّحَكَ اللهُ وقَبِّحَ ماجئُكَ . به !
خذ الدراهم لا بارك الله لك فيها وأنصرف .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني
العيسى قال :
أمره أبو مسلم
بمبارزة رجل فقال
شعرا أضحكه
فأعفاه

- ° كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أمية . فدعا رجلاً إلى
البراز؛ فقال له أبو مسلم : اُبرزْ إليه . فأنشأ يقول :
- أَلَا لَا تَلُمْنِي إِنْ فَرَرْتُ فِرَاتِنِي * أَخَافُ عَلَى خِفَاتِي أَنْ تَحَطَّيَا
فَلَوْ أَتَيْتُ فِي السُّوقِ أَتْبَاعَ مِثْلَهَا * وَجَدْتُ مَا بَالَيْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَا
فَضِيحِكَ وَأَعْفَاه .

- ١٠ ونسخت من كتاب ابن النطّاح : وعدته ربيعة جارية
فاستنجزها بشعر

أَنْ رَيْطَةَ وَعَدْتِ أَبَا دُلَامَةَ جَارِيَةً فَطَلَّتهُ حَتَّى أَمْتَدَحَهَا بِعِدَّةِ قَصَائِدَ ، كُلُّ
ذَلِكَ لَا تَنِي لَهُ ، ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى مَكَّةَ وَرَجَعَتْ . وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ يَقَالُ لَهَا أُمُّ عَيْيِدَةَ
تَخْرُجُ وَتُكَلِّمُ الرِّجَالَ وَتَبْلُغُ عَنْهَا الرِّسَالُ . فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ لِأُمِّ عَيْيِدَةَ حِينَ عِيلَ صَبْرُهُ :

- أَبْلَغِي سَيِّدَتِي إِنْ * شِئْتَ يَا أُمُّ عَيْيِدَةَ
أَنْهَا أَرْشَدَهَا اللَّهُ وَإِنْ كَانَتْ رَشِيدَةً
وَعَدْتَنِي قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ لِلْحَجِّ وَلَيْدَةً
فَتَنْظُرْتُ وَأَرْسَلْتُ * ثَمْنُ بَعْشَرِينَ قَصِيدَةً
كَلَّمَا تَخْلُقُ أُولَى * بَدَلْتُ أُخْرَى جَدِيدَةً
إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ * لَيْسَ فِي بَيْتِي قَعِيدَةً
غَيْرِ مِثْلِ الْغَوْلِ عِنْدِي * ذَاتِ أَوْصَالٍ مَدِيدَةٍ
- ١٥
٢٠

وجھها أسمعُ من حُو * يَ طَرَى في عَصيده
ذاتِ رَجُلٍ ويد كل * تاهما مثلُ القديده

فدخلت على رَيطَة فأنشدتها الشعر، فأمرت له بجارية ومائتي دينار للنفقة عليها .

(١) أخبرني الحسين بن يحيى نسخت من كتاب إسحاق الموصلي حدثني أبي عن جدي :
أن أبا دلالة نزل بالكوفة، فأتاه أضياف فغداهم، ثم بعث إلى مسندية نباله
يقال لها دومة، فبعثت إليهم جرة من نبيذ فشربوها، ثم أعاد فبعثت إليهم
بأخرى، ثم جاءت لتقاضى الثمن . فقال : ليس عندي الثمن، ولكنني أمدحك بما
هو خير من نبيذك . فقال :

ألا يا دَوْم دَام لك النِّعَم * وأحمر ملء كَفِّكَ مستقيم
شديد الأصل ينبذُ حالياه * يَنْبُذُ كأنه رجلٌ سقيم
وهذا الخبر يروى عن الأقيشر أيضا .

قال شعرا في الجنيذ
النخاس يذمه
ويمدح جارية له

قال إسحاق وحدثني أبي :

أن أبا دلالة كان كثير الزيادة للجنيد النخاس، وكان يتعشق جارية له ويغضبه .
بجاءه يوماً فقال : أخرج لي فلانة . فقال : إلى متى تخرج إليك ولست بمشتري !

(١) يلاحظ أن جد إسحاق بن إبراهيم الموصلي فارسي وهو ماهان أو ميون بن بهمن، وأنه مات وابنه
مفلح في الثانية أو الثالثة، فلا يعقل أن يكون إبراهيم روى عن أبيه . على أن ماهان لم يعرف أنه من رواية
الأدب العربي . فمفلح في كلبه «عن جدي» محريفاً أو هم من زيادات النساخ . (راجع ترجمة إبراهيم الموصلي
في الجزء الخامس من هذه الطبعة ص ١٥٤) . (٢) كذا في ج . وفي سائر الأصول : «مثل» وهو
محرّيف . وقد ورد هذا الشعر في الجزء العاشر صفحة ٩٤ من الأغاني طبع بلاق في ترجمة الأقيشر، وروايته :

ألا يا دَوْم دَام لك النِّعَم * واسمر ملء كَفِّكَ مستقيم
شديد الأسر ينبض حالياه * يحم كأنه رجلٌ سقيم
يرويه الشراب فيزدهيه * وينفخ فيه شيطان رجيم
(٣) ينبذ : ينبض .

قال : فإن لم أكن مشترياً فلاني أخ يدح ويطري . قال : ما أنا بخرجها إليك
أو تقول فيها شعرا . قال : فأحلف بعنقها أن ترويا إياه وتأمرها بإنشاده من أهلك
يعترضها ولا تحجبها . خلف لا يحجبها . فقال أبو دلامة :

إني لأحسب أن سامسي ميتا * أو سوف أصبح ثم لا أمسي
من حب جارية الجنيد وبغضه * وكلاهما قاض على نفسي
فكلامها يشفي به سقمي * فإذا تكلم عاد لي نكسي

أخبرني عمي قال حدثنا الكرائي قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال :
دخل أبو دلامة على إسحاق الأزرق يعود ، وكان إسحاق قد مرض مرضاً
شديداً ، ثم تعافى منه وأفاق ، فكان من ذلك ضعيفاً ، وعند إسحاق طبيب يصف له
أدوية فتقوى بدنه . فقال أبو دلامة للطبيب : يا بن الكفرة ! أتصف هذه الأدوية
لرجل أضعفه المرض ! ما أردت والله إلا قتله . ثم ألتفت إلى إسحاق فقال : اسمع
أيها الأمير متى . قال : هات ما عندك يا أبا دلامة . فأنشأ يقول :

نح عنك الطبيب وأسمع لنعتي * إنني ناصح من النصائح
ذو تجارب قد تقلبت في الصحه * دهرًا وفي السقام المتاح
فاد هذا الكباب كل صبايح * من متون الفقيه السباح^(١)
فإذا ما عطشت فأشرب ثلاثاً * من عتيق في الشم كالنفاح
ثم عند المساء فاعكف على ذا * وعلى ذا بأعظم الأقداح^(٢)
فتقوى ذا الضعف منك وتلقى * عن ليل أصح هذي الصباح^(٣)
ذا شفاء ودغ مقالة هذا * ناك ذا أمه بأير رباح

عاد إسحاق الأزرق
وعنده طبيبه فقال
شعرا ينصحه فيه
بمجانبة الطبيب

(١) السباح : السنان ، واحداً ساح وساحة ، بالحاء المشددة . (٢) عن ليل أي بعد ليل .
(٣) رباح : القرد .

فَضَحَكَ إِسْحَاقُ وَعَوَّاهُ، وَأَمَرَ لَأَبِي دُلَامَةَ بِخَمْسِائَةِ دَرَاهِمٍ . وَكَانَ الطَّيِّبُ نَصْرَانِيًّا فَقَالَ :
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ يَا رَكُلَ (يريد يا رجل) . وَقَالَ الطَّيِّبُ : أَقْبَلْ مِنِّي أَصْلَحَكَ اللَّهُ
وَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ قُدَّامَهُ . فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ : أَمَّا وَقَدْ أَخَذْتُ أَجْرَةَ صَفَّقَتِي وَقَضَيْتُ^(١)
الْحَقَّ فِي نُصْحِ صَدِيقِي ، فَأَنْعَمْتَ لَهُ الْآنَ أَنْتَ مَا أَحْبَبْتَ .

تتأد برسالة
الوصيف في حضرة
المهدي

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي
أَبُو الشَّيْبَلِ عَاصِمُ بْنُ وَهَبِ الْبَرْجِيِّ قَالَ :

دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَهْدِيِّ وَبَيْنَ يَدَيْهِ سَلَمَةُ الْوَصِيفِ وَأَقْفًا ، فَقَالَ : إِنِّي
أَهْدَيْتُ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُهْرًا لَيْسَ لِأَحَدٍ مِثْلُهُ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُشَرِّفَنِي بِقَبُولِهِ ،
فَأَمْرُهُ بِإِدْخَالِهِ إِلَيْهِ . فَخَرَجَ وَأَدْخَلَ إِلَيْهِ دَابَّتَهُ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَهُ ، فَإِذَا بِهِ يُرْزَوْنَ مُحْطَمٌ
أَعْجَفُ هَرِمٌ . فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : أَيُّ شَيْءٍ هَذَا وَيْلَكَ ! أَلَمْ تَزْعَمْ أَنَّهُ مُهْرٌ ! فَقَالَ لَهُ :
أَوْ لَيْسَ هَذَا سَلَمَةُ الْوَصِيفِ بَيْنَ يَدَيْكَ قَائِمًا تَسْمِيهِ الْوَصِيفَ وَلَهُ ثَمَانُونَ سَنَةً ، وَهُوَ
عِنْدَكَ رَصِيفٌ ! فَإِنْ كَانَ سَلَمَةُ وَصِيفًا فَهَذَا مُهْرٌ . فَعَلَّ سَلَمَةُ بِشْتُمِهِ وَالْمَهْدِيُّ
يَضْحَك . ثُمَّ قَالَ لِسَلَمَةَ : وَيْلَكَ ! إِنَّ لِهَذِهِ مِنْهُ أَخَوَاتٌ ، وَإِنْ أَتَى بِهَا فِي مُحْفَلٍ
فَضَحَكَ . فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ : وَاللَّهِ لَا أَفْضَحُنَّه يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَلَيْسَ مِنْ مَوَالِكَ أَحَدٍ
إِلَّا وَقَدْ وَصَلَنِي غَيْرُهُ ، فَإِنِّي مَا شَرِبْتُ لَهُ الْمَاءَ قَطُّ . قَالَ : فَقَدْ حَكَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ
يَشْتَرِيَ نَفْسَهُ مِنْكَ بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنْ يَدِكَ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ عَلَى أَنْ
لَا يُعَاوِدَ . فَقَالَ لَهُ : مَا تَرَى ؟ قَالَ : أَفْعَلُ ، فَلَوْلَا أَنِّي مَا أَخَذْتُ مِنْهُ شَيْئًا قَطُّ
مَا فَعَلْتُ مَعَهُ مِثْلَ هَذِهِ . فَخَضَى سَلَمَةُ فَعَمَلَهَا إِلَيْهِ .

عبث به ابنه فأراد
أن يخلصه لحكم
زوجته

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ الْكَرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْخَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ
عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَالِحٍ قَالَ :

(١) كذا في جميع الأصول . ولعله : « أجرة صفقتي الخ » .

- جاء ابن أبي دُلّامة يوماً إلى أبيه وهو في محفّل من جيرانه وعشيرته جالس،
 بفلسر، بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم: إن شيخى، كما ترون، قد كبرت
 سنّه، ورقّ جلده، ودقّ عظمه، وبنا إلى حياته حاجة شديدة، فلا أزال أشير
 عليه بالشىء يُمسك رَمَقَه ويُنقّي قُوته، فيخالفنى فيه. وأنا أسألكم أن تسألوه
 قضاء حاجة لى أذكرها بحضرتكم، فيها صلاحٌ لجسمه، وبقاءٌ لحياته، فأسغفونى
 بمسألته. فقالوا: تفعلُ حُباً وكرامةً. ثم أقبلوا على أبي دُلّامة بالسّتهم وتناولوه
 بالعتاب حتى رضى وهو ساكت، فقال قولوا للخبيث فليقل ما يُريد، فستعلمون أنّه
 لم ياب إلا ببلية. فقالوا له: قل. فقال: إنّ أبى إنما يقتله كثرةُ الجماع، فتعاونونى عليه
 حتى أخصيه، فلن يقطعَه عن ذلك غيرُ الحصاء، فيكون أصحّ لجسمه وأطولَ لعمره.
 فعجبوا من ذلك وعلموا أنّه إنما أراد أن يعبث بأبيه ويخجله حتى يشيع ذلك عنه
 فيرتفع له بذلك ذكر، فضحكوا منه. ثم قالوا لأبى دُلّامة: قد سمعتَ فأجب. قال:
 قد سمعتم أتم وعرفتكم أنّه لن يأتى بخير. قالوا: فما عندك فى هذا؟ قال: قد
 جعلتُ أمّه حَكماً بينى وبينه فقوموا بنا إليها. فقاموا بأجمعهم فدخلوا إليها، وقصّ
 أبو دُلّامة القصّة عليها، وقال لها: قد حكمتك. فأقبلت على الجماعة فقالت: إنّ أبنى —
 أصلحه الله — قد نصّح أباه وبرّه ولم يألُ جهداً، وما أنا إلى بقاء أبيه بأخوّج منى إلى
 بقائه، وهذا أمرٌ لم تقع به تجربةٌ منّا، ولا جرت بمثله عادةٌ لنا، وما أشكُ فى معرفته
 بذلك. فليبدأ بنفسه فليخصّها، فإذا عوفى ورأينا ذلك قد أثر عليه أثراً محموداً استعمله
 أبوه. فنعر أبوه وجعل يضحك به، وخجل أبنته، وأنصرف القوم يضحكون
 ويعجبون من خُبثهم جميعاً واتّفاقهم فى ذلك المذهب.

أخبرني عمي قال حدثنا ميمون بن هارون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل
عن أبيه قال :

أمر المهديّ
مروانيا بقتل
خارجي فنبأ السيف
في يده فقال هو
في ذلك شعرا

كان عند المهديّ رجل من بني مروان ، فدخل إليه وسلم عليه . فأتى
المهديّ بعلج فامر المروانيّ بضرب عنقه ، فأخذ السيف وقام فضربه فنبأ السيف
عنه ، فرمى به المروانيّ وقال : لو كان من سيوفنا ما نبأ . فسمع المهديّ الكلام
فغاضه حتى تغير لونه وبأن فيه . فقام يقطين^(٢) فأخذ السيف وحسّر عن ذراعيه
ثم ضرب العليّ فرمى برأسه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذه سيوف الطاعة لا تعمل
إلا في أيدي الأولياء ولا تعمل في أيدي أهل المعصية . ثم قام أبو دلالة فقال :
يا أمير المؤمنين ، قد حضرني بيتان أفأقولهما ؟ قال : قل . فأنشده :

أيّها الإمام سيّك ما مض * وبكفّ الوليّ خير^(٣) ككهام

فإذا ما نبأ بكفّ علمنا * أنها كفّ مبيّض للإمام

قال : فسرى عن المهديّ وقام من مجلسه ، وأمر تّجابه بقتل الرجل المروانيّ فقتل .

(١) العليج : الرجل من كفار العجم . (٢) يقطين : هو يقطين بن موسى البغدادي .
(انظر الكلام عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٥ ج ٦ من كتاب الأغاني من هذه الطبعة) .
(٣) الكهام من السيوف : الكليل الذي لا يقطع .

[أخبار عبد الله بن المعتز]

ومن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبرع وتقدم جميع أهل عصره
فضلاً وشرفاً وأدباً وشعراً وظرفاً وتصرفاً في سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن
المعتز بالله .

- أدبه وشعره ودفاع
أبي الفرج عن
مذهبه في الأدب
- وأمره، مع قرب عهده بعصرنا هذا، مشهور في فضائله وآدابه شهرة تُشركُ
في أكثر فضائله الخاص والعام . وشعره وإن كان فيه رقة الملوكية وغزل الظرفاء
وهلولة المحدثين، فإن فيه أشياء كثيرة تجرى في أسلوب المجيدين ولا تقصر عن
مدى السابقين، وأشياء طريفة من أحوال الملوك في جنس ما هم بسبيله، ليس
عليه أن يشبه فيها بفحول الجاهلية . فليس يمكن واصفاً لصبوح، في مجلس شكل
ظريف، بين تداعى وقيان، وعلى ميادين من النور والبنفسج والترجس ومنضود
من أمثال ذلك، إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفانح الفرش ومختار الآلات،
ورقة الخدم، أن يعدل بذلك عما يشبهه من الكلام السبسط الرقيق الذي يفهمه
كُلُّ مَنْ حضر، إلى جعد الكلام ووخشيته، وإلى وصف اليد والمهاميه والظني
والظلم^(٢) والناقة والجمال والديار والقفار والمنازل الخالية المهجورة؛ ولا إذا عدل عن
ذلك وأحسن قيل له مَسِيء، ولا أن يُغْمَطَ حَقُّه كله إذا أحسن الكثير وتوسَّط
في البعض وقصر في اليسير، ويُنسَبَ إلى، التقصير في الجميع، لنشر المقابح وطى
الحاسن . فلو شاء أن يفعل هذا كلُّ أحدٍ بمن تقدم لوجد مساعاً . ولو أن قائلًا
أراد الطعن على صدور الشعراء، لقد رأى أن يطعن على الأعشى —

(١) السبسط : السهل المرسل . والجمد : المعقد .

(٢) الظلم : ذكر النعام .

وهو أحد من يقدمه الأوائل على سائر الشعراء — بقوله : « فأصاب حبة قلبه وطحاماها » . وبقوله : ^(١)

ويأمر لليحموم بكل عشيّة * بقت وتعليق فقد كاد يسبق ^(٢)

١٤١
٩

وأمثال لهذا كثيرة . وإنما على الإنسان أن يحفظ من الشيء أحسنه ، ويبلغى مالم يستحسنه ، فليس مأخوذاً به . ولكن أقواماً أرادوا أن يعرفوا أنفسهم الوضيعة ، ويشيدوا بذكرهم الخامل ، ويعلموا أقدارهم الساقطة بالطعن على أهل الفضل والقدر فيهم ، فلا يزدادون بذلك إلا ضعة ، ولا يزداد الآخر إلا ارتفاعاً . ألا ترى إلى ابن المعتز قد قيل أسوأ قتلة ، ودرج فلم يبق له خلف يقيطره ولا عقب يرفع منه ، وما يزداد بأدبه وشعره وفضله وحسن أخباره وتصرفه في كل فن من العلوم إلا رفعة

(١) الغيب في هذا ورود كلمة الطحال فيه وهي عما يأبأها الذوق . وقد ورد كلام فيه في هذا الجزء (ص ٨١ — ٨٢) فراجع .

(٢) هكذا في لسان العرب وكتاب نسب الخليل لابن الكلبي وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . واليحموم : اسم فرسه . والقت : حب برى . والتعليق : ما تعلقه الدابة من شعر ونحوه . ويسبق : يأكل حتى يصيبه كالشئ . وقد ورد هذا البيت في ب ، سه هكذا :

وقد كان أن يأمر هو كل ليلة * بقت وتعليق فقد كاد يسبق
وفي الأصول المخطوطة :

وقد كان يأمر في كل ليلة * بقت وتعليق فقد كان يسبق

وهما تحريف . وغيب هذا البيت أنه مدح به ملك الحيرة وهو لا مدح به رجل من خصاس الجنود ، لأنه ليس من أحد له فرس إلا وهو يعلقه قنا ويقضمه شعيراً . وهذا مدح كالحجاء . وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : « ولست أرى هذا عيباً ، لأن الملوك تعد فرساً على أقرب الأبواب من مجالسها يسرجه ويلبسه خوفاً من عدو يهجزها أو أمر ينزل أو حاجة تعرض لقلب الملك فيريد البدار ، فلا يحتاج إلى أن يتلوم على إسراج فرسه ويلبسه . وإذا كان واقفاً غدى وعشى . فوضع الأعشى هذا المعنى ودل به على ملكه وعلى حزمه » .
(راجع كتاب الشعر والشعراء صفحة ١٤١ — ١٤٢ طبع أوروبا) .

(٣) كذا في الأصول . ويحتمل أن يكون : « يلقى » بالقاف .

وَعُلُوا . وَلَا تَنْظُرْ إِلَى أَضْدَادِهِ كُلَّمَا أَزْدَادُوا فِي طَعْنِهِ وَتَقْرِيطِ أَنْفُسِهِمْ وَأَسْأَلِهِمْ
الَّذِينَ كَانُوا مِثْلَهُمْ فِي ثَلْبِهِ وَالطَّعْنِ عَلَيْهِ ، زَادُوهَا سَقُوطًا وَضَعَةً ، وَكَلَّمَا وَصَفُوا
أَشْعَارَهُمْ وَقَرَّظُوا آدَابَهُمْ ، زَادُوا بِهَا ثِقَلًا وَمَقْتًا . فَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الْمُحْصَلُ الْمَوَافِقُ ،
مَدَّلُوا عَنْ ثَلْبِهِ فِي الْآدَابِ ، إِلَى التَّشْنِيعِ عَلَيْهِ بِأَمْرِ الدِّينِ وَهَجَاءِ آلِ أَبِي طَالِبٍ ،
وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَشَنَعَ بِهِ عَلَى آلِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْمُكْتَنَفِيِّ حَتَّى نَهَاكَ عَنْهُ ،
فَعَدَّلُوا عَنْ عَيْبِ أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ إِلَى عَيْبِهِ ، وَأَرْنَكُوا أَكْثَرَهُ مِنْهُ . وَأَنَا أَذْكَرُ ذَلِكَ
بِعَقَبِ أَخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ ، مُصَرِّحًا بِهِ عَلَى شَرْحِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ حَسَنَ الْعِلْمِ بِصِنَاعَةِ الْمُسَبِّحِ ، وَالْكَلَامِ عَلَى النِّعَمِ وَعِلَلِهَا . وَلَهُ
فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الْآدَابِ كُتُبٌ مَشْهُورَةٌ ، وَمُرَاسِلَاتٌ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَبَيْنَ بَنِي حَمْدُونَ وَغَيْرِهِمْ ، تَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ وَغَزَاوَةِ
عَالِمِهِ وَإِدْبَارِهِ .

طلبه بصناعة
الموسيقى

وَلَقَدْ قَرَأْتُ بِمُخَطِّ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ رُقْعَةً إِلَيْهِ بِمُخَطِّهِ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ
بِرِسَالَةٍ إِلَى ابْنِ حَمْدُونَ فِي أَنَّهُ يَحُوزُ وَلَا يُنْكَرُ أَنْ يَغَيِّرَ الْإِنْسَانُ بَعْضَ نَعَمِ الْغِنَاءِ الْقَدِيمِ ،
وَيَعْدِلَ بِهَا إِلَى مَا يَحْسُنُ فِي حَلْقِهِ وَمَذْهَبِهِ . وَهِيَ رِسَالَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَشَاوَرَهُ فِيهَا . فَكُتِبَ
إِلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ : « قَرَأْتُ — أَيْدِكَ اللَّهُ — الرِّسَالَةَ الْفَاضِلَةَ الْبَارِعَةَ الْمَوْفِقَةَ . فَأَنَا وَاللَّهُ أَقْرَأُهَا
إِلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى أَوَّلِهَا مَبْتَهَجًا ، وَأَتَأَمَّلُ وَأَدْعُو مَبْتَهَلًا ، وَعَيْنُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَنَامُ
عَلَيْكَ وَعَلَى نِعْمَةٍ عِنْدَكَ . فَإِنَّهَا — عِلْمُ اللَّهِ — النِّعْمَةُ الْمَعْدُومَةُ الْمِثْلُ . وَلَقَدْ تَمَثَّلْتُ
وَأَنَا أَكْرَرُ نَظْرِي فِيهَا قَوْلَ الْقَائِلِ فِي سَيِّدِنَا وَأَبْنِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ :

كتاب عبيد الله بن
عبد الله بن طاهر له
وقد بعث إليه رسالة
إلى ابن حمدون

كُنْى وَشَفَى مَا فِي النُّفُوسِ وَمِمَّ يَدْعُ * لَذَى لِرَبِيَّةٍ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا
وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ جِدًّا فِي هَزْلٍ ، وَلَا هَزْلًا فِي جِدٍّ يُشَبِّهُ هَذَا الْكَلَامَ فِي بِلَاغَتِهِ
وَفَصَاحَتِهِ وَبَيَانِهِ وَإِنَارَةِ بَرَاهَانِهِ وَجَزَالَةِ أَلْفَافِهِ . وَلَقَدْ خِيلَ إِلَيَّ أَنَّ لِسَانَ جَدِّكَ

العباس عليه السلام ينقسم على أجزاء، فلك — أعزك الله — نصفها، والنصف الآخر مقسوم بين أبي جعفر المنصور والمأمون رحمة الله عليهما، ولو أن هذه الرسالة جَهِتَ الإبراهيميين إبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وأبنه إسحاق وهم مجتمعون لبُهِتَ منهم الناظر، وأُخْرِسَ الناطق، ولأقروا لك بالفضل في السَّبق، وظهور حُجَّةِ الصِّدِّيق، ثم كان قولك لهم فرقاً بين الحقِّ والباطل، والخطأ والصواب. ووالله ما تأخذ في فنٍّ من الفنون، إلا برَّزت فيه تبرز الجواد الزائع، المُغَبِّ في وجه كلِّ حصان تابع. عَضَدَ الله الشرفَ ببقائك، وأحيا الأدبَ بجيانتك، وجَلَّ الدنيا وأهلها بطول عمرك.»

هذا كلام العقلاء وذوى الفضل في مثله، لا كلام الثقلاء وذوى الجهل. والإطالة في هذا المعنى مُسْتَعْنَى عنها. والمشهور عنه وعن أصداد. وما يأتي من أخباره بعد ذلك ففى معنى ما شرطته من جنس ما هو المقصود في كتابي هذا.

أصوات له
في أشعار مختلفة

فمن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره على أن أكثرها هذه سبئته فيها :

صوت

هل تَرَجِعَنَّ ليالٍ قد مَضَيْنَ لنا * والدارُ جامعةٌ أزمانَ أزماناً^(١)
صَنَعْتَهُ في بيتٍ واحدٍ، ولحنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلُ.

(١) يقول : هل تعود ليالٍ لنا مضت أزمان وأزمان والدار جامعة أسباب سرورنا وطونا . وأزمان أزمان يراد به أزمان لهونا وأزمان سرورنا أو نحو ذلك مما يضاف إليه أزمان ويناسب المقام . ومثل هذا التركيب مما يجب فيه البناء على فتح الجزأين كالمركب المزجي . وكل ما ركب تركيب المزج من الظروف زمانية كانت أو مكانية يجب بناؤه ، مثل قولك فلان يأتينا صباح مساء أى كل صباح ومساء ، لحذف العاطف وركب الظروفان قصداً للتخفيف تركيب خمسة عشر . قال الشاعر :

ومن لا يصرف الواشين عنه * صباح مساء ينفوه خيالاً

ومن صنعته في الثقل الأول أيضا — وفيه لعلويه رمل قديم، وما لحنه : ون
لحن آوويه — :

صوت

مَتَى جَانِبَ الْقَصْرِينِ فَالْدَيْرِ فَالْحَمَى * إِنْ الشَّجَرِ الْمُخْفَوِّفِ بِالطَّيْنِ وَالْمَدْرِ^(١)
ومن نعتة الظريفية الشكيلة مع جودتها :^(٢)

صوت

وَا بِلَاثِي مِنْ مَحْضَرٍ وَمَغِيبٍ * وَحَبِيبٍ مَنِّي بَعِيدٍ قَرِيبٍ
لَمْ تَرِدْ مَاءَ وَجْهِهِ الْعَيْنُ إِلَّا * شَرِقتُ قَبْلَ رِيَّاهَا بِرَقِيبٍ

خفيف ثقيل، ابتداءؤه تشديد .

زادته زرياب
في يوم الشعانين
وغناها

- ١٠ ومن صنعته، وله خبر أخبرني به علي بن هارون بن المنجم عن زرياب قالت :
زرت عبد الله بن المعتز في يوم الشعانين^(٣)، فسر بورودي وصنع من وقته لحنًا في شعر
عبد الله بن العباس الربيعي الذي له فيه هزج وهو :

= وتقول : فلان يأتينا يوم يوم أي يوما فيوما ؛ قال الشاعر :

آتِ الرِّزْقُ يَوْمَ يَوْمٍ فَأَجْمَلُ * طَلَبًا وَابْغِ الْقِيَامَةَ زَادَا

- ٥ ومثال ما ركب من ظروف المكان قولهم : سهلت الهمة بين بين ؛ ومنه قول الشاعر :

نَحْنُ حَقِيقَتُنَا وَبِهِ * ضَيَّ الْقَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنَا

والأصل بين هؤلاء وبين هؤلاء . (راجع شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام
الأنصاري طبع بلاق سنة ١٢٨٢ ص ٣٠٤ ٣١٠) . وقد ورد هذا البيت في الأصول : «أزمان أزمان»
والنون عارية من الشكل، وليس فيها ألف الاطلاق . ورجعنا الى ديوانه المطبوع فلم نجد فيه هذا البيت .

- ٢٠ (١) المدر : التراب المتلبد، أو هو قطع الطين اليابس . (٢) كذا في ح . وفي ب، سه :
«الظرفية الشكل» . وفي أ، م : «الظرفية الشكل» . (٣) في لسان العرب (في مادة سعن) :
«قال ابن الأثير : هو عيد لم معروف قبل عيدهم الكبير بأسبوع، وهو سر ياتي معرب . وقيل : هو جمع =

صوت

أنا في قلبي من الطُّبِّي كُلُّومُ * فدَجِ اللَّوْمَ فَإِنَّ اللَّوْمَ لَوُمٌ^(١)
حَبْذا يَوْمُ السَّعَانِينِ وما * لَيْتُ فِيهِ مِنْ سُرُورٍ لَوْ يَدُومُ

— الشعر لعبد الله بن العباس، ولحنه فيه هَزَجٌ — قالت : فصنع عبد الله بن المعتز
في البيت الثاني، وبعده بيتٌ أضافه إليه، هَزَجًا وهو :

زارني مولاي فيه ساعة * لَيْتَهُ وَاللَّهِ مَا عِشْتُ يُقِيمُ

ولحنُ ابن المعتز في «حبذا يوم السَّعَانِينِ» وهذا البيت خفيف رَمَلٌ، وهو من
نهايات الأغاني التي صنعها .

ومن صناعته التي تظَّارَفَ فيها وملَّحٌ^(٢) :

زاحَمَ كُفِّي كُفِّي فَالتَوَيَّا * وافق قلبي قلبه فاستَوَيَّا

وطالما ذاقا الهوى فاكْتُويا * يا قُرَّةَ العينِ ويا هَمِّي ويا

أراد هنا بقوله « ويا » ما يقوله الناس في حكاية الشيء الذي يخاطبون به الإنسان
من جميل أو قبيح، فيقولون : قلتُ له يا سيدي ويا مولاي ويا ويا، وكذلك
ضدّه لِيُستَغْنَى بالإشارة بهذا النداء عن الشرح . ولحنُ ابن المعتز في هذا هَزَجٌ .

١٥ = واحد سعنون « ١٥٠ » والمشهور فيه « السَّعَانِينِ » بالشين المعجمة ؛ فقد ورد في صبح الأعشى
(ج ٢ ص ٤١٥) في كلامه على أعياد القبط : « الثاني — الزيتونة ، وهو عيد السَّعَانِينِ ، وتفسيره
بالعربية التسبيح ، يعملونه في سابع أحد من صومهم . وسنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة ،
وهو يوم ركوب المسيح لليعفور (وهو الحمار) في القدس ودخوله صهيون وهو راكب والناس يسبحون
بين يديه ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » ١٥٠ .

(١) لوم : تخفف لؤم بالهمز . (٢) في ب، س : « تظافر » . وفي سائر الأصول :

« تضافر » . وظاهر أن كليهما تحريف .

سجنت عليه نشر
في صورة جميلة
فقال فيها شعرا على
البدئية

١٤٣

٩

حدّثني جعفر بن قدامة قال :

كنا عند ابن المعتز يوماً وعنده نشر وكان يحبها ويهيم بها ، فخرجت علينا من صدر البستان في زمن الربيع ، وعليها غلالةٌ معصّفةٌ وفي يديها جنابي باكورة^(١) باقلا^(٢) . فقالت له : يا سيدي تلعبُ معي جبابي ؟ فالتفت إلينا وقال على بديته غير متوقّف ولا مفكّر :

٥

(١) كتب المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا عن هذه الكلمة فيما كتبه عن لعب العرب في العدد الأول من المجلة السلفية (السنة الثانية ص ٣٤) شرحاً لهذه اللعبة رأينا أن ننقله كله لما حواه من قيمة علمية كعادة الباشا عليه الرحمة والرضوان فيما يكتبه . قال :

” الجنابي — في القاموس : . والجناباء (بفتح أوله وثانيه) وكسائي (بضم أوله وفتح ثانيه) لعبة الصبيان . وفي اللسان : « الجناباء والجنابي لعبة للصبيان يجناب الغلامان فيعتم كل واحد من الآخر » ونحوه في المخصص “ .

١٠

وبعد أن نقل هذه العبارة عن الأغاني ومعاهد التنخيص قال : ” قلنا قوله « جنابي » باقلا يظهر أنه شيء كالسلة ولم نشر عليه في اللغة ، ولعله مولد سمى بذلك لأنه يحمل في الجنب . والمفهوم من القصة أنه بتشديد النون لأن الجارية أرادت بقولها التجنيس باسم اللعبة ، وهو وارد بالتشديد في شعر ابن المعتز كما ترى وإليه مال شارح القاموس . وعبارته : « والجناباء بالمد والجنابي كسائي مخففاً مقصوراً هكذا في النسخ التي رأيناها وفي لسان العرب بالضم وتشديد النون . ويدل على ذلك أن المؤلف ضبط سمائي بالتشديد في (س م ن) فليكن هذا الأصح ، ثم أنه في بعض النسخ بالمد في الثاني وكذا في لسان العرب أيضاً ، والذي قيده الصاغاني بالضم والتخفيف ككسائي . انتهى وتبعه مصححه بأنه مهوم لأن المؤلف إنما ضبط سمائي في (س م ن) بوزن جباري هـ . ونقول : المهوم من الشارح في تعيين المادة وكأنه يريد مادة (ح و ر) لقول المؤلف فيها « وأحمد بن أبي الخوارى كسكاري ، وكسائي أبو القاسم الخوارى ، الزاهدان معروفان » وقد ناقشه فيها هناك ولا يبعد أن يكون قوله وكسائي حرفه النساخ عن (وكشقاري) كما نبه عليه المصحح على حاشية هذه المادة في نسخة القاموس المطبوعة ببلاط سنة ١٣٠٣

١٥

٢٠

بقي قول شارح القاموس إن (الجنابي) وردت بتشديد النون وبالمد أيضاً في لسان العرب . ولعلها وردت كذلك مضبوطة بالقلم في النسخة التي كانت عنده ؛ فإن النسخة التي بأيدينا ليس فيها إلا ما ذكرناه . وبعد ، وتشديد هذه لفظة في البيت إما أن يكون عن لغة فيها محكية اطلع عليها ابن المعتز أو عن خطأ شاع بين المولدين فحُزرت به ألسنة الشعراء . والله أعلم اهـ .

(٢) في معاهد التنخيص طبع بلاق سنة ١٢٧٤ ص ١٩٤ : « جنابي من باكورة باقلا » .

٢٥

فَدَيْتُ مَنْ مَرَّ يَمِينِي فِي مُعْصَفَرَةٍ * عَشِيَّةً فَسَقَانِي ثُمَّ حَيَّانِي
 وَقَالَ تَلَعَّبُ جَنَابِي فَقُلْتُ لَهُ * مَنْ جَادَ بِالْوَصْلِ لَمْ يَلْعَبْ بِهَجْرَانِ
 وَأَمْرٍ فُغْنِي فِيهِ . غَنَّتْ فَيَا أَرَى فِيهِ هَزَارُ خَنَاءٍ ، وَهُوَ رَمَلٌ مُطْلَقٌ .

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ قَالَ :

جدر خادمه نشوان
 بخرج عليه ثم عوفي
 فسر وقال شعرا

كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ غِلَاٌ بِجَهٍّ ، وَكَانَ يَغْنِي غِنَاءً صَالِحًا ، يُقَالُ لَهُ «نَشْوَانٌ» .
 بِحَدْرٍ وَجَزَعُ عَبْدُ اللَّهِ لَذَلِكَ جَزْعًا شَدِيدًا ، ثُمَّ عُوْفِي وَلَمْ يُؤْثِرِ الْحَدْرِيُّ فِي وَجْهِهِ أَثْرًا
 قَبِيحًا . فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، قَدْ عُوْفِي فَلَانَ بَعْدَكَ ، وَخَرَجَ
 أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ ، وَقُلْتُ فِيهِ بَيَّتِينَ وَغَنَّتْ زُرْيَابُ فَيَتِمَا رَمَلًا ظَرِيفًا ، فَأَسْمَعُهُمَا
 إِنْشَادًا إِلَى أَنْ تَسْمَعَهُمَا غِنَاءً . فَقُلْتُ : يَتَفَضَّلُ الْأَمِيرُ ، أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، بِإِنْشَادِي
 إِيَّاهُمَا . فَأَنْشَدَنِي :

لِي قُرْ جُدْرًا لَمْ آسْتَوِ * فَزَادَهُ حُسْنًا فَزَادَتْ هُمُومُ
 أَظْنُهُ غَنَى لَشَمْسِ الضُّحَى * فَتَقَطُّتُهُ طَرَبًا بِانْجُومُ

فَقُلْتُ : أَحْسَدْتَ وَاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ لِي : لَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ زُرْيَابٍ كُنْتُ أَشَدَّ
 أَسْتَحْسَانًا لَهُ . وَخَرَجَتْ زُرْيَابُ فَغَنَّتْ لَنَا فِي طَرِيقَةِ الرَّمْلِ فِي أَحْسَنِ غِنَاءٍ ، فَشَرَبْنَا
 عَلَيْهِ عَاقِمَةً يَوْمِنَا .

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ قَالَ :

غضب عليه غلامه
 نشوان فقال شعرا
 يترضاه به

غَضِبَ هَذَا الْغُلَامُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ ، بِفَهْدٍ فِي أَنْ يَتَرْضَاهُ ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِيهِ
 حِيلَةٌ . فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَأَنْشَدَنِي فِيهِ :

بَابِي أَنْتَ قَدْ تَمَّا * دَيْتَ فِي الْهَجْرِ وَالْغَضَبِ

وأصطباري على صدو * دِكْ يَوْمًا من العَجَب
 ليس لي إن فَقَدْتُ وج * هَكَ في العيش من أَرَبْ
 رَحِمَ الله مَنْ أعا * ن على الصالح واحتَسَبْ
 قال : مَضَيْتُ إلى الغلام ؛ ولم أزل أَدَارِيهِ وَارْفُقُ بِهِ حَتَّى تَرْضَيْتُهُ وَجِئْتُ بِهِ ،
 فَرَلْنَا يَوْمَئِذٍ أَطِيبُ يَوْمٍ وَأَحْسَنُهُ ، وَغَنَّتْنَا هَزَارُفٌ ، هَذَا الشَّعْرُ رَمَلًا عَجِيبًا .

زار في حديثه
 أبا عيسى بن المتوكل
 وأنشده من شعره
 في كرم البنات فدحه

أخبرني الحسين بن القاسم الكاتب قال حدثني إبراهيم بن خليل الهاشمي قال :
 دخلتُ يومًا إلى أبي عيسى بن المتوكل ، فوجدتُ عبد الله بن المعتز وقد جاءه
 مُسَلِّمًا ، وسنه يومئذٍ دون عشرين سنة ، إذ دخل علي بن محمد بن أبي الشوارب
 القاضي ، فأكرمه أبو عيسى ونهض إليه . فلما استقر به المجلس قال لأبي عيسى :
 ١٠ قد احتجتُ إلى معونتك في أمرٍ دُفِعْتُ إليه لم أَسْتَغْنِ فِيهِ عن تكليفك المعاونة .
 قال : وما هو ؟ قال : زوجتُ بنتًا من بناتنا رجلًا من أهلنا ، فخرج عن مدهبنا ،
 وأساء عِشْرَةَ أَهْلِهِ ، وجعل منزل عيسى بن هارون أكثرَ مَظَانِّهِ وَأَوْطَانِهِ ، ويهددنا
 ويُوعِدنا بِشَرِّهِ ، حتى لقد نالنا من عيسى بَسْمًا لِيَدِهِ وَلِسَانِهِ فِينَا بِالْقَبِيحِ وَالْقَوْلِ
 السِّيِّئِ ، وكثرة معاونته له على ما يُزِرِّي بدينه ونسبه . وقد توعَّدنا بأنه يكشف وجهه
 لنا في معاونة صهرنا هذا الغاوي علينا . ولولا نسبته الذي نخره لنا وعاره علينا ،
 ١٥ لانتصفنا منه بالحق دون التعدي ، إلَّا أنَّي أُسْتَعِذُّكَ مِنْهُ . فقال له أبو عيسى : أنا
 أُوَجِّهُ إِلَيْهِ بَعْدَ انْصِرَافِكَ ، وَأُرَاسِلُهُ بِمَا أَنَا الْمُتَكَفِّلُ بَعْدَهُ بِأَلَّا يَعُودَ إِلَى عِشْرَتِهِ ،

١٤٤
٩

(١) هو علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي البصري قاضي القضاة أبو الحسن .
 كان ولي القضاء بسمرقند ، وكان عالما عفيفا ثقة . توفي سنة ٢٨٣ هـ (عن النجوم الزاهرة ج ٣
 ص ٩٧ طبع دار الكتب المصرية) .

والضامن^(١) أن أُرَدَّ هذا الصَّهرَ إلى حيث تحبَّ ويقع بموافقتك . فشكره ودعا له وانصرف . فقال أبو عيسى : ألا ترون إلى هذا الرجل النبیه الفاضل السَّريَّ الشريف يُدْفَعُ إلى مثل هذا ! طوبى لمن لم تكن له بنت . فقال عبدُ الله بن المعتز : أيها الأمير إن لولدك في هذا المعنى شيئاً قاله وأستحسنه جماعةٌ ممن يعلم ويقول الشعر . فقال :
هاته فذاك عمك . فأنشده لنفسه :

ويكره قلتُ موتي قبل بعل * وإن أترى وعدَّ من الصَّميم
أمنزج باللكام دمي ولحمي * فما عُدري إلى النَّسبِ الكريم

فقال له أبو عيسى : أمتع الله أهلك ببقائك ، وأحسن إليهم في زيادة إحسانه إليك وجعلهم بكال محاسنك ، ولا أرانا شراً نيك .

١٠ أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبدُ الله بن موسى الكاتب قال :
دخلت على عبد الله بن المعتز في داره طبقات من الصُّنَّاع ، وهو يلبي داره
ويبيضها . فقلت : ما هذه الغرامةُ الحادثة ؟ فقال : ذلك السَّيلُ الذي جاء مُذْ ليلِ
أحدث في داري ما أخوَجَ إلى الغرامة والكُلَّة ، وقال :

ألا منْ لنفيسٍ وأحزانها * ودارٍ تداعى بـحيطانها
أظُلُّ نهارى في شمسها * شقيّاً معنًى ببنيانها
أسودَّ وجهي بتبييضها * وأهدمَ كيسى بعمرانها

حدثني جعفر بن قدامة قال :

كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا الثُّميري ، حضرت الصلاة ، فقام الثُّميري
فصلَّى صلاةً خفيفةً جدًّا ، ثم دعا بعد آتقضاء صلاته ومجد سجدةً طويلةً جدًّا ،
حتى استنقله جميع من حضر بسببها ، وعبدُ الله ينظر إليه متعجباً ثم قال :

(١) في ب ، س : « وأنا الضامن إن أراد هذا الصهر إلا حيث » وهو تحريف .

خفف الثميري
صلاته وأطال
السجود بعدها
فقال هو شعرا

صَلَاتُكَ بَيْنَ الْوَرَى نَقْرَةً * كَمَا أَخْتَلِسُ الْجُرْعَةَ الْوَالِغُ
وَتَسْجُدُ مِنْ بَعْدِهَا تَجَدَّةً * كَمَا خُتِمَ الْمَزُودُ الْفَارِغُ^(١)
أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى الْكَاتِبُ قَالَ :
كَانَتْ بِنْتُ الْكَرَاعَةِ تَأَلَّفَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِّ، وَكَانَ يُحِبُّ عَنَاءَهَا وَيَسْتَنْظِرُهَا
وَيُحِبُّهَا وَيُوَاصِلُ إِحْضَارَهَا، ثُمَّ أَنْقَطَعَتْ عَنْهُ فَقَالَ :

انقطعت عنه بنت
الكراعة وكان يحبها
فقال شعرا

لَيْتَ شِعْرِي مِنْ تَشَاغُلِي بِعَدِي * وَهُوَ أَشْكُ جَاهِلٌ مَغْرُورٌ
هَكَذَا كُنْتُ مِثْلَهُ فِي سُرُورٍ * وَغَدًا فِي الْهَمُومِ مِثْلِي بِصِيرٌ
حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قَدَّامَةَ قَالَ :

كان يحب جارية
قبيحة الصورة
فاعترض عليه
التميري فأجابته بشعر

كَمَا عِنْدَ أَبِي الْمَثَرِيِّ، وَمَعْنَى التَّمِيرِيِّ، وَعِنْدَهُ جَارِيَةٌ لِبَعْضِ بَنَاتِ الْمُغَنِّينَ
تَغْنِيهِ، وَكَانَتْ مُحْسِنَةً إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ فِي غَايَةِ مِنَ الْقُبْحِ، فَفَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ يُجَشِّسُهَا
وَيَتَعَلَّقُ بِهَا. فَلَمَّا قَامَتْ قَالَ لَهُ التَّمِيرِيُّ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَنْتَعِشُقَ هَذِهِ الَّتِي
مَا رَأَيْتُ قَطُّ أَقْبَحَ مِنْهَا؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ يَضْحَكُ :

قَلْبِي وَثَابٌ إِلَى ذَا وَذَا * لَيْسَ يَرَى شَيْئًا فَيَأْبَاهُ
يَسِيمُ بِالْحُسْنِ كَمَا يَنْبَغِي * وَيَرْحَمُ الْقُبْحَ فِيهِوَاهُ

١٤٥
٩

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأُمَوِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِّ قَالَ :

راسل خسزاي
فتأخرت عنه فقال
شعرا فأجابته

كَانَتْ تُخْرَمِي جَارِيَةً الضَّبْطُ الْمَغْنَى تُتَادِمُنِي وَأَنَا حَدَثْتُ ثُمَّ تَرَكْتُ النَّيْذَ .
وَكَانَتْ مُغْنِيَّةً مُحْسِنَةً شَاعِرَةً ظَرِيفَةً. فَرَأَسْتُهَا مَرَارًا فَتَأَخَّرْتُ عَنِّْي، فَكَتَبْتُ إِلَيْهَا :
رَأَيْتُكَ قَدْ أَظْهَرْتَ زُهْدًا وَتَوْبَةً * فَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِكَ الْخَمْرُ
فَأَهْدَيْتُ وَرَدًا كِي يُدْكَرَ عَيْشَةً * لِمَنْ لَمْ يَمْتَعْنَا بِهَجَّتِهَا الدَّهْرُ

٢٠ (١) المزود : وعاء الزاد . (٢) كذا في جميع الأصول هنا . وتقدم في الصفحة الماضية :
« عبد الله بن موسى » وذلك أيضا باتفاق الأصول .

فأجابه :

أنا قريظ يا أميري محب * حكي لي نظم الدرر فصل بالشعر^(١)
 أنكرت يا بن الأكرمين إناجي * وقد أنصحت لي السن الدهر بالزحر
 وأذنني شرح الشباب بينه * فياليت شعري بعد ذلك ما عذري

شعره في موسم
الربيع

حدثني جعفر بن قدامة قال :

كنت أسرح مع عبد الله بن المعتز في يوم من أيام الربيع^(٢) بالعباسية والدنيا
 كالجنة المزعزعة . فقال عبد الله :

حبذا آذار شهراً * فيه للنور انتشار
 ينقص الليل إذا حـا * ويمتد النهار
 وعلى الأرض أخضرار * وأصفرار وأحمرار
 فكأن الروض وثني * بالغت فيه التجار
 نقشه أس ويسر * من^(٣) وورد وبها^(٤)

هنا عبيد الله بن
عبد الله بن طاهر
بولاية ابنه محمد
شرطة بغداد

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال :

كتب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف^(٥)
 مؤنس ابنه محمد بن عبيد الله على الشرطة ببغداد :

(١) الشذر : خرز تفصل به الجواهر في النظم .

(٢) العباسية : محلة كانت ببغداد منسوبة إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

(٣) النسرين : ورد أبيض عطري قوي الرائحة - فارسي معرب . (٤) البهار : نبت طيب

الريح جعل له فقاخه صفراء ينبت أيام الربيع . (٥) مؤنس : هو مؤنس الخادم . وكان يلقب

بالمظفر لما عظم أمره . وكان شجاعاً مقداماً فاتكاً مهيباً . عاش تسعين سنة منها ستون سنة أميراً . وكان
قد أبعدته المعتضد إلى مكة . ولما بويع المقتدر بالخلافة أحضره وقر به وقوض إليه الأمور . قتل

سنة ٣٢١ هـ (انظر النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٣٩) .

فَرِحْتُ بِمَا أضعافُهُ دُونَ قَدْرِكُمْ * وَقُلْتُ عَسَى قَدْ هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ الدَّهْرُ
فَتَرْجِعَ فِينَا دَوْلَةً طَاهِرِيَّةً * كَمَا بَدَأَتْ، وَالْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ الْأَمْرُ
عَسَى اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ * وَلَا بَدَّ مِنْ يُسْرِ إِذَا مَا آتَى الْعُسْرُ
فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ قَصِيدَةً مِنْهَا :

وَنَحْنُ إِذَا مَا نَالْنَا مَسَّ جَفَوَةٍ * فَمِنَّا عَلَى لَأَوَائِهَا الصَّبْرُ وَالْعُدْرُ
وَإِنْ رَجَعْتُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ دَوْلَةً * إِلَيْنَا فَمِنَّا عِنْدَهَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

قال : وجاءه محمد بن عبيد الله بعقب هذا شاكرًا لتهنئته، ثم لم يعد إليه مدة طويلة . فكتب إليه عبد الله بن المعتز :

انقطع عنه محمد
هذا مدة طويلة
فكتب له شعرا
بعاتبه

قَدْ جِئْنَا مَرَّةً وَلَمْ تَعُدْ * وَلَمْ تَزُرْ بَعْدَهَا وَلَمْ تَعُدْ
لَسْتُ أَرَى وَاجِدًا بِنَا عِوَضًا * فَأَطْلُبُ وَجَرَّبَ وَأَسْتَقِصُّ وَأَجْتَدِ
نَاوَلْتَنِي حَبْلَ وَصْلِهِ بِيَدٍ * وَهَجَرَهُ جَازِبًا لَهُ بِيَدٍ
فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ ذَا وَذَا أَمَدٌ * إِلَّا كَمَا بَيْنَ لَيْلَةٍ وَغَدٍ

صنوت

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ * بِحَوَامَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُسْتَلِمِ
بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً * وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ جَحْمِ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً * فَلَايَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ

١٤٦
٩
أبيات من معلقة
زهير وشرحها

(١) أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى : يريد أَمِنْ مَنَازِلِ أُمِّ أَوْفَى . (٢) الْأَطْلَاءُ : جمع طلاء وهو ولد البقرة والظبية الصغير . وقوله يَنْهَضْنَ : يعنى أَنَّهُنَّ يَمْنَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ إِذَا أَرْضَعْنَهُنَّ ثُمَّ يَرْعَيْنَ ، فَإِذَا ظَنَّ أَوْلَادَهُنَّ قَدْ أَقْدَنَ مَا فِي أَجْوَاهُنَّ مِنَ اللَّبَنِ صَوْتَهُنَّ بِأَوْلَادَهُنَّ فَيَنْهَضْنَ مِنْ مَجَامِعِهِنَّ لِلْأَصْوَاتِ لِيَرْضَعْنَ . (عن شرح ديوان زهير لا علم الشنبري) .

فلما عرفت الدار قلت لربنهما * ألا يم صباحاً أيها الربع وأسلم
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه * يطيع العوالي ركبته كل لهدم
ومن هاب أسباب المنية يلحقها * ولو رام أسباب السماء بسلم

عروضه من الطويل . الحومانة ، فيما ذكر الأصمعي ، الأرض الغليظة ، وجمعها
حوامين . وقال غيره : الحومانة : ما كان دون الرمل . والدراج والمنتلم : موضعان .
وروى أبو عمرو عن بعض ولد زهير "الدراج" مضمومة الدال . والعين : البقر .
والآرام تسكن^(١) . الجبال . خلفه : يذهب قوج ويحيى قوج يخلفه مكانه . ويروى :
جثم وجثم . فمن قال جثم قال : جثم يجثم جثوماً ، ومن قال جثم قال : جثم يجثم
جثماً ، والآي : البطء . الزجاج : جمع زج . قال : وأصله أن القوم كانوا إذا
أرادوا صلحاً قلبوا زجاج الرماح إلى فوق ، فإن أبوا إلا الحرب قلبوا الأسنة .
واللهدم : السنان المحدد ؛ يقال رمح لهدم وسنان لهدم : حاد . وأثم أوفى : امرأة
كانت لزبير فطلقها . وله في ذلك خبر يذكر بعد هذا .

الشعر لزهير بن أبي سلمى . والغناء للغريض ، ثاني ثقليل بإطلاق الوتر في مجرى
البنصر عن إسحاق في الأول والثاني من الأبيات . وفيها لبذل الكبيرة ثقل أول
بالبنصر . ولعلويه في الثالث والرابع ثقل أول . ولإبراهيم ثاني ثقليل بالوسطى
في الخامس والسادس . وفيهما ثقل أول يقال إنه ليزيد حوراء :

(١) الآرام من الفباء : البيض الخالصة البياض ، كما قال ذلك الأصمعي وأبو زيد . وفي اللسان
أنها تسكن الرمال .

نَسَبُ زُهَيْرٍ وَأَخْبَارُهُ

هو زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ ^(١)، وَأَسْمُ أَبِي سُلَيْمٍ رَبِيعَةُ بْنُ رِيَّاحِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَازِنِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ثَوْرٍ بْنِ هَزْمَةَ بْنِ الْأَصَمِّ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَدَّ بْنِ طَابَخَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ، وَمُزَيْنَةُ أُمُّ عَمْرِو بْنِ أَدَّ هِيَ بِنْتُ كَلْبِ بْنِ وَبَرَةٍ .

نسبه

وهو أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الْمُقَدَّمِينَ عَلَى سَائِرِ الشُّعْرَاءِ ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ فِي تَقْدِيمِ أَحَدِ الثَّلَاثَةِ عَلَى صَاحِبِيهِ . فَمَا الثَّلَاثَةُ فَلَا اخْتِلَافَ فِيهِمْ ، وَهُمْ أَمْرُو الْقَيْسِ وَزُهَيْرُ وَالنَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ .

هو أحد الثلاثة
المقدمين على سائر
الشعراء

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيقَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ عَنْ أَبِي قَيْسٍ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ حَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : شَاعَرُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ زُهَيْرٌ .

قال جرير هو شاعر
الجاهلية

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نَازٍ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ سُؤَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَزِيدَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ [عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ] قَالَ :

قال عمر لابن عباس
إنه شاعر الشعراء

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَيْلَةَ مَسِيرِهِ إِلَى الْخَنْبَازَةِ : أَيُّنَ ابْنِ عَبَّاسٍ ؟ فَأَتَيْتُهُ ، فَشَكَا تَخَلُّفَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَقُلْتُ : أَوَلَمْ يَعْتَذِرْ إِلَيْكَ ؟ قَالَ بَلَى ،

- (١) سُلَيْمٌ بِضَمِّ السَّيْنِ ، وَابْنٌ فِي الْعَرَبِ سُلَيْمٌ بِضَمِّ السَّيْنِ غَيْرُهُ . (٢) فِي شَرْحِ التَّبْرِيزِيِّ عَلَى الْمُلَفَّاتِ : «... رَبِيعَةُ بْنُ رِيَّاحِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَازِنِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ثَوْرٍ بْنِ هَزْمَةَ بْنِ الْأَصَمِّ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَدَّ بْنِ طَابَخَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ» . وَفِي طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ لِابْنِ سَلَامٍ : «... رَبِيعَةُ بْنُ رِيَّاحِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَازِنِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ثَوْرٍ بْنِ هَزْمَةَ بْنِ لَامِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ مُزَيْنَةَ» . (٣) فِي ح : «بَنُ عَثْمَانَ وَهُوَ عَمْرُو الْخَلِجِ» . (٤) تَكَلَّمَ فِي السَّنَدِ يَقْتَضِيهَا سِيَاقُ الْخَبَرِ . (٥) الْجَاهِلِيَّةُ : قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ ثُمَّ مِنْ عَمَلِ الْجَلِيدِ مِنْ نَاحِيَةِ الْحَوْلَانِ قَرِبَ مَرَجِ الصَّفَرِ فِي شِمَالِ حُورَانَ . وَيُقَالُ لَهَا جَانِبَةُ الْحَوْلَانِ أَيْضًا . (عَنْ حَجْمِ الْبُلْدَانِ لِيَا قُوتَ) . (٦) كَذَا فِي ١ ، ٢ ، ٣ . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « فَأَتَاهُ ... فَقَالَ ... » .

قلت : فهو ما اعتذر به . ثم قال : أول من ريشكم عن هذا الأمر أبو بكر . إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة — ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذا الباب فتركها أنا — ثم قال : هل تروى لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومن هو ؟ قال : الذي يقول :

ولو أن حمداً يُخلدُ الناسَ أُخلدوا * ولكنَّ حمداً الناسَ ليس بمُخلدٍ

قلت : ذلك زهير . قال : فذاك شاعر الشعراء . قلت : وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يعاقل في الكلام وكان يتجنب وحي الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه . قال الأصمعي : يعاقل بين الكلام : يداخل فيه . ويقال : يتبع حوشي الكلام ، ووحشي الكلام ، والمعنى واحد .

أخبرنا أبو خليفة قال قال ابن سلام وأخبرني عمر بن موسى الجُمحي عن أخيه قدامة بن موسى — وكان من أهل العلم — : أنه كان يقدم زهيراً . قلت : فأى منى كان اعجب إليه ؟ قال : الذي يقول فيه :

قد جعل المبتغون الخير من هيرم * والسائلون إلى أبوابه طرقات

قال ابن سلام وأخبرني أبو قيس العنبري — ولم أربوياً يعني به — عن عكرمة ابن جرير قال :

قلت لأبي : يا أبت من أشعر الناس ؟ قال : أعن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام ؟ قلت : ما أردت إلا الإسلام . فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها . قال : زهير أشعر أهلها . قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق نبعة الشعر .

(١) ذكرت هذه القصة مفصلة في الطبري ق ١ ص ٢٧٦٨ — ٢٧٧١ فراجع .

(٢) يعاقل الكلام : يحمل بعضه على بعض ويتكلم بالرجيع من القول ويكرر اللفظ والمعنى . أو يعمده ويؤالي بعضه على بعض . وكل شيء ركب شيئاً فقد ماظله . (السان في مادة عاقل) .

كانت قدامة
ابن موسى يقدمه
على سائر الشعراء

قال جرير هو أشعر
أهل الجاهلية

قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجِيدُ مَدَحَ الملوكِ وَيُصِيبُ وَصَفَ الخمر . قلت :
فما تركت لنفسك ؟ قال : نَحَرْتُ الشعرَ نَحْرًا .

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائنيّ عن عيسى
ابن زيد قال : قال

قال عنه الأحنف
ابن قيس هو أشعر
الشعراء

سأل معاوية الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء ، فقال : زهير . قال : وكيف ؟
قال : ألقى بن "دحين فضول الكلام . قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :
فما يك من خير أتوه فإئما * توارثه آباء آبائهم قبل

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن
عمرو القيسي قال حدثنا خارجة بن عبد الله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن
عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه عن ابن عباس ، قال : وحدثني غيره وهو أتم من
حديثه ، قال قال ابن عباس :

مدح عمر بن
الخطاب شعره
وروى منه

خرجت مع عمر في أول غزاة غزاه . فقال لي ذات ليلة : يا ابن عباس
أنشدني لشاعر الشعراء . قلت : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابن أبي سفيان^(١)
قلت : وبم صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتبع حوشي الكلام ، ولا يعاقل من المنطق ،
ولا يقول إلا ما يعرف ، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه . أليس الذي يقول :
إذا أبترت قيس بن عيلان غايه * من المجدي من يسبق إليها يسود^(٢)

(١) الذي تقدم في الصفحة السابقة : « يعاقل في الكلام » . والذي في اللسان وشرح القاموس
في استعمالات هذه المادة أنه يتعدى بنفسه ، يقال عاقل الكلام كما يقال عاقل فيه و بينه .

(٢) يقول : إذا تسابقت قيس بن عيلان لإدراك غايه من المجدي تسود من سبق إليها كنت السابق
إليها . وقيس بن عيلان : قبيلة . (راجع الجزء السادس من الأغاني حاشية رقم ١ ص ١ من هذه الطبعة) .

..نفت إليها كَلَّ طَلْقٍ مُبَرِّزٍ * سُبُوقٍ إِلَى الْغَايَاتِ غَيْرِ مُزَيَّدٍ
كفعل جواد يسبق الخيل عَفْوُهُ الـ * سَرَّاعٌ وَإِنْ يَجْهَدُ وَيَجْهَدَنَّ يَبْعَدُ
ولو كان حَمْدٌ يُجْلِدُ النَّاسَ لَمْ تَمُتْ * رَلِكَنَّ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُجْلَدٍ
أَنْشَدْنِي لَهُ ، فَأَنْشَدْتُهُ حَتَّى بَرَّقَ الْفَجْرُ . فقال : حَسْبُكَ الْآنَ ، اقْرَأْ ! رَأَى ، قَالَتْ :
وما أقرأ ؟ قال : اقرأ الواقعة ، فقراءتها وَزَلَّ فَأَذَّنَ وَصَلَّى .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال
أخبرنا أبو عبيدة عن عيسى بن يزيد بن بكر قال قال ابن عباس : خرجت مع عمر ،
ثم ذكر الحديث نحوه هذا .

١٤٨ وجدْتُ في بعض الكتب عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكار عن حميد
ابن محمد بن عبد العزيز الزهري عن أخيه إبراهيم بن محمد يرقعه :
أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ وَلَهُ مِائَةُ مَنَّةٍ
فَقَالَ : " اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي مِنْ شَيْطَانِهِ " فَمَا لَكَ يَتَا حَتَّى مَاتَ .

قال ابن الأعرابي وأبو عمرو الشَّيباني :
كان من حديث زهير وأهل بيته أنهم كانوا من مُزَيْنَةٍ ، وكان بنو عبد الله بن
عَظَفَانَ جيرانهم ، وَقَدْما وَلَدَتْهُمُ بَنُو مُرَّةَ . وكان من أمر أبي سُلَيْمٍ أَنَّهُ خَرَجَ
وَبَخَالَهُ أَسْعَدُ بْنُ الْقَدِيرِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضٍ وَأَبْنَهُ كَعْبَ

(١) يقال : رجل طلق اليمين إذا كان معطاء . وظاهر أنه يريد أن يصف الجواد بأنه ماض بجود بما
عنده من العدو . والمبرز : الذي سبق الناس إلى الكرم والخير . والمزند هنا : البخل أو اللئيم . وروى :
« غير مجلد » أي انتهى إلى الغايات من غير أن يجلد ويضرب . (٢) في الأصول : « فيسرع » .
والصواب عن الديوان بشرح الأعلام ، ورواية البيت فيه :

كفضل جواد الخيل يسبق عَفْوُهُ الـ * سَرَّاعٌ وَإِنْ يَجْهَدَنَّ يَجْهَدُ وَيَبْعَدُ

استأذ منه النبي
صلى الله عليه وسلم
فأقال شعرا حتى
مات

خرج أبوه أبو سلمى
مع خاله وابن خاله
لفرض طي ففناه
حقه في المنع ،
وشعره في ذلك

ابن أسعد في ناس من بني مرة يُغيرون على طي، فأصابوا نعاماً كثيرة وأموالاً فرجعوا حتى انتهوا إلى أرضهم . فقال أبو سلمى لخاله أسعد وأبن خاله كعب : أفردا لي سهمي، فأبى عليه ومنعه حقه، فكفّ عنهما؛ حتى إذا كان الليل أتى أمه فقال : والذي أحلف به لتقومين إلى بعير من هذه الإبل فلتتقدين عليه أو لأضربن بسيفي تحت قرطيك، فقامت أمه إلى بعير منها فأعتقت سنانه، وساق بها أبو سلمى وهو يرتجز ويقول :

وَيْلٌ لِأَجْمَالِ الْعَجُوزِ مَنِي * إِذَا دَنُوتُ وَدَنُوتَ مَنِي

* كَأَنِّي سَمِعْتُ مِنْ جَنِّ *

— سَمِعْتُ : لَطِيفُ الْجِسْمِ قَلِيلُ اللَّحْمِ — وَسَاقَ الْإِبِلَ وَأُمَّهُ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى قَوْمِهِ مُزِينَةً .

فذلك حيث يقول :

وَلَتَغْدُونَ إِبِلَ مَجْنِبَةٍ * مِنْ عِنْدِ أَسْعَدَ وَأَبْنِ كَعْبِ

— مَجْنِبَةٌ : مَجْنُوبَةٌ —

الْأَكْلَيْنِ صَرِيحَ قَوْمِهِمَا * أَكَلَ الْحَبَارَى بِرَعْمِ الرُّطَبِ^(١)

— الْبَرَعْمُ : شَجَرَةٌ وَلَهَا نَوْرٌ — قَالَ : فَلَبِثَ فِيهِمْ حِينًا، ثُمَّ أَقْبَلَ بِمُزِينَةٍ مُغَيَّرًا عَلَى بَنِي دُبْيَانَ .

حتى إذا مُزِينَةُ أَسْهَلَتْ وَخَلَّفَتْ بِلَادَهَا وَنَظَرُوا إِلَى أَرْضِ غَطَفَانَ، تَطَايَرُوا عَنْهُ رَاجِعِينَ، وَتَرَكُوهُ وَحْدَهُ . فذلك حيث يقول :

مَنْ يَشْتَرِي فَرَسًا لَخِيرَ غَزْوُهَا * وَأَبَتْ عَشِيرَةُ رَبِّهَا أَنْ تُسَهِّلَا

(١) الحبارى : طائر يضرب به المثل في البلاهة والحق، وهو طائر صحراوي يبيض في الرمال النائية .

(٢) الرطب : الرعى الأخضر من البقل والشجر، وقيل جماعة العشب الأخضر .

(٣) الذي في اللسان : أن البرعم كم ثمر الشجر والنور، وقيل هو زهرة الشجر ونور النبات قبل أن

ينفتح، وقد استشهد بهذا البيت .

يعنى أن: تنزل السهل . قال : وأقبل حين رأى ذلك من مَرِيَّة حتى دخل في أخواله
بنى مرة . فلم يزل هو وولده في بنى عبد الله بن عَظْفَان إلى اليوم .

وقصيدة زهير هذه أعني :

* أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ *

قالها زهير في قتل ورد بن حابس العبسي هيرم بن ضَمَضَم المُرِّي الذي يقول فيه
عنتره وفي أخيه :

ولقد خَشِيتُ بَانَ أَمُوتَ وَلَمْ تَدُرْ * لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى أَبْنَى ضَمَضَمٍ

و يمدح بها هيرم بن سنان والحارث بن عوف بن سعد بن ذُبْيَانَ المُرِّيَّينَ لأنهما
أَحْتَمَلَا دِيَّتَهُ فِي مَالِهَا ؛ وَذَلِكَ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

سَعَى سَاعِيَا غَيْظَ بِنِ مُرَّةٍ بَعْدَمَا * تَسْبِزُلُ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالدِّمِّ^(١)

يعنى بنى غَيْظَ بِنِ مُرَّةٍ بن عوف بن سعد بن ذُبْيَانَ .

قال الأثرم أبو الحسن حدثني أبو عبيدة قال :

كَانَ وَرْدُ بْنُ حَابِسٍ الْعَبْسِيُّ قَتَلَ هَيْرَمَ بْنَ ضَمَضَمِ الْمُرِّيَّ ، فَتَشَابَرَ عَبْسٌ وَذُبْيَانٌ

قَبْلَ الصَّلْحِ ، وَحَلَفَ حُصَيْنُ بْنُ ضَمَضَمٍ أَلَّا يَغْسِلَ رَأْسَهُ حَتَّى يَقْتُلَ وَرْدَ بْنَ حَابِسٍ

أَوْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْسٍ ثُمَّ مِنْ بَنِي غَالِبٍ ، وَلَمْ يُطْلِعْ عَلَى ذَلِكَ أَحَدًا ، وَقَدْ حَمَلَ الْحِمَالَةَ^(٢)

الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ ، وَقِيلَ بَلْ أَخُوهُ حَارِثَةُ بْنُ سِنَانٍ . فَأَقْبَلَ رَجُلٌ^(٣)

(١) ما والفعل بتأويل المصدر . وتبزل : تشقق ، وبالدم : يريد بسفك الدم . يقول : سعى

هذان السيدان (هيرم بن سنان والحارث بن عوف) في إحكام المهادين عبس وذبيان بعد تشقق الألفة

والمودة بين القبيلة بسبب سفك الدماء بين عبس وذبيان . (انظر شرح ديوان زهير للأعلام الشنمري) .

(٢) الحِمَالَةُ : الدبة . (٣) في شرح التبريزي وابن الأثير على المعلقات والأعلام الشنمري وشرح

نعلب لديوان زهير : « وقد حمل الحِمَالَةَ الحارث بن عوف بن أبي حارثة وهيرم بن سنان بن أبي حارثة » .

(٤) في الأصول : « فأقبل على رجل الخ » والتصويب عن المصادر المتقدمة :

قال معلقته في مدح
هيرم بن سنان
والحارث بن عوف
وقد حملا دية هيرم
ابن ضمضم في مالها

من بني عبس ثم أحد بني مخزوم، حتى نزل بمُحصين بن ضَمَم. فقال له حُصَيْن: مَنْ أَنْتِ أَيُّهَا الرَّجُل؟ قال: عَبْسِي. قال: من أَى عَبْس؟ فلم يزل يَنْتَسِب حتى أَنْتَسَب إلى بني غالب، ففقتله حُصَيْن. وبلغ ذلك الحارث بن عَوْف وهَرِم بن سِنان فاشتد عليهما، وبلغ بني عبس فركبوا نحو الحارث. فلما بلغه ركبهم إليه وما قد اشتد عليهم من قتلِ صاحبهم وأنهم يريدون قتل الحارث، بعث إليهم بمائة من الإبل معها أبنه، وقال للرسول: قل لهم: الإبل أحب إليكم أم أنفسكم؟ فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك. فقال لهم الربيع بن زياد: يا قوم إن أخاكم قد أرسل إليكم: «الإبل أحب إليكم أم أبنى تقتلون مَكَانَ قَتِيلِكُمْ». فقالوا نأخذ الإبل ونصالح قومنا، وتُتِم الصِّلح. فذلك حين يقول زُهَيْر يمدح الحارث وهَرِمًا:

١٠ * أَمِنْ أَوْفَى دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ *
وهي أوَّل قصيدة مدح بها هَرِمًا، ثم تابع ذلك بعد.

وقد أخبرني الحسن بن علي بهذه القصة، وروايته أتم من هذه، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عَوْف عن أبيه قال:

قصة زواج الحارث
ابن عوف بهيسة
بنت أوس وتحملة
الدية في ماله بين
عبس وذبيان

١٥ قال الحارث بن عوف بن أبي حلثة: أتراني أخطب إلى أحد فيردني؟ قال نعم. قال: ومن ذاك؟ قال: أوس بن حارثة بن لأم الطائي. فقال الحارث لغلامه: أرحل بنا، ففعل. فركبا حتى أتيا أوس بن حارثة في بلاده فوجداه في منزله. فلما رأى الحارث بن عوف قال: مرحبًا بك يا حار. قال:

٢٠ (١) هكذا في الأصول، ولم يذكر المخاطب الذي كان يحدثه. وباقي القصة يعين أنه خارجة بن سنان.

وبك . قال : ما جاء بك يا حار ؟ قال : جئتُك خاطباً . قال : لست هناك . فانصرف ولم يكلمه . ودخل أوس على امرأته مغضباً وكانت من عبس فقالت : من أجل وقف عليك فلم يُطَل ولم تكلمه ؟ قال : ذاك سيد العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري . قالت : فما لك لم تستنزل^(١) ؟ قال : إنه استحمق . قالت : وكيف ؟ قال : جاءني خاطباً . قالت : أفتريد أن تزوج بناتك ؟ قال نعم . قالت : فإذا لم تزوج سيد العرب فمن ؟ قال : قد كان ذلك . قالت : فتدارك ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : تلحقه فترده . قال : وكيف وقد فرط مني ما فرط إليه ؟ قالت تقول له : إنك لقيتني مغضباً بأمر لم تقدم فيه قولاً ، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت ، فانصرف ولك عندي كل ما أحببت فإنه سيفك . فركب في أثرها . قال خارجة بن سنان : فوالله إني لأسير إذ حانت مني آلتفاته فرأيتُهُ ، فأقبلت على الحارث وما يكلمني غماً فقلت له : هذا أوس بن حارثة في أثرنا . قال : وما نصنع به ! امضي ! فلما رأنا لا تقف عليه صاح : يا حار اربع على ساعة . فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً . فبلغوا أن أوساً لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة (لا كبر بناته) فأتته ، فقال : يا بنية ، هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردت أن أزوجه منك فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل . قال : ولم ؟ قالت : لأنني امرأة في وجهي ردة^(٢) ، وفي خلقي بعض العهدة^(٣) ، ولست بأبنة عمه فيرعى رحي ، وليس بهارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون عليّ في ذلك ما فيه . قال : قومي بارك الله عليك . ادعي لي فلانة (لابنته الوسطى) ، فدعتها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها ، فأجابته بمثل

٢٠ (١) في ب ، س : « لاستنزله » . (٢) كذا في ج . وفي سائر الأصول : « لم تقدم مني فيه قولاً » . (٣) الردة : القبح مع شيء من الجمال . (٤) العهدة : الضعف .

- جوابها وقالت : إني خرقاء وليست بيدي صناعة ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطْلَعَنِي فيكونَ عليّ في ذلك ما تعلم ، وليس بابن عمي فيرعى حقّي ، ولا جارِك في بلدك فيستحييك . قال : قومي بارك الله عليك . أدعي لي بهيسة (يعني الصغرى) ، فأثني بها فقال لها كما قال لها . فقالت : أنت وذاك . فقال لها : إني قد عرضت ذلك على أختيك فأبتاه . فقالت — ولم يذكر لها مقاتلتيهما — لكنني والله الجميلة وجهًا ، الصانع يدا ، الرفعة خلقًا ، الحسبية أبا ، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير . فقال : بارك الله عليك . ثم خرج إلينا فقال : قد زوجتُك يا حارثُ بهيسة بنت أوس . قال . قد قُلتُ . فأمر أمها أن تهيمها وتُصليح من شأنها ، ثم أمر بيت فضرب له ، وأنزله إياه . فلما هبّت بعث بها إليه . فلما أدخلت إليه لبث هنيهة ثم خرج إلى .
- ١٠ . فقلت : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لما مَدَدْتُ يدي إليها قالت : مه ! أعند أبي وإخوتي ! ! هذا والله مالا يكون . قال : فأمر بالرحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا ، فسيرنا ما شاء الله . ثم قال لي : تقدّم فتقدمتُ ، وعدل بها عن الطريق ، فلما لبث أن لحق بي . فقلت : أفرغت ؟ قال لا والله . قلت : ولم ؟ قال : قالت لي : أكلما يُفعل بالأمّة الجارية أو السبيّة الأخيذة ! لا والله حتى تنحر الجزر ، وتذبح الغنم ، وتدعو العرب ، وتعمل ما يعمل ١٥ لمشي . قلت : والله إني لأرى همّة وعقلاً ، وأرجو أن تكون المرأة مُنجبة إن شاء الله . فرحلنا حتى جئنا بلادنا ، فأحضر الإبل والغنم ، ثم دخل عليها وخرج إلى . فقلت : أفرغت ؟ قال لا . قلت : ولم ؟ قال : دخلتُ عليها أريدها ، وقلتُ لها قد أحضرنا من المال ما قد تَرَيْن ، فقالت : والله لقد ذكرت لي من الشرف مالا أراه فيك . قلت : وكيف ؟ قالت : أفرغت لنكاح النساء والعرب تقتل ٢٠ بعضهن ! (وذلك في أيام حرب عبس وذُبْيَان) . قلت : فيكون ما ذا ؟ قالت : انجُرج

إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم، ثم أرجع إلى أهلك فلن يفوتك . فقلت : والله إلى لأرى همةً وعقلاً، ولقد قالت قولاً . قال : فأخرج بنا . فخرجنا حتى أتينا القوم . فمشينا فيما بينهم بالصلح ، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى ؛ فيؤخذ الفضل ممن هو عليه ، فعملنا عنهم الديات ، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين ، فأنصرفنا بأجل الذكرك . قال محمد بن عبد العزيز : فمدحوا بذلك ، وقال فيه زهير بن أبي سلمى قصيدته :

* أَمِنْ أُمَّ أَوْ فِي دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ *

فذكرهما فيها فقال :

تداركتما عبساً وذُبيانَ بعدما * تقانوا ودقوا بينهم عطرَ منشم^(١)
فأصبح يجرى فيهم من تلادكم * مغانم شتى من إفال المنزم^(٢)
يُجمها قومٌ لقومٍ غرامة^(٣) * ولم يهريقوا بينهم ملء محجم

وذكر قيامهم في ذلك فقال :

« صحا القلبُ عن سَلَمَى وقد كاد لا يسلو^(٤) »

(١) منشم زعموا أنها امرأة عطارة من خزاعة ، فتخالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا ، فضرب زهير بها المثل ، أي صار هؤلاء في شدة الأمر بمنزلة أولئك . وقيل : هي امرأة من خزاعة كانت تباع عطلا فإذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم فتشاءموا بها ، وكانت تسكن مكة . وفيه أقوال أخرى كثيرة راجعها في لسان العرب (في مادة نثم) وأمثال الميداني في «أشام من منشم» وفي شرح الأعلام الشنري لديوان زهير . (٢) الإفال : جمع أفيل وهو الصفي من الإبل ، والمنزم : اسم فحل معروف . والتلاد : المسال القديم الموروث . وإنما خص الإفال لأنهم كانوا يهرقون في الدية صفار الإبل . (عن الأعلام) . ويروى هذا البيت في شرح القاموس (في مادة «نثم») هكذا :

فأصبح يجرى فيهم من تلادكم * مغانم شتى من إفال منزم

(٣) يجمها قوم : أي تجعل نجوما أي أقساطا على غارمها . يريد أن هذين الساعين حملا دماء من قتل وضرم فيها قوم من رهطهما على أنهم لم يصبوا ملء محجم من دم ، أي أعطوا فيها ولم يقتلوا . (عن الأعلام) . (٤) في ١ ، ٢ : « كان » .

وهي قصيدة يقول فيها :

تداركُنَا الأحلافَ ^(١) قد نُلَّ عرشُهَا * وذُبْيَانٌ قد زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النُّعْلُ
وهذه لهم شرفٌ إلى الآن . ورجع فدخل بها ، فولدت له بنين وبنات .
وبما مدح به هيرما وأباه وإخوته وغنى فيه قوله :

مدح بقصيدته
القافية هيرما وأباه
وإخوته

صوت :

إنَّ الخليلَ أجَدَّ البينَ فأنفقا * وعَلَقَ القلبُ من أسماء ما عَلِقَا
وأخلفتك أبنةَ البكرى ما وعدت * فأصبح الحبلُ منها واهتًا خَلَقَا ^(٢)
قامت تبدى بذي ضالٍ لَتَحْزُنِي * ولا محالة أن يشتاقي من عَشِقَا
يجمد مُغْزِلَةً أدماء خاذلةٍ * من الغباء تُراعى شادًا خَرِقَا
انفرك : انفعل ، من الفُرقة . وأجدَّ وجدَّ بمعنى واحد ، من الجدِّ خلاف اللعب .
والواهن والواهي واحد . والحبل : السَّبَبُ ^(٣) في المودة . والضال : السدُر الصَّغَارُ ، وأحدثها
ضالَّة . والحيد : العُتْق . والمُغْزِلَةُ : الظبية التي لها غزال . والأدماء : البيضاء .
والخاذلة : المقيمة على ولدها ولا تتبع الظباء . والشَّادِنُ : الذي قد شدَّ ن أي تحرك
ولم يقو بعد . والخَرِقُ : الدهش .

غنى مالك في الأول والثاني من الأبيات خفيف رمل بالوسطى ، وقيل إنه
لأبن جامع ، وقيل بل لحن أبن جامع بالينصر . وفي الثالث والرابع لأبن المكِّي رملٌ
صحيح من روايتي بذل والمهشامي .

(١) الأحلاف : أسد وغطقان وطبي . ونل عرشها : أي أصابها ما كسرهما وهدمها . وذبيان :
قبيلة المدوحين وهم من غطفان . وإنما فصلهم منهم لأن حصين بن ضمضم المرى جنى عليهم الحرب وهو منهم
لأن مرة من ذبيان . ويقال « زلت بأقدامها النعل » إذا وقعت القبيلة في حيرة وضلال . (عن الأعل) .
٢٠ (٢) الخليل : الخاط ، ويقال للجمع أيضا خليل . (٣) في ٢٠ : « واهيا » بالياء المتناة .
(٤) في ٢٠ : « المحبة »

وفي هذه القصيدة يقول يمدح هريماً :

قد جعل المبتغون الخير من هريم * والسائلون إلى أبوابه طُرُقاً
من يَلْقَى يوماً على عِلَّاته هريماً * يَلْقَى السَّاحَةَ منه والنَّدَى خُلُقاً
لَيْثٌ بَعَثَ يَصْطَادُ اللَّيْثُ إِذَا * مَا اللَّيْثُ كَذَبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقاً^(١)
يَطْعُنُهُمْ مَا أَرْتَمُوا حَتَّى إِذَا أَطْعَنُوا * ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا أَعْتَقَا^(٢)

ومن مدائحه إياهم قوله يمدح أبا هريم سنان بن أبي جارثة . وذكر ابن الكلبي أنه
هوى امرأة فاستثيم بها ، وتفاقم به ذلك حتى فُقِد فلم يُعرف له خبره . فترغم
بنو مُرة أن الحنَّ استطارته فادخلته بلادها ، وأواسست عجلته لكرمه . وذكر
أبو عبيدة أنه قد كان هريم حتى بلغ مائة وخمسين سنة ، فهام على وجهه خرقاً
ففقِد . قال : فزعم لي شيخ من علماء بني مُرة أنه خرج لحاجته بالليل فأبعد ،
فلما رجع ضلَّ فهام طول ليلته حتى سقط فمات ، وتبع قومه أثره فوجدوه ميتاً .
فرواه زهير بقوله :

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا * مَا تَبْتَغِي غَطْفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتِ^(٣)

- (١) عثر : (بتشديد التاء) اسم موضع باليمن ، وقيل : هي أرض مأسدة بناحية تبالة .
(٢) في ح والديوان : « الرجال » . (٣) كذب : أى لم يصدق الحملة . يقال : كذب
الرجل عن كذا إذا رجع عنه . يقول : إذا رجع الشجاع عن قرنه ولم يصدق الحملة عليه فهذا المدح
يصدقها . (عن الأعمى) . (٤) اعتنق : اسلم قرنه . يقول : إذا ارتعى الناس في الحرب بالنبل
دخل هو تحت الرمي فجعل بطاعنهم ، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف ، فإذا تضاربوا بالسيوف اعتنق قرنه
والترمه ، أى أنه يزيد عليهم في كل حال من أحوال الحرب . (عن الأعمى) . (٥) الأبيات الآتية
في الرثاء . والرثاء ضرب من المدح . (٦) في الأصول : « مثل » وهو تعريف .
(٧) في الأعمى : « وقيل إنما رثى بالآيات حصن بن حذيفة » . (٨) في ١ ، ٢ :
« بعدها » . (٩) يقال : ضل فلان الطريق وأضل بعيره يقال الأول للثابت والثاني لغيره .

خرف سنان بن
أبي حارثة ثم مات
فرواه

إِنَّ الرِّكَابَ لَتَبْتَغِي ذَا مِرَّةٍ * يَجْنُوبُ نَجْدًا إِذَا الشُّهُورُ أَحَلَّتِ
يَتَعَيْنَ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ شَدِيدَةٍ * عَظُمَتْ مَصِيبُهُ هُنَاكَ وَجَلَّتِ
وَمُدْفَعٍ ذَاقَ الْمَوَانِ مَلْعِنٍ * رَاخِيَتْ عُقْدَةَ حَبْلِهِ فَأَنْحَلَّتِ
وَلِنَعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ كَانَ إِذَا سَطَا * نَهَلَتْ مِنَ الْعَلَقِ الرَّمَاحُ وَعَلَّتِ
والذي فيه غناء من مدائح زهير قوله :

١٥٢

أشعاره غنى فيها

صوت

أَمِنْ أُمَّ سَأَمَى عَرَفَتَ الطُّلُولَا * بِذِي حُرِيضٍ مَائِلَاتٍ مُثْرَلَا
يَلِينَ وَتَحَسَّبُ آيَاتِهِنَّ * طَوْرَ قَرِطٍ حَوَلَيْنَ رَقًّا مَحِيلَا

المائل هاهنا: اللاطِطُ بالأرض، وفي موضع آخر: المُتَّصِبُ القائم. وذو حُرِيضٍ: موضع. والحُرُضُ: الأشنان. وآيَاتُهُنَّ: علامَاتُهُنَّ. وقَرِطُ حَوَلَيْنَ: تَقَدَّمَ حَوَلَيْنَ، والفَارِطُ: المتقدّم.

غنى في هذين البيتين إسحاق، وله فيهما لحنان: أحدهما ثاني ثقیل بإطلاق الوتر في مجرى البَنْصَر، من كجابه. والآخر ماخوِريٌّ من مجموع غنائه، وروايته عن الهِشَامِي. وفيهما للزُّبَيْر بن دَحْمَانَ خفيف ثقیل أول بالبَنْصَر عن عمرو. يقول فيها:
إِلَيْكَ سِنَانُ الْغَدَاةِ الرَّحِيبِ * لَلْأَعْيَى النُّهَاءَ وَأَمْضَى الْفُرُولَا
جمع قال، أى لا أنظير.

(١) الرِّكَابُ: الإبل، والمراد راكبوها. وذات مرة أى ذا عَقْلٍ ورأى مبرم. وقوله «إذا الشهور أحلت» أى إذا دخلت الشهور التي يحل فيها الفز. (٢) في ديوان زهير بشرح الأمل النحوى: «بجَنُوبِ نَجْدٍ». (٣) في ١، ٢، ٣: «بِكَلِّهِ» والكَلِّ: القيد.

(٤) في شرح الأمل: «ولنعم حشو الدرع أنت لنا إذا». (٥) العلق: الدم. (٦) في شرح الأمل: «أمن آل لى الخ». (٧) في شرح الأمل: «عن». (٨) المحيل: الذى أتى عليه حول. شهرسوم الدار برق مكتوب قد أتى عليه حول بحيث يتغير ويدرس.

(١) فلا تأمني غزواً فراسه * بني وائل وأحذريه جديلاً
وكيف آتقاء أمري لا يؤو * ب بالقوم في النزوح حتى يطبلا^(٢)
ومن الغناء في مدائح هريم قوله .

صوت

قف بالديار التي لم يعفها القدم * بلي وغيرها الأرواح والديم^٥
كأن عيني وقد سال السليل بهم * وعبرة ما هم لو أنهم أمم^(٣)
غرب على بكرة أو لؤلؤ قلق * في السلك خان به رباته النظم^(٤)
الديم : جمع ديمة وهو المطر الذي يدوم يوماً أو يومين مع سكون . سال السليل بهم :
أى ساروا فيه سيراً سريعاً ، والسلل : واد . وقوله وعبرة ما هم أى هم عبرة ، وما هاهنا
صلة . لو أنهم أمم أى قصدت أزوهم . والأمم : بين القريب والبعيد ، والقلق :
الذى لم يستقر لما أنقطع الخيط . والنظم : جمع واحداً نظام ، شبه دموعه بلؤلؤ
أنقطع سلكه ، وبماء سال من الغرب .

الغناء في هذه الأبيات رمل لكن المكي بالوسطى عن عمرو . وذ كر عمرو أن
لإسحاق فيها لحناً أيضاً . وذ كر يونس أن فيها لحناً لمالك .

صوت

لمب الديار بقنة الحجر * أقوين مذحج ومذدهر^(٥)

- (١) يريد : يا بني وائل لا تأمني غزواً فرسانه ، ويا جديلة احذريه . وجديلة أمهم وعدوان ، وكان
سنان يجاورهم . (عن الأعم) . (٢) أى هو مطيل للفرلأنه يتبع أقصى أعدائه فلا يؤرب بالقوم
من غزوه إلا بعد مدة طويلة . فاتقاء مثل هذا أشد اتقاء . (عن الأعم) . (٣) روى في لسان
العرب مادة أمم : « وعبرة » وكذلك روى في مادة سلال مردفاً بقوله : « وروى : وعبرة » .
(٤) أى هم سبب بكائي وحزنى . (٥) الحجر : موضع بعينه وهو حجر البامة .
(٦) فى ج رد يوانه : « من حجج ومن شهر » .

لَعَبَ الرِّيحُ بِهَا وَغَيْرَهَا * بَعْدَى سَوَافِي الرِّيحِ وَالْقَطْرِ^(١)
دَعَا ذَا وَعْدَ الْقَوْلِ فِي هَيْمٍ * خَيْرَ الْكُھُولِ وَسَيِّدَ الْحَضِيرِ
لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ * كُنْتُ الْمُنَوَّرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ

الْقَنَّةُ : الحبل الذي ليس بمتشعب . أَقْوَيْنَ : خَلَوْنَ . وَالسَّوَافِي : مَا تَسْفِي الرِّيحُ^(٢) .
قال : وَالْقَطْرُ مَخْفُوضَةٌ بِنَسْقِهِ عَلَى الرِّيحِ^(٣) ، وَالْقَطْرُ لَا سَوَافِي لَهُ . وَهَذَا تَفْعَلُهُ الْعَرَبُ
فِي الْمَجَاوِرَةِ ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ : مُجْرَضَبٌ خَرِبٌ .

١٥٣
٩

غَنَى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ سَائِبُ خَاثِرٍ مِنْ رِوَايَةِ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ ، وَلَمْ يَجْنَسْ . وَفِيهِ ثَقِيلٌ
أَوَّلُ بِالْيَنْصَرِ نَسَبُهُ عَمْرُو بْنُ بِلْتَعَةَ إِلَى مَعْبَدٍ ، وَنَسَبُهُ غَيْرُهُ إِلَى سَائِبٍ ، وَإِلَى الْأَوْسِيَّةِ
مِمَّا ذَكَرَ حَبَشٌ . قَالَ : وَهِيَ مِنْ قِيَانِ الْحِجَازِ الْقَدَائِمِ مَوْلَاةٌ لِلْأَوْسِ .

ومنها قوله يمدح سنان بن أبي حارثة :

صوت

صَحَّ الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو^(٥) * وَأَقْفَرَ مِنْ سَلَمَى التَّعَانِيقُ فَالْتَقَلُّ
وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلَمَى سِنِينَ ثَمَانِيًا * عَلَى صَيْرِ أَمْرِ مَا يُمَرُّ وَمَا يَحُلُّ
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ * مَضَّتْ وَأَجَمْتُ حَاجَةُ الْغَدِ مَا تَحُلُّ
وَكُلُّ مَحَبٍّ أَحْدَثَ النَّأْيُ عَنْهُ * سُلُوفُؤَادٍ غَيْرِ حِكِّ مَا يَسْلُو^(٦)
تَأَوَّبَنِي ذِكْرُ الْأَحِبَّةِ بَعْدَ مَا * هَجَعْتُ وَدَوْنِي قُلَّةُ الْحَزَنِ فَالرَّمْلُ

(١) في شرح الأمل : « المورد » وهو التراب .

(٢) هذا على الرواية التي ذكرها المؤيد . وعلى رواية الأمل يراد بالسوافي الرياح ، يعني أن الرياح
والأمطار ترددت على هذه الديار حتى عفت رسومها وغيّرت آثارها بما سفت الرياح عليها من التراب ومحت

الأمطار من الآثار . (٣) في الأصول : « على الرياح » . (٤) إذا فسرت السوافي

بالريح فيصح أن يكون القطر عما تسفيه الرياح . (٥) في ١ ، ٢ : « كان » .

فَأَسْمَتْ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنِي * وَمَا تُحِفَّتْ فِيهِ الْمَقَادِيمُ وَالْقَمَلُ^(١)
لَا رَتَحَلَنْ بِالْفَجْرِ ثُمَّ لَأَذَابَتْ * إِلَى اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ يُعَرِّجَنِي بَطْلُ
وَهَلْ يُنَبِّتُ الْخَطَى إِلَّا وَشِيجُهُ * وَتُفَرِّسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ^(٢)

التَّعَانِيْقُ وَالنَّخْلُ : موضعان . وَيُرَوَّى : فَالْنَّخْلُ : وقوله على صير أمر : أى على
شرف أمر . وَأَجَحْتُ : دَنَيْتُ . وَتَأَوَّضْنِي : أَتَانِي لَيْلًا . وَالتَّأَوَّضُ : سِيرُ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ .
تُحِفَّتْ : حُلِقَتْ ، يُقَالُ تَحَفَّ رَأْسَهُ وَسَهْتَهُ وَجَلَطَهُ : حَلَقَهُ . وَقَوْلُهُ "يُعَرِّجَنِي بَطْلُ" قَالَ
يُقَالُ الطَّفْلُ : اللَّيْلُ ، وَيُقَالُ الطَّفْلُ : مَغِيبُ الشَّمْسِ ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الطَّفْلُ :
الْحَزَنُ ، وَإِقَادَهُ نَارَ التَّحْيِيرِ . وَالْخَطَى : رِيحٌ نَسَبَهَا إِلَى الْخَطِّ وَهِيَ مِنْ جَزِيرَةٍ بِالْبَحْرَيْنِ
تُرْفَأُ إِلَيْهَا سُفُنُ الرِّمَاحِ . وَالْوَشِيجُ : الْقَنَا وَاحِدُهَا وَشِيجَةٌ . وَالْوَشُوجُ : دُخُولُ الشَّيْءِ
بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ .

غَنَى إِبْرَاهِيمُ الْمُؤَصِّلُ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ثَقِيلًا أَوَّلَ بِالْبِنْصَرِ مِنْ رَوَايَةِ
الْمُهَاشِمِ وَعَمْرُو . وَغَنَى إِبْرَاهِيمُ أَيْضًا فِي السَّادِسِ وَالسَّابِعِ وَالثَّامِنِ خَفِيفَ ثَقِيلٍ .
وَفِي الثَّلَاثِ لِمَعْبَدٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . وَأَمَلَوِيهِ فِي السَّابِعِ وَالثَّامِنِ خَفِيفٌ رَمَلٌ . وَذَكَرَ
حَبَشَ أَنْ لِبْرَاهِيمَ فِي الثَّامِنِ . لَحْنًا مَا خُورِيَا .
وَمِنَ الْغِنَاءِ فِي مَدَائِحِهِ هَرَمًا قَوْلُهُ :

صوت

لَمِنْ طَلَّلَ بِرَامَةِ لَا يَرِيمُ^(٤) * عَفَا وَأَحَالَهُ عَهْدٌ قَدِيمٌ^(٥)

- (١) المقاديم : جمع مقدم الرأس ، وأراد بالقمل : الشعر الذى فيه القمل ، على تقدير مضاف ،
أى وشعر القمل . وقد يراد بالقمل على معناه فانه تابع ومسحوف مع المقاديم وشعرها .
(٢) هذا البيت وارد في ديوانه في القصيدة بعد أبيات عدة لم يذكرها أبو الفرج ، وقبله :
فأيك من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل
(٣) نار التحير : هى النار التى توقد لهداية الحائر . (٤) لا يريم : لا يبرح .
(٥) رواية الديوان : * عفا وخلاله حقب قديم *

تَطَالَعْنِي خِيَالَاتٌ لَسَامِي * كَمَا يَتَطَالَعُ الدِّينَ الْغَرِيمُ

غَنَاهُ دَحْمَانٌ ثَانِي ثَقِيلُ الْبِنَصْرِ عَنْ عَمْرٍو . وَعَقَا : دَرَسَ هَاهُنَا ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ :
كَثُرَ ، وَهُوَ مِنْ إِضْدَادِ . وَخِيَالَاتٌ : جَمْعُ خِيَالٍ .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا
عَمْرُ بْنُ شَبَّةٍ ، وَقَالَ الْمُهَلَّبِيُّ فِي خَبَرٍ لَهُ عَنْ الْأَصَمِّ : قَالَ :

أَنشَدَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ شِعْرًا لَهُ فِي هَرَمٍ
ابْنِ سَنَانٍ فَأَمَّا

أَنشَدَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَوْلَ زُهَيْرٍ فِي هَرَمٍ ابْنِ سَنَانٍ يَمْدَحُهُ :

دَعُ ذَا وَعَدَ الْقَوْلِ فِي هَرِيمٍ * خَيْرَ الْكُھُولِ وَسَيِّدَ الْخَضِيرِ
لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ يَسُوءُ بَشِيرٍ * كُنْتُ الْمُنُورَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ
وَلَأَنْتَ أَوْصَلُ مَنْ سَمِعْتُ بِهِ * إِشْوَابِكَ الْأَرْحَامِ وَالصَّهْرِ
وَلِنَعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا * دُعِيتَ تَزَالُ وَجُلَّ^(١) فِي الدُّعْرِ
وَأَرَاكَ تَقْرِى مَا خَلَقْتَ وَبَدَ * حُضُّ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَقْرِى
أَتْنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَمَا * أَسْلَفْتَ فِي النَّجْدَاتِ مِنْ ذِكْرِ
وَالسَّتْرِ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا * يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ

١٥٤
٩

فَقَالَ عَمْرُ : ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال وقال عمر لبعض ولد هيرم : أنشدني بعض مدح زهير أباك ، فأنشده .
فقال عمر : إن كان ليحسن فيكم القول . قال : ونحن والله إن كنا لنحسن له العطاء .
فقال : قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم .

قال عمر لبعض
ولد هيرم قد خلد
ذكره لكم

(١) في ٣٠١ : « لز » بالزاي .

(٢) تقرى : تقطع . وخلق أي قدرت الأديم وهيأته للقطع والخرز . والمعنى : أنك إذا
تهيات لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه ، وبعض القوم يقدر الأمر ويتهيا له ثم لا يقدم عليه ولا يعضيه
عجزاً وضعف همة . (عن شرح الأعم) .

قال : وبلغني أن هيرما كان قد حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه : عبداً أو وليدة أو فرساً . فاستجيا زهير بما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه في مئذ قال : عموا صباحاً غير هيرم ، وخيركم أستثنيتم . وروى المهلب : وخيركم تركت .

حلف هيرم أن يعطيه كلما لقيه

سأل عمر ابنه عن الحلال التي كساه إياها هيرم فأجابته

أخبرني الحوهرى والمهلبى قالوا حدثنا عمر بن شبة قال :

قال عمر لابن زهير : ما فعلت الحلال التي كساه هيرم أبناك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكن الحلال التي كساه أبوك هيرما لم يبلها الدهر . وقد ذكر الهنيم ابن عدي أن عائشة خاطبت بهذه المقالة بعض بنات زهير

شعر له مدح هيرما ولم يستجبه إليه أحد

وقال أبو زيد عمر بن شبة : وما سبق فيه زهير في مدح هيرم ولم يستجبه إليه أحد قوله :

قد جعل المبتغون الخير من هيرم * والسائلون إلى أبوابه طرُقا
من يلق يوماً على علاته هرة * يلقى السباحة منه والندى خُلُفا
يطلب شأواً أمر ابن قداماً حسناً * بدأ الملك وبدأ هذه السوفا
هو الجواد فإن يلق بشاوهما * على تكاليفه فنلّه لحفا
أو يسبقاه على ما كان من مهيل * فثُل ما قداماً من صالح مسبقا

(١) رواية هذا البيت في شرح الأعلام للديوان .

يطلب شأواً أمر ابن قداماً حسناً * نالا الملك وبدأ هذه السوفا

وأراد بالمرأى : أباه وجده . يقول : تساوى أبواب الملك وسبقاً أوساط الناس وهو يطلب سبقهما ، وذلك شديد لأنهما لا يجازيان في فعل . (عن شرح الأعلام) . (٢) المهمل : التقدّم . يقال أخذ فلان المهلة والمهمل على فلان إذا تقدمه . يقول : إن المدوح معذور إذا سبقه أبواب وأخذها عليه المهلة في الشرف ؛ لأن مثل فعلهما وما قداماً من صالح سعيهما سبق من جاراهما . (عن شرح الأعلام) .

أخبرني الجوهري والمهليّ قالاً حدثنا عمر بن شبة قال قال المدائني^(١) :
قال عبد الملك بن مروان : ما يضُرُّ من مدح بما مدح به زهير آل أبي حارثة
من قوله :

مدح عبد الملك
ابن مروان شعره
في مدح آل أبي
حارثة

على مُكثِرِهِمْ رِزْقُ مَنْ يَغْتَرِيهِمْ * وعند المقلّين السّماحة والبذل

ألا يملك أمور الناس (يعني الخلافة) . قال نعم قال : ما ترك منهم زهير غنياً
ولا فقيراً إلا وعده ومدحه .

وقال ابن الأعرابي قال أبو زياد الكلابي : أنشد عثمان بن عفان قول زهير :
ومهما تكن عند امرئٍ من خَلِيقَةٍ * وإن خالها تخفى على الناس تُعَلِّمُ

مدح عثمان بن
عفان شعره له

فقال : أحسن زهير وصدق ، لو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس .
قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تعمل عملاً تكره أن يُتحدث عنك به " .

قال وقال علي بن محمد المدائني حدثني ابن جعدويه :

أن عروة بن الزبير لحق بعبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله بن
الزبير . فكان إذا دخل إليه منفرداً أكرمه ، وإذا دخل عليه وغنّده أهل الشام
استخف به . فقال له يوماً : يا أمير المؤمنين ، بس المزور أنت ؛ تُكرّم ضيفك
في الخلّاء ، وتُهينه في المال ، وقال : لله دَرُّ زهير حيث يقول :

تمثل عروة بن الزبير
بيت له وقد
استخف به عبد
الملك بن مروان

فقرى في بلادك إن قوماً * متى يدعوا بلادهم يهونوا

١٥٥
٩

ثم استأذنه في الرجوع إلى المدينة ، فقصى حوائجه وأذن له . وهذا البيت من قصيدة
لزهير قالها في بني تميم ، وقد بلغه أنها حشدت لغزو غطفان ؛ أولها :

(١) يغتر بهم : يقصدهم و يطلب ما عندهم .

(٢) في أكثر النسخ : « فقال » وفي ج : « قال »

ألا أبلغُ لديكَ بنى تميم * وقد يأتنيك بالخبر الظنونُ
الظنون : الذى لست منه على ثقة ، والظنين : المتهم .

وقال ابن الأعرابي :

شعره فى الحادث

ابن ورقاء وقوله

أخذ إبله وغلامه

كان الحادث بن ورقاء الصيداوى من بنى أسد أثار على بنى عبد الله بن غطفان

فغنى فاستاق إبل زهير وراعيه يساراً . فقال زهير :

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا . وزودوك أشتياقاً أية بهاسكوا

وهى طويلة يقول فيها :

لئن حَلَّتْ بجوِّ بنى أمسد * فى دين عمرو وحالت بيننا فدكُ^(٤)

ليأتينك منى منطق قَدَح * باقى كما دَسَّ القُبْطيةُ^(٥) الودكُ

فأردد يساراً ولا تعنف عليه ولا * تمحك بعرضك إن الغادر الملعكُ^(٦)

ولا تكونن كأفوام عابثهم * يلوون ما عندهم حتى إذا نهكوا^(٧)

طابت نفوسهم عن حق خصمهم * خفاة الشر وأرتدوا لسأتركوا^(٨)

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : « فاستخف » . (٢) كذا فى الديوان .

وفى الأصول : « إن الخليط » . والخليط : الأصحاب المخالطون فى الدار . ولم يأووا : أى لم يرجعوا

ولم يرجعوا . (٣) جو : راد . (٤) كذا فى ج والديوان وياقوت فى كلامه على ذلك .

والمراد بدين عمرو : طاعته وسلطانه . وعمرو هو عمرو بن هند الملك . وفى سائر النسخ وياقوت فى كلامه

على دير عمرو : « دير عمرو » . وقال : « دير عمرو : جبال فى طي قرب قرية لم يقال لها جو » .

ثم ذكر هذا البيت الذى بعده . وذلك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة . (٥) كذا

فى الديوان . والقبطية (بضم القاف) : ثياب كتان بيض رفاق تعمل بمصر منسوبة إلى القبط (بكسر القاف)

على غير قياس . وفى الأصول « القبطية » وهو تحريف . والودك : الدم . يقول : لئن حلت بجو

لا أدركك ليردن عليك هجوى ولأدسق به عرضك كما يدس الودك القبطية . (٦) الملك : الممل

وزنا ومعنى . والملعك (بكسر العين) : المطول . يقول : لا تمطلى يسار فطلك غدر . وكلما مطلتى لحق ذلك

بعرضك . (٧) يلوون ما عندهم أى يطلون بما عليهم من الدين . ونهكوا : شتموا وبلغوا فى هجائهم .

(عن شرح الأعلام) . (٨) أى لما أودوا بالهباء دفعوا الحق إلى صاحبه وارتدوا إلى إعطاء ما كانوا

تركوه ومنعوه من الحق خفاة من الشر وإبقاء على أعراسهم . (عن شرح الأعلام) .

١٥

٢٠

٢٥

وفي هذه القصيدة مما يغنى فيه :

صوت

أَهْوَى لها أَسْفَعُ الخَلْدَيْنِ مُطَرِّقٌ * رِيَشَ القَوَادِمِ لَمْ يُنْصَبْ لَهُ شَرَكُ^(١)
وَقَدْ أَكُونُ أَمَامَ الْإِخْوَانِ تَحِلُّنِي * جَرْدَاءُ لَا فَحْجَ فِيهَا وَلَا صَكَكُ^(٢)

- أَهْوَى لها — يعنى الفطاة تقدم وصفه إياها — صَهْرٌ . ورواه الأصمعي : "هوى لها"
وقال : هوى : آنقَضَ ، وأهوى : أوفى . ومُطَرِّقٌ : ريشه بعضه على بعض ليس بمنشور ،
وهو أعتق له . وقوله لَمْ يُنْصَبْ لَهُ شَرَكُ : أى لَمْ يُصْطَدْ وَلَمْ يُذَلَّلْ . والتموادم : العشر
المتقدمات . والفَحْجُ : تباعد ما بين الفخذين . والصَّكَّكُ : أصطكاك العرقوين
في الدواب ، وفي الناس الركبتين . قال : فلما أُنْشِدَ الحارثُ هذا الشعر بحث بالعلام
إلى زهير . وقيل : بل أُنْشِدَ قول زهير :

تَعْلَمُ أَنَّ شَرَّ النَّاسِ حَيٌّ * يُنَادِي فِي شَعَارِهِمْ يَسَارُ^(٣)
وَلَوْلَا عَسْبُهُ لَرَدَدْتُمُوهُ * وَشَرُّ مَنِيعَةٍ أَيْرُ مَعَارُ^(٤)
إِذَا جَمَعَتْ نِسَاؤُكُمْ إِلَيْهِ * أَشْطَ كَأَنَّهُ مَسَدٌ مُغَارُ^(٥)

- (١) رواية الديوان بشرح الأعم : « لم ينصب له انتبك » . ونصب ريش القوادم على التشبيه
بالمفعول به ، كما تقول : زيد حسن الوجه ، ينصب الوجه . (راجع شرح الأعم) . (٢) هكذا غنى
في هذا البيت . وأصله كرواية الديوان :

وَقَدْ أَرَوْحُ أَمَامَ الْإِخْوَانِ مُقْتَنِيصًا * قُرَا مَرَاتِعُهَا الْقِيَعَانُ وَالنَّبَكُ
وَصَاحِبِي وَرْدَةٍ نَهْدٍ مَرَاكِهَا * جَرْدَاءُ لَا فَحْجَ فِيهَا وَلَا صَكَكُ

- (٣) الشعار : علامة القوم في سفرهم : اسم رجل أوشى . قد عرفوه فيما بينهم إذا دعوا به عرفوه .
وإنما أراد أن يسارا صارعبا عليهم يعرفون به كما يعرف كل قوم بشعارهم . (عن شرح الديوان لثعلب) .
(٤) العسب : الضراب والنكاح أو هو ماء الفحل . (٥) المنيحة : العارية . (٦) في شرح
الأعم : « عسب » . (٧) رواية اللسان في مادة شظط : « جنحت » . (٨) كذا في
الديوان . وأشظ : أنعط واشتد . وفي الأصول : « أشد » . والمسد : الحبل . والمغار : الشديد الفتل .

(١) يبرر حين يعدو من بعيد * إليها وهو قَبْقَابٌ قَطَارٌ

فردّه عليه . فلامه قومه وقالوا له : اقتله ولا تُرسل به إليه ، فأبى عليهم . فقال زهير عند ذلك :

أبلغ لبيب بنى الصيّداء كُلَّهُمْ * أَلَيْسَ أَمَانًا غَيْرَ مَأْمُولٍ
ولا مَهَانٍ ولكن عند ذى كَرَمٍ * وفي جِبَالٍ وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُولٍ

وهي قصيدة . فقال الحارث لقومه : أَيُّهَا أَصْلَحُ : ما فعلتُ أو ما أردتُم؟ قالوا : بل ما فعلتُ .

كان يذكّر في شعره
غطفان وأخواله
بنى مرة ويمدحهم

قال ابن الأعرابي وحدثني أبو زياد الكلابي :

١٥٦
٩

أَلَيْسَ زُهَيْرًا وَأَبَاهُ وَوَلَدَهُ كَانُوا فِي بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ ، وَمَنْطَرُ الْيَوْمِ بِالْحَاجِرِ ،
وكانوا فيه في الجاهلية . وكان أبو سلمي تزوج إلى رجل من بني فهر بن مرة بن
عوف بن سعد بن دُبَيان يقال له الغدير — والغدير هو أبو بشامة الشاعر — فولدت له
زُهَيْرًا وَأَوْسًا ، وولدت زهير من امرأة من بني سُحَيْم . وكان زهير يذكّر في شعره بني مرة
وغطفان ويمدحهم . وكان زهير في الجاهلية سيّدًا كثير المال حليًا معروفًا بالورع .

(١) يبرر : يصوت . والقَبْقَابُ : من القَبْقَبة وهي هدير الفحل . والقَطَارُ (بضم أوله) : وصف
من القطر أي يسيل ، وقيل عن أبي محمد : المتصبب الرافع رأسه . (عن شرح ثعلب) .

(٢) كذا في ح والديوان بشرح الأعم . وفي الديوان بشرح ثعلب : « يندو » بالغين المعجمة .
وفي سائر الأصول : « يندو » . (٣) ورد هذا الشعر في شرح الديوان للأعم الشنمري هكذا :
« وفي جبال وفي غير مجهول » . والحبال : العهود والذمم .

(٤) في الأصول : « بالحالين » بالزاي وهو تصحيف . (٥) كذا في شرح ثعلب ، وقد
صححه المرحوم الأستاذ الشنمري كذلك في نسخه ، ويرجح ما سيأتي في ص ٣١٢ من هذه الترجمة .
وفي الأصول هنا : « الغابر » . (٦) كذا في شرح الديوان لثعلب في الدخول على قصيدته
الهمزية . وفي الأصول : « هو أبو يسار هذا » وهو محريف .

١٥

٢٠

شكا اليه رجل من
غطفان بنى عليم
ابن جناب فهاجم

قال وحدثني حماد الراوية عن سعيد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد :

أنه بلغه أن زهيراً هجا آل بيت من كلب من بنى عليم بن جناب^(١)، وكان بلغه عنهم
شيء من وراء وراء، وكان رجل من بنى عبد الله بن غطفان أتى بنى عليم^(٢)، وأكرموه
لما نزل بهم وأحسنوا أجواره، وكان رجلاً مولعاً بالقيار فهو عنه، فأبى
إلا المقامرة. فمر مرة فردوا عليه، ثم قرأ أخرى فردوا عليه، ثم قرأ الثالثة فلم يردوا
عليه، فترحل عنهم وشكا ما صنيع به إلى زهير، والعرب حينئذ يتقون الشعراء اتقاءً
شديداً. فقال : ما خرجت في ليلة ظلماء إلا خفت أن يصيبني الله يعقوبة لهجائي
قوماً ظلمتهم. قال : والذي هجاهم به قوله :

عفا من آل فاطمة الجواء * قيمن بالقوادم فالحساء^(٣)
فدو عايش فميث عربيتنايت^(٤) * عفتها الریح بعدك والسماء^(٥)
جرت سنا فقلت لها أجزى * نوى مشمولة فتى اللقاء
كان أوأيد الثيران فيها * هجان في مغابنها الطلاء
لقد طابها ولكل شيء * وإن طالت بلجاجة آتباء
وقد أغدو على شرب كرام^(٦) * تشاوى واجدين لما نشاء
لهم طاس وراووق ومسك^(٧) * تعل به جلودهم وماء

الجواء : أرض . ويمن والقوادم : في بلاد غطفان . والميث : جمع ميثاء . قال
أبو عمرو : إذا كان مسيل الماء مثل نصف الوادى أو ثلثيه فهي ميثاء . والسماء هاهنا :

(١) كذا في شرح فطرب والمعارف لابن قتيبة . وفي الأصول : « جان » وهو تحريف .

(٢) في الأصول : « غليب » وهو تحريف . (٣) الحساء : في بلاد غطفان .

(٤) ذو هاش : موضع في بلاد غطفان . (٥) عربيتنايت : اسم واد . (٦) رواية الديوان :

* وقد أغدو على ثبة كرام *

والثبة : الجماعة من الناس . (٧) رواية الديوان : « لهم راح » .

المطير، والسائح : ما أقبل من شمالك يريد يمينك . والبارح : ضده . وقال أبو عبيدة : سمعت يونس بن حبيب يسأل روبة عن السائح والبارح فقال : السائح : ما ولألك ميامنه . والبارح : ما ولألك مشائمه . وأجيزى : أنفذى . قال الأصمعي : يقال أجزت الوادى إذ قطعته وخلفته ، وجزته : إذا سرت فيه فتجاوزته . والأوايد : الوحشية . والهجائن : لم يل بيض . والمغابن : الأرفاغ ، واحدها مغين . ومشمولة^(١) : سريعة الانكشاف . أخذه من الريح الشمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب . وجعل مشمولة هاهنا في النوى لأن نيتهم كانت سريعة ، فأجرى ذلك مجرى الدم ، فهذه السُّنح .

غنى في الأول والثاني والسابع معبد ثقيلًا أول باله سيابة في خبرى الوسطى عن إسحاق . وذكر على بن يحيى أن للغريض فيها خفيف ثقيل . وذكر حبش أن فيه للهذلي ثاني ثقيل بالوسطى . وفي الثالث والرابع مع بدت ليس لزهير أضيف إلى الشعر وهو :

بنفسى من تذكره سؤام * أعالجه ومطلبه عناء

في هذه الأبيات الثلاثة خفيف ثقيل أول بالوسطى في تجراها ، ذكر إسحاق

أنه للغريض ، وغيره ينسبه إلى ابن سريج وإلى ابن عائشة . وفي الرابع والخامس لعلويه رمل لا يسك فيه من غنائه .

١٥٧
٩

طلب من خاله
بشامة وهو يحنض
أن يقسم له من
ماله فقال له
أوردتك الشعر

وقال ابن الأعرابي حدثني أبو زياد ، وذكر بعض هذا الخبر إسحاق الموصلي عن حماد الراوية وعن ابن الكلبي عن أبيه قال :

(١) في الأصول : « لم تلبث أن تذهب » . وعبارة لسان العرب : « ... وقال ابن السكيت : مشمولة سريعة الانكشاف ، أخذه من أن الريح الشمال إذا هبت بالسحاب لم يلبث أن ينحسر ويذهب » .
(٢) في الأصول : « وفي » .

- وكان بشامة بن القدير خال [زهير بن] أبي سلمى^(١)، وكان زهير منقطعاً إليه وكان معجباً بشعره . وكان بشامة رجلاً مقعداً ولم يكن له ولد ، وكان مكثراً من المال ، ومن أجل ذلك نزل ابن هذا البيت في غطفان : لئولتهم . وكان بشامة أحزم الناس رأياً ، وكانت غطفان إذا أرادوا أن يغزوا أتوه فاستشاروه وصدروا عن رأيه ، فإذا رجعوا قسموا له مثل ما يقسمون لأفضلهم ، فمن أجل ذلك كثر ماله . وكان أسعد غطفان في زمانه . فلما حضره الموت جعل يقسم ماله في أهل بيته وبين بني إخوانه . فأناء زهير فقال : يا خالاه لو قسمت لي من مالك !! فقال : والله يا ابن أختي لقد قسمت لك أفضل ذلك وأجزله . قال : وما هو ؟ قال : شعري ورثتيه . وقد كان زهير قبل ذلك قال الشعر ، وقد كان أول ما قال . فقال له زهير : الشعر شيء ما قلته فكيف تعتد به علي ؟ فقال له بشامة : ومن أين جئت بهذا الشعر ! لعلك ترى أنك جئت به من مزية ، وقد علمت العرب أن حصاتها وعين مائها في الشعر لهذا الحى من غطفان ثم لي منهم ، وقد رويته عني^(٢) . وأحذاه نصيباً من ماله ومات^(٣) .

وبشامة شاعر مجيد وهو الذي يقول :

بشامة خاله شاعر
مجيد وشيء من
شعره

صوت

- ١٥ ألا ترين وقد قطعني قطعاً * ماذا من القوت بين البخل والجود
إلا يكن ورق يوماً أراح به * للخطيبين فإني لئن العود^(٤)
الغناء لإسحاق ثقیل أول بالنصر، وقيل : إنه لإبراهيم .

(١) وضعنا هذه التكملة لما تقدم في ص ٣٠٩

(٢) يحتمل أن يكون : « وقد رويته عني » . (٣) أحذاه : أعطاه . (٤) كذا

في ب ، س . وفي سائر الأصول : « قطعني » بالنون . ويظهر أن الخطاب لزوجته أو لامة تلومه في الكرم .

(٥) يقال : راحت الريح الشيء إذا أصابته . ويقال : خبط الشجرة إذا شدها ثم نقض ورقها .

طلق زوجته أم
أوفى ثم ندم فقال
شعرا

قال ابن الأعرابي :

أُمُّ أَوْفَى الَّتِي ذَكَرَهَا زُهَيْرٌ فِي شِعْرِهِ كَانَتْ أَمْرَأَتَهُ ، فَوَلَدَتْ مِنْهُ أَوْلَادًا مَاتُوا ،
ثُمَّ تَزَوَّجَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرَأَةً أُخْرَى ، وَهِيَ أُمُّ أَبْنَيْهِ كَعْبٌ وَبُجَيْرٌ ، فَتَفَارَتْ مِنْ ذَلِكَ
وَأَذَتْهُ ، فَطَلَّقَهَا ثُمَّ نَدِمَ فَقَالَ فِيهَا :

لَعَمْرُكَ وَالْخَطُوبُ مُغَيَّاتٌ * وَفِي طُولِ الْمَعَاشَةِ النَّقَالِي
لَقَدْ بَالَيْتُ مَظْعَنَ أُمِّ أَوْفَى * وَلَكِنْ أُمُّ أَوْفَى مَا تُبَيِّلِي^(١)
فَأَمَّا إِذْ نَايِتٍ فَلَا تَقُولِي * لَذِي صِهْرٍ أَذَلْتُ وَلَمْ تَدَالِي^(٢)
أَصَبْتُ بَنِيَّ مِنْكِ وَنَلَيْتُ مَتًى * مِنَ اللَّذَاتِ وَالْحُلَالِ النَّوَالِي

عانت امرأة ابنه
سالمًا فأت فرثاه

وقال ابن الأعرابي :

كَانَ لَزُهَيْرِ بْنِ يَزِيدٍ يُقَالُ لَهُ سَالِمٌ ، جَمِيلُ الْوَجْهِ حَسَنُ الشَّعْرِ . فَأَهْدَى رَجُلٌ إِلَى زُهَيْرٍ^(١)
بَرْدَيْنَ^(٢) ، فَلَيْسَهُمَا الْفَتَى وَرَكِبَ فَرَسًا لَهُ ، فَرَبَّأَ أَمْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ النَّتَاءُ^(٣) ،
فَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ رَجُلًا وَلَا بَرْدَيْنَ وَلَا فَرَسًا . فَعَثَرَ بِهِ الْفَرَسُ فَأَنْدَقَتْ^(٤)
عُنُقَهُ وَعَنَقَ الْفَرَسُ وَأَنْشَقَّ الْبَرْدَانِ . فَقَالَ زُهَيْرٌ يَرِثِيهِ :

رَأْتُ رَجُلًا لَاقَى مِنَ الْعَيْشِ غِبْطَةً * وَأَخْطَاهُ فِيهَا الْأُمُورُ الْعِظَائِمُ
وَسَبَّ لَهُ فِيهَا بَنُونٌ وَتَوَيْعَتْ * سَلَامَةً أَعْوَامٍ لَهُ وَغَنَائِمُ

(١) في ١ ، م : « لا تبالي » . (٢) أذال المرأة : هزلها وأهانها . وفي المثل : « أخيل
من مذالة » وهي الأمة لأنها تهان وهي تنبخر من حقها . (٣) في الأصول : « بردين ...
البردتان » قال ابن سيدة : البرد ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشي . والبردة : كساء يلتحف به ،
ويقيل غير ذلك . (راجع اللسان في مادة برد) . (٤) النتاء : ماء لبني عميلة أو هو ماء لفتى . وقال
الحفص : النتاء : نخيلات لبني عطار . ويوم النتاء من أيام العرب . (معجم البلدان لياقوت)

فأصبح محبوباً يُنظر حوله * بغبطة لو أنت ذلك دائمٌ
وعندى من الأيام ما ليس عنده * فقلت تعلم أنما أنت حالمٌ^(٣)
لعلك يوماً أن تراعى بفاجع . كما راعى يوم الشتاء سالم

١٥٨
٩

قال ابن الأعرابي :

هو وقومه شعراء . كان زهير في الشعر ما لم يكن لغيره، وكان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وأبناء كعب وبجير شاعر بن، وأبنته الخنساء شاعرة، وهي القائلة ترثيه :

وما يُغني توقي الموت شيئاً * ولا عقْدُ التيم ولا الغضارُ^(٤)

— والغضار : كان أحدهم إذا خشي على نفسه يعلق في عنقه خرقةً أخضر —

إذا لاقى منيته فأمسى * يسأى به وقد حق الحذارُ

ولافاه من الأيام يوم * كما من قبل لم يتخذ قدارُ^(٥)

١٠

وإبن أبنه المضرب بن كعب بن زهير شاعر، وهو القائل :

إني لأحس نفسي وهي صادية * عن مضعب ولقد بانت لي الطرق

(١) المحبور : المنعم . ومنه قوله تعالى : (في روضة يجرون) أي ينعمون . وينظر حوله أي ينظر حوله يمينا وشمالا . (٢) كذا في معجم البلدان في الكلام على التاء . وفي الأصول : «تغبطة» . وفي الديوان بشرح نعلب : «تغبطة» . ولم ترد هذه الأبيات في شرح الأعم . (٣) يخاطب ابنه . يقول : ما أنت فيه من السرور والشباب بمنزلة الحلم . (٤) في اللسان (في مادة غضر) : «توقى المرء» . (٥) قدار : هو قدار بن سالف عاقر الناقة . (٦) في شرح القاموس (في مادة ضرب) : «وكلمت (بكسر الدال المشددة) ومعظم (بفتح الفاء المشددة) لقب عقبة بن كعب بن زهير . وبالوجهين ضبط في نسخة الصباح» . وفي كتاب الشعر والشعراء أنه شبيب بامرأة من بني أسد فقال :

ولا عيب فيها غير أنك واجد * ملاقيها قد دثت بركوب
فترثيه أخوها مائة ضربة بالسيف فلم يمت وأخذ الدية، فسمى المضرب .

٢٠

رُعوى عليه كما أرعى على هيريم * جَدَى زهير وفيما ذلك الخلق
مَدَحُ الملوك وسعى في مَسَرَّتِهِمْ * ثم الغنى ويسد المدوح تنطلق

ما امتاز به شعره
وكان سبب تقديمه

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال :

مَنْ قَدَّمَ زُهَيْرًا أَحْتَجَّ بِأَنَّهُ كَانَ أَحْسَنَهُمْ شِعْرًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ سُخْفٍ ، وَأَجْمَعَهُمْ
لِكَثِيرٍ مِنَ الْمَعَانِي فِي قَلِيلٍ مِنَ الْأَنْحَاظِ ، وَأَشَدَّهُمْ مِبَالِغَةً فِي الْمَدْحِ ، وَأَكْثَرَهُمْ أَمْثَالًا
فِي شِعْرِهِ .

مرثية ابنه سالم

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال :

كَانَ لَزْهَيْرِ بْنِ يُقَالُ لَهُ سَالِمٌ ، بِكَانَ مِنْ أُمَّ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ ، فَمَاتَ أَوْ قُتِلَ ،
فَجَزِعَ عَلَيْهِ كَعْبٌ جَزَعًا شَدِيدًا ، فَلَامَتْهُ أَمْرَأَتُهُ وَقَالَتْ : كَأَنَّهُ لَمْ يُصَبِّ غَيْرُكَ
مِنَ النَّاسِ ! فَقَالَ :

رَأَيْتُ رَجُلًا لَاقَى مِنَ الْعَيْشِ غِبْطَةً * وَأَخْطَاهُ فِيهَا الْأُمُورُ الْعِظَامُ
وَشَبَّ لَهُ فِيهَا بَنُونَ وَتُوْبَعَتْ * سَلَامَةٌ أَعْوَامٍ لَهُ وَغَنَائِمُ
فَأَصْبَحَ مَجْبُورًا يَنْظُرُ حَوْلَهُ * بَغْبَطْنَهُ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ دَائِمُ
وَعِنْدِي مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ * فَقُلْتُ لَهُ مَهْلًا فَإِنَّكَ حَالِمُ
لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنَّ تُرَاعِيَ بِفَاجِعٍ * كَمَا رَاعَنِي يَوْمَ النَّسَاءِ سَالِمُ

١٥



صوت

عَزَفْتَ وَلَمْ تَصِرْ وَأَنْتَ صَرُومٌ * وَكَيْفَ تَصَابِي مَنْ يُقَالُ حَلِيمُ
صَدَدْتَ فَأَطَوَلْتَ الصَّدُودَ وَلَا أَرَى * وَصَالًا عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ

(١) رُعوى عليه : أى بقيا عليه ؛ يقال : أرعى فلان على فلان إذا أبى عليه .

(٢) تقدم في ص ٣١٣ أن هذا الشعر قاله زهير في ابنه سالم .

عَرَّوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ ، عَزَفَتْ عَنِ الشَّيْءِ : إِذَا تَرَكْتَهُ وَأَبْتَّه نَفْسُكَ . قَالَ ابْنُ
 الْأَعْرَابِيِّ : يَقُولُ لَمْ تَهْصِرْ صُرْمَ بَتَاتٍ ؛ وَلَكِنْ صَرَمْتَ صُرْمَ دَلَالٍ . وَأَطَوَلَتْ
 الصَّدُودُ أَيْ أَطْنَهُ . وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا ذَرْوَرَةُ^(١) . الشَّعْرُ لِلتَّزَارِ بْنِ سَعِيدِ الْفَقْعَعِيِّ .
 وَالْغِنَاءُ لِإِسْحَاقَ رَمَلَ .

(١) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (فِي مَادَّةِ طَوَّلَ) : « وَأَطَلْتُ الشَّيْءَ وَأَطَوَلْتُ عَلَى النِّقْعَانِ وَالتَّمَامِ بِمَعْنَى .
 الْحَكْمِ : وَأَطَالَ الشَّيْءُ وَطَوَّلَهُ وَأَطَوَّلَهُ : جَعَلَهُ طَوِيلًا . وَكَانَ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ إِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَنْهَوْا عَلَى
 أَصْلِ الْبَابِ . قَالَ : فَلَا يَقَاسُ هَذَا إِنَّمَا يَأْتِي لِلنَّيْهِ عَلَى الْأَصْلِ » .

ذكر المزار وخبره ونسبه

هو المزار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نضلة بن الأشم بن جحوان بن ققعس^(١)
ابن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمه^(٢)
ابن مذركة بن الياس بن مضر بن ريار . وأم المزار بنت مروان بن منقذ الذي أغار^(٣)
على بني عامر بتهلان فقتل منهم مائة بحبيب بن منقذ عمه ، وكانوا قتلوه .^(٤)
وكان المزار قصيراً مفترطاً القصير ضئيل الجسم . وفي ذلك يقول :
عدوني الثعلب عند العدد * حتى استناروا لي إحدى الإحدى^(٥)
ليثاً هزبراً ذا سلاح معتدى * يرعى بطرف كالحريق الموقد^(٦)

نسبه وكان قصيراً
ضئيل الجسم

١٥٩
٩

- (١) كذا في ج وهو الصحيح كما في شرح القاموس (في مادة جحو) . وفي سائر الأصول : «هوازن» وهو تحريف .
- (٢) كذا في ح . وفي سائر الأصول : «معين» بالميم وهو تحريف .
- (٣) في جميع الأصول : «تطلب» . والتصويب عن شرح القاموس : «في مادتي قنن وجحو» .
- (٤) كذا في أ ، م ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي وقد أورده في باب الدال المعجمة مع الوار . وفي سائر الأصول : «دردان» بالدال المهملة . (٥) كذا في ح . وفي أ ، م : «منقذ» بالدال المهملة . ويظهر أنه مصحف عن منقذ بالدال المعجمة إذ لم يسم بهذا الاسم . وفي ب ، س : «منقر» بالراء المهملة . (٦) تهلان : جبل ضخيم بالعالية عن أبي عبيدة . وقال نصر : تهلان جبل لبني نمر بن عامر بن صعصعة بناحية الشريف به ماء ونخيل . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٧) يلاحظ أنه أخوه لا عمه إلا أن يكون منقذ جد مروان وسقط اسم أبيه .
- (٨) إحدى الإحدى : الأمر المنكر الكبير . قال الشاعر : * بهكاظ فعلوا إحدى الإحدى * وإحدى الإحدى الداهية . يقول : حسبوني من عداد الثعالب عند لقاء الأبطال أروغ عنهم ولا أكالهم حتى استناروا مني داهية . (٩) المعتدى : وصف من العدوان إلا أنه وقف على لغة ربيمة في تسكين المنسوب . وفي الأصول : «معد» بالنون وبدون ياء . ويحتمل أن يكون مصحفاً عن «معد» وصف من أعتد الشيء إذا هياه وأعدّه ، وعلى هذا يكون وصفاً للسلاح . ويرى بطرف كالحريق الموقد : أراد أن يهيه في غضبه حراً كالنار الموقدة الملتبة . (راجع لسان العرب في مادة أحد ، ونزاة الأدب للبغدادى ج ٣ ص ٢٩٣ و ٢٩٤) .

وكان يهاجى المساوِر بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي . وفيه يقول المرار :
 شَقِيتَ بنو سَعْدِ بِشَعْرِ مُساوِرٍ * إِنَّ الشَّقَّ بِكُلِّ حَبْلٍ يُخْتَقُ
 والمساوِر القائل فيه :

كانت يهاجى
المساوِر بن هند

ما سَرَّنِي أَنَّ أُمِّيَ مِنْ بَنَى أَسَدٍ * وَأَنْتَ رَبِّي يُخَيِّنِي مِنَ النَّارِ
 أَوْ أَنْتَهُمْ زَجَجُونِي مِنْ بَنَاتِهِمْ * وَأَنْ لِي كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ دِينَارٍ
 والمرار من مُحَضَّرِي الدولتين . وقد قيل : إِنَّهُ لَمْ يُدْرِكِ الدَّوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ .

من خضري
الدولتين
أغار هو وأخوه
بدر على بني عبس
ونها إليهم فبسيما
الوالى

وقال هذه القصيدة وهو محبوس . ذكر محمد بن حبيب عن أبي الأعرابي
 عن الْمُفَضَّلِ وَالْكُوفِيِّينَ :

- أَنَّ الْمَرَّارَ بْنَ سَعِيدٍ كَانَ أَتَى حُصَيْنَ بْنَ بَرِّقٍ مِنْ بَنَى عَبْسٍ ، فَوَقَفَ عَلَى بَيْوتِهِمْ
 ١٠ ففعل يحدث نساءهم وَيُنْشِدُهُنَّ الشَّعْرَ . فَنَظَرُوا إِلَيْهِ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ عَلَى الْمَاءِ فَظَنُّوا
 أَنَّهُ يَعِظُهُنَّ . ثُمَّ أَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ النِّسَاءِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى الرِّجَالِ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ :
 أَنْتَ يَا مَرَّارُ تَقِفُ عَلَى آيَاتِنَا وَتُنْشِدُ النِّسَاءَ الشَّعْرَ ! فَقَالَ : إِنَّمَا كُنْتُ أَسْأَلُهُنَّ . بِغَيْرِ
 بَيْنَةٍ وَبَيْنَهُمْ كَلَامٌ غَلِيظٌ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وَضَرَبُوهُ عَقْرًا بِعَصَاهُ ، فَأَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِمْ
 إِلَى بَنَى فُقَيْسٍ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ، فَرَكِبُوا مَعَهُ حَتَّى أَتَوْا بَنَى عَبْسٍ فَقَاتَلُوهُمْ فَهَزَمُوهُمْ ،
 ١٥ وَفَقَاتَ بَنُو فُقَيْسٍ مِنْ بَنَى عَبْسٍ عَيْنًا وَقَتَلُوا رَجُلًا ثُمَّ أَنْصَرَفُوا . فَعَمِلَ أَبُو شَدَادٍ
 النَّصْرِيُّ لِبَنَى عَبْسٍ مَائِيَّ بَعِيرٍ وَغُلَّظُوا عَلَيْهِمْ فِي الدِّيَةِ . ثُمَّ إِنَّ بَدْرَ بْنَ سَعِيدٍ أَخَا
 الْمَرَّارِ قَالَ : قَدْ آسَتَوْفَتْ عَبْسٌ حَقَّهَا ، فَعَلَّامٌ أَتَرَكَ ضَرْبَ أَخِي وَعَقَرَ جَمَلِهِ ! فَنَجَرَ
 حَتَّى أَتَى جَمَالَ لِبَنَى عَبْسٍ فِي الْمَرْءِ ، فَرَمَى بَعْضُهَا فَعَقَرَهَا ثُمَّ أَنْصَرَفَ . فَقَالَ لِلْمَرَّارِ :
 إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يَقْنَعُ بِهَذَا وَلَكِنْ أَخْرُجْ بِنَا . فَنَجَرْنَا حَتَّى أَغَارَا عَلَى لِبَلِ لِبَنَى عَبْسٍ
 ٢٠ فَطَرَدَاهَا وَتَوَجَّهَ بِهَا نَحْوَ تَيْمَاءَ^(١) . فَلَمَّا كَانَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَتَقَطَعَ بِطَانٌ رَاحِلَةً بِدَرٍ

(١) تيماء : بليد في أطراف الشام بين الشام وراى القرى على طريق حاج الشام ودمشق .

(١) فنَدَرَ عَنْ رَحْلِهِ . فقال له المَرَّارُ : يا أُنْحَى أَطْعَنِي وَأَنْصِرْفُ وَدَعْ هَذِهِ الْإِبِلَ فِي النَّارِ ، فَأَبَى عَلَيْهِ . ثُمَّ سَارَا ، فَلَمَّا كَانَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ عَرَضَ لَهَا ظَبْيٌ أَغْضَبَ أَحَدَ الْقَرْنَيْنِ (٢) . فقال المَرَّارُ لِبَدْرِ : قَدْ تَطَيَّرْتُ مِنْ هَذَا السَّفَرِ ، وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرْجِعُ مِنْ هَذَا السَّفَرِ أَبَدًا ، فَأَبَى عَلَيْهِ بَدْرٌ . فَتَفَرَّقَتْ عَبَسُ فِرْقَتَيْنِ فِي طَلَبِ الْإِبِلِ ، فَصَدَّتْ فِرْقَةٌ إِلَى وَادِي الْقَرْيِ (٣) ، وَفِرْقَةٌ إِلَى تَبَاءٍ فَصَادَفُوا الْإِبِلَ بِنَهْجِئِشَاعٍ ، فَأَخَذُوا الْمَرَّارَ وَبَدْرًا فَرَفَعُوهُمَا إِلَى الْوَالِي . وَعُرِفَتْ سِمَاتُ عَبَسٍ عَلَى الْإِبِلِ فَدُفِعَتْ إِلَيْهِمْ ، وَرُفِعَ الْمَرَّارُ وَأُخْرِجَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَضُرِبَ بِأُحْشَاءٍ ، فَمَاتَ بَدْرٌ فِي الْحَبْسِ . فَكَلَّمْتُ عِدَّةً مِنْ قُرَيْشٍ زِيَادَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ النَّصْرِيَّ فِي الْمَرَّارِ نَحْلَاهُ . وَقَالَ فِي حَبْسِهِ :

* صَرَمْتُ وَلَمْ تَصِرْمَ وَأَنْتَ صَرُومٌ *

١٠ . وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

وَقَالَ يَرْثِي أَخَاهُ بَدْرًا :

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلتَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ * وَلِلْقَدْرِ السَّارَى إِلَيْكَ وَمَا تَذَرِي
وَلِلشَّيْءِ تَنْسَاهُ وَتَذْكُرُ غَيْرَهُ * وَلِلشَّيْءِ لَا تَنْسَاهُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ
وَمَا لَكِ بِالْغَيْبِ عِلْمٌ فَتُخَدَّرَا * وَمَا لَكِ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ مِنْ أَمْرِ

١٥ . وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، يَقُولُ فِيهَا :

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْمَقَادِيرَ وَالْمُنَى * وَطَيْرًا بَحَرَتْ بَيْنَ السُّعَافَاتِ وَالْحَبْرِ (٤)
وَقَاتِلَ تَكْذِيبِي الْعِيَافَةَ بَعْدَ مَا * زَجَرْتُ فَمَا أَغْنَى أَعْيَافِي وَلَا زَجَرِي (٥)

(١) نَدَرَ عَنْ رَحْلِهِ : سَقَطَ . (٢) الْأَغْضَبُ : الْمَكْسُورُ . (٣) وَادِي الْقَرْيِ :
وَادٍ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ مِنْ أَعْمَالِ الْمَدِينَةِ كَثِيرِ الْقَرْيِ . (٤) فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : « السُّعَافَاتُ بضم
أَوَّلِهِ وَبَعْدَ الْأَلْفِ فَاءٍ وَآخِرُهُ تَاءٌ مَثْنَاءٌ مِنْ فَوْقِ مَوْضِعٍ فِي قَوْلِ الْمَرَّارِ » . وَاسْتَشْهَدَ بِهَذَا الْبَيْتِ :
(٥) الْحَبْرُ (بِالْكَسْرِ ثُمَّ السُّكُونِ) : اسْمُ وَادٍ ، كَذَا ذَكَرَهُ يَاقُوتُ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ وَاسْتَشْهَدَ بِأَيَّامٍ مِنْ
هَذِهِ الْقَصِيدَةِ . وَفِي الْأَصُولِ : « الْحَبْرُ » بِالْجِيمِ . (٦) فِي يَاقُوتَ : « وَقَاتِلَ تَكْذِيبَ
الْعِيَافَةِ » .

مات أخوه بدر
في الحبس فرثاه

١٦٠
٩

تَرَوُّحٌ فَقَدْ طَالَ الثَّوَاءُ وَقُضِّيتْ * مَشَارِيطُ كَانَتْ نَحْوَ غَايَتِهَا تَجَرُّ

— المشاريط : العلامات والأمارات —

وَمَا لَقُفُولٍ بَعْدَ بَدْرِ بِشَاشَةٍ^(١) * وَلَا حَى آتِيهِمْ وَلَا أُوْبَةَ السَّقْفِ
تُدَكِّرُنِي بَدْرًا زَعَزَعُ حَجَرَةٍ^(٢) * إِذَا عَصَقَتْ إِحْدَى عَشِيَّاتِهَا الْغُبْرَ

— الزعازع : الشديدة المهبوب . والحجرة : السينة الشديدة —

إِذَا شَوْلُنَا لَمْ نُؤْتَ مِنْهَا مِجْلِبٌ^(٣) * قَرَى الصَّيْفَ مِنْهَا بِالْمَهْدِ ذَى الْأَثْرِ
وَأَضْيَانَا إِن نَّبْهَوْنَا ذِكْرَهُ * فَكَفَ إِذَا أَنْسَاهُ غَايَةَ الدَّهْرِ

إِذَا سَلَّمَ السَّارَى تَهَلَّلَ وَجْهُهُ * عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ يَسَارٍ وَمِنْ عُسْرِ
تَذَكَّرْتُ بَدْرًا بَعْدَ مَا قِيلَ عَارِفٌ^(٤) * لِمَا نَابَهُ يَا هَفَفَ نَفْسِي عَلَى بَدْرِ

إِذَا خَطَرْتُ مِنْهُ عَلَى النَّفْسِ خَطَرَةً * مَرَّتْ دَمْعَ عَيْنِي فَاسْتَهَلَّ عَلَى تَحْرِى
وَمَا كُنْتُ بَكَّاءً وَلَكِنْ يَبْجِى لِي^(٥) * عَلَى ذِكْرِهِ طِيبُ الْخِلَاقِ وَالْخُبْرِ

أَعِىْنِي إِذْ شَاكِرًا مَا فَعَلْتُمَا * وَحَقَّ لِمَا أَبْلَيْتُمَانِي بِالشُّكْرِ
سَأَلْتُكُمْ أَنْ تُسْعِدَانِي بِفُذُّمَا * تَوَاتَيْنِ^(٦) بِالتَّسْجَامِ بَاقِيَتِي قَطْرِ^(٧)

(١) فى - : « وما لقفولى » . (٢) فى الأصون : « حجرة » بتقديم الحاء المهملة

على الجيم وهو تصحيف . وفى ياقوت : « لزبة » وسنة لزبة : سديدة .

(٣) الشول : جمع شائلة ، وهى من الإبل ما أتى عليها من رضعها أو حملها سبعة أشهر فارتفع رضعها
ونحف لبنها . والمجلب : إناء يجلب فيه . والأثر (بالفتح وبالكسر وبضمين) : فرد السيف وروقه .

ورواية هذا البيت فى كتاب الشعر والشعراء ص ٤١ ٤ طبع أوربا : « إذا شولنا لم نسع فيها بمرفد... الخ » .
(٤) عرف فلامر : صبر . . . (٥) مرت دمع عيني : أرسلته وأسبلته . واستهل : سال .

(٦) فى ب ، س : « ييجيى » . (٧) العوان : النصف فى سنأ من كل شئ . والحرب

العوان : التى قوتل فيها مرة بعد أخرى ، كأنهم جعلوا الأولى بكرا . والحرب للعوان هى أشد الحروب .
فلعله يريد أن عينيه تجمعت الدمع أى أسالته مرة بعد أخرى . (٨) كذا فى كتاب الشعر والشعراء .

ورودت هذه الكلمة فى الأصول مصحفة ، ففى بعضها : « يا قتي » وفى بعضها الآخر : « يا قتي » .

فَلَمَّا شَفَانِي الْيَأْسُ عَنْهُ بَسْلُوهُ * وَأَعْذَرْتُمَا لَا بَلْ أَجَلٌ مِنَ الْعَذْرِ
نَهَيْتُكَ أَنْ تُسْهِرَانِي فَكُنْتُ^(١) * صَبُورِينَ بَعْدَ الْيَأْسِ طَاوِيَتِي ذُبُرُ
يقول : طويتمَا أغبارَ دمعكما . والأغبار . البقايا كأغبار اللّبن .

خرج حاجا راضاه
قرشي بالأبطح

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني رجل عن واصل بن
زكريّا بن المزار أن المزار قال :

نَحْرَجْتُ حَاجًّا فَأَتَخْتُ بِنَاحِيَةَ الْأَبْطَحِ ، بَخَاءُ قَوْمٍ فَتَحَوْنِي عَنْ مَرْضَعِي وَضَرَبُوا
فِيهِ قُبَّةً لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ . فَلَمَّا جَاءَ وَجَلَسَ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ :
هَذَا قَعُودِي بَارِكًا بِالْأَبْطَحِ * عَلَيْهِ عَيْكَ^(٢) أَكْثَرُ^(٣) لَمْ تُفْتَحِ
فَقَالَ : وَمَا قِصَّتُكَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : وَاللّهِ لَا تَفْتَحُ مِنْهُمَا شَيْئًا حَتَّى تَنْصَرِفَ ، فَأَقِمْ
مَعَنَا ، يَدُكَ مَعَ أَيْدِينَا ، وَقَعُودُكَ مَعَ أَبَاعِيرِنَا^(٤) . فَوَاللّهِ مَا فَتَحْتُ الْعِدْلِينَ حَتَّى أَنْصَرِفَ
بِهِمَا إِلَى أَهْلِي . فَمَا هَجَانِي أَحَدٌ قَطُّ هِجَاءَهُ .

حبس هو وأخوه
بدر ، وشعره
في الحبس

أخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا أبو غسان دَمَاز عن أبي عبيدة قال
أخبرني أبو موهب رَتِيلُ الزُّبَيْرِيِّ أَحَدَ بَنِي زُبَيْرٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ قُعَيْنٍ قَالَ :

كَانَ الْمَسْرَارُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَخُوهُ بَدْرُ لَيْصِينَ ، وَكَانَ بَدْرُ أَشْهَرَ مِنْهُ بِالسَّرْقَةِ وَأَكْثَرَ
غَارَاتٍ عَلَى النَّاسِ . فَأَغَارَ بَدْرٌ عَلَى ذُوْدٍ لِبَعْضِ بَنِي غَنَمٍ بَنِ ذُوْدَانَ فَطَرَدَهَا ، فَأَخَذَ^(٥)
^(٦)

(١) في كتاب الشعر والشعراء : « أن تشمتني » .

(٢) العكم : العدل وهو التفرقة . (٣) أكبر : جمع كمر (بكسر الكاف وسكون الميم) نحو
ذئب وأذئب . وهذا الجمع سماعي في مثل هذا الوزن . والكمر من البسر : ما لم يربط على نخله ولكنه
سقط فأرطب على الأرض . (٤) كذا في ١ ، م . وفي سائر الأصول : « أقاعدنا » وهذا الجمع
لم يرد في كتب اللغة في جمع قعود . (٥) الذود : ثلاثة أبرة إلى التسعة ، وقيل إلى العشرة ، وقيل
غير ذلك . ولا يكون إلا من الإناث . وهو واحد وجمع كافلك . (٦) راجع الحاشية رقم ٤
ص ٣١٧ وغنم هو أخو ثعلبة المذكور في تلك الصفحة . (راجع كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل
العرب للسويدي ص ٥٨ طبع بغداد سنة ١٢٧٠ هجرية) .

ورُفِعَ إلى عثمان بن حيان المُرِّي، وهو يومئذ على المدينة فحبسه، وطرَدَ المَرَارُ طَيِّدَةً فَأَخَذَها وهو يبيعها؛ ادى القُرَى أو بِرْمَةٍ^(١)، فُرِفِعَ إلى عثمان بن حيان فحبسه . قال : فأجتمعا ومكنا في السجن مدة ؛ ثم أَقْلَتِ المَرَارُ وبقي بدرُّ في السجن حتى مات عَمَّ سَأَ مَقِيدًا ، فقال المَرَارُ وهو في الحبس :

أَنَارُ بَدَتْ مِنْ كُوَّةِ السَّجْنِ ضَوْءُهَا * عَشِيَّةَ حَلِّ الْحَيِّ بِالْجَرَجِ الْعُفْرِ^(٢)
عَشِيَّةَ حَلِّ الْحَيِّ أَرْضًا خَصِيبَةً * يَطِيبُ بِهَا مَسَّ الْجَنَائِبِ وَالْقَطْرِ^(٣)
فَيَاوِيلَتَا سَجْنِ الْيَمَامَةِ أَطْلَقَا * أُسِيرَ كَمَا يَنْظُرُ إِلَى الْبَرْقِ مَا يَفْرِى^(٤)
فَإِنْ تَفْعَلَا أَحْمَدُكُمَا لَدَأَرَى * بَأَنَّا لَا يَنْبَغِي لَكُمَا شُكْرَى
وَلَوْ فَارَقْتُ رَجُلَ الْقَيْودِ وَجَدْتُ * رَجُلًا بَنَصَّ الْعَيْسَ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ^(٥)
جَسَدِيرًا إِذَا أُمْسَى بِأَرْضٍ مُضَلَّةٍ * بِتَقْوِيمِهَا حَتَّى يُرَى وَضَحُ الْفَجْرِ^(٦)

١٠

وقال أبو عمرو الشَّيبَانِي :

كان بين المَرَارِ بن سعيد وبين رجل من قومه لَحَاءً، فتقاذفا وتسابَّأ، ثم صارا إلى الضرب بالعصا؛ فقال في ذلك :

خاصم رجلا من
قومه وسابه، وقال
في ذلك شعرا

(١) برمة (بكسر أوله) : عرض من أعراض المدينة بين نخير ووادى القرى . (٢) كذا في الأصول
بتأنيث الفعل لإضافة الفاعل إلى ضمير المؤنث . (٣) كذا في - بالراء المهملة - والجرج بالتحريك :
جمع جرمة بالتحريك أيضا وهي هنا الرملة العذاة الطيبة التي لا عوة فيها . وفي سائر الأصول : الجرج بالزاي
المعجمة وهو تصحيف . (٤) الجنائب : جمع جنوب وهي الريح التي تقابل الشمال . ومنه إذا جاءت
الجنوب جاء معها خير وتلقح . (٥) هكذا في جميع الأصول : ويأويلتا بمعنى يا فضيحتا .
وقد أشكل علينا مرجع الضمير المثني في قوله «أطلقا أسيركما» . ولهذا يحتمل أن تكون هذه الكلمة محرفة
عن مثل قوله «فيا حارمى سجن اليمامة» أو نحو ذلك . (٦) يفري : يشق ؛ والبرق يشق الطلام .
(٧) نص العيس : استحاثها واستقصاء أثر ما عندها من السير . (٨) أرض مضلة (بفتح
الضاد وتكسر) : يضل فيها الطريق .

١٥

٢٠

صوت

ألم تَرَسَّعَ فَتُخَيِّرَكَ الْمَغَانِي * فَكَيْفَ وَهْنٌ تُذَجِّجُ مَمَّا
بَرِثْتُ مِنَ الْمَنَازِلِ مِرَّ شَوْقًا * إِلَى الدَّارِ الَّتِي يَلُوحُ أَبَانُ^(١)
لِإِسْحَاقَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ هَزَجٌ بِالْخَنْصَرِ فِي مِرَّةٍ الْبَنْصَرِ مِنْ كِتَابِ ابْنِ الْمَكِّيِّ .
وَكَانَ بَدْرُ بْنُ سَعِيدٍ أَخُو ابْنِ أَرِشَاعٍ شَاعِرًا وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

يَكان أخوه بدر
شاعرا، وشي، من
شعره

صوت

يَا حَبْشًا حِينَ تُنَمِّسِي الرِّيحَ بَارِدَةً * وَادِي أَشْيَ وَفِيَانٍ بِهِ هَضْمٌ^(٢)
مُحْدَمُونَ كِرَامٌ فِي مَجَالِسِهِمْ * وَفِي الرَّحَانِ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ خَيْدَمٌ^(٣)
وَمَا أَصَابِحُ مِنْ قَوْمٍ فَـ كَرُّهُمْ * إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَى هُمْ^(٤)
الْغِنَاءُ لِابْنِ مُحَرَّرٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْخَنْصَرِ وَالْبَنْصَرِ عَنْ ابْنِ الْمَكِّيِّ . وَفِيهِ لِمَتِّمْ خَفِيفٌ رَمَلٌ .
وَذَكَرَ حَبَشٌ ، أَنَّ الثَّقِيلَ لِلْهُدَلِيِّ . وَفِيهِ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ بُشَيْرٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ
عَنِ الْهَشَامِيِّ .

- (١) أَبَانُ : يَطْلُقُ عَلَى مَوْضِعَيْنِ هُمَا أَبَانُ الْأَبْيَضِ وَأَبَانُ الْأَسْوَدِ . فَالْأَبْيَضُ شَرْقُ الْحَاجِرِ
فِيهِ نَخْلٌ وَمَاءٌ وَهُوَ لَبَنِي فَرَارَةٌ وَفَيْسُ . وَالْأَسْوَدُ : جَبَلُ لَبَنِي فَرَارَةٍ خَاصَّةٌ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَبْيَضِ
مِيلَانٌ . (عَنْ مَعْيَمِ الْبَلْدَانِ لِياقوت) . (٢) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (فِي مَادَّةِ هَضْمٍ) وَمَعْيَمِ الْبَلْدَانِ
فِي الْكَلَامِ عَلَى أَشْيَ وَشُعُوبٍ وَنَقَمُ أَنَّ قَائِلَهُ زِيَادُ بْنُ مَتْقَدٍ . وَفِي شَرْحِ الْحَمَاسَةِ لِلتَّبْرِيزِيِّ طَبِيعُ أَوْرَبَا
ص ٦٠٨ نَظْمَانُ قَائِلَهُ زِيَادُ بْنُ حَمَلٍ - بْنُ سَعْدٍ - بْنِ عَمِيرَةَ بْنِ حَرْثٍ وَيُقَالُ زِيَادُ بْنُ مَتْقَدٍ . وَمِثْلُهُ فِي لِسَانِ
الْعَرَبِ (فِي مَادَّةِ أَشْيَ) غَيْرُ أَنَّهُ وَرَدَ فِيهِ : « زِيَادُ بْنُ حَمْدٍ » بِالْدَّالِّ مَحْزُوفًا . (٣) أَشْيَ : مَوْضِعٌ
بِالْوُشْمِ . وَالْوُشْمُ : وَادٍ بِالْمِائَةِ ؛ ذَكَرَ ذَلِكَ ياقوت واستشهد بالأبيات . (٤) هَضْمٌ : جَمْعُ هَضُومٍ .
وَفِيَانٌ هَضْمٌ : يَهْضُمُونَ الْمَالَ أَيْ يَكْمُرُونَهُ وَيَنْفَقُونَهُ . (٥) ارْتَفَعَ « هَمْ » الْأَخِيرُ يَزِيدُ .
وَقَدْ وَضَعَ الضَّمِيرَ الْمُنْفَصِلَ مَوْضِعَ الْمُتَّصِلِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ الْوَجْهَ أَنْ يَقُولَ إِلَّا يَزِيدُونَهُمْ حُبًّا إِلَى ؛ وَمِثْلُهُ لَطَرَةٌ :
أَصْرَمْتُ حَبْلَ الْحَيِّ إِذْ صَرَمُوا * يَا صَاحِبَ بِلِّ صَرَمِ الْوَصَالِ هَمْ
(عَنْ شَرْحِ دِيوَانِ الْحَمَاسَةِ لِلتَّبْرِيزِيِّ) .



صوت

صوت ابن صاحب
الوضوء في شعر
النايفة

خَطَّاطِيفُ حُجْنٍ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ * تُمَدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ تَوَازِعُ
فَإِنْ كُنْتَ لَإِذَا الضَّغْنِ عَنِّي مَكْذِبًا * وَلَا حَلْفِي عِنْدَ الْبَرَاءَةِ نَافِعُ
فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي * وَإِنْ خَلْتُ أَنْ الْمُتَّأَى عَنْكَ وَاسِعُ

عروضه من الطويل . يقول : أنا في قبضتك متى شئت قدرت على كَأَنِّي
فِي خَطَّاطِيفٍ تَجِدُنِي إِلَيْكَ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى الْمَرْبِ مِنْكَ . وَيُرْوَى "وإِنْ خَلْتُ أَنْ
الْمُتَّوَى" أَيْ الْمَوْضِعَ الَّذِي تَتَوَى قَصْدُهُ . وَالْمُتَّأَى : الْمُفْتَعَلُ مِنَ النَّأَى .
وَالْحُجْنُ : الْمُعْوَجَّةُ . وَالتَّوَازِعُ : الْجَوَازِبُ . وَالضَّغْنُ : الْحَقْدُ .

الشعر للنايفة الدُّبَيَانِيَّةُ . والغناء لابن صاحب الوضوء من رواية إسحاق وعمرو
مَاحُورِيٍّ بِالْبَنْصَرِ .



اتمى الجزء العاشر من كتاب الأغاني

ويليه الجزء الحادى عشر

وأوله أخار النابغة ونسبه







